آثار الشيخ زيد الفياض رحمه الله (١٧)

# فصول في الدين والأدب والاجتماع


تأليف فضيلة الشيخ

زيد بن عبد العزيز الفياض

رحمه الله

(١٣٥٠-١٤١٦هـ)





دار الألوكة للنشر

فصول

في الدين والأدب والاجتماع

الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ
الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ
الطبعة الثالثة خاصة بدار الألوكة ١٤٣٧هـ







دار الألوكة للنشر
المملكة العربية السعودية - الرياض
هاتف: ٠٠٩٦٦١١٤٥٦٦٦٦٠ تحويلة ٣٣٣
ناسوخ: ٤٥٥٠٦٦٦ - ص . ب ٣٠٥٦٦٠ الرياض ١١٣٦١
dar@alukah.net

# فُصُول

## في الدِّين والأَدَبِ والاِجتِمَاع


تأليفُ فَضِيلَةِ الشيخ

**زيد بن عبد العزيز الفيَّاض**

رحمه الله

(١٣٥٠-١٤١٦هـ)





بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٠

## تصدير بقلم الأستاذ الكبير

## الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

الحمدُ لله ربِّ العالمين؛ له الحمد والثناء، وله العِزَّة والكبرياء، وله الطاعة والعبوديَّة والولاء، وبعد:

فهذا كتاب "فصول في الدِّين والأدب والاجتماع"، من تأليف الأستاذ البحَّاثة الشيخ **زيد بن فيَّاض** سدَّد الله خُطاه؛ وهو كتابٌ موسوعيٌّ جامع، يدلُّ على عقل حصيف، وعلم غزير، وذَوق رفيع.

والعلَّامة الشيخ **زيد** يمتاز باطِّلاع واسع، ودَأَب كبير، ومُثابرة موصولة في سبيل الإسلام، ومن أجلِ العلم، ولخدمةِ الشباب المسلِم المتلهِّف على الاستزادة من ثقافات دِينه ولُغته الشريفة؛ لُغة القرآن الكريم.

وكُتبُه وبحوثه، ومقالاته وإذاعيَّاته تحظَى بقدرٍ كبيرٍ من اهتمام القرَّاء والمثقَّفين والباحثين على حدٍّ سواء، وينتفع بها طلَّاب العِلم في كلِّ مكان من العالَم الإسلامي.

والكتاب الذي بين أيدينا، وهو "**فصول في الدِّين والأدب والاجتماع**" كتابٌ فريدٌ في بابه، ولا أُشبِّهه إلَّا بكتاب "العقد الفريد"، و"عيون الأخبار"، و"زهر الآداب"، و"الكشكول" للعامِلي، و"المستطرَف" للأَبْشِيهي.

واختيار الرجل دائمًا دليلُ عقله، واختيارات العلماء - مِن أمثال: ابن الجوزي في "الأذكياء"، وأبي عليٍّ القالي في "الأمالي"، ومن أمثال أبي تمَّام في "الحماسة"، وغيرهم - أدَّت للعِلم والبحث والثقافةِ الإسلاميَّة

والعربيَّة خِدماتٍ جليلةً، لا يمكن أن تُقدَّر بقيمة.

فكتاب الشيخ **زيد** مختاراتٌ منوَّعة من مختلِف جوانب الثقافة الإسلاميَّة والعربيَّة، وهي اختياراتٌ تحمل طابعَ الجِدِّ والعُمق والشُّمول، وبُعد النظر، وسَعَة الأُفُق، ولها هدفٌ نبيلٌ تسعى إليه، وهو خِدمةُ الإسلام والمسلمين والثقافةِ الإسلاميَّة، وتبصيرُ الجيل المعاصر من أبناء المسلمين بكلِّ ما يُحيط بهم من مؤامرات ودسائس، وكيدٍ لهم، ولدِينهم وتراثهم ولأوطانهم، ومن مطامع خبيثة في ثرواتهم وكنوزهم وكيانهم.

والشيخ **زيد بن فيَّاض** كاتِبٌ إسلاميُّ النزعة، عربيُّ الاتِّجاه، تراثيُّ الثقافة، مع إلمامه الواسعِ بأحوال عصره، ووقوفه على مختلِف التيَّارات الظاهرة والخفيَّة، التي تعمل عملَها في العالَم الإسلاميِّ لليوم والغَدِ، كما كانت تعمل عملَها في الماضي، وهي تياراتٌ تخطِّط لإفساد أحوال المسلمين، وبلبلة أفكارِهم، وصَرفِهم عن شؤون دِينهم ودُنياهم.

يقول الشيخ **زيد** - أكرمه الله، وجزاه خيرَ الجزاء في كتابه - الصفحة الخمسون بعد الثلاثمئة ما نصُّه:

«فماذا يمنع أن يكون الحديثُ منوَّعًا، وأن يكون موجَّهًا معبِّرًا، فلا ينزوي في ناحية معيَّنة، ولا يتهرَّب من معالجة المشكِلات، وهل يجدُر بنا أن نغفُلَ عن واقعنا، ونصُدَّ عن مشكلاتنا، ونحن نعيش في أدقِّ مرحلة، ونُجابِه أشرسَ عدوٍّ وأغدرَه، وبلادنا مُصوَّبة نحوها السِّهام، وهي في موقعٌ هام، وثرواتُها كثيرة، وخيراتُها وافرة.

والصَّدِيق يتطلَّع لها مُتمنيًا لها الهَناءَ والسعادة والتطوُّر، والعدوُّ ينظر لها نظرةَ طمعٍ وحِقدٍ وعداء، وروابطها بالعالَم الإسلاميِّ متينة، ومسؤوليَّتُها عظيمة، وقادتُها وعلماؤها وجندُها، وسائرُ الفئات الصالحة تعضدُ عنايتها

بأُمور المسلمين في شتَّى أقطارهم، وعلى اختلاف أجناسِهم، ومشاكلهم في فلسطين وأريتريا وكشمير وقبرص وتشاد والتركستان وزنجبار، وتركيا ويوغسلافيا والهند عويصة، والعُدوان عليهم من قِبَل أعداءِ الإسلام - في ضَراوةٍ وحَنَقٍ ولُؤم - يزدادُ قساوةً وشراسة؟! فلا يليق أن تُغفل هذه المواضيع المهمَّة وتُترك جانبًا».

وهو قولٌ له مغزًى عميق، وحكمة جليلة.

**وقد قسَّم الشيخ زيدٌ كتابَه إلى ستَّة أقسام:**

**الأوَّل:** عن المسلمين بين الماضي والحاضر.

**والثاني:** عن العلوم والمعارف.

**والثالث:** عن الأدب والبيان.

**والرابع:** في قصص وشخصيَّات.

**والخامس:** في طلب العلم وبَثِّه.

**والسادس:** في الناس والحياة.

وهي أقسامٌ وفواصل، يمكن أن نعدَّها متداخلة، وليست بجامعةٍ مانعةٍ على حدِّ المنطقيِّين.

وأُسلوب الاستطراد الذي عُرِف به علماؤنا وأسلافنا القُدماء، هو الأُسلوب الغالِب على الكتاب، وهو أُسلوبٌ له بلاغتُه التي اعتدَّ بها أبو عثمان الجاحظ، وأحبَّها المبرِّد صاحب "الكامل"، واعتنقها أئمَّةُ الثقافة الإسلاميَّة والعربيَّة في كُتبِهم الموسوعيَّة الجامعة.

ولقد قرأتُ الكتاب في أصوله، ثم في تجارِبه الطباعيَّة، ثم في ملازمِه

المطبوعة، فزدتُّ حبًّا له واعتزازًا به، وإكبارًا لمؤلِّفه يعلو على كلِّ خلافٍ في الرأي، أو نِقاشٍ حولَ بعض المسائل الفرعيَّة، أو حوارٍ حولَ المنهج والأُسلوب.

وإنِّي لأُهنِّئ العلَّامة الشيخَ **زيدًا**، وأُهنِّئ القرَّاء بهذا الكتاب، الذي سيظلُّ يُذكر حسنةً من الحسنات الباقية الخالدة لصاحبه الأُستاذ الباحث الجليل.

وأسألُ اللهَ لي وله التوفيق، وهو الهادي إلى أقومِ طريق، وما توفيقُنا إلَّا به، عليه توكَّلت وإليه أُنيب.

**محمد عبد المنعم خفاجي**



# تقديم بقلم المؤلِّف

الحمدُ لله حمدَ الشاكرين، وأُثني عليه بما هو أهلُه، وأُصلِّي وأُسلِّم على عبده ورسوله محمَّد ﷺ خاتَم الأنبياء وأفضلِهم، عليه أزكَى الصلاة، وأطيَبُ التسليم، وعلى آله وأصحابه، ومَن تبِعَهم إلى يوم الدِّين.

**أمَّا بعد:**

فهذا كتابي "**فصول في الدِّين والأدب والاجتماع**" أُقدِّمه للقرَّاء؛ أملًا أن يجدوا فيه فائدةً وتسلية، وهذا الكتاب هو الحادي عشر من مؤلَّفاتي المطبوعة، ولكنَّه يختلف عنها من جهة اصطِباغه في مُعظمه بالصِّبغة الأدبيَّة، وإن كانت النواحي الدِّينيَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة لها منه نصيبٌ وفير.

وكنت قد قدَّمتُ لإذاعة الرياض بناءً على طلب المسؤولين في الإذاعة حلَقاتٍ كثيرةً في برنامج (نور على الدَّرْب) في عامي **١٣٩٠** و**١٣٩١**هـ، وقد رَغِب بعضُ الإخوان والأصدقاء أن تُطبع في كتاب، فأضفتُ لها إضافاتٍ كثيرة، وحذفتُ أشياء، وحملت أصولَ الكتاب معي إلى القاهرة في عام **١٣٩٢**هـ أثناءَ العُطلة.

وبَدَت لي فكرةٌ جديدةٌ هي ترتيبُ الكِتاب بطريقةٍ مُغايرةٍ لترتيبه السابق؛ إذ إنَّه كان غيرَ مرتَّب، وإنَّما تجتمع الكلمة والحِكمة، والشِّعر والنادرة في صفحة واحدة تقريبًا.

وكنتُ عمِلت فهارسَ للكتاب على الطريقة السالِفة، ثم ألغيتُها، وقد استغرق منِّي الترتيبُ الجديدُ وقتًا ثمينًا، وسهِرتُ لياليَ عديدة، وأمضيتُ أيامًا في عملٍ مُتواصِل، فكأنَّني لم آتِ للاستِجمام، وإنَّما حضرتُ للجَهد والعمل!

وتركتُ الكتاب في القاهرة للطبع، وعدتُّ للرياض، ولبعضِ الأسباب تأخَّر طبعُ الكتاب.

ورجعتُ للقاهرة هذا العام، وقد طُبع بعضُ الكتاب، فقدَّمتُ وأخَّرتُ في الأصول التي لم تُطبع بعد.

وعمِلتُ فهارسَ جديدة، ورحتُ أصحِّح التجارِبَ (البروفات)، ورأيتُ أن يكون ترتيب الكتاب على ستَّة أقسام:

١- المسلمون بين الماضي والحاضر.

٢- العلوم والمعارف.

٣- الأدب والبيان.

٤- قصص وشخصيَّات.

٥- طلب العلم وبَثُّه.

٦- الناس والحياة.

ولم أُرِده مُلتزِمًا التزامًا كاملًا بهذا التقسيم؛ لئلَّا تكونَ جدِّيتُه صارمة.

فاخترتُ أن يكون التنويعُ سمةً مميِّزةً له؛ دفعًا للسَّأَم والضَّجَر، وأن يكونَ فيه التوجيهُ، والإفادة والإمتاع.

وقد رأينَا لكثيرٍ من العلماء مِن شِعرٍ ونَثرٍ ما يَرومون منه تنشيطَ النفس عن الكَسَل، وإبعادَها عن الخُمول.

وفي تراجم العُلماء والفُقهاء والأُدباء من ذلك الكثيرُ جدًّا، ولابن الجوزي كتاب "الأذكياء"، وكتاب "الحمقى والمغفَّلين"، ولابن القيِّم "روضة المحبِّين"، ولابن حزم "طوق الحمامة"، وغيرهم، وفي دواوين

الشِّعر التي تزخر بها المكتباتُ كثيرٌ ممَّا يُطرِب ويُؤنِس.

ولكنَّ جمع تلك الشوارد، وانتقاء الفرائد، والبحث المُضني، وتحمُّل السَّهَر والتعب - كلُّ أولئك من لوازم إظهارِ كتابٍ ليس هو للتسليةِ وحدَها، ولا من أجل إضحاكِ القارئ وكفى، ولكنَّه جِدٌّ في غير مَلَل، وإرشادٌ بلا عُنف، وإطرابٌ من غير إلهاء.

فهو بستانٌ فيه مِن الأشجار أنواع، ومِن الفواكه أصناف، ومِن الأزاهير ألوان.

ولم يكن من السهل جمعُ أشتاتٍ من عشرات الكتب أو مئاتها.

ولا أدَّعي أنَّني مسرورٌ كلَّ السرور، أو أنَّني قانعٌ بذلك؛ فعندما يصل الإنسان إلى مرحلة الرِّضا الكامل عن نفسه وعمله ونتاجه، فإنَّ هذا من علامة الفشل والعجز، وإنَّما ينبغي أن يُحاول المرءُ السيرَ من حَسَن إلى أحسن، ومن تقدُّم إلى تقدُّم.

**واللهَ نسألُ العونَ والتوفيق.**

**المؤلِّف**

**القاهرة في ١٣٩٣/٦/٢٩هـ**







# القسم الأول

## المسلمون بين

## الماضي والحاضر



## الإسلام دين الفِطرة

الإسلام دِينُ الفِطرة، والنفوسُ إذا ما عرفته أقبلَت عليه راغبةً راضية، يحدُوها الأملُ البسَّام، والغدُ الكريم، والسعادةُ العاجلة والآجلة.

وتنعَم في ظِلال الإسلام بالهَناء، وراحة النفس، وهدوء البال، إن كان حظُّها من المال والمنصب قليلًا.

ولقد رأينَا ما يُدهِش من إقبال الناس على الدِّين على يد أحمدو بللو تغمَّده الله برحمته.

ولا ريبَ أنَّ الإسلام لو وَجَد دعاةً صادقين فاهمين، فإنَّ الناس سيدخلون فيه أفواجًا، وسوف يُقبِلون عليه في حُبور وغِبطَة، ويتفيَّؤون في ظلاله الخيرَ الوارف، والفضلَ العَميم.

وعلى كلِّ مسلم أن يدعوَ إلى الله حسَبَ قدرته وما عنده من إمكانيَّات علميَّة وماليَّة وثقافيَّة، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة في كتابه "الجواب الصحيح"؛ موضحًا معنى ما جاء في (التوراة) من أنَّ الله [جاء، أو] تجلَّى من طُور سيناء، وأشرقَ من ساعير، واستعلَى من جبال فاران:

«وعلى هذا فيكون ذِكرُ الجبال الثلاثة حقًّا: جبل حِراء، الذي ليس حولَ مكَّة جبلٌ أعلى منه، وفيه كان نزول أوَّل الوحي على النبيِّ ﷺ، وحولَه من الجبال جبالٌ كثيرة؛ حتى قيل: إنَّ بمكة اثني عشر ألف جبل، وذلك المكان يُسمَّى بَرِّيَّة فاران إلى هذا اليوم، والبَرِّيَّة التي بين مكَّة وطُور سيناء بَرِّيَّة فاران، ولا يمكن أنَّ أحدًا بعدَ المسيح نزل عليه كتابٌ في شيء من تلك الأرض،

ولا بُعِث نَبِيٌّ، فعُلم أنَّه ليس المرادُ باستعلائه من جبال فاران إلَّا إرسالَ محمَّد ﷺ. وهو سبحانه ذَكَر هذا في التوراة على الترتيب الزمانيِّ؛ فذكر إنزال التوراة، ثم الإنجيل، ثم القرآن.

وهذه الكتب نورُ الله وهُداه، وقال في الأوَّل: «جاء» أو: «ظَهَر»، وفي الثاني: «أشْرَق»، وفي الثالث: «استعلى»؛ فكان مجيءُ التوراة مثلَ طلوع الفجر، أو ما هو أظهرُ من ذلك، ونزولُ الإنجيل مثلَ إشراق الشمس زادَ به النورُ والهدى.

وأمَّا نزول القرآن فهو بمنزلة ظهور الشَّمس في السماء، ولهذا قال: «واستعلَى من جبال فاران»؛ فإنَّ محمَّدًا ﷺ ظَهَر به نورُ الله وهُداه في مشرِق الأرض ومغربها أظهرَ ما ظهر بالكتابين المتقدِّمَين، كما يظهر نورُ الشمس إذا استعلَنَت في مشارِق الأرض ومغاربها؛ ولهذا سمَّاه الله: سراجًا منيرًا، وسمَّى الشمس ﴿سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾، والخلقُ يحتاجون إلى السِّراجِ المنيرِ أعظمَ من حاجتهم إلى السِّراج الوهَّاج؛ فإنَّ السِّراج الوهَّاج يحتاجون إليه في وقتٍ دونَ وقت، وأمَّا السِّراج المنير، فيحتاجون إليه كلَّ وقت، وفي كلِّ مكان، ليلًا ونهارًا، سرًّا وعلانية».

ومن آيات الله الدالَّة على قُدرتِه وعظمتِه، وأنَّه القادر على كلِّ شيء، وأنَّ العباد عاجزون محتاجون خاضعون لربوبيَّته سبحانه، وأنَّه لا علمَ لهم إلَّا ما علَّمهم، وأنَّ لهم موعدًا يحشُرهم فيه، وتُوفَّى كلُّ نفس ما كسبت، وهم لا يُظلَمون - أقول: مِن آياته ﷻ أنَّ الآياتِ تظهر بجلاء في البُلدان التي يَكثُر فيها الإنكار والجُحود، وادِّعاء قدرةِ بعضِ الخلق على ما هو من خصائص الله وما يتفرَّد به.

ففي روسيا من الأحداث والوقائع ما يُذهِل، وما يُقنِع بأنَّ قُدرةَ الله لا

محَلَّ لإنكارها، وأنَّ مَن يجحد ربوبيَّتَه سبحانه وألوهيَّته، فإنَّه قد ظلَم نفسَه، وجرَّ عليها الويلات والبلايا.

وتتداول الرُّواةُ في بُلدان عربيَّة في جنح قادتُها للجُحود والإنكار من قصص الغرائب والعجائب ما يُثير الاستغراب، ويدعو للتأمُّل والتفكُّر، إنَّها ظاهرة دالَّة على قُدرة الله وعِزَّته، وسبحان الله ما أعظمَ شأنَه!

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١].

## من مواقف الرسول الأعظم

قال ابن إسحاق: لَمَّا رأت قريشٌ أنَّ أمر رسول الله ﷺ يتزايدُ ويقوَى، مَشَوا به إلى أبي طالب؛ فقالوا له: يا أبا طالب، إنَّ لك سِنًّا وشرفًا ومنزلة، وإنَّا قد استَنهَيناك من ابن أخيك فلم تَنهَه عنَّا، وإنَّا واللهِ لا نصبرُ على هذا؛ مِن شَتم آبائنا، وتسفيهِ أحلامنا، وعَيبِ آلهتنا، حتى تكُفَّه عنَّا، أو نُنازله وإيَّاك في ذلك، حتى يَهلِكَ أحدُ الفريقين! - أو كما قالوا - فعَظُم على أبي طالب فراقُ قومه وعداوتُهم، فبعث إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابنَ أخي، إنَّ قومك جاؤوني، وقالوا لي كذا وكذا - للذي كانوا قالوه له - فأَبقِ عليَّ، وعلى نفسك، ولا تُحمِّلني من الأمر ما لا أُطيق.

قال: فظنَّ رسول الله ﷺ أنَّه قد بدَا لعمِّه فيه بدء، وأنَّه خاذِلُه ومُسلِمُه، وأنَّه ضَعُف عن نصرته والقيامِ معه، فقال له رسولُ الله ﷺ: يا عمِّ، والله لو وضعوا الشمسَ في يميني، والقمرَ في يَساري على أن أتركَ هذا الأمرَ ما تركتُه، حتى يُظهرَه الله أو أهلِك فيه، قال: ثم استَعْبَر رسولُ الله ﷺ فبكى، ثم قام، فلمَّا ولَّى ناداه أبو طالب، فقال: أقبِل يا ابنَ أخي، فقُل ما أحببتَ، فوالله لا أُسلِمك لشيءٍ أبدًا.

## العلم يُؤيِّد الدِّين

كلَّما تقدَّم العِلم والمخترعات الحديثة، والمكتشفات الجديدة، كان في ذلك آياتٌ على صِحَّة الدِّين، وسلامة القرآن، وصِدق نُبوَّة النبيِّ ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، وما على مَن يُريدُ معرفةَ ذلك تفصيلًا إلَّا أن يرجع للقرآن، فيدرُسه ويدرُسَ كتبَ الحديث المعتبرة، ويُطالِع ما قاله علماءُ الإسلام، ويتبيَّن له حينئذٍ ما كان يجهله، ويعرف أنَّ مَن يَدَّعي خلافَ هذا، فإنَّما سبَّب له ذلك الجهلُ وعدمُ الاطِّلاع، أو العِنادُ والاستكبار.

إنَّه من الصعب تَعدادُ ما جدَّ من المكتشفات، وما دلَّ عليه من القرآن والحديث، ومن كلام العلماء.

وقد سَبَق أن كتبتُ بحثًا في مجلة "المنهل" عن بعض المختَرَعات، وأوردتُّ الأدلَّة من الحديث النبويِّ الشريف على أنَّها ستقع، ونُشِر هذا البحث فيما بعدُ في كتابي "بحوث ومناقشات"، وهذا البحث لا يُراد به الشمول والاستقصاء، ولكنَّه يُعطي أمثلةً وكفى.

قال ابن إسحاق عن شيخٍ من أهل اليمامة: إنَّ وفد بني حنيفة أتَوا رسولَ الله ﷺ وخلَّفوا مُسَيلِمَةَ في رِحالهم، فلمَّا أسلموا ذكروا له مكانَه، فقالوا: يا رسول الله، إنَّا قد خلَّفنا صاحبًا لنا في رِحالنا ورِكابنا، فأمرَ له رسولُ الله بما أمر للقوم، وقال: «أمَا إنَّه ليس بشَرِّكُم مكانًا»؛ يعني: حفظَه ضَيْعَةَ أصحابه.

ثم انصرفوا وجاؤوه بالذي أعطاه، فلمَّا قَدِم اليمامةَ ارتدَّ عدوُّ الله وتنبَّأ، وقال: إني أُشرِكتُ في الأمر معه، ألَم يقُل لكم حين ذكرتموني: «إنَّه ليس بشرِّكُم مكانًا»؟!

ثم جعل يسجع السجَعاتِ، فيقول لهم فيما يقول مُضاهيًا للقرآن: (لقد أنعم الله على الحُبلى، أخرج منها نَسَمَةً تسعى، من بين شَغَافٍ وحَشَا)، ووضع عنهم الصلاة، وأحلَّ لهم الخمرَ والزِّنى، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله أنَّه نبيٌّ، فأصفَقَت معه بنو حنيفة على ذلك، وقد كتب لرسول الله ﷺ: مِن مُسيلِمةَ رسولِ الله إلى محمَّد رسولِ الله.

أمَّا بعد:

فإنِّي قد أُشرِكتُ في الأمر معك، وإنَّ لنا نصفَ الأمر، ولقُريشٍ نصفَ الأمر، وإنَّ قريشًا قومٌ يعدلون، فقَدِم عليه رسولٌ بهذا الكتاب.

فكتب إليه رسول الله: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمَّد رسول الله إلى مُسيلِمَةَ الكذَّاب، سلامٌ على مَن اتَّبع الهدى.

أمَّا بعد:

فإنَّ الأرض لله يورثُها مَن يشاء من عباده، والعاقبة للمتَّقين.

## الآن عزَّ الإسلام

كان غِلمانٌ مِن أهل البحرين خَرجُوا يلعبون بالصَّوالِجَة، فوقعتِ الكُرة على صَدر الأُسْقُفِّ، فأخَذَها، فجعلوا يطلبونها منه فأبى، وذَكَرَ رسولَ الله ﷺ فسبَّه! فأقبلوا عليه بصَوالجِهِم فما زالوا يخبِطونه حتى مات - لَعَنَه الله - فَرُفِع ذلك إلى عمر رضي الله عنه فوالله ما فَرِح بفتحٍ ولا غنيمةٍ كفرحتِه بقتل الغِلمانِ لذلك الأُسْقُفِّ، وقال: الآن عَزَّ الإسلامُ؛ إنَّ أطفالًا صغارًا شُتِم نبيُّهم فغَضِبوا له وانتصروا، وأهدر دَمَ الأُسْقُفِّ.

## دعاء

اللهمَّ اجمَع كلمةَ المسلمين، ووفِّقهم للأخذِ بأسباب القوَّة، واتِّحاد الكلمة، وتحكيم الشَّرع، ونَبذِ الإلحاد والخُرافات والبِدَع؛ حتى يعودَ لهم مجدُهم الغابِر، وعِزُّهم الماضي، وحتى لا يطمعَ فيهم طامع، ولا يقهرَهم عدوٌّ قاهر.

## سبب القلق

يُنعت هذا العصرُ بأنَّه عصر القلق، والسبب واضح؛ وهو إعراضُ الكثيرين عن الدِّين الذي به سعادةُ الدارَين، والاطمئنان النفسي.

إنَّ قراءةَ القرآن، والصلاةَ بخشوعٍ وحضورِ قلب، ودعاءَ الله والإخباتَ إليه، والإنابةَ والتوكُّلَ على الله، وسؤالَه الهدايةَ والفوزَ والرحمة، كلُّ أولئك مِن دواعي الاطمئنان وراحة البال.

إنَّ المؤسفَ أنَّ كثيرين قد أصبحوا ينظرون للأشياء نظرةً مادِّيَّةً صِرفَة، وقد أسقطوا الدِّين من حسابهم، وخالُوا السعادةَ في المال أو الجاه، أو الوظيفة، أو القُرب من الكُبراء، وغفلوا عن ذِكر الله وعبادته، وربَّما بَلَغ بهم الأمرُ أنِ استهزؤوا بمَن يَدعُوهم للرَّشاد، فكان جزاؤهم العاجل هذا القلقَ والحَيرة، والنارَ المُستعِرة في قلوبهم، وتوجُّس الخِيفَة، وهم في رَغَد العَيش، وتوفُّر الملذَّات والمال، والبيوت الأنيقة!

إنَّ الدِّين هو أعظم مُهدِّئ للأعصاب، ومسعِد للبشر، بل إنَّه وحدَه الذي به يَنال الناسُ الهناءَ وراحة البال، وبدونه يعيشون في حياةٍ نَكِدَة، وشقاءٍ دائم، وهَمٍّ وقلق، وحَيرَةٍ وعذاب مُتواصِل، أمَّا الدِّين والإيمان، فهما النور والشِّفاء والسَّعادة.

قال الأستاذ عبد العزيز البدري في كتابه "الإسلام، بين العُلماء والحكَّام" : «وبعبارة أُخرى: إنَّ العالِم بالإسلام يقومُ بأداء العبادة ويُعلِّمها، كما يشتغل بأمور السِّياسة، ويدعو إلى التمسُّك بالأخلاق الإسلاميَّة، كما يدعو إلى المحافظة، وحُسنِ تطبيق أنظمة الإسلام سواءً بسواء، يُحاسِب الحكَّام، ويُناقِش المسؤولين، ويَعِظُ الرِّجال، ويَهدي الأطفال.

والعالِمُ في الوقت الذي يكون فيه حليفَ محراب، وأليفَ تقوى، يكون بطلَ جهاد، وفارسَ مَيدان، وحينَ نراهُ واعظًا ومُدرِّسًا في المسجد، نراهُ خطيبًا ومُرشِدًا في مجلس الشُّورى، فيه الاستعدادُ الكاملُ ليكون جنديًّا وقائدًا، جامعًا بين الرحمة والشِّدَّة، يفهم الحياة فَهمًا خاصًّا، يُؤهِّله هذا الفهمُ المستنير أن يستوليَ على الدُّنيا بحقِّها، وينالَ الآخِرة بالسعي لها».

وما ينطبق على العالِم ينطبق على كلِّ مسلِم؛ لأنَّ مسؤوليَّة الإسلام تقعُ على عاتقِ كلِّ مسلِم، فالمسلمون أجمعُ مشتركون في المسؤوليَّة، وإن كانت مسؤوليَّةُ العُلماء أعظمَ وأوثَق.

## صِفَةُ رسول الله

قال عطاءُ بن يَسار: لقيتُ عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ فقلت: أخبِرني عن صِفَةِ رسول الله ﷺ في (التوراة)؟ قال: أَجَل؛ والله إنَّه لموصوفٌ في (التوراة) ببعض صِفَتِه في (القرآن): «يا أيُّها النبيُّ إنَّا أرسلناكَ شاهدًا ومُبشِّرًا ونذيرًا، وحِرْزًا للأُميِّين، فأنتَ عبدي ورسولي، سَمَّيتُك المتوكِّل، ليس بفظٍّ ولا غَليظ، ولا سَخَّابٍ في الأسواق، ولا يدفع السيِّئةَ بالسيِّئة، ولكن يعفو ويغفِر، ولن يقبضَه الله حتى يُقيمَ به المِلَّة العَوجاءَ بأن يقولوا: لا إله إلَّا الله، فيفتحَ بها أعيُنًا عُميًا، وآذانًا صُمًّا، وقُلوبًا غُلفًا».

## ألفاظٌ ومدلولات

شاع استعمالُ بعض الكلمات في هذا العصر على ألسِنَة المثقَّفين والمُستَحلِين للثقافة، ومنهم مَن يُردِّدها غيرَ عارف بما تعنيه، وإنَّما ليظهرَ لسامعِيهِ أنَّه ذو ثقافةٍ واسعة.

وهذه الكلمات مثل الديمقراطيَّة والإمبرياليَّة والبُورجُوازيَّة، والتقدُّميَّة، والرَّجعيَّة، ومن هذه الكلمات ما هو جذَّابٌ مُغرٍ، وإن كانت في حقيقتها فخًّا يقع فيه الغافلون، و(أجولةً) يسقطُ فيها التُّعَساء.

ومنها ما هو مُنفِّر يخشى بعضُ الناس أن يُوصَمَ به، ويبتعد عن الاتِّصاف به، حتى لا يصبح مُتخلِّفًا في نظر مَن يزعمون لأنفسهم التقدميَّة والديمقراطيَّة.

ولو أردنا أن نُناقشَ كلمةَ (التقدُّميَّة) - مثلًا - وما تعنيه، وسألنا المُتشدِّقين بها: ماذا يقصدون بها؟ لتبايَنَت إجاباتُهم، ولأضحى كلٌّ يُغنِّي على لَيلَاه!

فقد يحسبها أناسٌ التقدُّم في العِلم والصِّناعة والزِّراعة، والأدب والعسكريَّة، وما شابَه ذلك، وقد يُفسِّرها آخرون بأنَّها التحرُّر من كلِّ قَيد، وأنَّها الإباحيَّة والاستهتار، والانفلات من الدِّين والأعراف، والأخلاق والآداب.

وقد يتصوَّر البعضُ بأنَّها الانعزالُ عن المجتمع، واهتمامُ الإنسان بنفسِه ولذَّاتها ورفاهيتها، دونَ القيام بالواجبات والروابط إزاءَ الأُسرة والمجتمع.

وهكذا تتباينُ وجهاتُ النظر، وتكثر الاختلافات في هذه الألفاظ الغريبة؛ ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الرعد: ١٧].

## شَذْرَةٌ من كتاب "الفُنون"

لأبي الوفاء عليِّ بن عَقيل الحنبليِّ كتاب "الفُنون"، وهو مِن أكبرِ الكتب وأعجبها، يُقدِّره بعضُهم بمئتي مجلَّد، ويقول آخرون: إنَّه أكثرُ من ذلك، حتى نقل ابن رجب عن أحدِ مشايخه أنَّه ثمانمئة مجلَّد، وقد طُبع منه مجلد، جاء في الصفحة (٣١٩ - ٣٢٠) ما يلي:

«ما عِلمُ مَن سافَر، ورأى عجائبَ البِحار واتِّساعَها، وعواصفَ الرِّياح وشدَّة هبوبِها وجَرَيانها، وشوامخَ الجبال وعِظَمَ عُلوِّها وتصاعُدِها في أجوائها، وعُمقَ الأودية وإسفالَها وشدَّة جَري السُّيول إليها، وصعودَ السَّحاب وانتشاره في أعالي الأجواء وظُلمتها به وانطباقها، وزَمْجرةَ الرُّعود في خلالها، وتَبعُّق الصَّواعقِ ولَمَعانَ البُروق عندَ احتدادِ حركاتها واصطِكاكها، وغرائبَ الوحوش والطُّيور واختلاف خَلقِها، وتراجُع نَغَمِها وأصواتها - بمثابةِ من لَم يرَ سوى نفسِه وبيته، وسماءِ داره، وفِساحِ بَلَدِه؟!

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، فإذا رأى المسافِرُ أوِ اطَّلع العالِمُ على هذه الموجودات، عَظُمَ في عقله السببُ الذي صدرَت هذه الأشياءُ عنه وعن فِعلِه، وتصاغَرت عندَه نفسُه بإضافتها إلى هذه الكلِّيَّات، وعَلِم أنَّها جزءٌ من كلٍّ، وقليلٌ من كثير، وعَظَّم الله سبحانه بآثاره، وعَلِمَه بآثاره وأخباره».

## قُدرة الله فوقَ كلِّ قُدرة

في هذا العصرِ تطوَّر الطِّبُّ، وبلغ درجةً من المهارة والحِذق مُذهلة، ومع هذا فإنَّ الكثيرَ ما زال غامضًا، وما فَتِئ الطِّبُّ عاجزًا عن إيجاد حلٍّ له،

أو علاجٍ لدفعه.

فالموتُ ما بَرِح الطِّبُّ عاجزًا عن دفعه، أو الحصول على علاج لتأجيلِه، ولـن يـزال عـاجـزًا أبـدًا؛ ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، والطِّبُّ عاجز تمامًا عن معرفة نَوْع الجنين؛ ذَكَرًا أو أُنْثى في الوقت الذي تُظهِر المجاهرُ الأشياءَ الدقيقة جدًّا في الجسم[(١)]، وهذه قُدْرَة الله؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

وتشخيص المرض تراه محَلَّ خلافٍ بين الأطبَّاء، فقد يراجع المريضُ عددًا من الأطباء، كلُّ واحد يَصِف مرضَه بعكس ما يَصِفه به الآخَر، ومنذ أيَّام ولدتِ امرأةٌ أستراليَّة تسعةً ما بين ذكر وأنثى دفعةً واحدة، وهي حالةٌ غريبة حقًّا، وهي الأولى مِن نوعها، وقبل وقوعها لم يكن الأطباء يتصوَّرون مثلَ هذه الحالة، فسبحان الله، وما أعظمَ شأنَه، وأجلَّ قُدرتَه! وصَدَق الله العظيم: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

قال الإمامُ المُصلِح الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: «والذي يُبيِّن ذلك - أي: كُفر مَن أتى بما يُناقِض الإسلام، ويُخرِج من الملَّة - مِن قصَّة الرِّدة:

أنَّ المرتدين افترقوا في رِدَّتهم؛ فمنهم مَن كَذَّب النبيَّ ﷺ ورجعوا إلى عِبادة الأوثان، وقالوا: لو كان نبيًّا ما مات، ومنهم مَن ثَبَت على الشهادتَين،

(١) كان هذا زمنَ كتابة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: لكلامه، أمَّا اليوم فقد صار معرفةُ جنس الجنين أمرًا مُتيسِّرًا، وقد بيَّن العلماء أنَّ ذلك لا يتعارض مع الآية عندَ التدقيق؛ وانظر مقالةً بعنوان: " هل يمكن معرفة جنس المولود في الرَّحم؟" لفضيلة الشيخ سعد بن عبد الله الحميِّد، منشورة على هذا الرابط:
(الألوكة) http://www.alukah.net/Web/homayed/10178/771/

ولكن أقرَّ بنبوَّة مُسيلِمَة؛ ظنًّا أنَّ النبيَّ ﷺ أشركَه في النبوَّة؛ لأنَّ مُسيلِمَة أقام شهودًا شَهِدُوا له بذلك، فصدَّقهم كثيرٌ من الناس.

ومع هذا أجمع العلماء أنَّهم مُرتدُّون ولو جهلوا ذلك، ومَن شكَّ في ردَّتِهم فهو كافر.

فإذا عرفتَ أنَّ العُلماء أجمعوا أنَّ الذين كذَّبوا ورجعوا إلى عبادة الأوثان، وشَتَموا رسولَ الله ﷺ - هم ومَن أقرَّ بنبوَّة مُسيلِمَة في حالٍ واحدة، ولو ثَبت على الإسلام كلِّه، ومنهم مَن أقرَّ بالشهادتَين، وصَدَّق طُلَيحةَ في دعواه النبوَّة، ومنهم مَن صدَّق العَنْسِيَّ صاحبَ صنعاء؛ وكلُّ هؤلاء أجمَعَ العلماءُ أنَّهم سواء، ومنهم مَن كذَّب النبيَّ ﷺ ورَجَع إلى عبادة الأوثان على حالٍ واحدة.

ومنهم أنواعٌ أُخَر، آخرُهم الفُجاءةُ السُّلمي لَمَّا وفدَ على أبي بكر، وذَكَر له أنَّه يُريد قتالَ المرتدِّين، وطلب من أبي بكر أن يُمدَّه، فأعطاه سلاحًا ورواحل، فاستعرضَ السُّلميُّ المسلِم والكافر يأخذ أموالَهم، فجهَّز أبو بكر جيشًا لقِتاله، فلمَّا أحسَّ بالجيش قال لأميرهم: أنت أميرُ أبي بكر، وأنا أميرُه ولم أَكفُر! فقال: إن كنت صادقًا فألقِ السِّلاح، فألقاه فبَعَث به إلى أبي بكر، فأمَرَ بتحريقه بالنار وهو حيٌّ[١].

فإذا كان هذا حُكمَ الصحابة في هذا الرَّجل - مع إقراره بأركان الإسلام الخمسة - فما ظنُّك بمَن لم يُقرَّ من الإسلام بكلمة واحدة، إلَّا أنَّه يقول: (لا إله إلا الله) بلِسانه، مع تصريحه بتكذيب معناها، وتصريحِه بالبراءة مِن دِين محمَّد ﷺ ومن كتاب الله تعالى؟!

(١) خبر إحراق أبي بكر رضي الله عنه للفُجاءة السُّلميِّ لم يثبت من وجه صحيح؛ وانظر بحثًا بعنوان: "مرويَّات إحراق أبي بكر للفُجاءة السُّلميِّ؛ جمع ودراسة ونقد" في مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة بغزَّة (مج١٢/ ع٢/ ص٢١١-٢٥٩). (الألوكة)

قال سُفيان الثَّوري: ليس مِن ضلالة إلَّا عليها زِينة، فلا تَعرِض دِينَك لِمَن يُبغِضُه.

## سِيرة السَّلف

في سِيرة السَّلف الصالح نبراسٌ يُستضاء به، ونهجٌ يُقتفَى، وعِلمٌ وحِلم، ومروءةٌ وشهامة، وكانوا خيرًا ممَّن جاء بعدَهم؛ فلديهم من الإيمان واليقين، والغَيرةِ على الدِّين، والحرصِ على نَشره، وجهاد أعدائِه بالسِّنان والقلم واللِّسان، ما دَوَّنته كتبُ التاريخ والسِّيَر.

ولكنَّ الحاقدين على الإسلام وقادتِه وعلمائِه والمجاهدين لرَفع رايته؛ من المبشِّرين النصارى، ومِن الهدَّامين اليهود، ومِن أصحاب الإلحاد والزَّندقة، يسوؤهم هذا المجدُ الباذِخ، والعِزُّ الشامخ، فتراهم يتنقَّصون الإسلام وأهلَه، ويَرمُونهم بالعظائم، ويُروِّجون عنهم الدسائسَ والمُختلَقات؛ تنفيرًا للناس عن هذا الدِّين الذي اختاره الله لعبادِه، وفَتْنًا للمسلمين عن دِينهم وعقيدتهم، ويُصوِّرون الفاتحين من المسلمين والعلماءَ المجتهدين والعُبَّادَ الصالحين بِصُوَرٍ مُزرِيَة وهيئاتٍ مُضحكة؛ ليَزدريَهم الخَلَف، ويَبعُدَ عن سُلوك سبيلهم الآخِرون، فليحذرِ اللبيبُ من مَكر الأعداء الذين يدُسُّون السُّمَّ في الدَّسَم، ويُزيِّنون باطلَهم ببهارج القول، وزائف الأكاذيب.

## الاقتداء بأبطال المسلمين

إنَّ في سِير الأبطال الفاتحين، والقادة المصلِحين، والعلماء المجاهدين لَنبراسًا يُضيء الطريق للسالكين، وقد كان في أُمَّة الإسلام مِن هؤلاء النصيب الوافِر، والسَّهْم الراجح.

وما أحرى شبابَ المسلمين بدراسة تاريخهم، والاطِّلاع على سِيرة أبطالهم، الذين فَتَحوا مُعظمَ المعمورة في وقت قصير، وسادوا الدُّنيا بالعِلم والفضل، ونَشَروا الدِّينَ الحقَّ، ودَوَّى الأذانُ فوقَ المنائر، وتُلي القرآنُ في البيوت والمساجد والمدارس، وارتفعَت رايةُ التوحيد خفَّاقةً، مُنتصرةً على شواطئ الأطلسيِّ، ومشارف الصِّين.

## إعجابٌ ومُغالَطة

يُطلِق بعضُ المعلِّمين على هذا العصر ألفاظًا ونعوتًا رنَّانة، فيصفونه بعصر السُّرعة والصاروخ والفضاء، والمدنيَّة والحضارة والتقدُّم... إلى آخِر الألقاب الفَخْمَة.

ويَنسَون ما جَرَى فيه مِن قطيعةٍ وضَوضاء، ومادِّيَّةٍ واستهانةٍ بالدِّين، وانتشار أندية العُراةِ والوجوديِّين، ومظاهر الخنافسِ والتحلُّل، وموجات الفِتَن التي يُخفِّف بعضُها بعضًا؛ لشدَّة كلِّ فتنةٍ عن سابقتها، حتى إنَّ القابض على دِينه كالقابض على الجَمر، ولولا أنَّ الله حَفِظ دِينَه، وعَصَم قُرآنَه من التحريف والتغيير والطَّمس، وأنَّه لا تزال طائفةٌ من المسلمين على الحقِّ منصورةً إلى يوم القيامة، لكان الدِّين أثرًا بعد عَيْن، وخبرًا بعدَ مُمارَسة.

وإنِّي لأتساءل أحيانًا: لو أنَّ الحياةَ كانت على حالتها القديمة، وظلَّ الناسُ يستعملون الخيولَ والجِمال، ويُوقِدون بالحَطَبِ والفَحم، ويسكنون بيوتَ الطِّين والخشب، ويجلسون الساعاتِ الطِّوالَ يَتحدَّثون أحاديثَهم التي يتداولونها أبًا عن جَدٍّ، ولم يعرفوا التلفزيون والراديو والجريدة والسينما، ولم يسمعوا بالقنابل الذَّرِّيَّة والهيدروجينيَّة والجرثوميَّة، ولا بَلَغَهم خبرُ ناطحات السَّحاب، وسفن الفضاء: ماذا كان يَضيرُهم؟

أليسوا سيكونون أهدأَ بالًا، وأهنأَ حالًا، وأقوى صِلة، وأكثرَ وَشِيجَة، وأسلمَ نَفسًا، بعيدين عن كثيرٍ من بواعث الخوف والضَّجيج، وتكديرِ العَيش، وتوتُّر النفوس، واللَّهَث وراءَ المادَّة المتحجِّرة؟!

ربَّما تستغرب هذا الرأي، وتعدُّه فلسفةً خياليَّة، أو فِكرةً سقيمة، ومع أنِّي أعجِزُ عن تنفيذها بالنسبة لي، فإنِّي أقول: قد يكون في مِثْل هذه الخاطرة سَلْوَة، فيما لو تصوَّرنا أنَّ ما يُسَمُّونه بحضارة العصر قد تلاشَت، وعُدنا إلى حالٍ كحال أجدادنا الذين لم تُدركهم حضارةُ العصر بطائراته وسيَّاراته، وكهربائه وتلفازاته، وغازاته وضجيجه.

## التِقاءٌ على الخير

من سعادة الأُمَّة أن تلتقيَ مع قادتها على الخير، وترفعَ رايةَ الجِهاد، وتُطيعَ في المعروف، وتَنصرَ الحقَّ، وتُقاومَ الأعداءَ بلا هَوادَة، فلا تستكين للذُّل، ولا تستعظم عدوَّ الله وعدوَّها إلى حدِّ الخَوَر والانكسار؛ بل تسعى بحَزم، وتأخذُ الأُهبَة، وتتزوَّدُ بالتقوى، وتُقدِمَ غيرَ هيَّابة ولا وَجِلَة، مُعتمدةً على الله، مُتوكِّلةً عليه.

## خطبة علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

**خَطَب عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين قُتِل عاملُه بالأنبار، فقال في خُطبته:**

«يا عجبًا مِن جِدِّ هؤلاء في باطِلِهم، وفشلِكم عن حقِّكم! فقُبحًا لكم وتَرحًا حين صِرتُم غَرَضًا يُرمَى، يُغار عليكم ولا تُغيرون، وتُغزَون ولا تَغزُون، ويُعصَى اللهُ وتَرضَون! إن أمرتُكم بالمسير إليهم في الحرِّ قُلتم: حَمَارَّةُ القَيْظ، أمهِلنا حتى ينسلِخَ الحَر، وإن أمرتُكم بالمسير إليهم في الشِّتاء، قلتم: أمهِلنا حتى ينسلخَ الشِّتاء، هذا أوانُ قَر!

كلُّ هذا فرارًا من الحرِّ والقَر، فأنتم والله من السَّيف أفَر، يا أشباهَ الرِّجال ولا رِجال، أحلام الأطفال وعقول ربَّات الحِجال، أفسدتُّم عليَّ رأيي بالعِصيان والخِذلان، حتى قالت قُريش: ابنُ أبي طالب شُجاع، ولكن لا عِلمَ له بالحرب، لله أبوهم: هل منهم أحدٌ أشدُّ لها مِراسًا، وأطولُ تَجرِبةً منِّي؟ لقد نهضتُ فيها وما بلغتُ العشرين، فها أنا الآن قد نيَّفتُ على الستِّين، ولكن لا رَأيَ لمَن لا يُطاع».

## كان نورًا يُستضاء به

قال حسَّان بن ثابت رضي الله عنه يرثي النبيَّ ﷺ:

تَاللهِ ما حَمَلَتْ أُنْثَى وَلا وَضَعَتْ ... مِثلَ النَّبِيِّ رَسُولِ الرَّحمَةِ الهادِي
وَلا بَرَا اللهُ خَلْقًا مِنْ بَرِيَّتِهِ ... أَوفَى بِذِمَّةِ جارٍ أَو بِمِيعادِ
مِنَ الَّذِي كانَ نُورًا يُسْتَضاءُ بِهِ ... مُبارَكَ الأَمْرِ ذا عَدْلٍ وَإِرْشادِ
مُصَدِّقًا لِلنَّبِيِّينَ الأُلَى سَلَفُوا ... وَأَبْذَلَ النَّاسِ لِلمَعروفِ لِلجادِي

## السَّعادة في الدِّين

يحسبُ بعضُ مَن تلوَّثت أفكارُهم، ولُبِّس عليهم، وخالوا الوَرَمَ شَحْمًا، والسَّرابَ ماءً، أنَّ القوانين الوضعيَّة، والأنظمة التي تُستَورد من بلاد الغرب الرأسمالي، أو الشَّرق الشُّيوعي، هي أنظمةٌ تخدُم الفردَ والمجتمع، وتكفُل الحرِّيَّة، وينعَمُ في ظِلِّها المجتمعُ هناك، ويتمنَّون لو طُبِّقت في بلاد كثيرة.

وهؤلاء يقولون هذا القولَ جهلًا أو عِنادًا؛ جهلًا بحقيقة الدِّين والشريعة، وعنادًا في تعامِيهم عن واقعِ البُلدان الشُّيوعيَّة والرأسماليَّة المُرابِيَة؛ فكِلَا النِّظامَين يضطهدان المجتمع، ويتحكَّمان فيه؛ فالشُّيوعيَّة تسلُب الفردَ جُهدَه،

وتُسخِّره كالآلة وتقهره، وتضطهده أشنعَ اضطهاد، وتمنعه من التديُّن والتملُّك والعِيشة الهنيئة، والرأسماليَّة المادِّيَّة تعبُد المادَّة، ولا تُقيم وزنًا للفقير والمحتاج.

أمَّا الإسلام: ففيه السعادةُ والهناء، وشريعته شاملة، وفيها كلُّ ما فيه خيرُ البشريَّة وأمنُها، واستقرارها، وحميدُ عاقبتها، في الدِّين والدُّنيا، والآخرة والأُولى.

## الأفَّاكون

في كلِّ عصرٍ يوجد المشعوِذون والمنافقون والمتملِّقون، ومِن النوع الأخير: يُحكَى أنَّه دخل شخصانِ طاعنان في السِّنِّ على الوليد بن عبد الملك، فقال أحدهما: إنَّا نجدُك تملك عشرين سَنَة، واعترض الآخرُ بأنَّه يملك ستِّين سَنَة، فسَخِرَ منهما الوليد، وردَّ عليهما بما معناه: أنَّ ما قالاه لا يُهمُّه، ولا يدخل عقلَه، ثم قال: والله لأجمعنَّ المالَ جَمعَ مَن يعيش أبدًا، ولأُفرِّقنَّه تفريقَ مَن يموت غدًا.

## التطوُّر والجُمود

ما هو التطوُّر؟ وما هي مُجاراةُ العصر؟ وما هي التقاليد الرجعيَّة؟ وما الجمود؟ ألفاظٌ يُردِّدها البعضُ كالببغاء، ويُوهِم سامعيه أنَّه مثقَّف ثقافةً هائلة، وأنَّه بمضغِه لهذه الكلمات قد صار عَلَمًا في الأدب والثقافة والعِلم!

إنَّ ما يُسمُّونه التطوُّرَ يُعدُّ انتكاسًا وتدهورًا، وإنَّ بعض ما يزعمونه تقاليدَ رجعيَّة سموٌّ ومجدٌ وعِزٌّ!! وإنَّ بعض ما يَدَّعونه مُجاراةً للعصر إنَّما هو الانحلالُ والإلحاد، وتقليد أعداء الله مِن الكَفَرة والمشركين، والسَّير في

رِكابهم، والتخلُّق بأخلاقهم الوضيعة، وعاداتهم الرذيلة.

فقد كادت كلمة الرجعيَّة أن تكون شَرَفًا ومدحًا لمَن يوصف بها، وأوشكت كلمة التحرُّر والتطوُّر أن تكون مثارَ شكٍّ، ومَدعاةَ أَسَفٍ لمَن تقال له ومَن يُنعت بها!! فهل مَحَّصْنا الكلماتِ التي نسمعُها، وبحثنا عن أهدافها ومَراميها قبلَ أن ننخدع بها، أو نتلقَّفها بلا وعيٍ ولا إدراك؟!

## ما معنى التقدُّميَّة؟

للمرَّة العاشرة - أو المئة أو الألف لا أدري - أُريد أن أتعرَّض لموضوع التقدُّميَّة، وماذا تعني؟

مِن الناس مَن يحسبُها في اللَّهو واللَّعِب، وقتل الوقت بالنِّسيان، والهروب من المشكِلات والمنغِّصات.

ومن الناس مَن يظنُّها في حياة الصَّخَب والأغاني المائعة، والقصص الماجنة، والمَجلَّات الخليعة، والاسترخاء والميوعة، ومَن يخالُها في الركضِ خلفَ الشِّعارات المضلِّلة، والآراء الهدَّامة، والأفكار المخرِّبة.

ومَن يحسبها في المغامرات المنحطَّة، والإسفاف المبتذَل، ومَن يتصوَّرها في الخيانات والاختلاسات، والمكر والأساليب الشيطانيَّة.

ومَن يفهمها على أنَّها البطش والتعسُّف، والخداعُ والاعتداء، ومَن يراها في التنكُّر لكلِّ قديم، والاستهجانِ لكلِّ سالِف، والاعتدادِ بما يأتي عن الغَرب وتلامذته من رذائلَ وسخافات، ومَن يراها في العقوق والجحود، والمَسْخِ والاستهتار، وكلُّ أولئك في غَيِّهم يعمهون.

إنَّ التطوُّر الحقَّ، والتقدُّميَّة الحقيقيَّة هما اللَّذان يستفيدانِ من النافع، سواءٌ

كان قديمًا أو جديدًا، ولا يصدمانِ العِلم والدِّين، ويعلمان أنَّ الدِّين الصحيح لا يُعارِض التقدُّميَّة السليمة، وأنَّ السخافاتِ والمجونَ، والميوعة والإلحاد ليست من التقدُّميَّة في شيء، بل هي ضدٌّ لها ومُصادم، ولا لقاء بينهما أبدًا.

قال مؤلِّف كتاب "معالم في الطريق" رَحِمَهُ اللهُ:

«إنَّ هذا المجتمع (المسلِم) لا يقوم حتى تنشأ جماعةٌ من الناس تُقرِّر أنَّ عبوديَّتها الكاملة لله وحدَه، وأنَّها لا تَدِين بالعبوديَّة لغير الله؛ لا تَدِين بالعبوديَّة لغير الله في الاعتقاد والتصوُّر، ولا تَدين بالعبوديَّة لغير الله في العبادات والشعائر، ولا تدين بالعبوديَّة لغير الله في النِّظام والشرائع.

ثم تأخذ بالفِعل في تنظيم حياتها كلِّها على أساس هذه العبوديَّة الخالِصة، تُنقِّي ضمائرَها من الاعتقاد في أُلوهيَّة أحدٍ غيرِ الله - معه أو من دونه - وتنقِّي شعائرَها من التوجُّه بها لأحدٍ غير الله، معه أو دونَه، وتنقِّي شرائعها من التلقِّي عن أحدٍ غير الله، معه أو من دونه..

عندئذٍ - وعندئذٍ فقط - تكون هذه الجماعةُ مسلمةً، ويكون هذا المجتمع الذي أقامَته مسلمًا كذلك.

فأمَّا قبل أن يُقرِّر ناسٌ من الناس إخلاصَ عبوديَّتهم لله، على النحو الذي تقدَّم - فإنَّهم لا يكونون مسلمين.

وأمَّا قبل أن يُنظِّموا حياتَهم على هذا الأساس، فلا يكون مجتمعُهم مسلمًا؛ ذلك أنَّ القاعدة الأولى التي يقوم عليها الإسلام، والتي يقوم عليها المجتمعُ المسلم - وهي: شهادة ألَّا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله - لم تقُم بشطرَيها».



## كلمةٌ غير صحيحة

من الألفاظِ التي درجَت أخيرًا على ألسُن بعض المتعلِّمين، وتلقَّنُوها من أساتذتهم في الخارج هذه الكلمة: (الدِّين لله والوطن للجميع)، وهذه الكلمة ظاهرُها يُوهِم أنَّها حسنة، وهي عند التحليل والبحث عن الهدف منها سيِّئة، وفي ثناياها السُّمُّ الزُّعاف؛ فمعناها فَصلُ الدِّين عن الدولة، وإبعادُ الدِّين عن الأمور العامَّة، وعَزلُ عُلماء الإسلام في مجالات ضيِّقة، وتَركُ الحبل على الغارِب للمتمرِّدين والعُتاة، وأهل الأهواء؛ ليعيثوا في الأرض فسادًا، وليظلموا ويعتدوا، ويستبيحوا المحظورات، ويتعاطَوا المنكَرات، وليستهينوا بالدِّين، ويتهجَّموا عليه وعلى عُلمائِه، دونَ أن يكون رادعٌ أو وازع، وعلينا أن نتأمَّل الكلماتِ قبل أن ننطق بها كقضيَّة مُسلَّمة، وقد يكون فيها ما هو ضار، وذو أهداف غير قويمة.

قال الأستاذ أبو الحسن الندويُّ في كتابه "الصِّراع بين الفكرة الإسلاميَّة والفِكرة الغربيَّة في الأقطار الإسلاميَّة":

«إنَّ هناك صراعًا فكريًّا - بل معركة فكريَّة في عبارةٍ أصحَّ - في جميع الأقطار الإسلاميَّة في هذا الوقت، نحن نستطيع أن نُسمِّيَها صراعًا، ومعركةً بين الأفكار والقِيَم الإسلاميَّة والأفكار والقِيَم الغربيَّة، وهي المعركة الحامية الحاسِمة الحقيقيَّة، التي يخوضها العالَم الإسلاميُّ اليوم، وهي التي ستقرِّر مصيرَه، وهي معركةٌ تتضاءل أمامَها جميعُ المعارك التي يُغالِي في تصويرها أو تهويلها الكُتَّاب والمؤلِّفون؛ فكلُّ معركة - غيرَ المعركة الكُبرى التي نُنوِّه بها - إمَّا معركة محلِّيَّة، أو معركة فرعيَّة، أو معركة وهميَّة.

إنَّ تاريخ هذه الأقطار القديم، وحُبَّ الشعوب المسلِمة للإسلام، وصلتَها

القويَّة العميقة به، والاسم الذي قاتَل دونَه المقاتِلون، وتيسَّرَ به الظَّفَرُ بالحرِّيَّة، أو المحافظة عليها، إذا كانت من قبل - كلُّ هذه الحقائق تُثبِت أنَّ هذه الأرضَ التي نشبت فيها هذه المعركةُ لا مكانَ فيها إلَّا للأفكار الإسلاميَّة، ولا يُسمح فيها إلَّا لمنهجٍ ونظامٍ دعَا إليهما الإسلام».

## هل الحضارةُ خيرٌ أو شرٌّ؟

هل الحضارةُ الزاهية التي يتفاخَرُ بها أهلُ هذا الزمان، ويتبارَى في التقدُّم فيها المعاصِرون، وتتطاحنُ الأُممُ من أجلِ أن تفوزَ كلُّ دولة على الأخرى في امتلاك أدواتها، والسَّبق إلى مُكتشفاتها، والتفوُّق على قريناتها - كانت خيرًا أو شرًّا؟ وهل سَعِدَت بها البشريَّة أو تَعِسَت؟ وهل المليارات التي أُنفِقت على رِحْلات الفضاء - كما يدعونها - وعلى القنابل الذرِّيَّة والهيدروجينيَّة هي لمصلحة الناس أم لدمارِهم؟! وهل كان من الحِكمة أن تُبذَلَ الأموال على هذا النحو، وفي الأرض ملايين لا يجدون القُوتَ إلَّا لمامًا، ولا يحصلون على الكِساء إلَّا بعَناء، وآخرون يموتون جوعًا أمامَ سَمعِ العالَم وبصرِه، وعلى عِلمٍ من دول العالَم، والمتباهين بالحضارة.

وللإنصاف فإنَّ من الحضارة ما هو مفيدٌ ونافع، وفيها ما هو ضررٌ ومتاعب، وسَفَهٌ وغرور.

## مؤهِّلات الرُّقي

لَدَى المسلمين المؤهِّلاتُ للرُّقيِّ والصُّعود، وأن يتفوَّقوا على أُمم الأرض وشُعوبها؛ فلديهم قرآنٌ يهدي للتي هي أقْوَم، وشريعةٌ كاملةٌ فيها ما يُسعِد في الدارَين، وقد حَبَاهم الله بثروات مادِّيَّة هائلة، والجوُّ من أحسنِ الأجواء

وأصحِّها، ولا ينقصُهم الذكاء والاستعداد للتعلُّم والفَهم، وتقبُّل النافع من العلوم والمعارِف، والإتقان في الصَّنعة، ولكنَّ المؤلِمَ أنَّه قد انطبقَ عليهم المثل: كثرةُ إنتاج وسوءُ توزيع.

فطاقاتُهم مُعطَّلة، ومواهبهم مُهمَلة، وخبراتهم ضائعة، واستعداداتهم يُحطِّمها التخذيلُ والإهمال، والفُرَص السانحة تَضيع عليهم، فلا يستفيدون منها، وتتراكم الأخطارُ وقلَّ ما يتَّعظون! وما خالَفَ هذا الوضعَ فهو النادر.

ومِن ثَمَّ فإنَّ الأمَّة الإسلاميَّة مَدْعُوَّة إلى أن تسترشدَ بهديها، وأن تستفيدَ من كلِّ نافع، وأن تكون حازمةً، نابذةً للفُرقة والشَّحناء، والتمزُّق والبغضاء، معرِضةً عن اللَّهو والخَنا، نافضةً رداءَ الكسل والخُمول؛ لتكونَ أُمَّةً عزيزةً كريمة، تَسُرُّ الصِّديقَ، وتَكْبِت العدوَّ، حليفُها النصر، وقرينُها العِزُّ، وعاقبتُها المجدُ الوطيد.

## شريعةٌ كاملة

إنَّ الشريعةَ الإسلاميَّة شاملةٌ كاملة، وقد شَرَعها الله العليمُ الخبير، وخَتَم الأديانَ والشرائعَ بدِين الإسلام، وشريعة الرسول ﷺ خاتم الأنبياء، المبلِّغ عن الله، والداعي إليه على بصيرة هو ومَن اتَّبعه.

وهذه الشريعة تفي بمُتطلَّبات البشر في العقيدةِ والعبادات، والمعاملاتِ والجناياتِ والأنكِحَة، والإمامةِ والسِّياسة، وحقوقِ الفرد والجماعة، والحاكمِ والمحكوم، وشؤون الولايات والإمارات، والحِسبَة والمُبايعات، والمُزارعات والشَّركاتِ والنفقات، وحقوق الزوجين والأولاد، والأقارب والجِيران، والأُسر والجماعات، والدُّول وغير ذلك، فلا يشِذُّ عنها شؤونٌ سياسيَّة أو عسكريَّة، أو اقتصاديَّة أو بنكيَّة أو تِجاريَّة، أو اجتماعيَّة أو شخصيَّة.

والواجبُ التحاكُمُ إلى ما أنزل الله وشَرَع، وقد سمَّى اللهُ مَن تحاكم إلى غير شرعِه مُتحاكمًا إلى الطاغوت، وأنَّهم قد اتَّخذوا مَن أطاعوهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام أربابًا من دون الله، وسمَّى مَن تحاكم إلى غير ما أنزل الله كافرًا وفاسقًا وظالمًا، وإذا كان هناك مَن يجهل شمولَ الشريعة وعمومَها، واشتمالَها على المصالح ودفعِ المفاسد، فليس جهلُه حُجَّةً على الشَّرع، ولا مُبرِّرًا لتعطيله، أو الموافقةِ على المزاعمِ الباطلة، والجهلِ الفاضح؛ فطاعةُ الله ورسوله أولى وأحقُّ.

## دعوةُ الرُّسُل

وصف الله أنبياءَه وأتباعَهم الصادقين بأنَّهم أئمَّةٌ يهدون بأمره، ويُبشِّرون بجنَّته، ويُحذِّرون من ناره، وأخبر عن قادة الكفر وأعداء الرُّسُل، وأهل البغي والعِناد والاستكبار بأنَّهم دُعاةٌ إلى جهنَّم، ويومَ القيامة يختصمون في جهنَّمَ مع أتباعهم على الضلال، ويتبرَّأ بعضُهم من بعض، ويتلاوَمون حين لا يُجدي التلاوُم، ولا ينفع الندم.

ودعوة الرُّسل كانت الدعوةَ إلى توحيد الله وطاعته، ونَبذِ الشِّرك والكفر وطاعة البشر فيما هو مخالفٌ لطاعة الله؛ ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٢١]، ﴿قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ١٤٠]، ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ [التوبة: ٣١]، وما زال الصِّراع بين الخير والشرِّ، وبين الإيمان والكفر باقيًا إلى يوم القيامة.

والذين يَدعُون إلى تحكيم القوانين، والاستعاضةِ بها عن دِين الله وشَرعِه، هم مِن الدُّعاة إلى النار، ومِن شياطين جهنَّمَ الناطقين، أمَّا الداعون

إلى تحكيم الدِّين القويم والشَّرع المطهَّر، فهم أهل الحقِّ، وأنصار الإسلام، وإن كَثُر الأوَّلون، وقلَّ الآخرون عددًا.

## صراعُ الخير والشَّر

**سُنَّة الله:**

سُنَّةُ الله في خَلقِه أن جعل الخير والشرَّ، وجعل الصِّراع قائمًا بين الأخيار والأشرار؛ ابتلاءً وامتحانًا؛ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

أجَل؛ فالخصومةُ قائمة، والحرب مُستعِرَةٌ بين الحقِّ والباطل، وبين الخير والشرِّ، ولا تزال كذلك حتى قيام الساعة، والله الحكيم العليم، ومِن حِكمته أن جعل الناس فريقين: فريقًا في الجنَّة، وفريقًا في السعير.

وليس بمعجزٍ اللهَ أن يخلق الناسَ مؤمنين صالحين أتقياء، بلا شياطين ولا عفاريت، ولا ضلال، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١٣﴾ [السجدة: ١٣].

وإنَّ مِن سعادة المرء، ومِن حظِّه الدائم أن يكون من دُعاة الحقِّ وأنصاره، وأن يكون من حِزب الله وجُنده، أمَّا مَن غلبت عليه الشقاوة، وباء بالخُسران، فمأواه جهنَّم، وبئس المصير؛ ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

## المتعصِّبون

منذُ بَزَغَ نورُ الإسلام، وأشرقَت دعوتُه، قام رسوله الكريم وصحابته الأجلَّاء، وأتباعُهم من العُلماءِ الأعلام، والقادةِ النُّجباء، والجنودِ المجاهدين بما عليهم، وكانت غزوةُ بدر، ومعركة حِطِّين، وعين جالوت، ومَيْسَلُون، وغيرها.

والمسلمون اليومَ يتعرَّضون لمؤامرةٍ كبرى، وعُدوانٍ صارِخ، وحربٍ ضَروس، يشترك فيها أعداءٌ كثيرون، ولسنا في حاجةٍ إلى ضربِ الأمثلة؛ فهي واضحةٌ للعِيان، ولعلَّ من المناسب أن نُشيرَ إلى أقوال بعض الأشخاص المتباينة أهدافُهم وأجناسُهم، وهي قطرةٌ من بحر:

يقول لورنس: أهدافنا الرئيسيَّة تفتيتُ الوَحدة الإسلاميَّة، ودَحرُ الإمبراطوريَّة العُثمانيَّة وتدميرها.

ويقول غوستاف لوبون: الحقُّ أنَّ من أعاجيب التاريخ أن يُلبِّيَ نداءَ ذلك المتهوِّس الشهير (يقصد الرسولَ محمَّدًا عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم) شعبٌ جامح، قويُّ الشَّكِيمَة، لم يقدر على قهرِه فاتح، وأن تنهارَ أمامَ اسمه أقوى الدُّول، وألَّا يزال يُمسكُ وهو في جَدَثِهِ ملايين من الناس تحت لواء الإسلام.

ويقول أرنولد توينبي: الوَحدةُ الإسلاميَّة ما هي إلَّا عارضٌ للغريزة التي تدفع قطيعًا من الثِّيران التي ترعى في سهول متفرِّقة إلى التجمُّع؛ لتشكيل كتائبَ رؤوسُها إلى الأرض، وقرونها في الهواء.

ويقول السفَّاح مناحيم بيجن: أنتم الإسرائيليُّون لا يجب أن تشعروا

بالشفقة حتى تقضوا على عدوِّكم، لا عطفَ ولا رِثاءَ حتى ننتهيَ من إبادة ما يُسمَّى بالحضارة الإسلاميَّة، التي سنبني على أنقاضها حضارتَنا.

فهل يدَّعي متحذلِق أنَّ العَداء للإسلام قد خفَّ أمرُه، وجُهِدَ أُوارُه؟ وهل ينطلي على أحدٍ أنَّ القوميَّاتِ والشِّعارات البعيدةَ عن الإسلام، والمناقضةَ له يمكن أن يتحقَّق معها النصر للمسلمين؟! أم أنَّ الإسلام وحدَه هو القوَّة التي بها يعِزُّ المسلمون، ويتحقَّق لهم النصرُ على أعدائهم؛ لأنَّه دينُ الله الخالد، وهو العُروةُ الوثقى، والسِّلاح الباتر، والقوَّة العظمى؟! فهل يَعُون ويتذكَّرون؟

## انعكاس الأمور

عندما تُعكَس الحقائق، وتُقلَب الموازين، ويُقال للأبيض: أسود، وللأسود: أبيض، ويُسمَّى النهارُ ليلًا، واللَّيل نهارًا، ويُوصَف الحقُّ بأنَّه باطل، والباطلُ بأنَّه الحقُّ، فإنَّ ذلك دليلٌ على أنَّ تلك الأُمَّة تسير على غير هدًى، وأنَّها تائهةٌ في بَيداءَ لا قَرارَ لها.

وأنَّها في حاجةٍ إلى قوَّة هائلة، وأصواتٍ مخلِصة، ودعوةٍ صريحة؛ لترجعَ إلى الحقِّ، وتُعيد الأُمورَ إلى نِصابها، وتضعَ الشيءَ في موضعه؛ لأنَّ هذا هو العدلُ، وضدَّه الظلم، فالظلم وضعُ الشيء في غير موضعه.

لقد أخبر الرسول ﷺ بأنَّ الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطُوبَى للغُرباء الذين يَصلُحون إذا فسد الناس، ويُصلِحون ما أفسدَ الناس.

لقد خَرَج في السنوات القريبة الماضية أناسٌ دمَّروا كثيرًا ولم يُصلِحوا، وخرَّبوا ولم يُعمِّروا، وفرَّقوا ولم يوحِّدوا، ونادوا بالشعارات الهدَّامة، ثم ما زِلنا نسمعُ المديحَ والإطراءَ لهم، بلا كيلٍ ولا وزن، ولا عدٍّ ولا ذَرْع؛ بل جُزافًا وبلا حساب! مع ما جرُّوه على الأُمَّة من النكبات والمشكلات.

وما بَرِحنا نرى العُلماءَ المصلحين في كلِّ مكانٍ يُنتَقصُون ويؤذَون، أمَّا الملاحدة والمخرِّبون فهم يسرحون ويمرحون ويخرِّبون، ويلقَون التكريمَ والتشجيعَ في كثيرٍ من البُلدان!! أليس هذا عنوانَ الهزيمة ودليلَ الخُسران؟! نعوذ بالله من انعكاس المقاييس.

## الوَحدة المنشودة

الوَحدةُ على الحقِّ، والتآلُفُ على البِرِّ، والاجتماعُ على التقوى، والوقوفُ صفًّا واحدًا للجهاد في سبيل الله - مِن علائم العِزِّ، وأسباب النصر، ودواعي هزيمة الأعداء، ومسرَّة الصَّديق، وغَمِّ العدوِّ اللدود.

ولنا في التاريخ الإسلاميِّ أمثلةٌ كثيرةٌ على هذا في بدر وأُحُد، وحِطِّين وعَينِ جالوت، وفي الأندلس، وفي أماكنَ كثيرة، فهل يعتبرُ المسلمون ويُوحِّدون صفوفَهم، ويُدركون أنَّ مشاكلَهم مُتشابهة، والمؤامرات عليهم مُتجانسة، وهم إن تمسَّكوا بدِينهم، واتَّحدوا واستعدُّوا، ثم خاضوها جهادًا في سبيل الله، فإنَّهم منصورون بحول الله، وإن كَثُر الأعداء، وأرجفوا وحشدوا من القوَّات والأسلحة ما يُرهِب، فإنَّهم مخذولون، والله ناصر مَن نَصَرَه وإن كَرِهَ الكافرون.

## قوَّة هائلة

إنَّ المرء لتأخُذه الدَّهشةُ والأسى إذا ما فكَّر في القُدرة الواسعة، وما وَهَبَ اللهُ للمسلمين من قوًى بشريَّة، وثرواتٍ مادِّيَّة، ومواقعَ هامَّة، وقد أُهمِلَت تلك الطاقات أو كادت، ولكنَّ الذين يبتعدون عن دِينهم، ويُعجبون بمبادئَ وشعاراتٍ تُناقض الدِّين، وتُصادِمُ الفِطرةَ قد ضيَّعوا أمورَهم، وصاروا في وضعٍ مُحزنٍ مُخجِل.

إنَّ البَعثرَةَ والتمزُّق، وعدمَ الاكتراثِ تكاد تكون السِّمةَ البارزةَ لكثير من التصرُّفات، وإن كان شعورُ معظمِ الشُّعوب الإسلاميَّة شعورًا حسنًا، فإنَّها لم تُعطَ الفرصةَ لتأديةِ واجبها، ومهما بلغتِ الحالُ من التردِّي والتشتُّت، فإنَّه لا ينبغي للمرء أن ييئَسَ أو يستكين، وعسى أن يرى النورَ ويستضيءَ به مَن لا يزال تائهًا في ظلامٍ دامس، وأن يثوبَ لصوابه، ويستفيدَ من أخطائه.

يُقال: بَذلُ الجاه زكاةُ الشَّرَف.

## عقول العرب

هل عقولُ العرب في إجازةٍ دائمة؟! هل هي مِن الغفلة والتعامي عن واقعها وحالها، إلى أن تُصبحَ في وضعٍ يُفجِع المخلِصين، ويُبهِج الأعداءَ الحاقدين؟!

إنَّ الفوضى السائدة في العالَم العربيِّ تُنذِر بالكوارث، وإنَّ تلك التصرُّفات السخيفة، والتهوُّرات المستهجَنة، مع بقاءِ مَن يقدر على التصرُّف المغاير يَقِف موقفَ المتفرِّج - ممَّا يحُزُّ في النفس، ويملؤها غيظًا وحَنَقًا.

العدوُّ - المعلَن والمستور - يحاول القضاءَ على الدِّين، وعلى البلاد، وعلى الشُّعوب، وأن تُضحي تلك الشُّعوبُ آلةً بيدهم، وثرواتُهم نهبًا لأعدائهم، المتزيِّين في شتَّى الأزياء، المتقنِّعين بصُنوف الأقنعة، والعرب يتغافلون عن أعدائِهم، وتختفي بطولاتُهم في ساحة المعركة؛ لتُشهرَ في ضَراوةٍ وحَنَقٍ في صدور إخوانِهم، وتُسلَّط على رؤوسهم!

أمَا كان الأجدى أن يُحتَفظ بالسلاح لمواجهةِ العدوِّ، وأن تبرُزَ الشجاعةُ في ساحة المعركة مَعه؟! وأينَ العُقلاء ومَن يأخذون على يدِ السفيه، ويُناصرون الحقَّ وحُماته؟!

## هل يستيقظون؟

لستُ أدري: لماذا يتجاهل المسلمون قُوَّتَهم، ويغفُلون عن الإمكانيَّات التي حَبَاهم الله بها؟ ولماذا يرضَون أن يُذَلُّوا ويُهانوا، وتُنهَب ثرواتُهم، ويُمزَّقوا شِيعًا، وتعتدي عليهم الذِّئابُ والنُّمور والثعالِب، وما هو أكبرُ منها وأحقرُ من الطامعين المعتدين؟!

إنَّهم لو صَدَقوا وجاهدوا في سبيل الله، لكانت لهم العِزَّة والسِّيادة، وإنَّهم لو قاطعوا بعضَ الدُّول التي تُناوئهم أشدَّ المناوأة اقتصاديًّا، لكان لهذا أثرُه في رَدعها عن غَيِّها، ولو أنَّهم اتَّخذوا إجراءاتٍ سياسيَّةً ضدَّ بعض الدُّول التي تُنكِّل بالمسلمين في بلادهم، لأدركت تلك الدُّولُ خطورةَ إقدامها على تحدِّي شعور المسلمين، ولربَّما عَدَلت عن خُطَّتها الآثمة.

وأليس من المحزِن أنَّ دُولًا إسلاميَّةً قد ابتلعَها المتعصِّبون الظالمون، ودُولًا إسلاميَّةً أخرى تُوشِك أن تُقطَّع إربًا، فلا نكاد نسمع صوتًا يحتجُّ ويُعلِن استنكارَه، ويُثبت صلابتَه في الحقِّ والدِّفاع عن إخوانه المسلمين؟! بلى، والله إنَّه لمحزنٌ ومؤلِم، فمتى يعودون إلى رُشدِهم، ويُوحِّدون كلمتهم؟

## بَهارِجُ الحضارة

ينخدع بعضُ الناس ببَهارِجِ الحضارة، وزخارفِ الغَربِ النصرانيَّة، أو تمويهاتِ الشُّيوعيَّة وأباطيلها، أو ينساقُ وراءَ دعاوَى الأعداء الذين يريدون لنا الهلاكَ والقلاقل، وإذابةَ الأُمَّة الإسلاميَّة، وتجريدَها من أهمِّ أسباب مقوِّماتها، وأمتَنِ ركائزِها، وأقوى أساساتها؛ لتضعُفَ فيهم رُوح المقاومة، ولينسوا واجبَهم في الجِهاد في سبيل الله.

ولكنَّ المؤمنين الموقِنين يَعرفون جيِّدًا أنَّ التمسُّك بالدِّين الإسلاميِّ الحنيف، والعقيدةِ الصافيةِ النقيَّة، والأخلاقِ القويمة، والآدابِ الحكيمةِ - خيرُ مِعوانٍ على الرُّقيِّ والتقدُّم، والأمن والرخاء.

## الانخِداعُ بالشِّعارات

مرَّت بلادٌ عربيَّةٌ مجاورةٌ بتجارِبَ مريرةٍ في الشِّعارات والقوانين، وتجرَّعت كؤوسًا مذاقُها العلقَم، وبعضُها بدأ يدرك الخطرَ والهُوَّة السحيقة، ويُريد أن يتراجع، أو هكذا يبدو، وبعضُها ما زال يتخبَّط وقد أصابَه الذُّعر ممَّا حلَّ به، ويودُّ الخلاص، ولكنَّ الرؤية لديه يُحيطها دُخَانٌ كثيف، وتتعارضُ الصَّرخات، وتتصادمُ الآراء، وإنِ اتَّفقت في أنَّ الوضعَ ليس سليمًا، وأنَّه يجب إصلاحُه، وبدعوى التسامُح، وبسبب الغفلةِ عن تعاليم الإسلام الحكيمة أصبحَ للمبشِّرين نشاطٌ هدَّام.

وتَنادَى المخلِصون يُنادون بالعودة إلى الإسلام، وتحكيمِ الشَّرع حتى يحِلَّ الأمنُ مَحَلَّ الخوف، وتستقرَّ الأحوال، ويأمنَ الناس على أنفُسهم وأموالهم وأعراضهم.

ويظهر أنَّ الشُّعور القوميَّ سيتغلَّبُ على دُعاةِ الضلال، والسَّير في المتاهات، وهناك بُلدانٌ عربيَّةٌ عديدةٌ قد أصابها مِنَ الفوضى، وتزعزُعِ الاقتصادِ والانحلالِ ما هو معلوم؛ لذا فإنَّ مِن الخير أن نستفيدَ من تجارِب الآخرين، وألَّا نجعل بلادَنا حقلَ تجارِبَ للخراب والفوضى، كما يتمنَّى الشيوعيُّون وأعداءُ الإسلام الآخرون.

إنَّ لدينا دِينًا قويمًا، وشريعةً مُحكَمة، فيها العدلُ والسماحةُ والاستقرار، وفيها الهدايةُ والشِّفاء.

## حربٌ ضَروس

المسلمون يتعرَّضون لحربٍ شَرِسَة، لم يعرِف لها التاريخُ مثيلًا، حتى في أيَّام الصليبيِّين والتتار والاستعمار المكشوف.

إنَّ العدوَّ الذي يُحارب المسلمين ليس عدوًّا واحدًا صريحًا يُجابَه بالسِّلاح؛ ولكنَّه عدوٌّ من أصنافٍ شتَّى، ومن طوائفَ مختلفةِ المبدأ والهدف والوسيلة، وقد استخدمَ وسائلَ العصر ومُكتشفاتِه وأسلحتَه.

إنَّ العدوَّ يستخدم وسائلَ الإعلام في حربِ الأعصاب، وانتزاعِ الثِّقة، وإثارةِ الشُّكوك، ويستخدم الإرهابَ والتخويف، والتهديدَ بالقنابلِ الذرِّيَّةِ والهيدروجينيَّة، والميكروبات والغازات، وهو يُحضِّر لها - فعلًا - ولن يتورَّع عن استعمالها. والأعداء يُعدُّون أسلحتَهم ومُعدَّاتهم الفتَّاكة، ويُمدُّون بها كلَّ عدوٍّ للمسلمين عندما تقوم حربٌ بين أيِّ بلدٍ إسلاميٍّ وبلدٍ مُعاد، وهم مستعدُّون لإشعال الحرب، ودسِّ الدسائس، وعملِ المؤامرات.

وهم يُلقِّنون أبناءَ المسلمين الشُّبَه، ويحرِّفون التاريخ، ويُغالطون في الحقائق؛ لينتزعوا المسلمَ من دِينه، ويجعلوه إنسانًا ضالًّا، تُسيطر عليه الحَيرةُ والخَوَرُ والجُبن، إنَّها فتنةٌ عظيمة، فهل يعمل المسلمون على مقاومتها، ويتنبَّهون لأخطارها؟

## غفلةُ المسلمين

لستُ أعرف تعليلًا للغفلةِ المروِّعة التي أطبقَت على أكثرِ المسلمين في هذه العصور، فصاروا يتجاهلون ما يُحيطُ بها مِن أخطار، وما يكتنفُهم من مؤامرات، وما يُراد لدِينهم وعقيدتِهم، وتاريخهم وبلادهم - من طَمسٍ

وتمزيق، وكلَّ يوم تَحُلُّ بهم قارعة، فلا يستيقظون ولا يفزعون، وكأنَّ الأمر لا يعنيهم، وحسبُهم التفرُّج والتلهِّي، ثم غفلةٌ قاتلةٌ هي أفظعُ من الموت، وأقسى من الحرب، وأخطرُ من مُجابهةٍ حاميةِ الوطيس!!

فماذا ينتظرون؟! ولماذا لا يَهبُّون لمساندة بعضِهم، والتعاون بينهم؟! وكيف غفلوا عن تلك الإمكانيَّاتِ التي وهَبَهم الله إيَّاها، وجهلوا مكانتَهم بين الأُمَم، وقد كان سلفُهم الخيرُ قائدًا ورائدًا ومعلِّمًا؟! فكيف آلَت بهم الحالُ إلى هذا الوضع المخيف؟!

اللهمَّ اهدِ قومي فإنَّهم لا يعلمون.

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [الذاريات: ٥٥].

## الدِّينُ الإسلاميُّ وأعداؤه

لم يجِد أيُّ دِينٍ من المقاومةِ والعِنادِ والحربِ ما وَجَدَ الدِّينُ الإسلامي، وقد تألَّبت عليه فرقٌ شتَّى، وطوائفُ مختلفة، ومذاهبُ متعدِّدة، وحاولت القضاءَ عليه وإزالتَه من الوجودِ قوًى طاغية، لها من الإمكانيَّات المادِّيَّة الهائلة، ومن الاختراعاتِ وقوَّة الصناعة، وامتلاكِ الأسلحةِ الفتَّاكة، والخبرةِ بالأساليبِ الشرِّيرةِ - ما يهيل العقول.

وقد بقيَ الإسلام شامخًا كالطَّود، قويًّا ثابتًا مع ما توالَى عليه من المِحَن، وما تعرَّض له من الفِتَنِ في كلِّ الأزمان، وذلك من آيات الله الدالَّة على أنَّ قُدرةَ الله فوقَ كلِّ قُدرة، وأنَّ ما حَفِظَه الله فلن تستطيعَ قوَّةٌ مهما تجبَّرت أن تُهلكه أو تُدمِّرَه، والله أكبر، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

## بين المسلمين وأعدائهم

صورةٌ نراها ونشاهدها في الصحف والمجلَّات، وقد يراها أناس في الخَيَالة والمِرناة - أي: السِّينما والتلفزيون - إنَّها صُورٌ مُفزِعة!

مسلمون يُعلَّقون على المشانِق والأعواد والأشجار، ومنهم مَن مُثِّل به أشنعَ تمثيل، ومَن يُحرَّق حيًّا، ومَن يُقطَّع أوصالًا، حتى تطلُعَ رُوحُه!

وما ذنبُهم إلَّا أنَّهم مسلمون يؤمنون بالله، ويرفضُون الكفرَ والإلحاد، فيقوم مَن أعماهُم التعصُّبُ من المتسلِّطين بأعمالٍ همجيَّةٍ تَقشِعرُّ منها الأبدان، وملايين وعشرات الملايين قد ضُرِبت الأسوار عليهم في ظلام الشيوعيَّة الحالك، ووحشيَّتها الفظيعة، ومئات الأُلوف تتحكَّم فيهم عصابةُ اليهود، وتُذيقهم صنوفَ العذاب، وكأنَّ أخبارَ هؤلاء وما يُقاسونَه من عذاب وتضييق أخبارٌ تُقرأ للتسلية والترويح!!

وأينَ الدِّين؟ وأين النجدةُ والنخوةُ والشهامة؟ وأين مَن يُعيد عصرَ صلاح الدِّين، والمُعتصِم، وطارق، وغيرهم ممَّن ازدانَ بهم التاريخ، ورفعوا رأسَ الأُمَّة الإسلاميَّة عاليًا؟ فهل يشهدُ التاريخ مثيلًا لهم فيما يُستقبلُ من الأيَّام كما شهدها في الماضي؟!

## الشُّيوعيَّة الهدَّامة

الشُّيوعيَّة مذهبٌ هدَّام، مناقضٌ للفِطَرِ والعُقولِ والأديان، وهي تتستَّر بالدعاوى البرَّاقة والأضاليلِ الملفَّقة، وهي تزعم أنَّها جاءت لرفعِ مستوى الطَّبَقةِ العاملة، مع أنَّه ليس في الدُّنيا كلِّها - في قديم الزمان أو حديثه -

شيءٌ يُضرُّ بمصلحة العامل، ويقضي على طُموحه، ويسلُبه جهدَه، ويقسو عليه، ويغمِطُ حقَّه مثلَ الشُّيوعيَّة.

إنَّ المغفَّلِين والمخدوعين هم الذين يقعون في شِراك الشُّيوعيَّة، ويسقطون في فِخاخها، ثم لا يستطيعون الخَلاص، وإنَّما يحتويهم سجنُها الكبير، وأسوارُها الرهيبة، ويندُر أن يجدَ أقوامٌ الطريقَ للفِكاكِ من زَبانيتها وشياطينها، وأن يقدروا على الهَرَبِ من سجنِها الرهيب.

إنَّ الشُّيوعيَّة تُنكر وجودَ الله، وتجحدُ النبوَّات، وتسخرُ بالمتديِّنين، وتُناهض الأخلاقَ الكريمة، وتُقاوم الجهودَ الفرديَّة، وتسخِّر الطبقة العاملة، وتستغلُّ فئةً قليلةً من جماهير الشعب لأغراضِها الخاصَّة أسوأَ استغلالٍ وأبشعَه.

إنَّها عقولٌ مطموسة، وقلوبٌ عميٌ تلك التي تَقبَلُ الشُّيوعيَّة وترضى بها بديلًا عن الدِّين والإيمان، والأخلاق الفاضلة، والمعاني الكريمة.

قال الأستاذ أحمد أمين في كتابه "إلى ولدي" : «والأُنسُ بالدِّين طبيعةُ النفس، وراحةُ الرُّوح، فإذا سُلِبَت مَن تأنسُ به أحسَّت بالوَحشة، وتململَت منَ الفِراق، إنَّ الناس يعدُّون الحواسَّ خمسًا، ولكنِّي أعتقد أنَّ هناك في كلِّ إنسان حاسَّةً سادسةً هي حاسَّةُ الدِّين، مَن فَقَدها فَقَدَ عُنصرًا هامًّا من عناصرِه، ورُكنًا عظيمًا من أركان حياته؛ ولذلك هَدَأَ المؤمن، واضطرب الملحِد، وهذا هو الشأنُ في الشرق والغرب، والمدنيَّة القديمة، والمدنيَّة الحديثة.

أي بُنيَّ، إنَّ الإيمان بالله يملأُ فراغَ النفس، ويوحي بالطُّمأنينة، ويوثِّق الصِّلةَ بين الفردِ وأهله ووطنه، كما يوثِّق الصِّلة بينهم جميعًا وبين الله، فنصيحتي لك أن تؤمنَ ولو ألحَدَ الناس، وتوثِّق الصِّلةَ بينك وبين الله، ولو قطَعَها الناس».

## الأفكارُ المشوَّشة

الذين فُتِنوا بالأفكار المشوَّشة، والآراء الملوَّثة، يُنكِرون الأعمالَ الفرديَّة، ويستخفُّون بالجهود العظيمة التي قام بها أشخاصٌ حَبَاهم الله بمواهبَ عقليَّة، ومَلَكاتٍ فكريَّة، وصَبر وتحمُّل، وبالغوا في أهمِّيَّة الأعمال الجماعيَّة، مع أنَّا لا نُنكِر ما للأعمال الجماعيَّة من فوائدَ، وما ينتج عنها من ثِمار، فإنَّ إنكارَ الأعمالِ الفرديَّةِ والاستهانةَ بها هو ما نُعارضه بشدَّة، ونقف منه موقفَ المخاصِم المقاوم.

إنَّ التاريخ حافلٌ بذِكرِ الأفراد الذين أسهموا بنصيبٍ وافرٍ في هناءِ البشريَّة وسعادتها.

وقد قِيل:

وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمُ كَوَاحِدٍ    وَوَاحِدٌ كَالأَلْفِ إنْ أَمْرٌ عَنَا

ومَن يُحاول الوقوفَ في وجه الأعمال الفرديَّة تأثُّرًا بالمزاعم الاشتراكيَّة، وتحطيمِ الاحتكار، ومُقاومةِ تعظيمِ الأشخاص، وما شابَه هذه الألفاظَ الخدَّاعةَ، فإنَّه يُكابر في الحقائق، ويُغالِطُ في المشاهد، ويُنكر الشمسَ الساطعةَ لرَمَدِ عينيه، وسُقمِ نظرِه، ولن يبلُغَ ما يُريد مهما كان الطَّنينُ والدعاوى الفارغة، فليَربَع على نفسه، وليَرفُق بحاله.

## غزوٌ فكريٌّ

مِن الغزوِ الثقافيِّ والفكريِّ الذي غُزِينا به في ديار المسلمين: التنفيرُ من الحِفظ والاستهزاء بالحفَّاظ، ورميُهم بأنَّهم بَبْغاوات، ونُسخٌ مُكرَّرة، وأنَّهم

يردِّدون ما يحفظون دونَ وعيٍ وفَهم.

والحقُّ أنَّ الحفظَ نعمةٌ مِن نِعَم الله، وقد رَوى القرآنَ والحديثَ الحَفَظَةُ، ودوَّن العلومَ حُفَّاظٌ عطَّر التاريخُ ذِكرهُم، وليس الحفظُ سُبَّةً ولا عارًا، ولكنَّه مكرُمةٌ وفضيلة، فما بالُ أُناسٍ يُنفِّرون منه، ويُبغِّضونه إلى الناشئة؟! وماذا كانت النتيجة؟ لقد حقَّق المبشِّرون وأعداء المسلمين شيئًا من غاياتهم، عندما باعدوا بينهم وبين الحفظ، وروَّجوا للطرقِ المستحدثة التي زعموها تُخرِّج طلَّابًا فاهمين، فكانت أُميَّة المتعلِّمين، ونسيانُ العلوم التي مرَّ بها الطالب، إذ كان قد خُدِعَ بكلمات الطُّرق الجديدة في التربية.

ونأمُل أن يُعادَ النظر في هذا الموضوع، وأن يُخفِّف الكارهون لطريقة الحفظ من غُلوائهم، ولستُ أزعم أنَّ كلَّ شيءٍ يصلحُ فيه الحفظ، ولكن من العلوم ما لا بدَّ مِن حفظه، وبدون الحفظ لا يمكن أن يكون الإنسانُ عالمًا فيه.

## خطرُ الماسونيَّة

الغزوُ الثقافيُّ هو أخطرُ أنواع الغزو، وهو يأتي في صُورِ كتب وصحف، وإذاعات وتلفزيونات، وغيرها.

ويتولَّى الترويجَ له أناسٌ دُرِّبوا للقيام بمهمَّات ذلك الغزو - سواءٌ علموا الأهدافَ البعيدةَ والمراميَ القاصية، أم كانوا ممَّن يُسمِّيهم اليهودُ في "بروتوكولاتهم" العُميان الذين ينفِّذون أهدافَ الأعداء بدون وعي، ولعلَّ الماسونيَّة بأسمائها المختلفة، وشعاراتها المتلوِّنة، وأنديتها الكثيرة، وأساليبها الشيطانيَّة، هي أشدُّ ما يواجه العالَم الإسلاميَّ في هذا العصر، سواء كانت مكشوفةً أم متسترةً بسِتار المدنيَّة والحرية، والمساواة والإخاء، أم كانت محتميَةً بالشُّيوعيَّة أو الكنيسة، فهي مِن أشدِّ ما ابتُليَ به المسلمون؛ لِمَا لها

من أساليبَ ماكرة، ومؤامراتٍ فظيعة.

ولستُ أدري لماذا لا تُجنَّد الأقلامُ لحربها وبيان خطرها؟! ولماذا لا يُستفاد من أولئك العُلماء والأُدباء والمفكِّرين الذين يعرفون خطرَها؟! ولماذا لا يُستقدَم المبرِّزون في مناهضتها؛ للتدريس وإلقاءِ المحاضرات، وأن تُقدَّم لهم الرواتب والمكافآت السخيَّة التي تُعينهم على الصُّمود أمامَ تيَّارات الإغراء والتهديد؟! ولماذا لا يُعانُون على طبع مؤلَّفاتهم؛ لأنَّها سلاحٌ في وجه الأعداء فاتِك؟!

## محاولاتٌ شرِّيرة

أليس مِن الغريب حقًّا أن نسمعَ مِن بعضِ مَن يَدَّعون الإسلام، ويزعمون أنَّهم مسلمون بحقٍّ - مَن يزعم أنَّ تنحية الدِّين عن شؤون الحياة هو تقدُّم ورقيٌّ، وعنوانٌ للمدنيَّة العصريَّة، ويُغالط فيدَّعي أنَّ أُوربَّا نجحت صناعيًّا واقتصاديًّا حينما نبذتِ الدِّين وعزَلته عن الأُمور العامَّة، والنواحي الاقتصاديَّة والسياسيَّة؟!

وهذا من سوء التفكير، وقَلبِ الحقائق؛ فأُوربَّا لم تعزلِ الدِّينَ عن شُؤون الحياة، كما يتصوَّرون، ولكنَّ أُوربَّا تنتسبُ لدِينٍ منسوخٍ محرَّف، ليس فيه الشُّمول والكمال اللَّذان في دين الإسلام وتشريعاتِه الشاملة، ومع هذا فإنَّ للبابا من السُّلطة على الدول النصرانيَّة، ومن الصِّلات والروابط بينه وبينها الشيءَ الكثير، والبعثاتُ التبشيريَّة النصرانيَّة تجوبُ أقطارَ المعمورة، وغاياتُها بتوجيهاتِ البابا ومُناصرته.

وإذا كانت أُوربَّا قد تخلَّت عن اهتمامِها بالدِّين، فليس ذلك صحيحًا على إطلاقه، وليس معناه أنَّها عزلتِ الدِّينَ عن الدولة، ولا أنَّها تركتِ التعصُّب

الشديدَ الموجَّهَ للإسلام والمسلمين، فهل يعي هذه الحقائقَ مَن يُردِّد كلماتٍ لا يُدرك مغزاها، ويتلقَّفها دونَ وعيٍ أو تبصُّر؟

## الإيمانُ والكُفر

استمعتُ إلى الإذاعاتِ تنقل تصريحًا لمسؤولٍ في إحدى الدول الوثنيَّة، يُهدِّد بالتدخُّل العسكريِّ في بلادٍ إسلاميَّةٍ مُجاورة.

ولم أكُن أتوقَّع أن أسمع صيحاتِ الاستنكار، ومقابلةَ التهديد بمثله من الدُّول الشُّيوعيَّة، التي ما فتِئَت تهذي بمُناصرة الشُّعوب، ومُكافحةِ العُدوان، وهي ألدُّ أعداءِ الشُّعوب، وأكثرُ الناس مُحاربةً للسلام، ولم أُؤمِّل أن تقومَ الدول الصليبيَّة التي تتوارث الأحقادَ بمناصرة المسلمين، وإعلان التصريحات المستنكِرَة لتصريحات المسؤول الوثني.

ولكنِّي حزنتُ أشدَّ الحزن إذ لم أسمع صوتَ زعيمٍ مسلمٍ يُعلنها صريحةً باستهجانِ المؤامرات التي تُحاكُ لبلدٍ إسلاميٍّ عظيمٍ، كانَ قوَّةً للمسلِمين وللعَرب وما يزال.

هل نظلُّ نتفرَّج على البُلدان الإسلاميَّة وهي تُباد واحدةً إثرَ أُخرى؟ ألم يكفِ ما حَدَث في زَنْجِبارَ وغيرها؟!

إنَّنا نقولُها صريحةً لا التِواءَ فيها: إذا لم يُبادرِ المسلمون - وفي طليعتهم مُلوكُهم ورُؤساؤُهم - إلى التضامُنِ الإسلاميِّ الحقيقي، ويقفوا موقفًا حازمًا إزاءَ الاعتداءات أيًّا كان مصدرُها، فإنَّ نهاية البُلدان الإسلاميَّة كلِّها الزوال، وتحويلها إلى بُلدانٍ مُعاديةٍ للإسلام والمسلمين، فهل يتَّعظون؟!

## فائدة

قال سعد الدِّين التَّفْتَازانيُّ في "شرح المقاصد" :

«إنَّ الكافر اسمٌ لِمَن لا إيمانَ له، فإن أظهر الإيمانَ خُصَّ باسم المنافق، وإن طرأ عليه الكفرُ بعدَ الإسلام خُصَّ باسم المرتد؛ لرجوعه عن الإسلام، فإن قال بإلهين أو أكثرَ خصَّ باسم المشرك، وإن كان متدينًا ببعض الأديان السماوية والكتب المنسوخة خُصَّ باسم الكِتابيِّ، وإن كان يقول بعدم الدهر وإسناد الحوادث إليه خصَّ باسم الدهريِّ، وإن كان لا يُثبِتُ وجودَ الله البارئ - سبحانه - خصَّ باسم المعطِّل، وإن كان مع اعترافه بالنبي ﷺ وإظهار عقائدِ الإسلام يُبطِن عقائدَ هي كفرٌ بالاتِّفاق خصَّ باسم الزِّندِيق».

## تجارِبُ مَرِيرَة

مرَّتِ الدولُ المجاورة بتجارِبَ عديدة، وتعرَّضت لمشكلاتٍ كثيرة، وبعضُها ذاقَ مِن المستعمرين الصليبيِّين الصَّابَ والعَلْقَم، وآخَرون كانوا قد خبَرُوا الشُّيوعيَّة وأساليبَها الهدَّامة، وأحقادَها المدمِّرة، وبعضُهم عَرَفَ اليهودَ ومؤامراتِهم، وخُبثَهم وكيدَهم وهمجيَّتَهم.

وفي أقطار عِدَّة كانت التجارِبُ تتَّخذ أشكالًا وألوانًا، ومِن طوائفَ شتَّى، ومذاهبَ مختلفة.

ومن البُلدان مَن طغى عليه طوفانُ المذاهب الهدَّامة، والأفكار الضارَّة، والخلاعة والمُجون، ومنها ما ناله رَذاذٌ وشوائب، ومنها ما هو إلى السلامةِ أقرب، وما هو إلى الهلاكِ أسرع، والسعيدُ مَن وُعِظَ بغيره، واستفادَ من تجارِبِ الآخرين فيما يعود عليه بالنفع والخير والسلامة.

## نبذ العصبيَّات

جاء الإسلامُ بطرْحِ العصبيَّات الجاهليَّة، والفخرِ بالأحسابِ والأنساب، وجَعَل عنوانَ الكَرَمِ التقوى؛ ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣]، وذَمَّ التكبُّرَ والتجبُّر وازدراءَ الناس، وعابَ الهمزَ واللَّمزَ والتنابُزَ بالألقاب، ودعا إلى العمل والكَسبِ الحلال، والإنفاق والتسامُح ومكارم الأخلاق، وذمَّ البُخلَ والشُّحَّ، والظلمَ والعُدوان والغُرور، وحَثَّ على الحُبِّ في الله، والبُغضِ في الله، واعتبرَ هذا الحُبَّ مِن أسمى الفضائل، وأحسن الشمائل، فهو دِينٌ صالِحٌ لكلِّ زمان ومكان، دينٌ يقبَلُه العقلُ السليم، ويرتضيه الذَّوقُ الرفيع، ويفرحُ به المؤمنون، ويطمئِنُّ إليه الموقِنون.

وهو دينٌ يجمعُ بينَ القِيام بحقِّ الله، وبين أداء حقوقِ المخلوقين، ويُعطي للجسمِ حقَّه، وللرُّوحِ نصيبَها، ويمنحُ الإنسانَ التُّقى والجِدِّيَّة، والاستقامةَ وهدوءَ النفس، وراحةَ البال، والبحثَ عن العيشِ والتزوُّدَ بزاد التقوى، ولو فَهِمَه العازِفون عنه حقَّ الفَهم، أو أدركَ مراميَه وأغراضَه الناؤون عنه – لأقبَلوا عليه مُسرعِين، ولدخلوا فيه طائعين، إلَّا مَن غلبَت عليه الشِّقْوَة، وباء بسخَطِ اللهِ وغضبِه، فذلك في الضَّلال يَعْمَه، وفي الغَواية يرتَكِس، ولا حولَ ولا قوَّة إلَّا بالله.

## أساليبُ اليهود

نَشرت "مجلَّة فلسطين" في عددها (١٢٢) لشهر ربيع الثاني سنة ١٣٩١هـ بعنوان:

(هِنري فورد الأب حارَب اليهود، وفَضَح مخطَّطاتِهم وأساليبَهم للسيطرة على العالَم..

خُلفاؤه يضعون ثرواتِهم تحت تصرُّف الأعمال العُدوانيَّة اليهوديَّة).

وممَّا جاء في هذا المقال الذي نقلته "مجلَّة فلسطين" عن "صحيفة القوَّة البيضاء الأمريكيَّة" :

«إنَّ الرجل الذي يَقِفُ خلفَ وضعِ ثروة فورد تحتَ أقدام اليهود هو مليونير أمريكي يُدعى (سيدني وانبرغ)، وهو يستخدم مؤسَّسة فورد المعروفة لدعمِ الشرِّ الصِّهْيَونيِّ، وقد بلغَت مخصَّصات هذه المؤسَّسة حوالي بليونين ونصف بليون دولار، وارتفعت موجوداتُها الآن إلى ١,٣ بليون دولار، على الرغم من المِنَحِ التي تُقدِّمها في أنحاء كثيرة من العالَم، ويرأس هذه المؤسَّسة (ماك جورج بنوي) المستشار اليهوديُّ السابق للرئيس الأمريكي السابق جونسون، أمَّا الشخصُ المكلَّف بكيفيَّة توزيع مِنَحِ مؤسَّسة فورد وأموالها على مختلِف المنظَّمات في العالَم، فهو مديرُ المؤسَّسة اليهودي الرُّوسي الأصل (ميتشيل سفيردوف)».

## شراذم اليهود

مَن يُصدِّق أنَّ شراذم اليهود المشتَّتين المنبوذِين تجتمع حِفنةٌ منهم، فتحتلُّ فلسطين، وتُحرقُ المسجدَ الأقصى، وتطردُ سكَّانَها الأصليِّين من المسلمين، وسبعمئة مليون مسلِم لهم الدُّولُ والقوَّةُ، والجيوشُ الجرَّارة، والمواردُ الهائلةُ - يقفون مبهورين، أو يكتفون بالتهديدِ والوعيد، أو بمساعداتٍ لا تُسمِن ولا تُغني من جوع؟!

صحيحٌ أنَّ هناك دولًا غنيَّةً وكبيرةً ومتقدِّمةً صناعيًّا تسند اليهود، وتمدُّهم بالمعونات الاقتصاديَّة والعسكريَّة، والسياسيَّة والفنيَّة، ولكن ينبغي لمَن دَكُّوا ممالك كسرى وقيصر، وكانت دولتُهم من الصِّين حتى المحيط الأطلسيِّ ألَّا

يثنِيَهم ذلك عن استرداد فلسطين، وتطهير بيت المقدِس، وغسلِ العار.

## حديث عن الحرب

• كان قُتَيبَةُ بن مسلِم يقول لأصحابه: إذا غزوتُم فأطِيلوا الأظفار، وقصِّروا الشُّعور، والحَظُوا للناس شَزْرًا، وكلِّموهم رَمْزًا، واطعنوهم وَخْزًا.

• وكان أبو مسلِم يقول لقُوَّاده: أشعِروا قلوبَكم الجُرأة؛ فإنَّها مِن أسباب الظَّفَر، وأكثِروا ذِكرَ الضغائن؛ فإنَّها تبعثُ على الإقدام، والزَموا الطاعة؛ فإنَّها حِصنُ المُحارِب.

• وقال أحمد بن الحسين (المتنبِّي) يمدح سَيفَ الدَّولة بعد موقعةٍ انتصر فيها:

رَمَيْتَهُمُ بِبَحْرٍ مِنْ حَدِيدٍ لَهُ فِي البَرِّ خَلْفَهُمُ عُبَابُ
فَمَسَّاهُمْ وَبُسْطُهُمُ حَرِيرٌ وَصَبَّحَهُمْ وَبُسْطُهُمُ تُرَابُ
وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابُ
كَذَا فَلْيَسْرِ مَنْ طَلَبَ الأَعَادِي وَمِثْلَ سُرَاكَ فَلْيَكُنِ الطِّلَابُ

• قال صالِح بن مِخراق: لولَا أنَّ الله تبارك وتعالى قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] لأنبأتُكم أنِّي لا أكرهُه.

• قال الشاعر:

ومُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُماةُ نِزالَهُ لا مُمْعِنٍ هَرَبًا ولا مُسْتَسلِمِ

## فظائع اليهود

الفظائعُ التي يرتكبُها اليهودُ في حقِّ عرب فلسطين والأراضي المحتلَّة

ليست غريبةً عن اليهود، بل هذه طبائعُهم وأخلاقُهم، وفي كتبهم التي حرَّفوها وغيَّروا فيها، وبدَّلوا بما يتَّفق مع أهوائهم، وأمزجتهم المريضة - ما يدلُّ على أنَّ تعذيبَ العَرَبِ وسجنَهم، وطردَهم من بلادهم، ونسفَ بيوتهم، وانتهاكَ حُرمات المساجد، والاعتداءَ على الأوقاف، واستعمالَ الغازات وأمصال الأمراض الفتَّاكة بغَرَضِ إبادة العرب - هي ممَّا ينسجِمُ مع حِقد اليهود على البشريَّة، وسعيهم للسيطرة على العالَم التي يَحلُمون بها.

إنَّ قتلَ النِّساء والأطفال والعَجَزةِ والمنقطِعين للعبادة ممَّا وردَ الشَّرع بتحريمه، بل إنَّه يكادُ يكون إجماعًا بين الناس على اختلافِ طوائفهم، ما عدا شراذمَ اليهود الذين أعماهُم التعصُّب والعُدوان، وهم يتقرَّبون بوحشيَّتهم، ويعتبرونها عملًا بطوليًّا، وقد جاءت هذه العبارة في (سِفْر يشوع)، ولا شكَّ أنَّها ممَّا حُرِّف وبُدِّل:

«أهلِكوا جميعَ ما في المدينة من رجلٍ وامرأة، وطفلٍ وشَيخ، حتى البقر والغَنَم والحمير بحدِّ السَّيف، وأحرِقوا المدينةَ وجميعَ ما فيها بالنار».

فأين هذا مِن طريقة الرسول ﷺ؟!

فقد كان إذا أمَّرَ أميرًا على جيشٍ أو سَرِيَّةٍ قال له: «اغزُوا ولا تغُلُّوا، ولا تَغدِروا ولا تُمَثِّلوا، ولا تقتُلوا وَلِيدًا».

## دعاء

اللهمَّ اجمَع قلوبَنا على محبَّتِك ومحبَّة مَن تُحبُّ وما تُحبُّ، واجعَلنا مُتعاونين على البرِّ والتقوى، مُتكاتِفين في كلِّ ما يعودُ منه نفعٌ في الدِّين والدُّنيا، ومُتعاضِدين على كلِّ ما يُقوِّي المسلمين، ويُعلي شأنَهم.

## التاريخُ المَجيد

للمسلمين تاريخٌ حافلٌ مَجيد، وكأنَّ عمليَّةَ صدودٍ مُتعمَّدةً قد وُضِعت بإحكام؛ للحيلولة دونَ اطِّلاع أحفادهم عليهم، ولا ريبَ أنَّ الاطِّلاع على التاريخ يُثير كوامنَ الشَّجَن والحنين إلى ذلك العصر الزاهر، الذي كان المسلِمون فيه سادةً أقوياء ينشرون العلم، ويرفعون لواءَ الدِّين عاليًا في أقطار الدُّنيا.

وأينَ ذلك العزُّ التليد، وذلك المجدُ الباذخُ من حال المسلمين اليوم؟! تفرَّقوا شِيعًا، وتمزَّقوا فِرَقًا، وأحاطَ بهم الطامعون من كلِّ جانب، كلٌّ يريد أن يسبقَ إلى الفريسة مع كثرة المسلمين عددًا، ووفرةِ الثرواتِ الهائلةِ في بلادِهم!!

وقد تغلَّب عليهم أجبنُ الناس وأقلُّهم شأنًا، فهل بعدَ هذا الضَّعفِ أملٌ باستعادةِ مكانتهم وقيادتِهم؟

نعم، إنَّ ذلك ممكنٌ إذا ما رجعوا للإسلام الصحيح، واستضاؤوا بالقرآن الكريم والسُّنَّة المطهَّرة، وجمعوا شملَهم تحتَ رايةِ الإسلام، ووحَّدوا كلمتهم، وجاهدوا في سبيل الله مخلصِين.

## واقعُ العالَم الإسلاميّ

العالَم الإسلاميُّ عالَمٌ مترامي الأطراف، كثيرُ الخيرات، وافرُ الإمكانيَّات، موقِعُه هامٌّ، ومنزلته سامقة.

والمؤلِمُ أنَّه متخلِّفٌ صناعيًّا واقتصاديًّا، وأنَّه مستورِدٌ في الغالب، والأُمَمُ تستنزِفُ قُوتَه، وتنهبُ ثرواتِه، وما تُقدِّمه من تعويضاتٍ قليلةٍ باليمين تأخذُه

بالشِّمال، وهكذا صار في حالةٍ مِن التأخُّر والتفكُّك، والأعداء يرتعون ويعتدون، ويمزِّقون البُلدان الإسلاميَّة بلدًا بعد بلد!!

وقلت: لو أنَّ المسلمين تعاوَنُوا وتكاتَفوا، وشجَّعوا منتوجاتِ بعضهم البعض، وتعاقدوا في إقامة المصانِع المختلفة، وأضحى في كلِّ بلدٍ مصانعُ تسُدُّ حاجته وحاجة البُلدان الإسلاميَّة الأخرى في تنسيقٍ وتفاهُم، ولو أنَّهم اتَّفقوا على رأيٍ موحَّدٍ تُجاهَ أولئك الأعداء الطامعين، وشنُّوها حربًا إسلاميَّةً مع الجهاد في سبيل الله لقِتالِ الكفَّار الذين يريدون القضاءَ على المسلمين، ولو أنَّ المسلمين حكَّموا الشَّرع، ونبذوا الإلحادَ والخُرافات، وصَدَقوا العزمَ - فهل تبقى حالُهم على هذا النحوِ مِن الهُزال والتنابُذ؟!

إنَّ لنا فيما جرى عِبَرًا فلنعتَبِر، ولا يكون الهوى والاستبدادُ والجهلُ حاملةً على التمادي في الغيِّ، واللَّجاجةِ في الباطل، وتجاهُل الأخطار الكثيرة، فهل مِن سميع؟!

## نَشرُ الدِّين

كان المسلمون الأوائل منصرِفين إلى نَشرِ دين الإسلام بكلِّ وسيلة، فكانوا مجاهدين بالسَّيف والسِّنان؛ لإعلاء كلمة الله، وفي نفس الوقتِ كانوا حاملين للمُصحف يقرؤونه، وراوِين للسُّنَّة المطهَّرة ينشرونها علمًا وعملًا.

لقد عَرَفوا الطريقَ الصحيحَ فسادُوا الدُّنيا، وشادوا حضارةً زاهِرَة، وأصبح المسلمون أكثريَّةً في هذا العالم الصاخِب، الذي تتجاذَبُه شتَّى المذاهبِ والعقائدِ والبِدَع، وصُنوفٌ من التيَّارات الفكريَّة، والمبادئ المضطَرِبَة، فهل يُعيد المسلمون سيرتَهم الأُولى؛ ليكونوا سادةَ الدُّنيا، وقادتَها إلى الرَّشاد والصلاح؟!

## الحجُّ

الحجُّ أحدُ أركان الإسلام ودعائمِه العِظام، شَرَعه الله لحِكَم وغاياتٍ جليلة، يلتقي المسلمُ بإخوانه المسلمين الذين جاؤوا من كلِّ فَجٍّ عميق؛ ليشهدوا منافعَ لهم، ويذكروا اسمَ الله في أيَّامٍ معلومات.

يعبدون الله ويوحِّدونه، ويُهلِّلون ويُكبِّرون ويطوفون بالبَيت، ويسعَون بين الصَّفا والمروَة، ويقفون بعَرَفَة، ويَبِيتون بمنًى ومُزدَلِفَة، ويشهدون أعظَمَ مَجمَع، وأكبرَ لقاء، في أشرفِ بُقعة، وأفضلِ مسجد.

أقبَلُوا مُنيبين مُخبِتين، يَحدُوهم الأملُ في الفَوز والقَبول، ويُقلِعون عن الذُّنوب والمعاصي، فما أجملَه مِن لقاء! وما أعظمَه من مُجتمع!

## نصيحةٌ من الحسن البصريِّ

كان الحسنُ يقول: رَحِمَ الله عبدًا كَسَبَ طيِّبًا، وأنفقَ قَصْدًا، وقدَّم فَضلًا، وجِّهوا هذه الفُضولَ حيثُ وجَّهها الله، وضَعُوها حيثُ أمرَ الله؛ فإنَّ مَن كان قبلَكم كانوا يأخذون من الدُّنيا بلاغَهم، ويُؤثِرون بالفضل.

وكان يقول: يا ابنَ آدمَ، لا غِنى بك عن نصيبك من الدُّنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرةِ أفقر.

## امتنانُ الله على الحاجِّ

على الحاجِّ أن يحمدَ الله على ما وفَّقه الله له مِن أداء نُسُكِ الحجِّ، وما سهَّل له من الوصول إلى بيت الله الحرام، الذي تهفو له نفوسُ المؤمنين،

وتشتاقُ لرؤياه قلوبُ المسلمين، وأن يشكرَ الله على أن يسَّرَ له بلوغَ أُمنيته العزيزةِ في القيام بأحدِ أركان الإسلام، وما هيَّأ له من عباداتٍ وحسنات، ودُعاء وطَواف.

وعلى الحاجِّ أن يبتعدَ عن كلِّ ما يُسيء إلى حجِّه، أو يخدِشُ عبادتَه، فيجتنبَ اللَّغوَ والرَّفَث، والفُسوقَ والعِصيان، ويُكثِرَ من ذِكر الله وعبادته، والتعاونِ مع إخوانه المسلمين، والحِرصِ على فَهم الإسلام، وتلاوةِ القرآن، ونَبذِ الخُرافات والشِّركيَّات، والبِدَعِ والإلحاد، وأن يقومَ بواجبه في رِفعةِ الإسلام، وانتشارِه بكلِّ وسيلةٍ مشروعة؛ بالجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، والقَلَمِ واللِّسان، والقُدوة الحَسَنَة.

## المواسمُ المفضَّلة

المواسمُ المشرَّفة التي أنعم اللهُ بها على عباده، وجعلها مَيدانًا للتنافُس في عملِ الخير والمسارعة إلى طاعةِ الله، وضاعَفَ فيها الحسنات، وهي مجالٌ فسيحٌ يجدُ فيها المؤمنُ راحةً نفسيَّة، واطمئنانًا قلبيًّا، ونقاوةً من شوائب الدُّنيا وأكدارها، ومطامعها ونَزَواتِها، فمَن وفَّقه الله اغتنمَ الفُرصة، وبادر إلى الصالحات، وأخبتَ إلى ربِّه وأناب، واستيقظَ من غفلته، وهبَّ من رَقْدَته؛ ليُراجِعَ حسابَه، وليُعيدَ النظرَ في سيرته، ويُحاسِبَ نفسَه قبل أن يُحاسَب، ويزنَها قبل أن يُوزن.

## كلامٌ نَفيسٌ

قال ابن القيِّم في "زاد المعاد":

«ومن هذا: اختيارُه ﷻ من الأماكن والبِلادِ خيرَها وأشرفَها، وهي البلدُ

الحرام؛ فإنَّه اختاره لنبيِّه ﷺ وجعلَه مناسِكَ لعباده، وأوجبَ عليهم الإتيانَ إليه من القُرْبِ والبُعْدِ من كلِّ فَجٍّ عميق، فلا يدخلونه إلَّا مُتواضِعين مُتخشِّعين، مُتذلِّلين كاشفي رؤوسهم، مُتجرِّدين عن لِباسِ أهل الدُّنيا.

وجَعَلَه حَرَمًا آمنًا، لا يُسفَك فيه دم، ولا تُعضَدُ به شجرة، ولا يُنفَّر له صَيد، ولا يُختلَى خَلَاه، ولا تُلتَقَطُ لُقَطَتُه للتَّمليك؛ بل للتَّعريفِ ليس إلَّا، وجعلَ قصدَه مُكفِّرًا لمَا سَلَفَ من الذُّنوب، ماحيًا للأوزار، حاطًّا للخطايا.

ولو لم يكُن البلدُ الأمينُ خيرَ بلاده وأحبَّها إليه ومُختارَه من البلاد، لَمَا جعل عرصاتِها مناسكَ لعباده؛ فَرَض عليهم قصدَها، وجعلَ ذلك من آكَدِ فروضِ الإسلام، وأقسمَ به في كتابه العزيز في موضعين.

وليس على وجهِ الأرضِ بقعةٌ يجبُ على كلِّ قادرٍ السَّعيُ إليها، والطَّوافُ بالبيت الذي فيها غيرَها، وليس على وجهِ الأرض موضعٌ يُشرَع تقبيلُه واستلامُه، وتُحطُّ الخطايا والأوزار فيه غيرَ الحَجر الأسود، والركن اليماني».

قال مُورِّق العِجْلِي: ضاحكٌ مُعترِفٌ بذنبه، خيرٌ مِن باكٍ يُدِلُّ على ربِّه.

قال الشيخ محمد بن عليٍّ الشَّوكانيُّ في كتابه "شرح الصُّدور، بتحريم رَفع القُبور":

«فلا شكَّ ولا ريبَ أنَّ السببَ الأعظمَ الذي نشأ منه هذا الاعتقادُ في الأمواتِ هو ما زيَّنه الشيطانُ للناس؛ من رَفع القُبور، ووَضعِ السُّتورِ عليها وتَجصيصِها، وتزيينها بأبلغ زِينَة، وتحسينِها بأكملِ تحسين؛ فإنَّ الجاهلَ إذا وقعَت عينُه على قبرٍ من القُبورِ قد بُنِيَت عليه قُبَّة، فدخلَها ونظرَ على القُبور والسُّتور الرائعة، والسُّرُج المتلألئة، وقد سطعَت حولَه مَجامِرُ الطِّيب - فلا شكَّ ولا ريبَ أنَّه يمتلئ قلبُه تعظيمًا لذلك القبر، ويضيقُ ذهنُه عن تصوُّر ما لهذا الميِّت من المنزلة، ويدخلُه من الرَّوعَةِ والمَهابَةِ ما يزرعُ في قلبه من

العَقائدِ الشَّيطانيَّة - التي هي مِن أعظمِ مكائد الشَّيطانِ للمسلمين، وأشدِّ وسائله إلى ضلالِ العِباد - ما يُزلزِلُه عن الإسلام قليلًا قليلًا، حتى يطلُبَ من صاحبِ ذلك القبر ما لا يَقدِرُ عليه إلَّا اللهُ سبحانه؛ ويصيرَ في عِدادِ المشركين».

## فائدة

قال النووي: «وأمَّا الذَّبحُ لغير الله، فالمُراد به أن يذبحَ باسمِ غيرِ الله؛ كَمَن ذبحَ للصَّنَم، أو للصَّليب، أو لموسى أو عيسى، أو للكعبة ونحوِ ذلك، وكلُّ هذا حرام، ولا تَحِلُّ هذه الذبيحة، سواءٌ كان الذابح مسلمًا أو نصرانيًّا أو يهوديًّا؛ نصَّ عليه الشافعي، واتَّفق عليه أصحابُنا، فإن قصدَ مع ذلك تعظيمَ المذبوحِ له غيرِ الله والعبادةَ له - كان ذلك كُفرًا، فإن كان الذابح قبل ذلك مُسلمًا صارَ بالذبح مُرتدًّا».

## للذِّكرى

في سنة **٤٢١هـ** وَصَلَ أرمانوس مَلِكُ الروم إلى حلب، ومعه مَلِكُ الرُّوس، ومَلِكُ البُلغار، والألمان والبِلجِيك، والخَزَر والأَرْمَن في ستِّمئة ألف من الفَرَنْج، فقاتلهم شِبلُ الدَّولة نصرُ بن صالح، صاحبُ حَلَبٍ فهزمهم، وتبِعَهم إلى عَزَاز، وأسَرَ جماعةً من أولاد ملوكهم، وغَنِم المسلمون منهم غنائمَ عظيمة.



قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة في "ردِّه على ابن البكري" :

«وهؤلاء الغُلاة المشركون إذا حصَل لأحدِهم مطلوبُه - ولو مِن كافر - لم يُقبِل على الرسول، بل يطلُبُ حاجتَه من حيثُ يظنُّ أنَّها تُقضَى، فتارةً يذهبُ إلى ما يظنُّه قبرَ رجلٍ صالح، ويكون فيه قبرُ كافرٍ أو مُنافق، وتارةً يعلم أنَّه كافرٌ أو مُنافقٌ ويذهبُ إليه، كما يذهبُ قومٌ إلى كنيستهم، أو إلى موضعٍ يُقال لهم: إنَّها تقبل النَّذْر، فهذا يقعُ فيه عامَّتُهم.

وأمَّا الأوَّل: فيقعُ فيه خاصَّتُهم، حتى إنَّ بعض أصحابنا المُباشرين لقضاءِ القُضاة لَمَّا بَلَغه أنِّي أنهى عن ذلك صارَ عندَه من ذلك شُبهةٌ ووَسواس؛ لمَا يعتقدُه من الحقِّ فيما أذكُره، ولِمَا عندَه من المُعارضة لذلك، قال لبعض أصحابنا سِرًّا: أنا جرَّبتُ إجابةَ الدُّعاء عند قبرٍ بالقَرافَة، فقال له ذلك الرجل: فأنَا أذهبُ معك إليه؛ لتعرفَ قبرَ مَن هو، فذهبَ إليه فوجدَا مكتوبًا عليه (قبر علي)، فعَرَفوا أنَّه إمَّا رافضي، وإمَّا إسماعيلي.

وكان في البلد جماعةٌ كثيرون يظنُّون في العُبيديِّين أنَّهم أولياءُ الله الصالحون، فلمَّا ذكرتُ لهم أنَّ هؤلاء كانوا مُنافقين زنادقة، وخِيارُ مَن فيهم الرافضة، جعلوا يتعجَّبون ويقولون: نحن نذهبُ بالفَرَسِ التي فيها مَغَلٌ إلى قُبورهم، فتُشفَى عندَ قُبورهم، فقلتُ لهم: هذا مِن أعظم الأدلَّة على كُفرهم!

وطلبتُ طائفة من سُيَّاس الخيل فقلتُ: أنتم بالشام ومصر، إذا أصاب الخيلَ المَغَلُ أين تذهبون بها؟ فقالوا: في الشام نذهبُ بها إلى قُبورِ اليهودِ والنصارى، وإذا كنَّا بأرض الشَّمال نذهبُ بها إلى القُبورِ التي ببلاد الإسماعيليَّةِ كالعليقة والمنيعة ونحوهما، وأمَّا في مصر فنذهب بها إلى دَيرٍ هنا للنصارى، ونذهبُ إلى قُبورِ هؤلاء الأشراف - وهم يظنُّون أنَّ العُبيديِّين أشرافٌ لمَّا أظهروا أنَّهم من أهل البيت - فقُلت: هل تذهبون بها إلى قُبور صالحي المسلمين؛ مثل: اللَّيث بن سعد، والشافعي، وابن القاسم، ونَفيسَة،

وغير هؤلاء؟ فقالوا: لا.

فقُلتُ لأولئك: اسمعوا، إنَّما يذهبون بها إلى قُبور الكفَّار والمنافقين، وبَيَّنتُ لهم سببَ ذلك؛ فقلت: لأنَّ هؤلاء يُعذَّبون في قُبورهم، والبهائمُ تسمعُ أصواتَهم - كما ثَبَت ذلك في الحديث الصحيح - فإذا سَمِعَت ذلك فَزِعَت بسبب الرُّعب الذي يحصُل لها، فتنحَلُّ بطُونُها فتَرُوث، فإنَّ الفَزَعَ يقتضي الإسهالَ، فتعجَّبوا من ذلك، وهذا المعنى كثيرًا ما كنتُ أذكرُه للناس، ولم أعلم أنَّ أحدًا قالَه، ثم وجدتُّه قد ذكرَه بعضُ العُلماء».

## عالمٌ مائج

المسلمون كثيرون في هذا العالَم المائج، والأعداء يتربَّصون بهم، وعصاباتُ اليهود قد انتهكَتِ الحُرمات، واعتدَت على الآمنين، واحتلَّت بُلدانًا إسلاميَّةً عزيزة، ودنَّست المسجدَ الأقصى، وهدَّمتِ البيوت، وسجنتِ الأُلوفَ من الرِّجالِ والنِّساءِ والأطفال، وتبجَّحَ قادةُ الإجرامِ فيها بقوَّتهم وغلبَتِهم، وليس للمسلمين طريقٌ إلَّا طريقٌ واحد، هو الجهادُ في سبيل الله.

## السَّفَرُ

«السَّفَرُ قطعةٌ منَ العذابِ»؛ هذا نصُّ حديثٍ صحيح، وهو من مُعجزات النبوَّة؛ فمهما كثُرت وسائلُ الترفيه، وتعدَّدت أساليبُ الراحةِ في الأسفار، وقرَّبت الطائراتُ المسافاتِ الشاسعةَ، وقطعتها في ساعاتٍ بدلَ الشُّهور، وأصبحَ التنقُّلُ بين القارَّات والمُدُنِ شيئًا أشبهَ بالأساطيرِ والخيالات، فإنَّ هَمَّ السَّفَرِ وتخوُّفاتِه ومُقدِّماتِه ولوازمَه ونتائجَه، والقلقَ المصاحِبَ له - كلُّ أولئك تجعلُه قطعةً من العذاب، وإن كان مرفَّهًا تحلِّقُ به الطائرةُ فوقَ السحاب،

وكأنَّه في مجلسه مستقرٌّ وادع.

إنَّ ذلك من مُعجِزاتِ النبوَّة ودلائِلِها، فهل فكَّرنا في نصوصِ القرآنِ والحديث، واستخرَجنا المدلولاتِ العميقةَ لهمَا، والأسرارَ الكامنةَ فيهما؟! وهل تأمَّلنا الدلائلَ القرآنيَّة، والأحاديثَ النبويَّة بإمعان؛ لنجدَ العَظَمَةَ والبراهين الساطعة، والحُجَجَ الدامغةَ والمعانيَ الرائعة؟! أم أنَّ الكثيرين قد شُغِلوا بالتفاهات، ومُبتذَلِ الكلام، وهَذَيَانِ المهوَّسين، وأعرضوا عن نصوص القرآن الكريم، والحديث الشريف؟!

وأيُّ مأساةٍ هذه لأُمَّةٍ دِينُها الإسلام، وترنو لعزٍّ مَكِين، ومجدٍ باذِخ، ولكنَّها لا تتَّخذُ لذلك الأسباب، ولم تُعِدَّ له العُدَّة، وما بَرِحَت سادرةً في اللَّهو، مُعرِضةً عن أسباب القوَّة والمَنَعَةِ وسُلوك المحجَّةِ الناصعة؟!

تَرجُو النَّجاةَ ولم تَسلُكْ مَسَالِكَها   إنَّ السَّفينَةَ لا تَجرِي على اليَبَسِ

قالت عائشةُ ﵂: «اسألوا ربَّكُم كُلَّ شيءٍ حتى الشِّسْع؛ فإنَّه إن لم يُيسِّرْهُ لم يتيسَّر».

## حِكمَة

قال عبدُ الله بن الحسن لابنه محمَّد؛ حين أرادَ الاستِخفاء:

«أي بُنيَّ؛ إنِّي مؤدٍّ إليكَ حقَّ الله في حُسنِ تأدِيبِك، فأدِّ إليَّ حقَّ الله في حُسنِ الاستِماع، أي بُنيَّ؛ كُفَّ الأذى عنِ الناس».

## حَلُّ المشكِلات

هل تنحلُّ المشكِلاتُ بتقادُم العهدِ والإعراضِ عن علاجها، والهربِ من مُجابهتها؟ أم أنَّ الحَزمَ والصَّراحةَ والشَّجاعةَ ومُقابلةَ المشكلة بجُرأة، والسَّعيَ

الحثيثَ لعلاجها هي الطريقةُ المُثلَى؟

ربَّما كان هناك مَن يُفضِّل الحلَّ الأوَّل، وقد يكون هناك مَن يرى الحلَّ الأخير.

وبشيءٍ من النظر يتبيَّن أنَّ الطريقةَ الثانيةَ هي الصائبة، وهي الجديرةُ بالإنسانِ الواعي الحازم؛ إذ إنَّ تركَ المشكلاتِ معلَّقة، والابتعادَ عن علاجِها يُسبِّبان تراكُمَ المشكلات، وتكاثُرَها وتعقُّدَها، وما كان سهلَ الحلِّ في بادئ الأمر، قد يُصبحُ مُستعصِيًا يصعُبُ حلُّه، ويُتعِبُ علاجُه.

وإذا نظرنا إلى واقع العالَم الإسلامي، وجدنا أنَّ المشكلاتِ تتراكم، وظاهرةَ الهَرَبِ جليَّةٌ في كثيرٍ من الحالات؛ ممَّا يَزيد الطِّينَ بِلَّة، وبدلًا من مواجهةِ مشكلةٍ واحدةٍ تُضحِي مشكلاتٍ عويصةً مرهقة، ولأضرب مثلًا بمشكلة فلسطين، ومشكلة الخليج؛ فهُما يَزدادان تعقيدًا واضطرابًا، وفوضى فكريَّة، وتشعُّبَ أهواء، وكان من الضروريِّ أن يُعالـجَا بحزمٍ وجُرأة، ودَفعٍ للأخطار، وردٍّ للعُدوان، فعسى أن يغيِّر قادةُ المسلمين وذَوو الرأي فيه مِن أُسلوبهم، وأن يعتبروا بما سَلَف.

## السَّيفُ أصدقُ إنباءً

من قصيدة أبي تمَّام في فتح عَمُّورِيَّة نختارُ هذه الأبيات؛ لعلَّ فيها مُذكِّرًا:

السَّيفُ أَصدَقُ إنباءً مِنَ الكُتُبِ ... في حَدِّهِ الحَدُّ بَينَ الجِدِّ واللَّعِبِ
بِيضُ الصَّفائِحِ لا سُودُ الصَّحائِفِ في ... مُتُونِهِنَّ جَلاءُ الشَّكِّ والرِّيَبِ
والعِلمُ في شُهُبِ الأَرْماحِ لامِعَةً ... بَينَ الخَمِيسَينِ لا في السَّبعَةِ الشُّهُبِ
أَينَ الرِّوايَةُ بَل أَينَ النُّجومُ وَمَا ... صاغُوهُ مِن زُخرُفٍ فيها ومِن كَذِبِ

تَـخَـرُّصًـا وأَحـادِيـثًـا مُـلَـفَّـقَـةً ... لَـيـسَـت بِـنَـبْـعٍ إذا عُـدَّتْ ولا غَـرَبِ
لَـو بَـيَّـنَـت قَـطُّ أَمْـرًا قـبـلَ مَـوقِـعِـهِ ... لم تُخْفِ ما حَلَّ بالأَوثانِ والصُّلُبِ
أَبـقَـيـتَ جَـدَّ بَـنـي الإسلامِ في صَـعَـدٍ ... والمُشرِكِينَ ودارَ الشِّركِ في صَبَبِ
أَتَـتـهُـمُ الـكُـرْبَـةُ الـسَّـوداءُ سـادِرَةً ... مِنها وكـانَ اسْمُها فَرَّاجَةَ الكُرَبِ
لَـقَـد تَّـرَكـتَ أَمِـيـرَ الـمُـؤمـنـيـنَ بِـهَـا ... لِلنَّارِ يَومًا ذَلِيلَ الصَّخرِ والخَشَبِ
لو يَعلَمُ الكُفرُ كَم مِن أَعْصُرٍ كَمَنَتْ ... لَهُ المَنِيَّةُ بَينَ السُّمْرِ والقُضُبِ
تِسعُونَ أَلفًا كَآسادِ الشَّرَى نَضِجَتْ ... جُلُودُهُمْ قَبلَ نُضْجِ التِّينِ والعِنَبِ

## غسلُ العار

قال سعدُ بن ناشِبٍ المازِنِي:

سَأَغسِلُ عَنِّي العارَ بِالسَّيفِ جالِبًا ... عَـلَـيَّ قَـضـاءُ اللهِ مـا كـانَ جـالِـبَـا
وأَذْهَـلُ عَـنْ دارِي وأَجـعَـلُ هَـدْمَـهَـا ... لعِرْضِيَ مِن باقِي المَذَمَّةِ حاجِبَا
ويَصغُرُ في عَينِي تِلادِي إذا انثَنَتْ ... يَمِينِي بِإِدْراكِ الذِي كُنتُ طالِبَا
فَـيَـا لَـرِزامٍ رَشِّـحُـوا بِـي مُـقَـدَّمًـا ... إلى المَوتِ خَوَّاضًا إلَيهِ الكَتائِبَا
إذا هَـمَّ لَـمْ يَـرْدَعْ كَـرِيـمَـةَ هَـمِّـهِ ... ولَم يَأتِ ما يَأتِي مِنَ الأَمْرِ هائِبَا
أَخـا غَـمَـراتٍ لا يُـرِيـدُ عَـلَـى الـذِي ... يَهُمُّ بِهِ مِن مُفْظِعِ الأَمْرِ صاحِبَا
إذا هَـمَّ أَلْـقَـى بَـيـنَ عَـيـنَـيـهِ عَـزْمَـهُ ... ونَكَّبَ عَن ذِكْرِ العَواقِبِ جانِبَا
ولَـم يَـسـتَـشِـرْ في رَأيِهِ غَـيـرَ نَـفْـسِـهِ ... ولم يَرْضَ إلَّا قائِمَ السَّيفِ صاحِبَا
عَـلَـيـكُـمْ بِـدارِي فَـاهـدِمُـوهَـا فَـإِنَّـهَـا ... تُـراثُ كَـرِيـمٍ لا يَـخـافُ الـعَـواقِـبَـا

## الإباء

كان العربُ في جاهليَّتهم ذَوي أَنَفَةٍ وإباء، ونُفورٍ من الضَّيم والإذلال، ثمَّ جاء الإسلامُ فازدادوا عزَّةً وكرامة، وكراهةً للخَسْف، وبُغضًا للمهانة، فما

لهم اليومَ وقد تكالَبَت عليهم الدُّول، وتداعَت عليهم الأُمَم كما تداعى الأَكَلَةُ على قَصْعَتها؟!

إنَّ السِّرَّ يكمُن في الجهلِ بالدِّين والإعراضِ عنه، وهذا هو سببُ النَّكَبات التي توالَت على المسلمين في العصور الأخيرة، وهو السببُ فيما أصابهم من ضَعفٍ أو هزيمةٍ في تاريخهم.

وكلَّما تمسَّكوا بالدِّين ازدادوا عزمًا ومَضاء، واشتدَّت سواعدُهم وقوَّتُهم، وما على المرء إلَّا أن يُعيدَ قراءةَ التاريخ؛ ليجدَ هذه الحقيقةَ ناصعةً لا امتِراءَ فيها.

بعدَ انتهاء معركة أُحُدٍ نَادَى أبو سُفيان مُتباهيًا من فوق جبلٍ بأعلى صوته: أنْعَمَتْ عَينُها، وإنَّ الحربَ سِجال، يومٌ بيوم، اُعْلُ هُبَل!

فقال رسول الله ﷺ: «قُم يا عُمر، فأجِبه؛ فقُل: الله أعلى وأَجَل، لا سواء؛ قتلانا في الجَنَّة وقتلاكُم في النَّار».

ثم قال أبو سُفيان: هلُمَّ إليَّ يا عمر!

فقال رسولُ الله ﷺ لعمر: ائْتِه، فانظُر ما شأنُه!

فجاءَه، فقال له أبو سُفيان: أنشُدُكَ اللهَ يا عمر، أقتَلْنا محمَّدًا؟

قال عمر: اللهمَّ لا؛ وإنَّه ليسمعُ كلامَك الآن.

قال: أنت أصدقُ عندي من ابن قَمِئَةَ وأَبَرُّ.

وكان ابنُ قَمِئَةَ قد قال لهم: إنِّي قد قتلتُ محمَّدًا.

ثم بعث رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ فقال: «اخرُجْ في آثار القوم، فانظُرْ ماذا يصنعون، وماذا يُريدون؟ فإن كانوا قد جنَّبوا الخيل، وامتَطَوا

الإبل، فإنَّهم يُريدون مَكَّة، وإن ركبوا الخيل، وساقوا الإبل، فإنَّهم يُريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئِن أرادوها لأسيرَنَّ إليهم فيها، ثم لأُناجِزَنَّهم»، قال عليٌّ رضي الله عنه: فخرجتُ في آثارهم أنظُر ماذا يَصنعون، فجنَّبوا الخيلَ، وامتَطَوا الإبل، ووجَّهوا إلى مكَّة.

تلك أساليبُ مِن أساليب القتال، والاستعدادِ والتأهُّب، والحذرِ والتيقُّظِ لمرامي الأعداء، وما يُخطِّطون له، وما أحسنَ أن يأخُذَ المسلمون دروسًا من جهاد نبيِّهم - عليه أفضلُ الصلوات والتسليم - ومِن جهادِ أسلافهم الغُرِّ الميامين!

## القرآن العظيم

القرآن هو كتابُ الله العظيم، وحبلُه المتين، وصراطُه المستقيم، فيه الهُدى والشِّفاء، وفي اتِّباعه العِزُّ والسعادة، وفي الإعراض عنه الخَسارُ والبَوار، وضَنْكُ العَيْش، وسُوءُ المنقلَب.

قدِ اشتملَ على كلِّ ما يُحقِّق الطُّمأنينة والعزَّ، والفوزَ في الدارَين؛ فيه التوحيدُ والأمثال، والمواعظُ والحِكَم، والتشريعات وكلُّ ما يزدادُ به المؤمنُ إيمانًا، ويقوَى به المسلِمُ يقينًا.

قال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: «اقرؤوا القُرآنَ تُعرفَوا به، واعمَلوا به تكونوا من أهلِه، ولن يبلُغَ حقُّ ذي حقٍّ أن يُطاعَ في معصيةِ الله، ولن يُقرِّب من أَجَل، ولن يُباعِدَ مِن رزقٍ - أن يقومَ رجلٌ بحقٍّ، أو يُذكِّر بعظيم».

وقال عثمان بن عفَّان رضي الله عنه: «إنِّي لأكرهُ أن يأتيَ عليَّ يومٌ لا أنظرُ فيه إلى عَهدِ الله»؛ يعني: المُصحف.

وقَدِمَ وفدُ أهل اليمن على أبي بكر ﵁ فقرأ عليهم القرآن، فبَكَوا، فقال أبو بكر: هكذا كُنَّا حتَّى قَسَتِ القُلوب.

قال عبد الله بن مسعود ﵁: «أصدقُ الحديثِ كتابُ الله، وأوثقُ العُرَى كلمةُ التقوى، وخيرُ المِلَلِ مِلَّةُ إبراهيم ﵇، وأحسن السُّنَنِ سُنَّةُ محمَّد ﷺ، وخيرُ الأُمورِ أوساطُها، وشرُّ الأُمورِ مُحدَثاتُها، وخيرُ الأُمورِ عزائمُها، ما قلَّ وكفى خيرٌ ممَّا كَثُرَ وألهى، خيرُ الغِنى غِنَى النَّفْس، أشرفُ الموتِ الشَّهادة».

وحَكَى أبو محمَّدٍ التميميُّ أنَّ أبا الحسن السمَّاكَ الواعظَ دخلَ عليهم يومًا وهم يتكلَّمون في ﴿أَبَابِيلَ﴾، فقال: في أيِّ شيء أنتُم؟ فقالوا: نحن في أَلِفِ ﴿أَبَابِيلَ﴾؛ هل هو أَلِفُ وَصْل، أو أَلِفُ قَطْع؟ قال: لا ألفُ وصلٍ ولا ألفُ قَطع، وإنَّما هو ألفُ سَخَط؛ ألَا ترون أنَّه بَلْبَلَ عليهم عيشَهم؟! فضَحِكَ القومُ من ذلك.

قال ثابت بن سعيد: ثلاثُ أعيُنٍ لا تمسُّها النَّار: عينٌ حَرَست في سبيلِ الله، وعينٌ سَهِرَت في كتاب الله، وعينٌ بَكَت في سَوادِ اللَّيلِ من خشيةِ الله.

قال رجل: ما يَمنعُني من تعلُّم القرآن إلَّا أنِّي أخافُ أن أُضيِّعَه، فقال له أبو هريرةَ النَّحْوي: أمَّا أنت فقد عجَّلتَ له التَّضييع، ولعلَّك إذا تعلَّمتَه لم تُضيِّعه.

خَطَب عتَّابُ بن وَرْقاءَ يومًا، فقال: هذا كما قال الله تبارك وتعالى: (إنَّما يتفاضَلُ الناسُ بأعمالهم، وكلُّ ما هو آتٍ قريب)، قالوا له: إنَّ هذا ليس في كتابِ الله! قال: ما ظننتُ إلَّا أنَّه في كتاب الله.



## نُكتة

وَلَّى يزيدُ بن المهلَّب أعرابيًّا على بعض نواحي خُراسان، فلمَّا كان يومُ الجمعةِ صَعِدَ المنبر، وقال: الحمدُ لله، ثم أُرتِجَ عليه؛ فقال: أيُّها الناسُ إيَّاكم والدُّنيا؛ فإنَّكم لم تجدوها إلَّا كما قال الله تعالى:

وما الدُّنيا بباقِيَةٍ لِحَيٍّ     وما حَيٌّ عَلى الدُّنيا بِباقِي

فقال كاتبُه: أصلحَ الله الأمير! هذا شِعر!

قال: فالدُّنيا باقيةٌ على أحد؟

قال: لا.

قال: فيبقى عليها أحد؟

قال: لا.

قال: فما كُلفتُكَ إذًا؟!

وخطب بعضُ الجُهلاء، فقال:

أقول كما قال العبدُ الصالح: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]!!

فقيل له: ليس هذا قولَ الرجل الصالح، ولكنَّه من قولِ فرعون.

فقال: ومَن قالَ فقد أحسن!

كان سابقُ الأعمى يقرأ قولَه تعالى: ﴿ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] بفتح الواو، فكان جابان إذا لَقِيه يقول: يا سابق، ما فعلَ الحَرْفُ الذي تُشرِك بالله فيه؟!

حكى أبو منصور الثعالبي: أنَّ رجلًا سألَ سِيفُويَه عن (الغِسْلِين) في كتاب الله تعالى، فقال على الخبيرِ سقطتَ؛ سألتُ عنه شيخًا فقيهًا من أهل الحجاز، فما كان عندَه قليلٌ ولا كثير.

قال رجل لولده وهو في المكتب: في أيِّ سُورةٍ أنت؟ قال: (لا أقسِم بهذا البلد، ووالد بلا ولد)، فقال: لعمري مَن كنتَ أنتَ ولدَه، فهو بلا ولد!

كان عبد الأعلى بن عمر قاضيًا، فقضى يومًا، فلمَّا كاد مجلسُه ينقضي قال: إنَّ ناسًا يزعمون أنِّي لا أقرأ مِن القرآن شيئًا، وإنِّي لأقرأ منه الكثيرَ بحمدِ الله، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فأُرْتِجَ عليه، فقال: مَن أحبَّ أن يشهدَ خاتمةَ السُّورة، فليحضُرنا إلى مجلس فُلان.

## فائدةٌ

سُئل أبو بكر الطُّرْطُوشيُّ عن قومٍ يجتمعون في مكانٍ فيقرؤون من القرآن، ثم يُنشَد لهم الشِّعر، فيرقُصون ويطَّرَبون، ثم يُضرب لهم بعدَ ذلك بالدُّفِّ والشبابة؛ هل الحضورُ معهم حلالٌ أم حرام؟ فقال: مَذهَبُ الصُّوفيَّة أنَّ هذه بَطالةٌ وجَهالةٌ وضَلالة.

وما الإسلام إلَّا كتابُ الله وسُنَّةُ رسوله ﷺ؟! وأمَّا الرَّقص والتواجُد، فأوَّل مَن أحدَثه أصحابُ السامريِّ، لمَّا اتَّخذوا العِجْل، فهذه الحالةُ هي حالةُ عُبَّاد العِجل، وإنَّما كان النبيُّ ﷺ مع أصحابه في جُلوسِهم كأنَّ على رؤوسهم الطَّير، مع الوَقار والسَّكينة؛ فينبغي لوُلاةِ الأُمور، وفُقهاءِ الإسلام أن يمنعوهم من الحُضور في المساجِد وغيرها، ولا يَحِلُّ لأحدٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضُرَ معهم، ولا يُعينُهم على باطلهم؛ هذا مذهبُ الشافعي، وأبي حنيفة، ومالك وأحمد بن حنبل، رحمهم الله تعالى.

## الحديث الشريف

كان لعِلم الحديثِ النبويِّ على مختلِف العُصور منذُ عهد النبوَّة إلى أوقاتٍ ليست بعيدةً اعتناءٌ ومكانةٌ مرموقةٌ بين عُلماء المسلمين، فاجتهَدُوا في روايته وحِفظه، وسَنَدِه ومَتْنِه، ورجالِه وصحيحِه، وميَّزوا قوِّيَه من ضعيفِه، ومُسندَه من مُنقطِعِه، وجيِّدَه من موضوعِه، ومُستقيمَه من معلولِه، وألَّفُوا المسانيدَ والصِّحاح، وكُتبَ الغريبِ والتراجم والطَّبقات، ومُصطلَحَ الحديث إلى غير ذلك مِن خدمةٍ جُلَّى للأحاديث النبويَّة الشريفة.

ولكنَّ كثيرِين من طلَّاب العِلم في هذه السِّنين لم يُولُوا عِلمَ الحديث عنايةً كافية، وقلَّ العارفون المميِّزون للصحيحِ والضعيف، ومعرفةِ درجاتِ الحديثِ ومُتونِها، وصار الغيورون من المسلمين يخشَون إنِ استمرَّتْ هذه الحالُ ألَّا يطولَ الوقتُ حتى يجهلَ الناس هذا العِلم، ويُصبح بينهم غريبًا، وحَرِيٌّ بالعُلماءِ أن يُنبِّهوا، ويُدرِّسوا ويحثُّوا، حتى يحظى هذا العلمُ العظيمُ بنصيبه مِن الجِدِّ في التحصيل، والحِرصِ على إتقانِه.

إنَّ الرسول ﷺ قد أُوتِيَ جوامعَ الكلم؛ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣ - ٤].

وكلُّ أحاديثِه ﷺ صادِقَة، تُوافِقُ العقلَ السليم، ليس فيها حديثٌ صحيحٌ يُنافي الفِطرة، أو يُجافي الذَّوق، أو ينبُو عن السَّمع، وكلُّ حديثٍ ثَبَتَ عنه ﷺ فصحَّ إسنادُه، وسَلِمَ رواتُه من الطَّعنِ في العدالةِ والحِفظ، وزالَت موانعُه - فهو ممَّا يجبُ على الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ أن تتلقَّاهُ بالقَبول، ولا فرقَ في ذلك بين أخبارِ الآحادِ والأخبارِ المُتواترة، ومَن زعمَ أنَّ الآحادَ لا يلزمُ العملُ بها، أو أنَّها تُقبل في الأحكام، ولا تُقبل في الاعتقادات - فقد قال ما لَم

يعلَم، وكذَّب بالكثرةِ الكاثرةِ من أحاديث الرسول ﷺ التي تلقَّتها الأُمَّة بالقَبول، ورحَّب بها سَلَفُ الأُمَّةِ وخيارُها، ولم يردُّوها ببدعةٍ تحذلَقَ فيها مُبتدِع، فردَّ مِن الأحاديث ما لا يُعجِبُه، وكذَّب بما لم يُحِطْ به علمًا.

ومن ادَّعى أنَّ عقلَه هو المقياسُ في قَبول الحديث أو ردِّه، وقلبُه مريضٌ بالشُّبهات والشَّهوات - فقد أدَّى بنفسِه دعوى عريضةً ينقُصها البُرهان، وتُعوِزُها الحُجَّة، ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

عن كَثيرِ بن قَيسٍ قال: جاء رجلٌ من أهل المدينة إلى أبي الدَّرداءِ بدمشق، يسألُه عن حديثٍ بَلَغَه، يحدِّث به أبو الدَّرداءِ عن رسول الله ﷺ، فقال له أبو الدَّرداء: ما جاءَت بكَ تِجارة؟ قال: لا.

قال: ولا جِئتَ طالِبَ حاجَة؟

قال: لا.

قال: وما جِئتَ تطلُبُ إلَّا هذا الحديث؟

قال: نعم.

قال: فأبشِر إن كنتَ صادقًا؛ فإنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما من رجلٍ يخرجُ مِن بيتِه يطلُبُ علمًا إلَّا وضعَت لهُ الملائكةُ أجنحتَها رِضاءً بما يطلُب، وإلَّا سلكَ الله به طريقًا إلى الجنَّة، وإنَّ العالِمَ ليستغفِرُ له مَن في السَّماواتِ والأرض، حتى الحِيتانُ في البحر، ولفَضلُ العالِم على العابدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكب، إنَّ العُلماءَ هُم ورثةُ الأنبياء، إنَّ الأنبياء لم يُورِّثوا دِينارًا ولا دِرهمًا، وإنَّما ورَّثوا العلم»، وفي رواية: «فمَن أخذَه أخذَ بحظٍّ وافِر».

قال خميسُ بن عليٍّ الواسطيُّ الحَوْزِي:

تَرَكتُ مَقالاتِ الكَلامِ جَمِيعَهَا لِمُبتَدِعٍ يَدعُو بِهِنَّ إلى الرَّدَى
ولازَمْتُ أصحابَ الحَدِيثِ لأنَّهُمْ دُعاةٌ إلى سُبْلِ المَكارِمِ والهُدَى
وهَل تَرَكَ الإنسانُ في الدِّينِ غايَةً إذا قالَ: قَلَّدتُّ النَّبِيَّ محمَّدَا؟!

## نُكتة

كان سِيفُويَه القاصُّ يُضرب به المثلُ في التَّغفيل.

قيلَ له مرَّة: قد أدركتَ الناس فلِمَ لم تُحدِّث؟

قال: اكتُبوا: حدثَّنا شَرِيكٌ، عن مُغِيرَة، عن إبراهيم، عن عبد الله مثلَه سَواء!

قالوا له: مثلَ أَيْش؟

قال: كذا سَمِعْنا، وكذا نُحدِّث!

وقيل له: إنِ اشتهى أهلُ الجنَّة عَصِيدَةً كيف يعملون؟

قال: يبعثُ الله لهم أنهارَ دِبْسٍ ودقيقٍ وأَرُزٍّ، ويُقال: اعملوا وكلُوا، واعذِرونا.

## الأُلفَة

دَعَا الإسلامُ المسلمين إلى الأُلفَة والمحبَّة والصَّفاء، ونهاهُم عن التحاسُد والبغضاء، والتشاحُن والهُجران، وأمَرَهم بردِّ التحيَّة، وإفشاء السلام، وعيادةِ المريض، وتَشمِيتِ العاطس، وإعانةِ الضعيف، ومُساعدةِ العاجز، ومُناصرةِ المظلوم، وصِلَةِ الأرحام، وإكرامِ الجار، وقِرَى الضَّيف، وإزالةِ الأذَى عنِ الطريق، والمُخاطبةِ اللَّطيفةِ والليِّنةِ الطيِّبة.

وكلُّ ذلك يُقوِّي أواصرَ المجتمع، ويجعلُه مجتمعًا مُتماسكًا، صُلبًا أمامَ التيَّاراتِ والعواصفِ والزعازع، ويُحيله إلى مجتمعٍ مثالي، طالما تمنَّاه الفلاسفةُ وعُشَّاقُ الفضيلة، والمُنادون بمجتمعٍ فاضلٍ راقٍ تُرفرف عليه السعادةُ والهناء، ويعمُّه الأمنُ والرخاء.



# القسم الثاني

## العُلومُ والمعارِف



## اللُّغة العربيَّة

تعلُّم اللُّغة العربيَّة منَ الدِّين؛ لأنَّ في تعلُّمها سلامةً من تحريفِ التِّلاوة لكتاب الله العظيم، وفي معرفتها إدراكٌ لمعاني الكَلِم العربيِّ، ومُجيدُها حين ينطِقُ يُصغِي إليه السامعون، ويُعجبُ به العارفون، ومَن جَهِلَها تعثَّر في كلامه، واشمئزَّ المثقَّفون من لَحْنِه وأخطائِه، ولامُوه على نَصْب نفسِه لمكانةٍ ليس من أهلها، ولارتقاء مِنبَرٍ لم يكن من فُرسانه، ومِن تَطَفُّله على الكتابة وهو عييٌّ فيها، جاهلٌ بأُصولها وقواعدها.

## ضَجَرٌ من (أن)

كتب أبو غَسَّان رَفيعُ بن سَلَمَةَ تلميذُ أبي عُبيدة المعروف بـ(دَمَاذ) إلى أبي عثمان النَّحْوي:

تَفَكَّرتُ في النَّحوِ حتَّى مَلِلتُ ... وَأَتعَبتُ نَفسي لَهُ والبَدَنْ
وأَتعَبتُ بَكْرًا وأَصحابَهُ ... بِطُولِ المَسائلِ في كُلِّ فَنْ
فَمِنْ عِلْمِهِ ظاهِرٌ بَيِّنٌ ... ومِنْ عِلْمِهِ غامِضٌ قَد بَطَنْ
فكُنتُ بِظاهِرِهِ عالِمًا ... وكُنتُ بِباطِنِهِ ذا فَطَنْ
خَلا أنَّ بابًا عَلَيهِ العَفا ... ءُ لِلْ(فَاءِ) يا لَيتَهُ لم يَكُنْ
ولِلْ(واوِ) بابٌ إلى جَنْبِهِ ... مِنَ المَقْتِ أَحْسَبُهُ قد لُعِنْ
إذا قُلتُ: هاتُوا لِماذا يُقا ... لُ: لَستُ بِآتِيكَ أَوْ تَأتِيَنْ
أَجِيبُوا: لِما قِيلَ هَذا كَذَا ... عَلَى النَّصْبِ، قالُوا: لإِضْمارِ (أَنْ)
وما إن رَأَيتُ لها مَوضِعًا ... فأَعْرِفَ ما قِيلَ إلَّا بِظَنْ
فَقَد خِفتُ يا بَكْرُ مِنْ طُولِ ما ... أُفَكِّرُ في أَمْرِ (أَنْ) أَنْ أُجَنْ

## قصَّةُ النحو

روى عاصمٌ، قال: جاء أبو الأسود الدُّؤَليُّ إلى زِياد بن أبيه، وكان يُعلِّم أولادَه، وقال: إنِّي أرى العربَ قد خالَطَت هذه الأعاجم، وفسدَتْ ألسنتُها، فأذَنْ لي أن أضعَ للعربِ ما يعرفون به كلامَهم.

فقال زياد: لا تفعل.

قال: فجاء رجلٌ إلى زياد، فقال: أصلح الله الأمير، تُوفي أبانا وتركَ بنون!

فقال زياد: توفي أبانا وتركَ بنون! ادعوا لي أبا الأسود، فلمَّا جاءه قال له: ضَعْ للناس ما كنتُ نهيتُكَ عنه، ففعل.

وقيل: إنَّ الذي أمرَه بذلك عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

• حضرَ مجلسَ الكِسائيِّ أعرابيٌّ وهم يتحاوَرون في النحو، فأعجبَه ذلك، ثم تناظَروا في التصريف، فلم يهتدِ إلى ما يقولون ففارقَهم، وأنشأ يقول:

ما زالَ أَخْذُهُمُ في النَّحوِ يُعجِبُنِي حتَّى تَعاطَوا كَلامَ الزَّنْجِ والرُّومِ
بِمَفْعِلٍ فَعِلٍ لا طابَ مِنْ كَلِمٍ كَأَنَّهُ زَجَلُ الغِرْبانِ والبُومِ

## لغةُ الدِّين

اللُّغة العربيَّة - لغة القرآن والدِّين - لم تزَل في ازدهارٍ وانتشار، مع ما أُريدَ لها من تَحَطُّم وتلاشٍ مِن قِبَل أعداء الإسلام، وهي لُغةٌ واسعة، فيها جمالُ التركيب، وطلاوةُ الأُسلوب، ونَصاعةُ البيان، ودقائقُ المعاني، وهي

اللُّغة الشاعرةُ التي يزدادُ بها المرءُ شَغَفًا كلَّما تعمَّق فيها ودرسَ خصائصها، ارتضتها شعوبٌ كثيرة، وفضَّلتها على لُغاتها الأصليَّة، ورأت ذلك مجدًا لها وشَرَفًا، وحُقَّ لها ذلك.

## ألقابُ الملوك

ذكر السُّيوطيُّ في كتابه "الكنز المدفون، والفُلكُ المشحون" نقلًا عن صاحب "البستان الجامع لتاريخ الزمان": «إنَّ ملوكَ التُّرْك يُقال لهم: الخاقانيَّة، وملوكَ الدَّيْلَم يُقال لهم: الكاسيانية، وملوك الفُرْس يُقال لهم: الأكاسِرة، وملوك الرُّوم يُقال لهم: القَياصِرَة، وملوك الأنباط يُقال: لهم النَّمارِدَة، وملوك العَرَبِ يُقال لهم: التَّبابِعَة، وملوك القِبْطِ يُقال لهم: الفَراعِنَة، وملوك الصِّين يُقال لهم: البغايرة[١]، قيل: ومَن مَلَكَ الحبشةَ يُقال له: النَّجاشِي، وكلُّ مَن مَلَكَ اليَمَنَ يُقال له: مَأرِب».

## فُروق

الفَرقُ بين الجُود والسَّماحة والسَّخاء: أنَّ (الجُود) الإنفاقُ بِطِيبِ النفسِ فيما يَعظُم خطرُه ونفعُه، وهو ضدُّ (النَّذالة)، و(السَّماحة) التَّجافي عمَّا يستحقُّه المرءُ عندَ غيره بِطِيبِ نفس، وهو ضدُّ (الشَّكاسة)، و(السَّخاء) سهولةُ الإنفاق، وتجنُّب اكتساب ما لا يُحمَد، وهو ضدُّ (التَّقصير).

قال الثعالبي في "فقه اللُّغة":

«فصلٌ في جَمعِ الفِعل عندَ تقدُّمه على الاسم:

(١) في "لسان العرب" (بغبر): «البُغبُور: مَلِكُ الصِّين». (الألوكة)

ربَّما تفعل العربُ ذلك؛ لأنَّه الأصل، فتقول: جاؤوني بنو فُلان، وأكلوني البراغيث، وقال الشاعر:

رَأَينَ الغَوانِي الشَّيبَ لاحَ بِعارِضِي ... فَأَعْرَضْنَ عنِّي بِالخُدُودِ النَّواضِرِ

وقال آخر:

نَتَجَ الرَّبِيعُ مَحاسِنًا ... أَلْقَحْنَهَا غُرُّ السَّحابِ

وفي القرآن: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنبياء: ٣]، وقال جلَّ ذِكرُه: ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ٧١]».

## أسماء السُّيوف المشهورة

قال السُّيوطي: أسماء السُّيوف المشهورة في الجاهليَّة والإسلام، المعدودةِ التي كان أربابُها يَفخَرون بها، ويعتمدون عليها في الحروب:

أمَّا سُيوفه ﷺ فهي: المِخْذَم، رَسُوب، قَلَعِي، الحَتْف، البتَّار، ذو الفَقَار، القَضِيب، المأثُور، العَضْب.

وأمَّا ما عداها: فالعطشان، وَلْوَل، الهُذْلُول، الأخيرب، النَّزِيف، الغُمْر، السَّحَاب، اللَّحِج، الملأ، المِرْسَب، الأدلف، القُرْطُبي، ذو القُرْط، ذو الراحة، اليابس، ذو الحَيَّات، المغلوب، ذو النُّون، الصِّمْصامَة، المَحَزُّ، المُرْهَف، الأَفَلُّ، الجَوُّ، القَرِين، المُقَوَّم، السِّنان، الكَلْب، البحر، اللَّيل، الخطير، القرن، القُلْزُم، التِّمْثال، القبل، القِرْضَاب، الحجاب، المِلْوَاح، ذو الخِرْصَين، المَسْنُون، الباتل، الحَتُّ، الهَجُوم، الأزرق، اللِّياح، العرافر، ذو الوِشاح، الغَرِيف، الباتر، الصقل، ذُعْلُوق، ذو الكهف.

قال السُّيوطي: فهذه السُّيوف المشكورة التي كانت تُخيَّر على الأنفس في

زمانها، ولو شِئنا لعَزَوناها لأربابها؛ ولكن خَشِينا أن يسأمَه المُطالِع.

## فائدة في العامِّ والخاصِّ

قال الثعالبي: (البُغْض) عامٌّ، و(الفِرْك) فيما بين الزوجَين خاصٌّ، (التَّشَهِّي) عامٌّ، و(الوَحَم) للحُبلى خاصٌّ، (النظر) إلى الأشياء عامٌّ، و(الشَّيْم) للبَرق خاصٌّ، (الاجْتِلاءُ) عام، و(الجِلاء) للعروس خاصٌّ، (الغَسْل) للأشياء عامٌّ، و(القِصَارَة) للثَّوْب خاصٌّ، (الغَسْل) للبَدَنِ عامٌّ، و(الوضوء) للوجه واليدين خاصٌّ، (الحَبْلُ) عامٌّ، و(الكَرُّ) للحَبْل الذي يُصعَد به إلى النَّخلِ خاصٌّ، و(الصُّراخ) عامٌّ، و(الوَاعِيَة) على الميِّت خاصٌّ، (العَجُز) عامٌّ، و(العَجِيزَة) للمرأة خاصٌّ، (الذَّنَب) عامٌّ، و(الذُّنَابَى) للفَرَسِ خاصٌّ، (التحريك) عامٌّ، و(الإنغاض) للرأس خاصٌّ، (الحديث) عامٌّ، و(السَّمَرُ) باللَّيْل خاصٌّ، و(السَّير) عامٌّ، و(الإدلاج) و(السُّرى) بالليل خاصٌّ، (النَّوم) في الأوقات عامٌّ، و(القَيْلُولَة) نصف النَّهار خاصٌّ، (الطَّلَب) عامٌّ، و(التَّوَخِّي) في الخير خاصٌّ، (الهَرَب) عامٌّ، و(الإباق) للعَبيد خاصٌّ، (الحَزْر) للغَلَّات عامٌّ، و(الخَرْص) للنَّخل خاصٌّ، (الخِدمة) عامَّة، و(السِّدانة) للكعبة خاصٌّ، (الرائحة) عامَّة، و(القُتَار) للشِّواء خاصٌّ، (الوَكْر) للطَّير عامٌّ، و(الأُدْحِيُّ) للنَّعام خاصٌّ، (العَدْو) للحيوان عامٌّ، و(العَسَلان) للذِّئْب خاصٌّ، (الظَّلْع) لِمَا سوى البشر عامٌّ، و(الخَمْع) للضَّبُع خاصٌّ.

قال أبو عُبيدة: لا يُقال (كأس) إلَّا إذا كان فيها شراب، وإلَّا فهي (زُجاجة)، ولا (مائدة) إلَّا إذا كان عليها طعام، وإلَّا فهي (خِوَان)، ولا (قَلَم) إلَّا إذا بُرِي، وإلَّا فهي قصبة.

# مميِّزات اللُّغة العربيَّة

قال الثعالبيُّ في "فقه اللُّغة":

لا يُقال (نَفَق) إلَّا إذا كان له مَنفَذ، وإلَّا فهو (سِرْب)، ولا يُقال (عِهْن) إلَّا إذا كان مصبوغًا، وإلَّا فهو (صُوف)، ولا يُقال (لحمٌ قَدِيد) إلَّا إذا كان مُعالجًا بتوابل، وإلَّا فهو (طَبِيخ)، ولا يُقال (خِدْر) إلَّا إذا كان مُشتَمِلًا على جاريةٍ مُخدَّرة، وإلَّا فهو (سِتْر)، ولا يُقال (مِغْوَل) إلَّا إذا كان في جَوفِ سَوط، وإلَّا فهو (مِشْمَل)، ولا يُقال (رَكِيَّة) إلَّا إذا كان فيها ماء قَلَّ أو كَثُر، وإلَّا فهي (بئر)، ولا يُقال (مِحْجَن) إلَّا إذا كان في طَرَفِه عُقَّافَة، وإلَّا فهو (عصا)، ولا يُقال (وَقُود) إلَّا إذا اتَّقدت فيه النار، وإلَّا فهو (حَطَب)، ولا يُقال (سَيَاع) إلَّا إذا كان فيه تِبْن، وإلَّا فهو طين، ولا يُقال (عَوِيل) إلَّا إذا كان معه رَفعُ صوت، وإلَّا فهو (بُكاء)، ولا يُقال (مُورٌ) للغُبار إلَّا إذا كان بالرِّيح، وإلَّا فهو (رَهْج)، ولا يُقال (ثَرَى) إلَّا إذا كان نَدِيًّا، وإلَّا فهو (تُراب)، ولا يُقال (مَأزِق) و(مَأقِط) إلَّا في الحرب، وإلَّا فهو (مَضِيق).

ولا يُقال (مُغَلْغَلَة) إلَّا إذا كانت محمولةً من بلد إلى بلد، وإلَّا فهي (رسالة)، ولا يُقال (قَرَاح) إلَّا إذا كانت مهيَّأةً للزِّراعة وإلَّا فهي (بَرَاح)، ولا يُقال للعبد (آبِق) إلَّا إذا كان ذَهابُه من غير خوفٍ ولا كَدِّ عمل، وإلَّا فهو (هارب)، ولا يُقال لماء الفَم (رُضَاب) إلَّا ما دام في الفَم، فإذا فارقَه فهو (بُزَاق)، ولا يُقال للشُّجاع (كَمِيٌّ) إلَّا إذا كان شاكي السِّلاح، وإلَّا فهو (بَطَل).

## يهجو النَّحْويِّين

كان أحدُ الأُدباء قد قال أبياتًا استعملَ فيها كلمة (مَزْعُوج) فقِيلَ له: لا يُقال (مَزْعُوج)، إنَّما يُقال (مُزْعَج)؛ فقال يهجو النَّحْويِّين:

ماذا لَقِينا مِنَ المُستَعرِبِينَ ومِنْ ... قِياسِ نَحْوِهِمُ هذا الذي ابتَدَعُوا
إن قُلتُ قافيةً بِكرًا يَكُونُ بِها ... بَيتٌ خِلافَ الذي قاسُوهُ أَوْ ذَرَعُوا
قالُوا: لَحَنْتَ، وهذا ليسَ مُنتَصِبًا ... وذاكَ خَفْضٌ، وهذا ليسَ يَرْتَفِعُ
وحَرَّضُوا بينَ عبدِ اللهِ مِنْ حُمُقٍ ... وبينَ زَيدٍ فَطالَ الضَّرْبُ والوَجَعُ
كَم بينَ قَومٍ قَدِ احْتالُوا لِمَنْطِقِهِمْ ... وبينَ قَومٍ على إعرابِهِمْ طُبِعُوا
ما كُلُّ قَولِيَ مَشرُوحًا لَكُمْ فَخُذوا ... ما تَعرِفونَ وما لم تَعرِفوا فَدَعُوا
لأنَّ أَرضِيَ أَرضٌ لا تَشِبُّ بِها ... نارُ المَجُوسِ ولا تُبنَى بِها البِيَعُ

- قال أبو الأسود الدُّؤليُّ لأبي عَلْقَمَة: ما حالُ ابنِك؟

قال: أخذَتْه الحُمَّى فطَبَخَتْه طَبْخا، ورَضَخَتْه رَضْخا، وفَتَخَتْه فَتْخا، فتركَتْه فَرْخا!

قال: فما فعلَت زوجتُه التي كانت تُشارُّه وتُهارُّه وتُمارُّه وتُزارُّه؟

قال: طلَّقَها فتزوجَتْ بعدَه فحَظِيَتْ وبَظِيَتْ.

قال: فما (بَظِيَتْ)؟!

فقال له: حرفٌ من الغريب لم يبلُغْك.

فقال: يا ابنَ أخي؛ كلُّ حرفٍ لا يعرفُه العرب، فاستُرْه كما تسترُ السِّنَّورُ خِراءَتَها!!

* وقَفَ نحويٌّ على زَجَّاج فقال: بكم هاتانِ القِنِّينَتان، اللَّتان فيهما نُكتتان خَضراوَتان؟

فقال الزَّجَّاج: مُدهامَّتان فبأيِّ آلاء ربِّكما تكذِّبان!

* سُئِل بعضُ الوعَّاظ: لِمَ لا تنصرِفُ (أشياء)؟

فلم يفهَم ما قِيلَ له، ثم سكت ساعة، فقال: أنت تسألُ سؤالَ المُلحِدين؛ لأنَّ الله يقول: ﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ [المائدة: ١٠١]!!

* أوَّلُ لحن سُمِع بالبادية: هذه عصاتي، وأوَّل لحن سُمِع بالعراق: حَيِّ على الفلاح.

* قال عبد الملك بن مَرْوان: اللَّحْن هُجْنَةٌ على الشريف، والعُجبُ آفةُ الرأي.

## المعاجم

قال الزَّبيديُّ في "تاج العروس":

«فإنَّه جمعَ فيه - أي: في القاموس - ستِّين ألف مادَّة، زاد على الجوهريِّ بعشرين ألف مادَّة، كما زاد عليه ابنُ مَنظورٍ الإفريقيُّ في "لسان العرب" بعشرين ألف مادَّة، ولعلَّ المصنِّف لم يطَّلِع عليه، وإلَّا لزاد في كتابه منه، وفوقَ كلِّ ذي علمٍ عليم».

وقال الأستاذ أحمد عبد الغفور عطَّار في مقدِّمة "تهذيب الصِّحاح" حيث قال:

«هذه اللُّغةُ الكريمةُ التي نتحدَّث بها ونكتُب، زاخرةٌ بثروةٍ لُغويَّةٍ لا حَدَّ لها، ولا قدرةَ لأحدٍ على إحصائها إحصاءً دقيقًا شاملًا مضبوطًا؛ لأنَّ هذه

الثروةَ من العِظَم بحيثُ يضطرب في خِضمِّها عشراتُ الألوف من المواد، التي لا يدور منها على ألسنتنا وأقلامنا إلَّا جزء يسير لا يعدو العُشرَ أو أقلَّ من العُشر بكثير، وما زاد عن ذلك فمنسيٌّ أو مهجور».

نعم، إنَّ أكثر اللُّغة العربيَّة غيرُ مُستعمَل، ونكاد نجزِمُ بأنَّ ما يُستعمل منها لا يزيد عن عشرةِ آلاف مادَّة، مع أنَّ "تاج العروس" للزَّبيديِّ يحوي عشرين ومئة ألف مادَّة، فيها من الدَّخيلِ ولُغة السَّواد كثير، فإذا كان ما يُوثَقُ بعربيَّةِ مئةِ ألف، كان ما يُستَعمل أقلَّ من العُشر أيضًا؛ لأنَّ في هذا العُشْر كلماتٍ دَخيلَة.

ونستدلُّ من هذا على أنَّ اللُّغة العربيَّة غَنِيَّةٌ جِدُّ غَنِيَّةٍ بالمفردات اللُّغويَّة، وهي مع غناها العدديِّ لم تَضِقْ في ماضيها عن تجارِب الإنسان وخواطره، وكلِّ حاجاته وعُلومه، وفُنونه وآدابه، بل اتَّسعت لروافد الحضارة، والعلومِ غير المعروفة عندَ العرب في أزهى العصور الإسلاميَّة، إلَّا أنَّ المتأخِّرين جمَّدوا اللُّغة، حتى اتَّهمها كثيرٌ من المعاصرين بأنَّها لا تتَّسع لِمَا تزخرُ به حضارةُ القرن العشرين ومُصطلحاتُه العلميَّة.

وهذا الاتِّهام ليس كلُّه صحيحًا؛ فالعربيةُ مَرِنَةٌ تتَّسع لكلِّ حاجات الإنسان، مهما كثُرَت هذه الحاجات، فخصائص هذه اللُّغة - كالاشتقاق، وقَبولِ التعريب، وغير ذلك - ممَّا يُعين على أن تفتحَ صدرَها لاستقبال ما يحتاجُ إليه الناطقون بها، وضمِّه إليها، والإذاعة بين الناس حتى ينتشر.

إنَّ لغتنا جِدُّ غَنِيَّةٍ بالمفردات، وفي وُسعِنا أن نُفيد من هذه الكثرة الكاثرة، ونحرصَ على سلامتها؛ فطبيعةُ العربيَّةِ طبيعةٌ حيَّةٌ سهلةٌ مَرِنَة، وهي لا تضيقُ بالجديد إذا لَبِسَ رداءها الجميل، أو أحسنَ المُقامَ في جوارها؛ فهي في جاهليَّتها لم تَضِق بالتعريب، ثم لمَّا جاء الإسلام اتَّسعَت للمعاني الجديدة التي أكسبَها الإسلامُ كلماتٍ كثيرةً في صميمها كانت تُستعمل في غير ما

استعملَه؛ مثل الصَّلاة والزَّكاة والصَّوم، والمؤمن والمسلم والكافر، والمنافق والفاسق.

كان أبو عَلْقَمَة النَّحْويُّ من المتقعِّرين في الكلام؛ بعثَ مرَّة غُلامًا له، وقال: خُذْ مِن غَريمنا هذا كفيلًا، ومن الكفيل أمينًا، ومن الأمين زعيمًا، ومن الزعيم غَريمًا، فقال الغلامُ للغَريم: مولاي كثيرُ الكلام، فمَعَكَ شيء؟ فأرضاه وخلَّاه، فلمَّا انصرف قال: يا غلام، ما فعلَ غريمُنا؟ قال: سقع.

قال: ويلك ما (سقع)؟!

قال: بقع.

قال: ويلك وما (بقع)؟!

قال: استقلع.

قال: ويلك ما (استقلع)؟

قال: انقلع.

قال: ويلكَ ولِمَ طوَّلتَ عليَّ؟!

قال: منكَ تعلَّمت.

قَدَّم رجلٌ من النَّحْويِّين رجلًا إلى السُّلطان في دَيْنٍ له عليه، فقال: أصلح الله الأمير؛ لي عليه درهمان.

فقال خصمُه: لا والله أيُّها الأمير؛ إنْ هي إلَّا ثلاثةُ دراهم، ولكنَّه لظهور الإعراب تَرَك من حالِه درهمًا!

قال رجل لزياد: أيُّها الأمير؛ إنَّ أبينا مات، وإنَّ أخينا غصَبَنا على ميراثنا مِن أبانا!

فقال زياد: ما ضيَّعتَ من نفسك أكثرُ ممَّا ضاع من ميراث أبيك، فلا رحم الله أباك؛ حيث تَرَك ابنًا مثلَك!

## دعواتٌ مشبوهَة

بين وقتٍ وآخرَ تطلُعُ دعواتٌ مشبوهَة، وأصواتٌ نَشَاز، تُنادي بهجرِ اللُّغة العربيَّة، والاستعاضة عنها بالعامِّيَّة، ودَعَا أقوامٌ من تلامذة الغَربِ إلى استعمال الحروف اللاتينيَّة، زاعمين أنَّها أكثرُ ضبطًا، وقال بعضُ الأدعياء: إنَّ من الأفضل أن يرجعَ كلُّ أهل قُطر إلى إحياء اللُّغات المُندثِرةِ؛ من قِبطِيَّةٍ وأشُورِيَّة وفينِيقِيَّة، وهَلُمَّ جَرًّا، ورأى أناسٌ يدَّعون التحرُّرَ والتقدُّمَ أن يأخُذَ كلُّ أهل بلدٍ باللَّهجة العامِّيَّة فيه، وألَّا يكلِّفوا أنفُسَهم عَناءَ تعلُّمِ اللُّغة العربيَّة والتحدُّث بها، ساخرين ممَّن يعرفُها ويتحدَّث بها...

وهكذا تتكاثرُ عواملُ الهدم بقدرِ تكاثُرِ مذاهب الإلحاد وفُروعه، والدعوات الباطلة، ولكنَّهم جميعًا خاسرون، وعن مَرامِهم خائبون، وستنتصرُ اللُّغة العربيَّة كما انتصر الإسلام، وتذهبُ صيحاتُ المغرورين هباءً.

## خصائص اللُّغة العربيَّة

قال السُّيوطيُّ في "المزهر" في ذكر خصائص اللُّغة العربيَّة:

**منها**: أنَّها أفضلُ اللغات وأوسعها؛ قال ابن فارس في "فقه اللغة": لُغة العرب أفضلُ اللغات وأوسعها، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]؛ فوصفَه سبحانه أبلغَ ما يوصف به الكلام، وهو البيان.

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرَّحمٰن: ٣-٤]، فقدَّم

سبحانه ذِكرَ البيان على جميع ما توحَّد بخلقه، وتفرَّد بإنشائه: من شمس وقمر، ونجم وشجر، وغير ذلك من الخلائق المحكَمة، والنَّشايا المتقَنة، فلمَّا خصَّ سبحانه اللِّسانَ العربيَّ بالبيان عُلِم أنَّ سائر اللغات قاصرةٌ عنه، وواقعةٌ دونَه.

## الرشيدُ وسهلُ بن هارون

دَخَل سهل بن هارون على الرشيد وهو يُضاحِك المأمون، فقال: اللهمَّ زِدْه من الخيرات، وابسُط له من البركات، حتى يكون في كلِّ يومٍ من أيَّامه مُربِيًا على أمسِه، مُقصِّرًا عن غَدِه! فقال له الرشيد: يا سهلُ؛ مَنْ روى من الشِّعر أحسنَه، ومِن الحديث أفصحَه وأوضحَه، إذا رامَ أن يقول لم يُعجِزه القول!

فقال سهل: يا أميرَ المؤمنين، ما ظننتُ أنَّ أحدًا تقدَّمني إلى هذا المعنى!

قال: بل أعشى هَمْدانَ حيث يقول:

رَأَيتُكَ أَمْسِ خَيرَ بَنِي لُؤَيٍّ وأَنتَ اليَومَ خَيرٌ مِنكَ أَمْسِ
وأَنتَ غَدًا تَزِيدُ الخَيرَ ضِعْفًا كَذاكَ تَزِيدُ سادَةُ عَبدِ شَمْسِ

قال أبو حيَّان التوحيديُّ في كتابه "مثالب الوزيرَين":

ورأيتُ ابن عبَّاد يومًا يقول لابن أبي هشام: لا تقُل: (حَرِجَت نفسُه)؛ إنَّما الحَرَجُ للصَّدر، قال الله تعالى: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف: ٢].

فقال له: فأين أنت من قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ﴾ [النساء: ٦٥]؟!

فعَرِقَ جبينُه خَجَلًا، وكان ذاك سببَ إعراضِه عن هذا الشَّيخ، وانقلابِه عنه بالحِرمان.

وقال أبو حيَّان أيضًا في كتابه المذكور: وقال في بعض الليالي: (الاقترافُ) لا يكون إلَّا في القبيح، أمَا سمعتَ الكلامَ الذي هو كالمثل: الاعتِراف يمحو الاقتِراف.

فقال له مُقرئٌ قد حضر: التنزيل يأبَى هذا الحُكم، وينطق بغيره!

قال: وما ذاك؟

قال: قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ﴾ [الشورى: ٢٣].

فخَزِيَ وقام.

## رأيٌ خاطئ

قرأتُ في إحدى الصُّحف المحلِّيَّة كلامًا ظنَّ كاتبُه أنَّه قد أصاب، وأتى بما لم تأتِ به الأوائل والأواخر، فقد هاجم العلماءَ الذين يتناقشون في مسائلَ فرعيَّة، ورأيُه أنَّ هناك أمورًا في العقائد ومقاومة الإلحاد والشُّيوعيَّة أولى بالردِّ، أمَّا الفروع فرأيُه عدمُ النِّقاش فيها.

ونحن معه في شيء، ولكنَّا نخالفُه في أشياء، ونحن نتَّفق معه في خطر الإلحاد والشُّيوعيَّة، ووجوب مقاومتها، ولكنَّا لسنا معه في مهاجمة العلماء والاستخفاف بهم.

ولسنا معه في أنَّ مسائلَ الفروع ينبغي عدمُ الخوض فيها في الوقت الحاضر؛ ذلك أنَّه لو تُرِك الخوضُ في مسائل الفروع والمناقشة فيها لكانَ معناه الإعراض عن أكثرِ ما جاءت به الشريعة الإسلاميَّة، فالإسلام يحتوي على أصول وفروع، ووجودُ مذاهبِ الهدم لا يعني عدمَ التحدُّث في غيرها.

إنَّ العالِمَ الذي انتقد الكاتبُ مؤلَّفًا جديدًا له يردُّ به على كتاب أتى

صاحبُه فيه برأيٍ غريبٍ مخالِفٍ لِمَا سار عليه السَّلف، وما دلَّت عليه الأدلَّة، ودحضُ الشُّبَهِ التي أوردها ليس بخطأ، وليس تصرُّفه ممَّا يُعاب، بل هو مِن القيام بالواجب في تِبيان الأحكام الشرعيَّة، والردِّ على أخطاء أو غَلَطٍ أو وَهم، ومن الطَّريف أن يوجِّه العلماءَ مَن ليس عالِمًا - بل قُل: مِن المُضحك المُبكي - وأن ينقُدَهم مَن لا يعرف عمَّاذا يتحدَّثون؟ وفي أيِّ شيء يتناقشون؟

## ذمُّ التكلُّف في المُخاطَبات

قال أبو حيَّان التوحيديُّ في "مثالب الوزيرَين": وجرى يومًا حديثُ المُخاطَبات عندَ القاضي أبي حامد المَرْوَزِي، والترتيبِ فيها، وامتعاضِ الناس من التصارُفِ الجاري بين أهلها، فقال: سببُ هذا كلِّه إحساسٌ بنقصهم القائمِ بهم، وطلبُ دَفعِ ذلك بالتَّرتيب، ونفيهِ بالخِطاب، وليس الطريقُ إلى ذلك هذا، بل الطريقُ إليه الأخذُ بأخلاقِ مَن سَلَف؛ من الحياءِ والكَرَمِ والدِّينِ والمروءة.

وانظر إلى السَّلَفِ الصَّالحِ كيف كانوا؛ هل خاطبوا رسولَ الله ﷺ إلَّا بـ: (يا رسول الله)، وبعد فهل يُخاطَب ربُّنا إلَّا بالتَّاءِ وإلَّا بالكاف؟ وهل سَمِعتَ عبدًا لله قد أخلص دِينَه له قال: (إن رأى ربُّنا فَعَلَ بعَبدِه كذا وكذا)؟! وهل الخيرُ كلُّه إلَّا فيما خصَّ الله به نبيَّه وأمَّته، وأشاع فيهم حكمتَه وبركتَه؟!

## علم الأنساب

كان العرب يُعنَون بعِلم الأنساب، ويُولُونَه عنايةً عظيمة، وقد برَّزوا في هذا المضمار، واشتهروا به، فما بالُنا اليوم نرى أحفادَهم وأسباطَهم يجهلون أنسابَهم، ويُعرِضون عن علمٍ من أحسن العلوم وأظرَفِها، ويتعلَّق به أحكامٌ في

المواريث والوَقْف والوصيَّة، والنَّفقاتِ والدِّياتِ والشَّهادات، وغير ذلك؟!

إنَّ موجاتِ الحضارة والمدنيَّة، واغترارَ البعض ببَرِيقِها، والافتتانَ بالتقليد للغَربِ - جعلَهم يزهدون في عِلمٍ كان العربُ يفتخرون بمعرفته، وله فضائلُ كثيرة، والمذمومُ ليس معرفةَ الأنساب وتمييزها، ولكنِ التفاخُر بالأحساب، والطَّعن في الأنساب، والقَدْح والذمُّ وإنكار الحقِّ هي المذمومة، الوارد في الشَّرع النهيُ عنها، وعدُّها من عادات الجاهليَّة المُنكَرة.

إنَّ لعلم الأنساب فوائدَ ومنافعَ كثيرةً، فعسى ألَّا يندثر بسبب الإعراضِ عنه والإعجابِ بعاداتٍ وتقاليدَ أجنبيَّة، ستؤدِّي بمَن ينخدع بها إلى المسخِ والذَّوبان، وفساد الذَّوق.

## دوائرُ المعارِف

(دوائر المعارِف) أصبحت من أهمِّ المراجع في الفُنون، ولا يُستغنَى عنها، وقد طُبعت دوائرُ للمعارف باللُّغات الأجنبيَّة كما طُبعت آخِرًا باللُّغة العربيَّة؛ ومنها: "دائرة المعارف" للبستاني، و"دائرة معارف القرن العشرين" لمحمَّد فريد وجدي، و"الموسوعة الذهبيَّة"، و"دائرة المعارف الإسلاميَّة"؛ وهذه الأخيرة فيها دَسٌّ كثير، وحملات على الإسلام وتاريخه، ومنها: "الموسوعة العربيَّة الميسَّرة"، وهي أيضًا لا تخلو من الأخطاء.

وما يؤسَف له أنَّه لم يصدر في بلادنا (دائرةُ معارف)؛ إذ إنَّه لو وجدت مثل هذه الدائرة، لكان حَرِيًّا بها أن تكون أقربَ إلى الصِّحَّة والضبط؛ يُساعِد على ذلك مشاهدةُ كثيرٍ من الأماكن التي كان لها ذِكرٌ تاريخيٌّ حافل، وقُرب أهلها للُّغة العربيَّة الفُصحى.

إنَّ (دائرة المعارف) تحتاج إلى جهودٍ عظيمةٍ ولا ريب، ولكنَّ العزيمة

الصادقة والتصميم الأكيد وقوَّة الإرادة - مع التوفيق - ستكون إن شاء الله خيرَ عَونٍ لمَن يريد أن يقوم بهذا العمل العظيم، أو يُعين فيه، وهذه فكرةٌ أرجو أن تجدَ صدًى طيِّبًا، وقَبولًا حَسَنًا.

## فضلُ العلماءِ المسلمين على الثقافة

إذا رجعنا إلى تاريخنا وآدابنا وما خلَّفه علماء المسلمين الأجلَّاء في كلِّ علم وفنٍّ، ثم استمعنا إلى دعاوى الإفرنج وتلامذتهم من تهويلٍ لعلوم الغرب ورجاله، وأدبهم وحضارتهم، وتجاهُلٍ لجهود علماء المسلمين، ونسبةِ فضلِها إلى الغرب الصليبيِّ - لأدرَكْنا البَونَ الشاسعَ بين الحقيقة والزَّيف، بين الصَّواب والخطأ، بين الدعوى والحقِّ الثابت.

ولعَلِمنا أنَّ هناك مؤامراتٍ من كلِّ نوعٍ وصِنفٍ على أُمَّة الإسلام، ومن أنماطٍ شتَّى، لا تقف عند حدٍّ، ولا يحصُرها مكانٌ دونَ مكان؛ فهي عسكريَّة وسياسيَّة، واقتصاديَّة وثقافيَّة وتاريخيَّة، وإذا لم يُبصر الناسُ ما يُراد بهم، وغَمَضوا عيونَهم عمَّا يُقصد بهم، فإنَّ هَولًا فادحًا ينتظرهم، وهذا ما يجعل المسؤوليَّةَ جسيمة، والحملَ ثقيلًا، والأمانةَ شاقَّة.

وأمَّةٌ تعمَى عن واقعها، وتُخدَّر بالأماني، وتركَنُ للدَّعَةِ والخُمولِ والتَّرَف، هي أُمَّةٌ مآلُها التلاشي والضياع، وليس في الدُّنيا مَن هو أحقُّ من المسلم باليقظة والعِزَّة، والاستعداد للجهاد، ونبذ الكسل والخُمول؛ اتِّباعًا لدينهم، وسيرًا على نَهْجِ سَلَفِهم الراشد.

## عُلماء مع الوفود

الوفود التي تذهب في زيارات رسميَّة، ولحضور مؤتمرات ودعوات، هي - غالبًا - تضمُّ أشخاصًا عديدين يُمثِّلون جهاتٍ متعدِّدة، ولكنَّ الذي نُلاحظُه

أنَّه يَكاد يُفقَد منها عنصرٌ هامٌّ بلا ريب، ألَا وهو وجود مَن يمثِّلون العِلمَ الدِّيني.

فعلماء الإسلام أحقُّ بأن يتشاوروا ويتفاهموا، ويبحثوا في شؤون المسلمين، ويستعرضوا المُشكلاتِ بينهم، ويكون لهم صوتٌ مسموعٌ في الخُطب والمحاضرات، والندوات والمناقشات، في الإرشاد والتوجيه، والدعوة إلى الله.

إنَّ وجود علماء واعين ذوي لَبَاقَة وفَهم، وغَزارة في العلم، وغَيرَة عليه، سيكون لهم بلا شكٍّ فائدةٌ كبرى، يعود خيرُها على البلاد التي يمثِّلونها، وعلى المسلمين في شتَّى أقطارهم وأمصارهم.

إنَّ الدعوة للتضامن الإسلامي، وجمعِ كلمة المسلمين لا بدَّ أن يُسهم فيها إسهامًا كبيرًا علماءُ المسلمين، ويبيِّنوا ما فيها من منافعَ عظيمة في الدِّين والدُّنيا، وما يَجنيه المسلمون من الانضواء تحتَ لوائها من سعادةٍ عاجلةٍ وآجلة.

## جهلٌ مُطبِق

قال أبو العَنْبَس: صَحِبني رجلٌ في سفينة فقلت: ممَّن الرجل؟ فقال: مِن أولاد الشام، ممَّن كان جَدِّي من أصدقاء المنصور عليِّ بن أبي سالم؛ شاعرِ الأنبار الأنباري، وكان من الذين بايعوا تحتَ الشجرة مع أبي سالم بن يسار، في وقعة الفاروق، أيَّامَ قتلِ الحجَّاج بن يونس بالثَّغْر، على شاطئ الفُرات، مع أبي السَّرايا.

قال أبو العَنْبَس: فلم أدرِ على أيِّ شيءٍ أحسُده؟! على معرفته بالأنساب!

أم على بَصَرِه بأيَّام الناس! أم حِفظِه للسِّير!

قال أبو الحسن المدائني: قاد عيَّاش بن الزِّبْرِقان بن بدر إلى عبد الملك ابن مروان خمسةً وعشرين فَرَسًا، فلمَّا جلس لينظرَ إليها نَسَبَ كلَّ فرسٍ منها إلى جميع آبائه وأمَّهاته، وحَلَفَ على كلِّ فرسٍ بيمينٍ غير اليمينِ التي حَلَف بها على الفرسِ الآخر، فقال عبد الملك: عَجَبِي من اختلاف أيمانِه أشدُّ من عَجَبِي من معرفته بأنساب الخيل!

قال بعضُهم: مررتُ بسُوق، وقد اجتمع فيه قومٌ على رجلٍ يضربونه، فقلت: ما ذنبُ هذا؟ قالوا: شَتَم مُعاوية بن أبي سُفيان؛ صِدِّيق النبيِّ ﷺ ومَن صلَّى معه أربعين سَنَةً على طُهرٍ واحد، وكان مِن المهاجرين والأنصار الذين اتَّبعوهم بإحسان، وسُمِّي خالَ المؤمنين؛ لأنَّه كان أخا حَوَّاء من أُمِّها وأُبيها!

قال بعض بني أَسَد - والقِيافَةُ فيهم -: لا يُخطئ الرجلُ من أبيه خَلَّة من ثلاث: رأسَه، أو صوتَه، أو مِشيَتَه.

## كتابةُ التَّاريخ

كتابة التاريخ لها مقوِّمات وشروط، وبداهةً أنَّ في طليعة مقوِّماتها: الأمانة، وتحرِّي الصِّدق، والبحث عن الحقائق.

ومن المؤسِف أن يكون بعضُ مَن يتصدَّى لكتابة التاريخ غيرَ مُنصِف ولا دقيق، ويظهر الغرض واضحًا فيما يزعُمه من تاريخ، وهناك من التاريخ الجانب المُظلِم، كالذي يتتبَّع عوارتِ الناس وزلَّاتِهم، ويتشبَّث بالخيوط الواهية، والرِّوايات الملفَّقة؛ للتشنيع والهُزء، وإرواء الأحقاد، ويدَّعي أنَّ ذلك تاريخ، وهو السَّفَه والسَّخافة.

وهناك مَن يتجاهل الأحداث والأعمال الجليلة لأُناس لا يرتضيهم مِزاجُه، ولا يُعجبه ذِكرُهم الطيِّب، ويظلمُ التاريخ، ويُسيءُ إلى نفسه إذ رَضِيَ لها أن تكتُم الحقَّ، وتُحابي وتُداجي؛ طَمَعًا في مال، أو إرضاءً لنَزْوَة، والتاريخ بعدُ ليس بالأمر السهل، وعلى مَن يتصدَّى له أن يتَّصف بالصِّفات التي تؤهِّله للقيام بهذا الدَّور الخطير، وإلَّا أصبح جانيًا على نفسه وعلى التاريخ، ونحن في حاجةٍ إلى مَن يكتب التاريخ بأمانة وإنصاف، وترفُّعٍ عن السَّفاسِف والتَّوافِه والأغراضِ الدَّنِيئَة.

## دراسةُ التَّاريخ

ليتَنا ندرُسُ تاريخَنا ولا نستهين به، ونأخذُ منه الفائدةَ والعِظَة.

إنَّ تاريخنا الإسلاميَّ حافلٌ زاخر، وقد ضَرَبَ المسلمون بسهمٍ وافرٍ في الدِّين والأدب، والسِّياسة والحرب، والطِّبِّ والعلوم المفيدة الأُخر.

ولَكَم مِن الكلمات المأثورة، والقصص المشهورة، والحِكم المرويَّة - ما يُطرِب ويُعجِب، وفي السياسة والحرب من الإرشادات والتنبُّه، وضبط الأسرار، والدِّقَّة في التعبير، والتخلُّص من المآزق، بأساليبَ رائعة، وفِطْنَةٍ نادرة.

ومَن يتأمَّل ما جرى على العَرَبِ في عصورهم المتأخِّرة، يُدرك أنَّ من أسباب ضعفهم وهزيمتهم إعراضَهم عن دراسة تاريخهم، وعدمَ أخذِهم العبرةَ والعِظَة منه.

فهل يُغيِّر المسلمون المتأخِّرون من طريقتهم في العُزوف عن تاريخهم، والعودة إلى دراسته من جديد، فيكون أحدَ الأسباب في إدراكِ النصر، وإحرازِ النجاح؟!

## صوت من التاريخ

وهذه أبياتٌ أعجبتني للدكتور الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي، من قصيدة بعنوان: (صوتٌ من التاريخ):

تَبْنِي الثَّقافَةَ والحَضارَةَ أُمَّةٌ ... بالدِّينِ عاشَتْ في جَلِيلِ الأَعْصُرِ
عاشَتْ تَقُودُ المُشرِكِينَ إلى الهُدَى ... والحَقِّ والدِّينِ العَظِيمِ الأَطْهَرِ
وتُؤَثِّلُ المَجْدَ الكَبِيرَ وتَبْتَنِي ... قِيَمَ الحَياةِ وكُلَّ حَظٍّ أَوْفَرِ
هِيَ أُمَّةُ الإسلام عِطْرٌ ذِكرُهَا ... أَعظِمْ بِذِكرٍ في الزَّمانِ مُعَطَّرِ
ولَها الخُلُودُ وكُلُّ مَأْثُرَةٍ عَلى الدْ ... دُنْيا ومَجْدٍ في الحَياةِ مُنَضَّرِ
ومَفاخِرُ المَاضِي المَجِيدِ وعِزَّةُ الْـ ... ـأَمْسِ البَعِيدِ ويا لَها مِنْ مَفْخَرِ
قَومِي أُولَئِكَ قَد بَنَوا صَرْحَ العُلا ... أَكرِمْ بِهِمْ وبِما بَنَوا في الأَزْهَرِ
يا أُمَّةَ الإسلامِ هَذا مَجدُكُمْ ... سارَتْ بِهِ سِيَرُ الزَّمانِ المُزْهِرِ

## الأُمَّة الغافِلَة

الأُمَّةُ السادرةُ في لَهوِها، الغافلةُ عن سبيل نجاتها، هي أُمَّةٌ تَحُثُّ الخُطى نحوَ الفناء، وتغرَق في بحرٍ مُتلاطمِ الأمواج، فلا تدري أين الساحل، ولا كيف الخَلاص؟ وتُسرع للهاوية وهي تظنُّ أنَّها سائرة نحو الرقي.

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨].

ومن عادات مَن هُم على هذه الشاكلة أنَّهم يَنفِرون من النُّصح، ويُبعِدون المخلصين الذين ينبِّهون على الخطر قبلَ وقوعه، ويُحذِّرون من الشرِّ قبلَ استفحاله، ويُنذِرون بالكارثة قبلَ حُلولها.

وقد ابتُلي المسلمون بمَن يخطِّطُ للقضاء عليهم، واستئصال شأفَتِهم، واتَّخذ لذلك الوسائلَ العديدة، الغايةَ في المكرِ والخُبث، وهو لم يتورَّع عن استعمال الأسلحة الحديديَّة والناريَّة، والغازات والنَّابالْم، ولم يترفَّع عن وسيلةٍ مهما كانت قذارتُها ودناءتُها؛ لإغراق المسلمين في التفاهات، واجتذاب أموالهم، وتدمير معنويَّاتهم وصِحَّتهم، ونشرِ الأمراض بينهم.

وهو ماضٍ في الحصول على الأسلحة الكيماويَّة والجُرثوميَّة، والقنابل الذرِّيَّة، هدفُه الأوَّل ضربُ المسلمين، والفَتكُ بهم، وحتى الأشياء التي قد لا يلحظ الكثيرون مراميَها فإنَّ العدوَّ يحاول أن يوجِّهها وجهةً سيِّئةً تخدُم أغراضَه العُدوانيَّة، وتُنهِكُ المسلمين وتدمِّرُهم.

## جهادُ العُلماء

واستعرضتُ في ذهني صورًا من جهاد العُلماء، وصَدعِهم بالحقِّ، وصبرِهم على ما لاقَوه من أذًى، وما نالهم في الجهر بكلمة العَدل، والثبات على العقيدة من مصاعب.

وتذكَّرتُ سيرةَ الرسول الكريم ﷺ وسِيرةَ أصحابه الكرام، تذكَّرت ما لَقِيَه الرسولُ من قومه وهو يدعوهم لما فيه صلاحُهم ونجاتُهم، فيتآمرون على قتلِه، ويشجُّون رأسَه، ويَكسِرون رَباعِيَتَه، ويُضايقونَه أشدَّ المُضايقة، وتذكَّرت خُبَيبًا ورِفاقَه المؤمنين، واستعرضتُ شيئًا من أحوال العلماء المصلِحين؛ فسعيد بن المسيّب ضُرِب، وسعيد بن جُبَير قُتِل، والإمام أبو حنيفةَ والإمام مالك والإمام أحمد، ضُرِبوا وأوذوا.

وابن تيميَّة مات في السِّجن، وابن القيِّم طِيفَ به على حمار، ونُودي عليه في الأسواق؛ عقوبةً له على فتوى أفتى بها، والشيخ محمَّد بن عبد الوهاب أُوذي، وكاد يُقتل، وحفيده سُليمان قُتِل ظُلمًا.

وهكذا تتوارد النماذجُ الممثِّلة للصِّراع بين الخير والشرِّ، وبين قول الحقِّ والمُداهَنة، وبين العدل والعُدوان، إنَّما يقرؤها الناس فيذكرون أولئك العلماءَ بالخير والدُّعاء لهم بالرحمة والرِّضوان، ولمَن أساءَ إليهم بالذِّكر السيِّئ، والأسف لما وقعَ منهم.

## التفاؤل

مِن الأفضل أن نكون متفائلين، وألَّا ندع التشاؤم يتغلَّب علينا، مهما اكفهرَّ الجوُّ، وتأزَّمت الأُمور، وتألَّب الأعداء، فإنَّ مع العسر يُسرَين، وإنَّ الفرج مع الشِّدَّة، وهذا لا يعني الكسلَ وتركَ الأخذِ بالأسباب.

فالله تعالى أمر المسلمين بالحَزم، وأخذِ الحِذر والاستعداد، واتِّخاذ وسائل القوَّة؛ ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١﴾ [النساء: ٧١]، ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ٦﴾ [الشرح: ٥-٦].

إنَّ مِن الغريب أن يكون أعداءُ الإسلام قد أخذوا حِذرَهم وهم ما بين مُنكِر للدِّيانات، وما بين مُنتسِبٍ لشَرعٍ منسوخ، بينما يغفُل بعضُ المسلمين عن الاستعداد، والتنبُّه للخطر قبلَ وقوعه! إنَّ ذلك من المُفارقات الغريبة، ولكن يلوحُ في الأُفق بَصيصُ نُور وسْطَ دياجير ظُلمةٍ داكِنَة، وليلٍ مُدلَهِمٍّ، وها هي ذي المؤثِّراتُ الإسلاميَّة تتوالَى، وها هي تلك الشعارات المموِّهة ينكشف زيفُها وضلالُها؛ ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].



## الرُّؤيا

الرُّؤيا التي يراها النائمُ ما هي بواعثها؟ أهي حديثُ النفس وأحلامُ اليقظة، وما يتمنَّى المرء الحصول عليه، فإذا عجز عن تحقيقه يقظةً، فقد يراه منامًا كعمليَّة تعويض؛ كما يدَّعيه مَن يدَّعيه، ويحصُره في هذا النَّوع من الرُّؤيا؟ أم أنَّ هناك ألوانًا من الرُّؤيا، وصُنوفًا ليس حصرُها في نوع واحد؛ كما يقوله أهلُ التحقيق؟

## ابن القيِّم يقسِّم الرُّؤيا

قال العلَّامة ابن القيِّم في كتاب "الرُّوح"، بعد أن ذكر أنَّ من الرُّؤيا ما يكون مِن حديث النَّفس:

**فإنَّ الرُّؤيا على ثلاثة أنواع**: رؤيا مِن الله، ورؤيا من الشيطان، ورؤيا من حديث النفس، والرؤيا الصحيحة أقسام:

**منها**: إلهامٌ يُلقيه الله سبحانه في قلب العبد، وهو كلامٌ يكلِّم به الرَّبُّ عبدَه في المنام، كما قال عُبادةُ بن الصَّامت وغيره.

**ومنها**: مَثَل يضربه له مَلَكُ الرُّؤيا الموكَّل بها.

**ومنها**: التقاء رُوح النائم بأرواح الموتى مِن أهله وأقاربه وأصحابه وغيرهم، كما ذكرنا.

**ومنها**: عُروج رُوحه إلى الله سبحانه وخطابُ إلهِه.

**ومنها**: دخول رُوحه إلى الجنَّة ومشاهدتها، وغير ذلك، فالتقاءُ أرواح الأحياء والأموات نوعٌ من أنواع الرؤيا الصحيحة، التي هي عند الناس مِن جنس المحسوسات.

## الصَّعبُ بن جَثَّامة وعوف بن مالك

كان الصَّعبُ بن جَثَّامة، وعوف بن مالك متآخِيَين، فقال صعبٌ لعوف: أي أخي، أيُّنا مات قبل صاحبه فليترآى له.

قال: أوَ يكون ذلك؟!

قال: نعم.

فمات صَعب، فرآه عوف فيما يرى النائمُ كأنَّه قد أتاه، قال: قلت: أي أخي!

قال: نعم.

قلت: ما فُعِل بكم؟

قال: غُفِر لنا بعد المصائب.

قال: ورأيتُ لمعةً سوداءَ في عُنقِه؛ قلت: أي أخي؛ ما هذا؟!

قال: عشرة دنانير استلفتُها مِن فلان اليهودي، فهُنَّ في قَرَنِي، فأعطوه إيَّاها، واعلَم أي أخي، أنَّه لم يحدُث في أهلي حَدَثٌ بعد موتي إلَّا قد لَحِقَ بي خبرُه، حتى هرَّةٌ لنا ماتَت منذ أيَّام، واعلم أنَّ بنتي تموتُ إلى ستَّة أيَّام، فاستوصوا بها معروفًا.

فلمَّا أصبحتُ قلت: إنَّ في هذا لعِلمًا، فأتيتُ أهلَه، فقالوا: مرحبًا بعَوف، أهكذا تصنعون بتَرِكَة إخوانكم؟! لم تَقرَبنا منذ مات صَعب!!

قال: فاعتللتُ بما يعتلُّ به الناس، فنظرت إلى القَرَنِ فأنزلتُه، فانتشَلتُ ما فيه، فوجدتُّ الصُّرَّة التي فيها الدنانير، فبعثت بها إلى اليهودي، فقلت: هل

كان لك على صَعبٍ شيء؟

قال: رَحِم الله صَعبًا، كان من خيار أصحاب رسول الله ﷺ، هي له.

قلت: لَتُخبِرَنِّي!

قال: نعم؛ أسلفته عشرةَ دنانير.

فنبذتُها إليه، قال: هي والله بأعيانها!

قال: قلت: هذه واحدة.

فقلت: هل حَدَث فيكم حدثٌ بعد موت صَعب؟

قالوا: نعم، حَدَث فينا كذا، حدث فينا كذا.

قال: قلت: اذكروا.

قالوا: نعم هرَّةٌ ماتت منذ أيَّام.

فقلت: هاتان اثنتان.

قلت: أين ابنةُ أخي؟

قالوا: تلعب.

فأتيتُ بها فمَسِستُها، فإذا هي محمُومَة، فقلت: استوصوا بها معروفًا، فماتَت لسِتَّة أيَّام.

## العيد

(العيد) مأخوذٌ من العَود؛ لأنَّه يكرَّر مجيئه، ويستبشر الناسُ بقُدومه.

قال في "تاج العروس": **العَوْد**: الرجوع، عاد إليه يعود عودةً وعَوْدًا: رَجَع.

وقالوا: عاد إلى الشيء، وعاد له بمعنى، وبعضُهم فرَّق بين استعماله بـ(في) وغيرها؛ قاله شيخُنا، وفي المَثَل: (العَوْدُ أحمدُ)، وأنشد الجوهريُّ لمالك بن نُوَيْرَة:

جَزَينا بَنِي شَيْبانَ أَمسِ بِقَرْضِهِم وجِئنَا بِمِثلِ البَدْءِ والعَودُ أَحمَدُ

قال بعضُهم: **العَوْد**: تثنيةُ الأمرِ، عَودًا بعد بدء؛ يُقال: بدأ ثم عاد، **والعودة**: عودةُ مرَّةٍ واحدة.

قال شيخُنا: وحقَّق الراغبُ والزمخشريُّ وغيرُ واحد من أهل تحقيقاتِ الألفاظ: أنَّه يُطلق **العَود**، ويُراد به الابتداء في نحو قوله تعالى: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨]... ويحتمل أن يُراد من العودة هنا الصَّيرورة؛ كما صرَّح بذلك في "المصباح"، وأشار إليه ابنُ مالك وغيره مِن النُّحاة، واستدلُّوا بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]؛ قيل: أي صاروا.

ثم قال صاحب "التاج": قلت: ومنه حديث معاذ؛ قال النبي ﷺ: «أَعُدتَّ فَتَّانًا يا مُعاذ»؛ أي: صِرتَ.

وفي حديث كعب: «وددتُّ أنَّ هذا اللَّبنَ يعود قَطِرانًا»؛ أي: يصير، فقيل له: لِمَ ذلك؟ قال: تتبَّعت قريشٌ أذنابَ الإبل، وتركوا الجماعات.

**والعِيدُ** بالكسر: ما اعتادَكَ مِن هَمٍّ أو مرض، أو حُزنٍ ونحوه، مِن حبٍّ وشَوق، قال الشاعر:

والقَلبُ يَعتادُهُ مِنْ حُبِّهَا عِيدُ

وقال يزيد بنُ الحَكم الثقفيُّ يمدح سليمان بن عبد الملك:

أَمْسَى بِأَسْماءَ هَذا القَلبُ مَعْمُودَا إذا أَقُولُ: صَحَا، يَعْتادُهُ عِيدَا

وقال تأبَّطَ شَرًّا:

يـا عِـيـدُ مـا لَـكَ مِـنْ شَـوْقٍ وإيـرَاقِ     ومَـرِّ طَـيـفٍ عَـلـى الأَهْـوالِ طَـرَّاقِ

**والعيد**: كلُّ يوم فيه جَمْع، واشتقاقه مِن: عاد يعود؛ كأنَّهم عادوا إليه، وقيل: اشتقاقه من العادة؛ لأنَّهم اعتادوه، والجمع: أعياد، لزم البدل، ولو لم يلزم لقيل: أعواد؛ لأنَّه من: عاد يعود، و**عَيَّدوا**: إذا شَهِدُوه؛ أي: العيد، قال العَجَّاجُ يصف ثورًا وحشيًّا:

وَاعْـتَـادَ أَرْبَـاضًـا لَـهَـا آرِيُّ

كَـمَـا يَـعُـودُ الـعِـيـدَ نَـصْـرَانِـيُّ

فجعل **العيدَ** من: عاد يعود.

قال: تحوَّلت الواو في العيد ياءً لكسرة العين.

وتصغير عيد: عُيَيْد تركوه على التغيير، كما أنَّهم جمعوه أعياد، ولم يقولوا: أعوادًا.

قال الأزهري: **العيد** عند العرب: الوقت الذي يعود فيه الفَرَحُ والحَزَن.

وقال ابن الأعرابي: سُمِّي **العيد** عيدًا، لأنَّه يعود كلَّ سَنَةٍ بفرحٍ مُجدَّد.

فالعيد يومُ فرحٍ وسُرور، وإظهارٍ لشُكر الله وفضله على ما أنعم به على المسلمين من توفيق.

وفي العيد يتجمَّل الناس، ويَلبسون من ثيابهم أحسنَها، ويُهنِّئ بعضُهم بعضًا، وتتجلَّى فيهم البهجةُ والحُبور.

وفي زكاة الفِطر والأضاحي إشباعٌ للفقير في يوم العيد، وفي الصَّدقة المرغَّب فيها في هذَين العِيدَين - عِيدَي أهل الإسلام - مُراعاتُها لحال البائسين؛ حتى يشاركوا ذوي السُّرور سرورَهم، وحتى لا يبتئسوا والناس مُبتهِجون، ولا يكتئبوا والقوم مَرِحون.

العيدُ يوم سرور يترقَّبه الناسُ بلَهفة، ويستعدُّون للقائه بفَرحة؛ فهو إلى جانب ما اشتمل عليه من عباداتٍ وطاعات، وشكرٍ لله على آلائه، وإعطاء المحتاجين، وصِلَات القُربى - ففيه يتخفَّف الناس من بعض الجِدِّ، وينطلقون إلى مجالاتٍ فِساح، ويُبعِدُ جوَّ الصَّرامة، ويعطي لونًا من اللَّعب المباح، واللَّهو البريء الذي يُبرِهن على سماحة الإسلام وملاءمته للنُّفوس؛ ذلك أنَّ الإسلام دينُ اليُسر والسماحة؛ ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وعلى المسلِم أن يهتمَّ بأمر إخوانه المسلمين، وأن يتصدَّق ويبذُل المعروف، ويجودَ بالخير، ولا يكون أنانيًّا لا يهمُّه إلَّا نفسُه، فالبائس المحروم لا يشعر ببهجةِ العِيد إذا لم يجِدْ مَن يسُدُّ خَلَّتَه، ويُضمِّد جِراحَه، ويسعى لعَونِه بما يدفع عنه غائلةَ الجوع، وقارصَ البَرد، ولافحَ الحرِّ، فإن لم يجد مِن إخوانه عطفًا واهتمامًا، انطوى على حُزنه، ومرَّ عليه العيدُ كالكابوس الثقيل، يردِّد مع أبي الطيِّب المتنبِّي:

عِيدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدتَّ يا عِيدُ ... بما مَضَى أَمْ لِأَمرٍ فيكَ تَجدِيدُ؟!
أَمَّا الأَحِبَّةُ فَالبَيْدَاءُ دُونَهُمُ ... فلَيتَ دُونَكَ بِيدًا دُونَها بِيدُ

وقد عبَّر الرُّصافيُّ عن واقع اليتيم الذي يمرُّ به العيدُ كئيبًا، حينما لا يلقَى مَن يمسحُ دموعَه، ويبدِّد آلامَه تعبيرًا مؤثِّرًا:

أَطَلَّ صَباحُ العِيدِ في الشَّرقِ يَسْمَعُ ... ضَجِيجًا بِهِ الأَفراحُ تَمْضِي وتَرْجِعُ
صَباحٌ بِهِ تُبدي الكَواكِبُ شَمْسَها ... ولَيسَ لَها إلَّا التَّوَهُّمُ مَطْلَعُ
صَباحٌ بِهِ يَخْتالُ بِالوَشْيِ ذُو الغِنَى ... ويُعْوِزُ ذا الإعْدَامِ طِمْرٌ مُرَقَّعُ
صَباحٌ بِهِ يَكْسُو الغَنِيُّ وَلِيدَهُ ... ثِيابًا لَها يَبكي اليَتِيمُ المُضَيَّعُ
صَباحٌ بِهِ تَغْدُو الحَلائِلُ بِالحُلَى ... وتَرفَضُّ مِن عَينِ الأَرامِلِ أَدْمُعُ
أَلا لَيتَ يومَ العِيدِ لا كانَ إنَّهُ ... يُجَدِّدُ لِلمَحزُونِ حُزنًا فَيَجْزَعُ

يُـرِيـنـا سُـرُورًا بَـيـنَ حُـزْنٍ وإنَّـمـا ... بِـهِ الـحُـزنُ جِـدٌّ والـسُّـرورُ تَـصَـنُّـعُ
فَمِن بُؤساءِ النَّاسِ في يَومِ عِيدِهِمْ ... نُـحُـوسٌ بِـهـا وَجْـهُ الـمَـسَرَّةِ أَسْفَـعُ
قَدِ ابْيَضَّ وَجهُ العِيدِ لكنَّ بُؤسَهُمْ ... رَمَـى نُـكَـتًـا سُـودًا بِـهِ فَـهْـوَ أَبْـقَـعُ
وَقَفتُ أُجِيلُ الطَّرْفَ فيهِمْ فَراعَنِي ... هُـنـاكَ صَـبِـيٌّ بَـيـنَـهُـمْ مُـتَـرَعْـرِعُ
صَبِيٌّ صَبِيحُ الوَجْهِ أسمَرُ شاحِبٌ ... نَحِيفُ المَباني أَدْعَجُ العَينِ أَنْزَعُ
يَـزِيـنُ حِـجَـاجَـيـهِ اتِّـسـاعُ جَـبِـيـنِـهِ ... وفي عَـيـنِـهِ بَـرْقُ الـفَـطـانَـةِ يَـلْـمَـعُ
عَـلَـيـهِ دَرِيـسٌ يَـعْـصِـرُ الـيُـتْـمُ رُدْنَـهُ ... فَـيـقـطُـرُ فَـقْـرٌ مِـنْ حَـواشِـيـهِ مُـدْقِـعُ
يُـلِـيـحُ بَـوَجْـهٍ لِـلـكـآبَـةِ فَـوقَـهُ ... غُـبـارٌ بِـهِ هَـبَّـتْ مِـنَ الـيُـتْـمِ زَعْـزَعُ
عَلى كُثْرِ قَرْعِ الطَّبْلِ يَنظُرُ واجِمًا ... كَـأَنْ لـم يَـكُـنْ لِـلـطَّـبـلِ ثَـمَّـةَ مَـقْـرَعُ
كـأَنَّ هَـدِيـرَ الـطَّـبـلِ يَـقْـرَعُ سَـمـعَـهُ ... فلَـم يُلْفِ رَجْعًا لِـلـجَـوابِ فَـيَـرْجِـعُ
يَـرُدُّ ابـتِـسـامَ الـواقِـفـيـنَ بِـحَـسْـرَةٍ ... تَـكـادُ لَـهـا أَحْـشـاؤُهُ تَـتَـقَـطَّـعُ
ويُـرسِـلُ مِـنْ عَـيـنَـيـهِ نَـظـرَةَ مُـجْـهِـشٍ ... وما هُـوَ بِـالـبـاكِـي وَلا الـعَـيـنُ تَـدْمَـعُ
لَـهُ رَجْـعَـةٌ تَـنْـتـابُـهُ وَهْـوَ واقِـفٌ ... عَـلى جانِـبٍ والـجَـوُّ بِـالـبَـردِ يَـلْـسَـعُ
يَرَى حَولَهُ الكاسِينَ مِن حَيثُ لم يَجِدْ ... عَـلـى الـبَـرْدِ مِـن بُـرْدٍ بِـهِ يَـتَـلَـفَّـعُ
فَكـانَ ابْتِسامُ القَومِ كالثَّلجِ قارِسًا ... لَـدَى حَـسَـراتٍ مِـنـهُ كَـالـجَـمْـرِ تَـلْـذَعُ





# القسم الثالث

## الأدب والبيان



## البَيان

إنَّ مِن البَيان لَسِحْرًا؛ فكم أزال البيانُ من جَفوة، وقرَّب من ودٍّ، ونقَّى من كَدَر، وأطاب نفوسًا ملأها الغضبُ فتأهبَّت للانتقام، واستعدَّت للفَتك! فإنَّ سِحر البيان يبدِّد العَداء، ويستجلبُ الصفاء، فيتحوَّل الخِصامُ إلى وِئام، والجَفاءُ إلى حبٍّ.

قال عامر الشَّعبي:

وفدَتْ سَودةُ بنت عُمارةَ بن الأشْتَر الهَمْدانيَّة على مُعاوية ابن أبي سُفيان، فاستأذنَت عليه فأذِنَ لها، فلمَّا دخلت عليه سلَّمت، فقال لها: كيف أنتِ يا ابنةَ الأشْتَر؟

قالت: بخير يا أمير المؤمنين.

قال لها: أنتِ القائلة لأخيكِ:

شَمِّرْ لِفِعلِ أَبِيكَ يا ابنَ عُمَارَةٍ ... يَومَ الطِّعانِ وَمُلْتَقَى الأَقْرانِ
وانصُرْ عَلِيًّا والحُسَينَ ورَهْطَهُ ... واقْصِدْ لِهِنْدٍ وابْنِها بِهَوانِ
إنَّ الإمامَ أَخا النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... عَلَمُ الهُدَى وَمَنارَةُ الإيمانِ
فَقُدِ الجُيوشَ وسِرْ أَمامَ لِوائِهِ ... قُدُمًا بِأَبيَضَ صارِمٍ وسِنانِ؟!

قالت: يا أمير المؤمنين؛ ماتَ الرأس، وبُتِرَ الذَّنَب، فدَع عنك تَذْكارَ ما قد نُسي!

قال: هَيهاتِ، ليس مثلُ مقامِ أخيك يُنسَى!

قالت: صدقتَ والله يا أمير المؤمنين، ما كان أخي خَفِيَّ المقام، ذليلَ المكان، ولكن كما قالت الخنساء:

وإنَّ صَـخْـرًا لَـتَـأتَـمُّ الـهُـداةُ بِـهِ    كَـأنَّـهُ عَـلَـمٌ فـي رَأسِـهِ نـارُ

وبالله أسألكُ يا أمير المؤمنين، إعفائي ممَّا استعفيتُه!

قال: قد فعلت، فقُولي حاجتَك.

قالت: يا أمير المؤمنين؛ إنَّك للناس سيِّد، ولأمورهم مقلَّد، واللهُ سائلُك عمَّا افترض عليك من حقِّنا، ولا تزال تُقدِّم علينا مَن ينهض بعزِّك، ويبسُطُ سُلطانك، فيحصدُنا حِصادَ السُّنبُل، ويدوسُنا دِياسَ البقر، ويسومُنا سَوْم الخَسِيسَة، ويسألُنا الجَلِيلَة؛ هذا ابن أرْطَأة قَدِمَ بلادي، وقتل رجالي، وأخذَ مالي، ولولا الطاعةُ لكان فينا عزٌّ ومَنَعَة، فإمَّا عزلتَه فشكرناك، وإمَّا لا فعرَفناك!

فقال مُعاوية: إيَّاي تُهدِّدين بقومِك؟ والله لقد هممتُ أن أردَّك إليه على قَتَبِ أشرَسَ، فيُنفِّذَ حكمَه فيك!

فسكتَت، ثم قالت:

صَلَّى الإلَهُ عَلَى رُوحٍ تَضَمَّنَهُ    قَبْرٌ فَأَصبَحَ فيهِ العَدلُ مَدْفُونَا
قد حالَفَ الحَقَّ لا يَبغِي بِهِ ثَمَنًا    فَصارَ بِالحَقِّ وَالإيمانِ مَقْرُونَا

قال: ومَن ذلك؟

قالت: عليُّ بن أبي طالب.

قال: ما أرى عليكِ منه أثرًا.

قالت: بلى؛ أتيتُه يومًا في رجلٍ ولَّاه صدقاتِنا، فكان بيننا وبينه ما بين الغَثِّ والسَّمين، فوجدتُّه قائمًا يصلِّي فانفتل عن الصلاة، ثم قال - برأفةٍ وتعطُّف -: ألكِ حاجة؟ فأخبرتُه خبرَ الرجل فبَكَى، ثم رَفَع يديه إلى السماء، فقال: اللهمَّ إنِّي لم آمُرهُم بظُلم خلقِك، ولا تَركِ حقِّك.

ثم أخرج مِن جيبه قطعةً من جراب، فكتب فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥]، ﴿... وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾ [هود: ٨٥-٨٦].

إذا أتاكَ كتابي هذا فاحتفِظ بما في يديك، حتى يأتيَ مَن يقبض منك، والسلام».

فأخذتُه منه يا أمير المؤمنين، ما خَزَمَه بخِزام، ولا خَتَمَه بخِتام!

فقال مُعاوية: اكتُبوا بالإنصاف لها، والعَدلِ عليها.

فقالت: أليَ خاصَّة، أم لقومي عامَّة؟

قال: وما أنتِ وغيرُك؟

قالت: هي والله إذًا الفحشاءُ واللُّؤم، إن لم يكن عدلًا شاملًا، وإلَّا يسعُني ما وَسِعَ قومي.

قال: هيهاتِ! لمَّظَكُم ابنُ أبي طالب الجُرأة، وغرَّكُم قولُه:

فَلَوْ كُنتُ بَوَّابًا عَلى بابِ جَنَّةٍ ... لَقُلتُ لِهَمْدَانَ: ادْخُلُوا بِسَلامِ

وقولُه:

نادَيتُ هَمْدَانَ وَالأَبوابُ مُغْلَقَةٌ ... ومِثلُ هَمْدَانَ سَنَّى فُتحَةَ البابِ

كَالهُنْدُوانِيِّ لم تُفْلَلْ مَضارِبُهُ ... وَجهٌ جَميلٌ وقَلبٌ غَيرُ وَجَّابِ

اكتُبوا لها بحاجتها.

قال مُعاوية لصُحَارِ العَبْدِي:

ما البلاغة؟

قال: أن تُجيبَ فلا تُبطِئ، وتُصيبَ فلا تُخطِئ.

ثم قال: أقِلْني يا أميرَ المؤمنين!

قال: قد أقلتُك.

قال: ألَّا تُبطِئَ ولا تُخطِئ.

قال أبو حاتم: استطالَ الكلامَ الأوَّل، فاستقالَ وتكلَّم بأوجزَ منه.

قيل لبعضهم: ما البلاغة؟

قال: إيجازُ الكلام، وحَذفُ الفُضول، وتقريبُ البعيد.

## الأديب

قالوا في الأديب: هو مَن يأخذُ من كلِّ علمٍ بطَرَف.

وفي التنويعِ دفعُ السآمة، وتنقُّلٌ مِن واحةٍ إلى واحة، ومن فَنَنٍ إلى فَنَن؛ مُحاكاةً للعصافيرِ والبلابل؛ فيتجدَّد النشاط، ويسلو الفُؤاد، ويطيبُ الحديث، وقد أوصى كثيرٌ من العلماء بأخذِ قسطٍ من الراحة؛ لئلَّا يقعَ المَلَل، ويحِلَّ الضَّجَر، ويتبلَّد الذِّهن، وينغلِقَ الفَهْم، ويكون كالمُنْبَتِّ؛ لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقَى.

## الشاعر والخطيب

كان للشاعرِ والخطيب شأنٌ عند العرب، وكانوا يتباهَون بهما، ويستبشرون إذا نَبَغ فيهم شاعر، أو برَّز خطيب، وقد كانَا لسانَ القبيلة، والذابَّين عنها، والمشيدَين بمفاخرها، والرادَّين على مَن يثلِبُها.

## البلاغة

نسمعُ خطيبًا مُجيدًا فنُعجبُ به، ونقرأُ كلمةً جميلةً فنستحسنُها، وتُشنِّفُ أسماعَنا قصيدةٌ فنستعذبُها، وننعتُها بالطَّلاوةِ والبلاغة، ونقول: ما أعذبَ هذا القولَ وأبدعَه! وقد يزول الإعجاب بها عند تشريحها وتحليلها، والبحثِ عن مصدرِ جمالها!

وما طَفِق الشُّعراء يتغنَّون بالقَمَر، ويُشبِّهون به محبوبَهم، ومن العسير على الشاعر - لو سألتَه عن سرِّ التشبيه ووجهِ الشَّبهِ - أن يُجيب بجوابٍ له - في الرَّوعة والإعجاب - مثلُ ما لتشبيهه المحبوبَ بالبدر ليلةَ تِمِّه، والشمسِ في إشراقها.

## أبو العَتاهِيَة مُستودَع شِعر

قال أبو العَتاهِيَة: لو شئتُ أن يكون حديثي كلُّه شِعرًا موزونًا لكان.

## ما البلاغة؟

سُئل ابن المُقفَّع: ما البلاغة؟

فقال: البلاغة اسمٌ جامع، ومعانٍ تجري في وجوهٍ كثيرة؛ فمنها ما يكون في السُّكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابًا، ومنها ما يكون ابتداءً، ومنها ما يكون شِعرًا، ومنها ما يكون سَجْعًا وخُطبًا، ومنها ما يكون رسائل.

## ما هو أجودُ بيتٍ تقولُه العرب؟

هذا سؤالٌ تضارَبت حولَه الآراء: قيل لأبي عمرو بن العلاء: أيُّ بيتٍ تقولُه العربُ أشعَر؟

قال: البيتُ الذي إذا سَمِعه سامعُه سوَّلت له نفسُه أن يقولَ مثلَه، ولأن يُخدَشَ أنفُه بظُفرِ كلبٍ أهونُ عليه من أن يقول مثلَه.

وقيل للأصمعي: أيُّ بيتٍ تقولُه العرب أشعَر؟

قال: الذي يُسابقُ لفظُه معناه.

وقيل للخليل: أيُّ بيتٍ تقوله العربُ أشعَر؟

قال: الذي يكون في أوَّلِه دليلٌ على قافيته.

وقال زُهَير بن أبي سُلْمى:

وَإنَّ أَحْسَنَ بَيتٍ أَنتَ قَائِلُهُ ... بَيتٌ يُقالُ إذَا أَنشَدتَّهُ: صَدَقا

وقال بعض الشُّعراء:

إذا الشِّعرُ لم يَهزُزْكَ عِندَ سَمَاعِهِ ... فَلَيسَ خَلِيقًا أن يُقالَ لَهُ: شِعرُ

## الزَّعم بأنَّ أعذبَ الشِّعر أكذبُه

قيل: «أعذبُ الشِّعر أكذبُه»، وهو قولٌ جانَبَه الصواب، وحالَفَه الخطأ؛ فالمبالغات في الشِّعر قد تصلُ إلى حدِّ الإسفافِ والابتِذال، وتمُجُّها الأسماع، وتنبو عنها الأذواق، ويستهجِنُها السامعون.

ومن براهين بُطلان تلك الدَّعوى أنَّ شُعراء الحِكمة وأصحابَ الأمثال

يَحظَون بنصيبِ الأسدِ من رواية شِعرهم، وحفظِ قصائدهم، وزُهَير بن أبي سُلْمى والمتنبِّي، وغيرهما قد لقي شعرُهم من التجاوب والعناية ما يُثير الدهشة، ويبعثُ على الاعتزاز.

## مَن أشعَرُ الشُّعراء؟

كان عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه جالسًا في أصحابه يتذاكرون الشِّعر والشُّعراء، فيقول بعضُهم: فلانٌ أشعَر، ويقول آخَرُ: بل فلانٌ أشعَر، فقيل: ابن عبَّاس بالباب، فقال عمر رضي الله عنه: قد أتى مَن يحدِّث مَن أشعَرُ الناس.

فلمَّا سلَّم وجلس، قال له عمر: يا ابنَ عبَّاس، مَن أشعَرُ الناس؟

قال: زُهير يا أمير المؤمنين.

قال عمر: ولِمَ ذلك؟

قال ابن عباس: لقولِه - يمدح هَرِمًا وقومَه بني مُرَّة -:

لو كانَ يَقعُدُ فَوقَ الشَّمسِ من كَرَمٍ ... قَومٌ بِأَوَّلِهِم أَو مَجْدِهِم قَعَدُوا

قَومٌ أبوهُم سِنَانٌ حِينَ تَنسُبُهُم ... طابُوا وَطابَ مِنَ الأولادِ مَن وَلَدُوا

جِنٌّ إذا فَزِعُوا إنسٌ إذا أَمِنُوا ... مُرَزَّؤُونَ بَهالِيلٌ إذا اجتَهَدُوا

مُحَسَّدُونَ عَلَى ما كانَ من نِعَمٍ ... لا يَنْزِعُ اللهُ عَنهُم ما بِهِ حُسِدُوا

• قيل لبعضهم: مَن أشعرُ الناس؟

قال: امرؤ القَيسِ إذا رَكِب، والنابغةُ إذا رَهِب، والأعشى إذا طَرِب.

## إنكارٌ للأدب

منذ مدَّة قريبة كان بعضُ مُنتحلي الأدب يزعمون أنَّ هذه البلاد خِلْوٌ من

الآداب، وأنَّ ثقافة أهلها المعاصرين لا تؤهِّل إنتاجَهم للتصدير - على لُغةِ التجَّار - وأنَّه أدبٌ سقيمٌ رَكِيك، مُهترِئُ الأسلوب، ضَحْلُ الفكرة، سَقيمُ البُنيان، هَزيلُ المعنى، وأنَّ مكانه اللائق به الطَّمر والإحراق.

وقد تخفَى الدوافع لمثلِ هذا التحطيم والجحود، وبعضُ الناس يعزُوه إلى جنون العظمة، وادِّعاء الإحاطةِ بالمعارِف، وحتى يتخيَّل الناسُ صاحبَ تلك القذائف البهلوانيَّة فَلْتَةً من فَلَتات الزَّمَن، وعبقريَّة نادرة، لا ترى فيما يعدُّه الآخرُون جيِّدًا إلَّا تفاهةً وضَحالة، وردَّد بعضُهم هذا الرأي الجانحَ مرَّاتٍ عديدات.

وقد كنتُ منذ سنوات قد ردَدتُّ هذا القولَ وفندتُّه، كما تصدَّى بعضُ الأُدباء لدحضه وإبطاله، وها نحن نشهد بوضوح أنَّ أدبَ البلاد ليس كما رماهُ أولئك المتنطِّعون، وأنَّه أدبٌ صالِح لعرضه وإبرازه في داخل المملكة وخارجها، وها هي المقالات والكتب تُعدُّ لتبيانه، والإفصاح عنه، وها هو يَجِدُ تجاوبًا طيِّبًا في كلِّ مكان يَحِلُّ فيه.

على أنَّ ذلك لا يعني أنَّه لا يخلو من الزلَّات، ولا يبرأ من السَّقطات، ولا يسلمُ من الأخطاء، ولكنَّه في مُجمله أدبٌ لا يقلُّ عن الآداب في البُلدان العربيَّة الأخرى.

قيل عن الشِّعر الكثير، ولا يزال القولُ فيه يكثُر، ويتردَّد التعليل والتحليل، وما هو الشعر الجدير بهذه الصِّفة؟ وليس هذا ما أعنيه، ولكنِّي تذكرت أشخاصًا في هذا العصر قد اتَّخذوا من الشِّعر أداةً للوقاحة، وذريعةً للكفر، وسُلَّمًا للمُجون!!

وقد اشتهر شاعرٌ بحَومِه في هذه الساحات، وهَذَيانِه في تلك المُستنقعات، وكان يقذِفُ بسمومه في دواوينَ أنيقةٍ مُزخرَفة، وتَنشر ما يسمِّيه قصائدَ بعضُ

المجلَّات والصُّحف ذات الأغراض المشبوهة، وكان شِعره عن النُّهود والخُصور، والخُمور والمراقص، وما زال يتطاوَلُ في الإثم، ويتجاوَزُ في الإلحاد، حتى قال في رِثاء أحدِ المتزعِّمين: إنَّه آخر الأنبياء، ومنذ وقتٍ قريبٍ سبَّ الله، وافترى عليه بوَقاحة وخِسَّة، وقال: «وتزوَّج الله حبيبتَه». تعالى الله عن قول هذا المدَّعِي الفاجر علوًّا كبيرًا!

والمؤلِم أن يجد هذا الهاذي الملحِد مَن يستحسِنُ شعرَه ويمدحه، والواجب محاربتُه وأشباهِه؛ فهو مرتدٌّ أثيم، ومَن يشجِّعه، ويُثني عليه فهو في ريبٍ وضلال، فعليه أن يتوبَ قبل أن تُصيبَه الفتنة، أو يُصيبه عذابٌ أليم.

## الأعشى

من الناس مَن يكون موفَّقًا ميمونًا؛ إن أشار دلَّ على خير، وإن حذَّر نفَّر مِن شَر، وإن قال سدَّد في مقاله، أو عَمِلَ كان مِن العاملين لما يُصلِح ويُفيد، ومن ثَمَّ كان اختيارُ المشير والجليس والقرين والبطانة من أهمِّ الأشياء وأجلِّها خطرًا، وقد كان العربُ في شِعرهم ونثرهم يقيسون القرينَ على القرين، والجليسَ بالجليس، والصاحبَ على الصاحب.

## أعشى قَيس

وكان أبو بَصير ميمون - أعشى قَيس صَنَّاجةُ العرب - قد اعتزم الإسلام، وأعدَّ قصيدةً يمدح بها النبيَّ ﷺ؛ فاعترضَه كفَّارُ قريش، وذكروا له بعضًا من المحرَّمات في الإسلام بغَرَض تنفيره، بَيْد أنَّه لم يرَ في قولهم ما يمنعُه ممَّا اعتزم ما عَدا الخمر، فقد كان له فيها بقيَّة وَطَر، ودفعوا له مئةً من الإبل، فعاد ليفكِّر ويشربَ ما تبقَّى من خمرٍ لديه، ولمَّا قرُبَ من اليمامة سَقط عن

ناقته، فدُقَّت عنقُه ومات، ومن قصيدته المومَى إليها:

أَلَـم تَـغْـتَـمِـضْ عَـيـنـاكَ لَـيـلَـةَ أَرْمَـدَا ... وعـادَكَ ما عـادَ الـسَّـلِـيـمَ الـمُـسَـهَّـدَا

أَلا أَيُّـهَـذا الـسَّـائِـلِـي: أَيـنَ يَـمَّـمَـتْ؟ ... فَـإِنَّ لـهـا فـي أَهـلِ يَـثْـرِبَ مَـوعِـدَا

فَـآلَـيـتُ لا أَرْثِـي لـهـا مـن كَـلالَـةٍ ... ولا من حَفًى حَتَّى تُلاقِي مُحَمَّدَا

مَتَى مَا تُناخِي عِندَ بابِ ابنِ هاشِمٍ ... تُـرِيـحِي وتَـلْـقَـيْ مـن فَـواضِـلِـهِ يَـدَا

نَـبِـيٌّ يَـرَى مـا لا تَـرَونَ وذِكْـرُهُ ... أَغـارَ لَـعَـمْـرِي في الـبِـلادِ وَأَنْـجَـدَا

لَـهُ صَـدَقـاتٌ مـا تُـغِـبُّ ونـائِـلٌ ... ولَـيـسَ عَـطـاءُ الـيَـوم مَـانِـعَـهُ غَـدَا

أَجِـدَّكَ لـم تَـسـمَـعْ وَصـاةَ مُـحَـمَّـدٍ ... نَـبِـيِّ الإلَـهِ حِـيـنَ أَوصَـى وَأَشْـهَـدَا؟

إذا أَنـتَ لـم تَـرْحَـلْ بِـزادٍ مـنَ الـتُّـقَـى ... ولاقَـيْـتَ بَـعـدَ الـمَـوتِ مَن قَد تَـزَوَّدَا

نَـدِمْـتَ عَـلـى أَلَّا تَـكُـونَ كَـمِـثْـلِـهِ ... وَأَنَّـكَ لـم تُـرْصِـدْ لِـمـا كـانَ أَرْصَـدَا

فَـإِيَّـاكَ وَالـمَـيْـتـاتِ لا تَـأكُـلَـنَّـهَـا ... ولا تَـأْخُـذَنْ سَـهْـمًـا حَـدِيـدًا لِـتَـفْـصِـدَا

وذا الـنُّـصُـبَ الـمَـنْـصُـوبَ لا تَـنْـسُـكَـنَّـهُ ... ولا تَـعـبُـدِ الأَوثـانَ، واللهَ فَـاعْـبُـدَا

وَصَلِّ عَلى حِينِ العَشِيَّاتِ والضُّحَى ... ولا تَـحْـمَـدِ الـشَّـيـطـانَ، وَاللهَ فَـاحْـمَـدَا

ولا الـسَّـائِـلَ الـمَـحـرومَ لا تَـتْـرُكَـنَّـهُ ... لِـعـاقِـبَـةٍ، ولا الأَسِـيـرَ الـمُـقَـيَّـدَا

ولا تَـسْـخَـرَنْ مِـنْ بـائِـسٍ ذِي ضَـرارَةٍ ... ولا تَـحْـسَـبَـنَّ الـمَـرْءَ يَـومًـا مُـخَـلَّـدَا

ولا تَـقْـرَبَـنَّ جـارَةً إنَّ سِـرَّهَـا ... عَـلَـيـكَ حَـرامٌ، فَـانْـكِـحَـنْ أَوْ تَـأَبَّـدَا

## لَبيدُ بن عامر

دَخَل عامرُ بن مالك - وهو عمُّ لَبِيدِ بن عامر، وكان شيخًا - على النُّعمان، فعَبَثَ به الربيعُ بن زياد، وأضحكَ منه الحاضرين، فخَجِلَ الشيخ، وانصرفَ وشكاه إلى لَبيد؛ فقال: دَعْهُ لي، فدخل على النُّعمان وهو يُؤاكل الربيع، فقال:

مَــهْــلًا أَبَــيْــتَ الــلَّــعــنَ لا تــأكُــلْ مَــعَــهْ

فقال النُّعمان: لِمَه؟!

فقال:

إنَّ اسْــتَــهُ مِــنْ بَــرَصٍ مُــلَــمَّــعَــهْ
وَإنَّــهُ يُــدْخِــلُ فــيــهــا إصْــبَــعَــهْ
يُــدْخِــلُــهُ حَــتَّــى يُــوارِي أَشْــجَــعَــهْ
كَــأَنَّــهُ يَــطْــلُــبُ شَــيْــئًــا ضَــيَّــعَــهْ

فأمسك النُّعمان، ولم يأذَن له بعد ذلك، فأرسل إليه يقول: إنَّه كاذِب، فأرسِل مَن يفتِّشني؟ فقال النُّعمان:

قَد قِيلَ ما قِيلَ إن صِدقًا وإنْ كَذِبًا    فَما اعتِذارُكَ مِن قَولٍ إذا قِيلا

## عمرو بن الأهْتَم والزِّبْرِقان بن بدر

وَفَد إلى رسول الله ﷺ الزِّبْرِقان بن بدر، وعمرو بن الأهْتَم؛ فقال الزِّبْرِقان: يا رسول الله، أنا سيِّد تميم، والمُطاع فيهم، والمُجاب منهم، آخُذُ لهم بحقِّهم وأمنعهم من الظُّلم، وهذا يعلم ذلك؛ يعني: عمرًا.

فقال عمرو: أجَل يا رسول الله، إنَّه لمانِعٌ لحَوزَتِه، مطاعٌ في عشيرته، شديدُ العارضة فيهم.

فقال الزِّبرقان: أما إنَّه - والله - قد علم أكثرَ ممَّا قال، ولكنَّه حسدَني شَرَفي.

فقال عمرو: أما والله، لئن قال ما قال، فوالله ما علمتُه إلَّا ضَيِّقَ العَطَن، زَمِرَ المروءة، أحمقَ الأب، لئيمَ الخال، حديثَ الغِنى!

فَرَأَى الكراهةَ في وجهِ رسول الله ﷺ لَمَّا اختلف قولُه؛ فقال: يا رسول الله؛ رضيتُ فقلتُ أحسنَ ما علمت، وغضبتُ فقلتُ أقبحَ ما علمت، وما كذبتُ في الأولى، ولقد صدقتُ في الثانية.

فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِن البيان لَسِحْرًا».

## من شُعراءِ الرسول

كان حسَّان بن ثابت رضي الله عنه شاعرًا عظيمًا، يُنافح عن الإسلام، ويُدافع عن الرسول ﷺ ويصبُّ على المشركين من شعره ما يفوقُ المدافعَ والسُّيوف، وكان للشِّعر في مُختلِف العصور دورٌ بارزٌ في المعارك إبَّان الحروب، وفي السِّلم والأمن.

وقد كان مِن واجب مَن ينتمون للعرب والمسلمين أن يُجنِّدوا أنفسَهم للذَّودِ عن دِينهم، والدعوة إلى نُهوض المسلمين، واعتزازهم بتاريخهم الوضَّاء، ومن المؤسِف أنَّ كثيرين منهم قد تنكَّب هذا السبيل، وفي هذه الأيَّام - ومنذ مدَّة - نسمع ضجيجًا حول شاعر مزعوم، تُكال له المدائح، وتنشر في إطرائه القصائد والمقالات، ولم يكن أكثرَ من شيوعيٍّ عميلٍ للصِّهْيَونيَّة، وأداةٍ من أدواتها!!

تُرَى ما الهدف مِن ذاك المديح الذي أُزجِيَ له؟ وكيف يُترك لأولئك العابثين المستهترين الجاهلين أن يَخبِطوا خبطَ عشواء، ويَقلِبوا الحقائق؟! وهل بمثل مدَّعي الشِّعر هذا وأنصارِه ينتصر المسلمون، أو يحقِّق العرب ما يُؤمِّلون؟!



## شُعراءُ النبيِّ

كان مِن شُعراء النبيِّ ﷺ الذين يذبُّون عن الإسلام، ويُنافحون دونَه:

كعبُ بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وحسَّان بن ثابت، وكان حسَّان أشدَّهم على الكفَّار، يُعيِّرهم بالكفر والشِّرك.

وكان خطيبُه ﷺ ثابتَ بن قيس بن شَمَّاس.

## النقدُ الأدبيّ

النقدُ شيءٌ مهمٌّ في توضيح مكانة الأثرِ الأدبيِّ المنقود، وبيانِ محاسنه، والتنبُّه لأغلاطِه، في إنصافٍ وتُؤَدة، ورغبةٍ في تدارُك الخطأ قبلَ انتشاره، والرُّجوع إلى الصواب.

والمؤسِف أنَّ مَن يتصدَّى للنقد هم غالبًا إمَّا ناقمٌ يسعى للتحطيم، والانتقام من الأثر الأدبيِّ ومن صاحبه بحقٍّ وباطل، وليس له هدفٌ في الصوابِ والخطأ، وإنَّما هدفه في الإضرار والتشويه والتنفير، وهذا النَّوع داءٌ وَبِيل، ومرضٌ عُضال، سواء سُمِّي ناقدًا أو حاقدًا، وسواء دُعي كاتبًا أو هادمًا.

وهناك مَن يكيل المديحَ جُزافًا، ويجعل من الحَبَّة قُبَّة، ويُغري صاحبَ الأثر الأدبيِّ - وإن كان هزيلًا ضحلًا - بالغرور والتعاظُم والانتفاخ.

وهناك قِلَّة مُعتدِلة تُثني وتشجِّع مَن يستحقُّ الثناء، وتُنبِّه للخطأ، متحرِّية الإنصافَ والعدل، كالقاضي النزيه، هدفُها سليم، وغايتها نبيلة، فهذه الفئةُ هي الجديرةُ بلقب (النُّقَّاد)؛ لترفُّعها عن الأحقاد والمثالِب، ولابتعادها عن المديح الكاذب، والدعاوى الباطلة.

## دَورُ النَّقدِ في الأدب

النقدُ الأدبيُّ فنٌّ مِن فنون الأدب، وضرورةٌ من ضروراته، فيه تصحيحٌ للخطأ، وتقويمٌ للمُعوَجِّ، وتبيانُ مواطن القوَّة والضعف من الأثر الأدبي، وله أصولٌ وقواعدُ ومقوِّمات؛ مِن بينها الثقافةُ والاطِّلاع، وجَودةُ الذَّوق، ورَهافَةُ الحِسِّ، والنزاهةُ في الحكم.

وليس النقد جديدًا؛ بل هو قديمٌ مُوغِلٌ في القِدَم، وكانت للعرب في الجاهليَّة أسواقٌ أدبيَّةٌ يَفِدُ إليها الشُّعراءُ والأُدباءُ والرُّواة، وتُنشَدُ فيها الأشعار، وتُجرَى المسابقاتُ الأدبيَّةُ في جوٍّ أدبيٍّ نادر، ويحكم كِبارُ الشُّعراءِ للفائز، مع ذِكرِ المبرِّرات والحيثيَّات، وقد امتدَّت بعضُ تلك الأسواق في عصور الإسلام الأُولى، وما زال للأدب والنقد دَورٌ هامٌّ، وإن كانتِ الأساليبُ والأغراض والمواطن قد طرأ عليها ما يُغيِّرها.

## النَّابغةُ في سوقِ عُكاظ

حُكي أنَّ النابغةَ الذُّبيانيَّ كانت تُضرَب له قُبَّةٌ من أَدَمٍ بسوق عُكاظ، يجتمع إليه فيها الشُّعراء، فدخل إليه حسَّان بنُ ثابت وعنده الأعشى، وقد أنشدَه شِعرَه، وأنشدته الخنساءُ قولَها:

قَـذًى بِـعَـيـنَـيـكَ أَمْ بـالـعَـيـنِ عُـوَّارُ     أَمْ ذَرَّفَتْ إذْ خَلَتْ مِنْ أَهلِهَا الدَّارُ

حتى انتهت إلى قولها:

وإنَّ صَـخْـرًا لَـتَـأْتَـمُّ الـهُـداةُ بِـهِ     كَـأَنَّـهُ عَـلَـمٌ فـي رَأسِـهِ نـارُ
وإنَّ صَـخْـرًا لَـمَـولانـا وَسَـيِّـدُنَـا     وإنَّ صَـخْـرًا إذا نَـشْـتُـو لَـنَـحَّـارُ

فقال: لولا أنَّ أبا بصيرٍ أنشدَني قَبلَك لقلتُ: إنَّكِ أشعرُ الناس، أنتِ والله أشعرُ مِن كلِّ أُنثى.

قالت: والله مِن كلِّ رجل.

فقال حسَّان: أنا والله أشعر منكَ ومنها!

قال: حيث تقول ماذا؟

قال: حيثُ أقول:

لَنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى     وَأَسيافُنا يَقطُرْنَ مِن نَجْدَةٍ دَمَا
وَلَدْنَا بَنِي العَنْقاءِ وَابنَيْ مُحَرَّقٍ     فَأَكرِمْ بِنا خالًا وَأَكرِمِ بِنا ابْنَمَا

فقال: إنَّك شاعرٌ لولا أنَّك قُلت: «الجفنات»، فقلَّلت العدد، ولو قُلت: «الجِفان» لكان أكثرَ، وقُلت: «يَلمَعْنَ في الضُّحى»، ولو قُلت: «يبرُقْنَ بالدُّجى» لكان أبلغَ في المديح؛ لأنَّ الضيف باللَّيْل أكثرُ طروقًا.

وقُلت: «يقطُرنَ من نجدةٍ دَمَا»، فدلَّلت على قلَّة القتل، ولو قُلت: «يجرِينَ» لكان أكثرَ لانصبابِ الدم، وفخرتَ بما ولدتَّ، ولم تفخَر بمن وَلَدَك.

فقام حسَّان مُنكسِرًا مُنقطِعًا.

## معرفة عمر بالشِّعر

قال الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين":

وقال العايشي: كان عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه أعلمَ الناس بالشِّعر، ولكنَّه كان إذ ابتُليَ بالحُكم بين النَّجاشيِّ والعَجْلاني، وبين الحُطَيئَةِ والزِّبْرِقان – كَرِه أن يتعرَّض للشُّعراء، واستشهد رجالًا للفريقين، مثل حسَّان بن ثابت وغيره،

ممَّن تهون عليه سِبالُهم، فإذا سمع كلامَهم حَكَمَ بما يعلم، وكان الذي ظهر من حُكم ذلك الشاعر مُقنِعًا للفريقين، ويكون هو قد تخلَّص بعِرضِه سليمًا، فلمَّا رآه مَن لا علم له يسأل هذا وهذا، ظنَّ أنَّ ذلك لجهله بما يعرفُ غيرُه.

وقال: ولقد أنشدوه شِعرَ زُهير - وكان لشِعره مُقدِّمًا - فلمَّا انتهوا إلى قوله:

وإنَّ الـحَـقَّ مَـقْـطَـعُـهُ ثَـلاثٌ    يَـمِـيـنٌ أَوْ نِـفـارٌ أَوْ جِـلاءُ

قال عمر؛ كالمتعجِّب من علمه بالحقوق، وتفصيله بينها، وإقامته أقسامها:

وإنَّ الـحَـقَّ مَـقْـطَـعُـهُ ثَـلاثٌ    يَـمِـيـنٌ أَوْ نِـفـارٌ أَوْ جِـلاءُ

يُردِّد البيتَ من التعجُّب.

وأنشدوه قصيدةَ عَبْدَةَ بن الطَّبيب الطويلةَ التي على اللَّام، فلمَّا بلغ المُنشِدُ إلى قوله:

وَالـمَـرْءُ ساعٍ لِأَمْـرٍ لَـيـسَ يُـدْرِكُـهُ    والـعَـيْـشُ شُـحٌّ وإشْـفَـاقٌ وَتَـأْمِـيـلُ

قال عمر مُتعجِّبًا:

والـعَـيْـشُ شُـحٌّ وَإشْـفَـاقٌ وَتَـأْمِـيـلُ

يُعجِّبهم مِن حُسن ما قَسَّمَ وما فَصَّل.

وأنشدوه قصيدةَ أبي قَيسِ بن الأسْلَت، التي على العين، وهو ساكت، فلمَّا انتهى المُنشِدُ إلى قوله:

أَلـكَـيْـسُ وَالـقُـوَّةُ خَـيـرٌ مِـنَ الـ    إِ شْـفَـاقِ وَالـفَـهَّـةِ وَالـهَـاعِ

وجعل عمرُ يردِّد البيت، ويتعجَّب منه.

قال محمَّد بن سلَّام الجُمحيُّ عن بعض أشياخه، قال: كان عمر بن

الخطَّاب رضي الله عنه لا يكاد يَعرِض له أمرٌ إلَّا أنشدَ فيه بيتَ شِعر.

أنشد رجلٌ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه قول طَرَفَة بن العبد:

فَلَولا ثَلاثٌ هُنَّ مِنْ عِيشَةِ الفَتَى     وَجَدِّكَ لم أَحْفِلْ مَتَى قامَ عُوَّدِي

فقال عمر: لولا أن أسيرَ في سبيل الله، وأضعَ جبهتي لله، وأُجالسَ أقوامًا ينتقون أطايب الكَلِم كما ينتقون أطايبَ التمر - لم أُبالِ أن أكون قد مُتُّ.

## أبو عمرو بن العَلاء ورجلٌ من أهل المدينة

أنشد رجلٌ من أهل المدينة أبا عمرو بن العَلاء قولَ ابن قيس:

إنَّ الحَوادِثَ بِالمَدِينَةِ قَدْ     أَوجَعْنَنِي وقَرَعْنَ مَرْوَتِيَهْ

فانتهرَه أبو عمرو، وقال: ما لنا ولهذا الشِّعر الرِّخو، إنَّ هذه الهاء لم تدخل في شيءٍ من الكلام إلَّا أرخَتْه!

فقال المدنيُّ: قاتلك الله! ما أجهلَك بكلام العرب! قال الله جلَّ وعزَّ في كتابه: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ (٢٩)﴾ [الحاقة: ٢٨ - ٢٩] و: ﴿... يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦)﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٢٦] وتَعِيبُه؟!

فانْكَسَر أبو عمرو انكِسارًا شديدًا.

## دعاء

اللهمَّ تقبَّل دعاءنا، واغفِر ذنوبنا، وتُب علينا، يا سميع الدُّعاء.



## شعرٌ ونَقد

قال عليُّ بن الجَهْم:

خَلِيلَيَّ ما أَحلَى الهَوى وَأَمَرَّهُ  وأَعلَمَنِي بِالحُلْوِ مِنهُ وَبِالمُرِّ
بما بَينَنا مِنْ حُرْمَةٍ هَل رَأَيتُمَا  أَرَقَّ مِنَ الشَّكوى وَأَقْسَى مِنَ الهَجْرِ
وأَفْضَحَ مِنْ عَينِ المُحِبِّ لِسِرِّهِ  وَلا سِيَّما إنْ أَطلَقَتْ عَبْرَةً تَجرِي

لمَّا أنشد المتنبي قولَه يمدحُ سَيفَ الدَّولة:

وَقَفتَ وما في المَوتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ  كَأَنَّكَ في جَفْنِ الرَّدَى وَهْوَ نَائِمُ
تَمُرُّ بِكَ الأَبطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً  وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ باسِمُ

قال سيف الدولة: يا أبا الطيِّب؛ قد انتقَدنا عليك، كما انتُقد على امرئ القيس في قوله:

كَأَنِّيَ لم أَرْكَبْ جَوَادًا لِغَارَةٍ  وَلم أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالِ
وَلم أَسْبَإِ الزِّقَّ الرَّوِيَّ وَلم أَقُلْ  لِخَيلِيَ: كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إجْفَالِ

فقال المتنبي: أيُّها الأمير؛ إن صحَّ أن البَزَّاز أعلمُ بالثَّوب من حائِكه، فقد صحَّ ما انتُقد على امرئ القيس وعليَّ؛ فإنَّ امرأ القيس أحبَّ أن يقرِنَ الشجاعةَ باللذَّة في بيت واحد، وهو الأوَّل، وقد وقع مثل هذا في الكتاب العزيز وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: ١١٨ - ١١٩]، فإنَّه تعالى لم يُراعِ فيه مُناسبةَ الرِّيِّ بالشِّبَع، والاستظلال باللُّبس في تحصيل نوعِ المنفعة؛ بل راعى مُناسبةَ اللُّبس للشِّبَعِ في حاجة الإنسان إليه، وعدم استغنائه عنه، ومُناسبةَ الاستظلالِ للرِّيِّ في كونهما تابعين للُّبس والشِّبَع.

## جَرير

كان جَرير بن عطيَّة بن الخَطَفَى التميميُّ أحدَ الشُّعراء المبرِّزين، وقد ضَرَب بسهمٍ وافرٍ في فنون الشِّعر المختلفة، وعدَّ بعضُ النقَّاد أغزلَ شعرٍ قالته العربُ قولَه:

إنَّ العُيُونَ التي في طَرْفِهَا حَوَرٌ    قَتَلْنَنَا ثُمَّ لم يُحْيِينَ قَتلانَا
يَصرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتَّى لا حَراكَ بِهِ    وهُنَّ أَضعَفُ خَلْقِ اللهِ إنسانَا

وأمدحَ بيتٍ قالته العربُ قولَه:

أَلَستُمْ خَيرَ مَن رَكِبَ المَطايا    وأَندَى العالَمِينَ بُطُونَ راحِ

وأفخرَ بيتٍ قالته العربُ قولَه:

إذا غَضِبَتْ عَلَيكَ بَنو تَمِيمٍ    رَأَيتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غِضابَا

وأهجى بيتٍ قولَه:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِنْ نُمَيرٍ    فَلا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلا كِلَابا

وأصدقَ بيتٍ قولَه:

إنِّي لَأَرْجُو مِنكَ خَيرًا عَاجِلًا    والنَّفْسُ مُولَعَةٌ بِحُبِّ العاجِلِ

وأشدَّ بيتٍ تهكُّمًا قولَه:

زَعَمَ الفَرَزْدَقُ أَنْ سَيَقتُلُ مِرْبَعًا    أَبشِرْ بِطُولِ سَلامَةٍ يا مِرْبَعُ

## جَريرٌ والأَخْطَل

حكى نِفْطَوَيْه: أنَّ جَريرًا دخل يومًا على بِشْرِ بن مَرْوان وعنده الأَخْطَل، فقال بشرٌ لجَرير: أتعرِف هذا؟

قال: لا، ومَن هذا أيُّها الأمير؟

فقال: هذا الأَخْطَل.

فقال الأَخْطَل: أنا الذي قذفتُ عِرضَك، وأسهرتُ ليلَك، وآذيتُ قومَك!

فقال جرير: أمَّا قولك: «شتمتُ عِرضَك»، فما ضرَّ البحرَ أن يشتُمَه مَن غَرِق فيه، وأمَّا قولك: «أسهرتُ ليلَك»، فلو تركتَني أنامُ لكان خيرًا لك، وأمَّا قولك: «وآذَيتُ قومَك»، فكيف تؤذي قومًا أنت تؤدِّي الجزيةَ إليهم؟!

وكان الأَخْطَل من نصارى العرب المتنصِّرة، قبَّحه الله!



# جَريرٌ والفَرَزْدَق

روى العتبيُّ قال: قال هشام بن عبد الملك لشَبَّةَ بن عِقال، وعندَه الفَرَزْدَقُ وجَريرٌ والأَخْطَل، وهو يومئذٍ أمير:

أَلَا تخبرني عن هؤلاء الذين قد مزَّقوا أعراضَهم، وهتكوا أستارَهم، وأغروا بين عشائرهم في غير خير، ولا بِرٍّ، ولا نفع - أيُّهم أشعر؟

فقال شَبَّة: أمَّا جريرٌ فيَغرِفُ من بحر، وأمَّا الفَرَزْدَقُ فينحِتُ من صخر، وأمَّا الأَخْطَلُ فيُجيد المدحَ والفخر.

فقال هشام: ما فسَّرتَ لنا شيئًا نحصِّلُه!

فقال: ما عندي غيرُ ما قُلت.

فقال لخالد بن صَفْوان: صِفهم لنا يا ابنَ الأهْتَم.

فقال: أمَّا أعظمُهم فخرًا، وأبعدُهم ذِكرًا، وأحسنُهم عُذرًا، وأشدُّهم ميلًا، وأقلُّهم غَزَلًا، وأحلاهم عِلَلًا، الطامي إذا زَخَر، والحامي إذا خَطَر، الذي إن هَدَرَ قال، وإن خَطَرَ صال، الفصيحُ اللِّسان، الطويلُ العِنان - فالفَرَزْدَق.

وأمَّا أحسنُهم نعتًا، وأمدحُهم بيتًا، وأقلُّهم فَوتًا، الذي إن هجَا وَضَع، وإن مَدَحَ رَفَع - فالأَخْطَل.

وأمَّا أغزرُهم بحرًا، وأرقُّهم شعرًا، وأهتكهم لعدوِّه سِترًا، الأغرُّ الأبْلَق، الذي إن طَلَب لم يُسبَق، وإن طُلِب لم يُلْحَق - فجرير.

وكلُّهم ذكيُّ الفؤاد، رفيعُ العِماد، واري الزِّناد.

فقال له مَسْلَمَة بن عبد الملك: ما سمعْنَا بمثلك يا خالدُ في الأوَّلين،

ولا رأينا في الآخرين، وأشهدُ أنَّك أحسنُهم وَصْفًا، وأليَنُهم عِطْفًا، وأعفُّهم مَقَالًا، وأكرمُهم فِعَالًا!

فقال خالد: أتمَّ الله عليكم نِعَمَه، وأجزلَ لديكم قِسَمَه، وآنَسَ بكم الغُربَة، وفرَّج بكم الكُربَة! وأنت والله - ما علمتُ - أيُّها الأمير، كريمُ الغِراس، عالِمٌ بالناس، جوادٌ في المَحْل، بسَّامٌ عند البَذْل، حليمٌ عند الطَّيش، في ذِرْوَةِ قُريش، ولُباب عبدِ شمس، ويومُكَ خيرٌ من أمس.

فضَحِكَ هشام وقال: ما رأيتُ كتخلُّصك يا ابنَ صَفْوان في مدح هؤلاء ووصفهم، حتى أرضيتَهم جميعًا!

قال عثمان البَتِّي: رأيتُ جريرًا وما تُضَمُّ شفتاه مِنَ التسبيح، فقلت: وما ينفعُكَ هذا مع قذفِكَ المُحصناتِ الغافلات؟!

فقال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولله الحمد؛ ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]، وعدٌ من الله حقٌّ.

وبَصُرَ الفَرَزْدَقُ بجَريرٍ مُحرِمًا، فقال: والله لأُفسدنَّ على ابن المَرَاغَةِ حَجَّه، ثم جاء مستقبلًا له فجهرَه بمِشْقَصٍ، ثم قال:

فَإنَّكَ لاقٍ بِالمَشاعِرِ مِنْ مِنًى فَخارًا؛ فَخَبِّرنِي بِمَن أَنتَ فاخِرُ؟!

فقال جرير: لبَّيكَ اللهمَّ لبَّيك، ولم يُجِبْه.

قال الأصمعي: قَدِم جريرٌ المدينة، فأتاه الشُّعراء وغيرُهم، وأتاه أشعَبُ فيهم، فسلَّموا عليه وحادثوه ساعةً وخرجوا، وبَقِيَ أشعَب، فقال له جرير: أراكَ قبيحًا، وأراكَ لئيمَ الحَسَب، ففيمَ قُعودكَ وقد خَرَجَ الناس؟!

فقال له: أصلحكَ الله، إنَّه لم يدخل عليكَ اليومَ أحدٌ أنفعُ لك منِّي!

قال: وكيف ذلك؟

قال: لأنِّي آخُذُ رقيقَ شِعرك، فأُزِّينه بحُسْنِ صوتي.

فقال له جرير: قُل!

فاندفع يغنِّيه:

يـا أُخْـتَ نَـاجِـيَـةَ الـسَّـلامُ عَـلَـيـكُـمُ    قَـبـلَ الـرَّحِـيـلِ وقَـبـلَ لَـومِ الـعُـذَّلِ
لَـوْ كُـنـتُ أَعـلَـمُ أنَّ آخِـرَ عَـهـدِكُـمْ    يَـومُ الـرَّحِـيـلِ فَـعَـلـتُ مـا لَـم أَفْـعَـلِ

## عذرٌ واه

قال القاضي محمَّد بن عمران لسالم بن أبي العفار؛ مولى هُذَيل، وكان ماجنًا: ويحَكَ يا سالم؛ لك هيئةٌ وسَمْت، أفلا تُقصر عمَّا أنتَ فيه؟

فقال: والله إنِّي لأهُمُّ بذاك، فإذا رأيتُ دار ابن عمِّك طلحة ابن بلال لم يُخسَف بها عَلِمتُ أنَّ في الأمر مُهلَةً!

وكان طلحة بن بلال مع موسى بن عيسى بالكوفة شيخًا ماجنًا أخبثَ الناس.

قال عبد الملك بن مروان لجَرير:

مَن أشعرُ الناس؟

فقال: ابن العشرين (يقصد: طَرَفَةَ بن العبد).

قال: فما رأيكَ في ابني أبي سُلْمى؟ (يقصد: زُهيرًا، وابنَه كَعْبًا).

قال: كان شعرهما نيِّرًا يا أمير المؤمنين.

قال: فما تقول في امرئِ القَيس؟

قال: اتَّخذَ الخبيثُ الشِّعرَ نَعْلَين، وأُقسم لو أدركتُه لرفعتُ ذَلاذِلَه! (أسفل القميص ممَّا يلي الأرض).

قال: فما تقول في ذي الرُّمَّة؟

قال: قَدَرَ من ظريف الشِّعر وغريبِه وحَسَنِه على ما لم يقدر عليه أحد.

قال: فما تقول في الأَخْطَل؟

قال: ما أخرج ابنُ النصرانيَّة ما في صدره من الشِّعر حتى مات.

قال: فما تقول في الفَرَزْدَق؟

قال: في يدِه والله نَبْعَةٌ من الشِّعر قد قبض عليها. (النَّبْع: شجر تُتَّخذ منه القِسيُّ والسِّهام).

قال: فما أراك أبقيتَ لنفسك شيئًا!

قال: بلى، والله يا أمير المؤمنين، إنِّي لمدينة الشِّعر التي منها يخرج وإليها يعود؛ نسبتُ فأطرَبت، وهجَوتُ فأردَيت، ومَدَحتُ فأسنَيت، وأرمَلتُ فأغزَرت، ورجزتُ فأبحَرت، فأنا قُلتُ ضروبَ الشِّعر كلَّها، وكلٌّ واحدٍ قال نوعًا منها.

قال: صدقت.

## عُروةُ بن أُذَيْنَة

وفَدَ عُروةُ بن أُذينةَ الشاعر على هشام بن عبد الملك في جماعةٍ من الشُّعراء، فلمَّا دخلوا عليه عَرفَ عُروة، فقال له:

ألستَ القائل:

لَقَد عَلِمْتُ وما الإشْرافُ مِنْ خُلُقِي    أنَّ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوفَ يَأتِينِي
أَسْعَى لَهُ فَيُعَنِّينِي تَطَلُّبُهُ    وَلَوْ قَعَدتُّ أتانِي لا يُعَنِّينِي

وأراكَ قد رحلتَ من الحجاز إلى الشام في طلبِ الرِّزق؟!

فقال له: يا أميرَ المؤمنين؛ زادكَ الله بسطةً في العِلم والجسم، ولا رُدَّ وافدُكَ خائبًا، والله لقد بالغتَ في الوعظ، وأذكرتَني ما أنسانِيهُ الدَّهر!

وخرج مِن فَورِه، وركب راحلتَه متوجِّهًا إلى الحجاز، فلمَّا كان اللَّيلُ ذَكَره هشام وهو في فراشه، فقال: رجلٌ من قريش قال حِكمةً ووفد إليَّ، فجبهتُه ورددتُّه عن حاجته، وهو مع ذلك شاعر لا آمَنُ ما يقول!

فلمَّا أصبح سأل عنه فأُخبِر بانصرافه، فقال: لا جَرَمَ؛ ليعلم أنَّ الرِّزق سيأتيه، ثم دَعَا مولًى له وأعطاه ألفي دينار، وقال: الحَقْ بهذه ابن أُذَيْنَة، وأعطِه إيَّاها، فأدركه وقد دخل بيته، فقرعَ البابَ عليه، فخرج إليه فأعطاه المال، فقال: أبلِغ أميرَ المؤمنين قولي: سَعَيتُ فأَكْدَيْت، ورجعتُ إلى بيتي فأتاني رزقي.

قال ذو الرُّمَّة:

وقَد كُنتُ أُخْفي حُبَّ مَيٍّ وَذِكْرُها    رَسِيسُ الهَوَى حَتَّى كَأَنْ لا أُرِيدُها
فَما زالَ يَغلُو حُبُّ مَيَّةَ عِنْدَنا    ويَزْدادُ حتَّى لم نَجِدْ ما يَزِيدُها

قال أبو تمَّام: تذاكرنا الكلامَ في مجلس سعيد بن عبد العزيز التَّنُوخيِّ وحُسنَه، والصَّمتَ ونُبلَه، فقال: ليس النجمُ كالقمر؛ إنَّما نمدحُ السُّكوتَ بالكلام، ولا نمدحُ الكلامَ بالسُّكوت، وما أنبأ عن شيءٍ فهو أكثرُ منه.

كان جَريرٌ قد هجا الراعي النُّميريَّ بقصيدته البائيَّة المشهورة التي منها قوله:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِنْ نُمَيرٍ    فَلا كَعْبًا بَلَغْتَ ولا كِلابَا

وبعد مدَّة مرَّ راكبٌ يتغنَّى بقول جَرير:

وَعاوٍ عَوَى مِنْ غَيرِ شَيءٍ رَمَيتُهُ ... بِقافيةٍ أَنْفاذُها تَقْطُرُ الدَّمَا
خَرُوجٍ بِأَفْواهِ الرِّجالِ كَأَنَّها ... قِرَى هُنْدُوَانِيٍّ إذا هُزَّ صَمَّمَا

فقال الراعي: لِمَن البيتان؟

قالوا: لجرير.

قال: قاتله الله! لو اجتمعتِ الجنُّ والإنسُ ما أغنوا فيه شيئًا!

ثم قال الراعي: أُلامُ أن يغلِبني مثلُ هذا.

## بنو عبد المَدَان

كان بنو عبد المَدَانِ الحارثيُّون يفخرون بطولِ أجسامِهم، وقديمِ شَرفِهم، حتى قال فيهم حسَّان بن ثابت:

لا بَأْسَ بِالقَومِ مِنْ طُولٍ وَمِنْ غِلَظٍ ... جِسْمُ البِغالِ وَأَحْلامُ العَصافيرِ

فقالوا له: والله يا أبا الوليد لقد تركتنا ونحن نستحي من ذِكر أجسامِنا، بعد أن كنَّا نفخرُ بها! فقال لهم: سأُصلِح منكم ما أفسدتُّ، فقال فيهم:

وَقَدْ كُنَّا نَقولُ إذا رَأَينا ... لِذِي جِسْمٍ يُعَدُّ وَذِي بَيانِ
كَأَنَّكَ أَيُّها المُعْطَى لِسانًا ... وَجِسْمًا مِن بَنِي عَبْدِ المَدانِ

اختصم أعرابيَّان إلى بعض الولاة في دَينٍ لأحدهما على صاحبه، فجعل المدَّعَى عليه يحلفُ بالطَّلاق والعَتاق، فقال المدَّعِي: دعني من هذه الأيمان، واحلِف بما أقوله لك: لا تَركَ الله لك خُفًّا يتبعُ خُفًّا، ولا ظِلْفًا يتبعُ ظِلْفًا، وحَتَّكَ من أهلك ومالك حَتَّ الورقِ من الشجر إن لم يكن لي هذا الحقُّ قِبَلَك!

فأعطاه حقَّه، ولم يحلِف له.

## أيَّةُ هديَّة؟!

همَّ الفَرَزْدَقُ بهجاء عبد القيس، فأرسل إليه زياد بن سُلمى أبو أُمامَةَ العبديُّ - المعروف بزياد الأعجم - يقول: لا تعجَل حتى أُهدي إليك هديَّة، فبعث إليه:

فَما تَرَكَ الهاجُونَ لِي إنْ هَجَوتُهُ   مَصَحًّا أَراهُ في أَدِيمِ الفَرَزْدَقِ
وَما تَرَكُوا عَظْمًا يُرَى تَحْتَ لَحْمِهِ   لِكاسِرِهِ أَبْقَوهُ لِلْمُتَعَرِّقِ
سَأَكْسِرُ ما أَبْقَوهُ لِي من عِظامِهِ   وأَنكُتُ مُخَّ السَّاقِ مِنهُ وَأَنتَقِي
وإنَّا وما تُهدِي لَنا إن هَجَوتَنا   لَكالبَحرِ؛ مَهْما يُلْقَ في البَحرِ يَغرَقِ

## العَرْجِي

كان الشاعر العَرْجِيُّ غازيًا، فأصابتِ الناسَ مجاعةٌ، فقال للتجَّار: أعطوا الناس وعليَّ ما تُعطون، فلم يزَل يُعطيهم، ويُطعم الناس حتى أخصبوا، فبلغ ذلك عشرين ألف دينار، فألزمها العَرْجِيُّ نفسَه.

وبلغ الخبرُ عمرَ بن عبد العزيز، فقال: بيتُ المال أحقُّ بهذا، فقضى التجَّارَ ذلك المالَ من بيت المال.

## عبد الملك والشُّعراء

اجتمع جماعةٌ من الشُّعراء عند باب عبد الملك بن مَرْوان، فتذاكروا بيتَ نُصَيب، وهو قوله:

أَهِيمُ بِدَعْدٍ ما حَيِيتُ فَإن أَمُتْ   أُوَكِّلْ بِدَعْدٍ مَن يَهِيمُ بِها بَعدِي

فما في القوم إلَّا مَن عابَه، وأزرى على نُصَيب فيه.

فقال عبد الملك: فما كنتم تقولون أنتم؟

فقال الأُقَيشِر: كنت أقولُ يا أمير المؤمنين:

أَهِيمُ بِدَعْدٍ ما حَيِيتُ فَإِن أَمُتْ فَيا لَيتَ شِعْرِي مَن يَهِيمُ بِها بَعدِي؟!

فقال له عبد الملك: أنت أسوأُ رأيًا من نُصَيب.

فقالوا: فماذا كنت تقولُ أنت يا أمير المؤمنين؟

قال: كنت أقول:

أَهِيمُ بِدَعْدٍ ما حَيِيتُ فَإِن أَمُتْ فَلا صَلَحَت دَعْدٌ لِذِي خَلَّةٍ بَعدِي

فقالوا: أنت والله أشعرُ الثلاثة يا أمير المؤمنين.

ومرَّ الفَرَزْدَقُ بخالد بن صَفْوان بن الأهتَم، فقال له خالد: يا أبا فِراس؛ ما أنت بالذي لَمَّا ﴿رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣١]، فقال له الفَرَزْدَق: ولا أنتَ الذي قالت الفتاة لأبيها فيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

قال ابنُ أبي طاهر: قلتُ لأبي تمَّام: أعنيتَ أحدًا بقولك:

فَبِتُّ كَأَنَّنِي أَعْمَى مُعَنًّى يُحِبُّ الغانِياتِ وَلا يَراها

فقال: نعم، عنيتُ بشَّار بن بُرْد الضرير.

قال: وأنا أحسبُه أراد قولَه:

يا قَومِ أُذْنِي لِبَعْضِ الحَيِّ عاشِقَةٌ وَالأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ العَينِ أَحيانا

قالوا: بِمَن لا تَرَى تَهْذِي! فَقُلتُ لَهُم: أَلأُذْنُ كَالعَينِ تُوفي القَلبَ ما كانا

روى أبو تمَّام قال: مرَّ الطِّرِمَّاح بمسجد البصرة وهو يخطِر في مِشيَته - يتمايلُ يمينًا وشمالًا فخرًا وخُيلاءً - فقال رجل: مَن هذا الخَطَّار؟ فقال: أنا

الذي أقول:

لَـقَـد زادَنِـي حُـبًّـا لِـنَـفْـسِـيَ أَنَّـنـي بَـغِـيـضٌ إلَـى كُـلِّ امْـرِئٍ غَـيـرِ طـائِـلِ
إذا مـا رَآنِـي قَـطَّـعَ الـطَّـرْفَ دُونَـهُ وَدُونِـيَ فِـعـلَ الـعـارِفِ الـمُـتَـجـاهِـلِ
مَـلَأتُ عَـلَـيـهِ الأَرضَ حَـتَّـى كَـأَنَّـهـا مِـنَ الـضِّـيـقِ فـي عَـيـنَـيـهِ كِـفَّـةُ حـابِـلِ

وقال خَلَّاد الأرْقَط: سمعتُ مشايخنا من أهل مكَّة يذكرون القَسَّ، وهو مولى لبني مخزوم، كان عند أهل مكَّة بمنزلة عطاء ابن أبي رباح، وأنَّه مرَّ يومًا بسَلَّامة وهي تغنِّي، فوقف يسمع فرآه مولاها، فدنا منه فقال: هل لك في أن تدخل وتسمع؟

فأبى، ولم يزَل به فقال: أُقعِدك في موضع لا تراها، ولا تراك ففعل، ثم غنَّت فأعجبَته، فقال: هل لك في أن أُحوِّلها إليك فأبى، ثم أجاب، فلم يزل به حتَّى شُغِف بها وشُغِفت به، وعلم ذلك أهلُ مكة، فقالت له يومًا، وقد خلَوَا: أنا والله أُحبُّك!

فقال: وأنا والله أحبُّك!

قالت: فأنا أحبُّ أن أضع فمي على فمك!

قال: وأنا والله!

قالت: وأنا والله أُحِبُّ أن أضع صدري على صدرك!

قال: وأنا والله!

قالت: فما يمنعُك، والله إنَّ الموضع لخالٍ؟

فأطرق ساعة، ثم قال: إنِّي سمعت الله يقول: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧]، وأنا والله أكره أن يكون خُلَّةُ ما بيني وبينك عداوةً يوم القيامة، ونَهَض وعاد إلى طريقته التي كان عليها.

قال عبد الأعلى: رأيت الطِّرِمَّاح مؤدِّبًا بالرَّي، فلم أرَ أحدًا آخَذَ لعقول الرجال، ولا أجذبَ لأسماعهم إلى حديث منه، ولقد رأيتُ الصبيان يخرجون مِن عنده، وكأنَّهم قد جالسوا العلماء.

عن النَّضْر بن شُمَيل قال: دخلتُ على أمير المؤمنين بمَرْو، فقال: أنشدني أقنعَ بيت للعرب، فأنشدته قول الحكَم بن عَبْدَل:

إنِّـي امْـرُؤٌ لـم أَزَلْ وَذَاكَ مِـنَ الْـ ـلَـهِ أَدِيـبًـا أُعَـلِّـمُ الأُدَبَـا
أُقِيمُ بِالدَّارِ ما اطْمَأَنَّتْ بِيَ الدْ دارُ وَإنْ كُـنْـتُ نَـازِعًـا طَـرِبَـا
لا أَجْـتَـوِي خُـلَّـةَ الـصَّـدِيـقِ وَلا أُتْـبِـعُ نَـفْـسِـي شَـيْـئًـا إذَا ذَهَـبَـا
أَطْلُبُ ما يَطلُبُ الكَرِيمُ مِنَ الرْ ـرِزْقِ بِـنَـفْـسِـي وَأُجْـمِـلُ الـطَّـلَـبَـا
وَأَحْـلُـبُ الـثَّـرَّةَ الـصَّـفِـيَّ وَلَا أُجْـهِـدُ أَخْـلافَ غَـيْـرِهَـا حَـلَـبَـا
إنِّـي رَأَيـتُ الـفَـتَـى الـكَـرِيـمَ إذَا رَغَّـبْـتَـهُ فـي صَـنِـيـعَـةٍ رَغِـبَـا
وَالـعَـبْـدُ لا يُـحْـسِـنُ الـعَـطَـاءَ وَلا يُـعْـطِـيـكَ شَـيْـئًـا إلَّا إذا رَهِـبَـا
مِثْلُ الـحِـمَـارِ الـمُـعَـقَّـبِ السَّوءِ لا يُـحْـسِـنُ مَـشْـيًـا إلَّا إذا ضُـرِبَـا
وَلَـم أَجِـدْ عُـدَّةَ الـخَـلَائِـقِ إلْـ ـلَا الـدِّيـنَ لَـمَّـا اعْـتَـبَـرْتُ وَالـحَـسَـبَـا
قَـدْ يُـرْزَقُ الـخَـافِـضُ الـمُـقِـيـمُ ومَـا شَـدَّ لَـعَـيْـشٍ رَحْـلًا ولا قَـتَـبَـا
وَيُـحْـرَمُ الـرِّزْقَ ذُو الـمَـطِـيَّـةِ وَالـرْ ـرَحْـلِ وَمَـن لا يَـزَالُ مُـغْـتَـرِبَـا

## كلٌّ يأكل صيدَه

خَرَج المهديُّ وعليُّ بن سليمان إلى الصيد، فسنحَ لهما قطيعٌ من ظِباء، فأُرسلت الكلاب، وأُجريت الخيل، فرمى المهديُّ سهمًا فصرع ظبيًا، ورمى عليُّ بن سليمان فأصاب كلبًا، فقتله، فقال أبو دُلامة:

قَـدْ رَمَـى الـمَـهْـدِيُّ ظَـبْـيًـا شَـكَّ بِـالـسَّـهْـمِ فُـؤَادَهْ

وَعَــــلِــــيُّ بْــــنُ سُــــلَــــيْــــمَــــا نَ رَمَــــى كَــــلْــــبًــــا فَــــصَــــادَهْ
فَــهَــنِــيــئًــا لَــهُــمَــا كُــلْــ ـلُ امْــــرِئٍ يَــــأْكُــــلُ زَادَهْ

فضحك المهديُّ حتى كاد يسقط عن سَرْجه، وقال: صَدَق والله أبو دُلامة، وأمر له بجائزة، ولقَّب عليَّ بن سليمان بصائد الكلب، فعلِق اللقبُ به.

## الهدايا

وقال الحسين بن عليٍّ بن محمد الزَّبيديُّ اليمني:

هَـدَايَـا الـنَّـاسِ بَـعْـضِـهِـمُ لِـبَـعْـضٍ تُـوَلِّـدُ فـي قُـلُـوبِـهِـمُ الـمَـوَدَّهْ
وَتَـزْرَعُ فـي الـنُّـفُـوسِ هَـوًى وَحُـبًّـا لِـصَـرْفِ الـدَّهْـرِ وَالـحَـدَثَـيـنِ عُـدَّهْ
وَتَـصْـطَـادُ الـقُـلـوبَ بِـلا شِـرَاكٍ وَتُـسْـعِـدُ حَـظَّ صَـاحِـبِـهَـا وَجَـدَّهْ

## العبَّاس بن الأحنَف

ذَكَر جماعةٌ من أهل البصرة، قالوا: خرجنا نريد الحجَّ، فلمَّا كنَّا ببعض الطريق إذا غلامٌ واقفٌ على المحجَّة وهو ينادي: يا أيُّها الناس، هل فيكم أحدٌ من أهل البصرة؟ قال: فمِلْنا إليه، وقلنا له: ما تريد؟ قال: إنَّ مولاي لِمَا به يريدُ أن يوصيَكم، فمِلنا معه فإذا بشخص مُلقًى على بُعْد من الطريق، تحت شجرة لا يَحيرُ جوابًا، فجلسْنا حولَه، فأحسَّ بنا، فرفع طرْفَه، وهو لا يكاد يرفعه ضعفًا، وأنشأ يقول:

يَــا غَــرِيــبَ الــدَّارِ عَــنْ وَطَــنِــهْ مُــفْــرَدًا يَــبْــكِــي عَــلَــى شَــجَــنِــهْ
كُــلَّــمَــا جَــدَّ الــبُــكَــاءُ بِــهِ دَبَّــتِ الأَسْــقَــامُ فــي بَــدَنِــهْ

ثم أُغميَ عليه طويلًا، وإنَّا لجلوس حولَه إذ أقبل طائرٌ فوقع على أعلى

الشجرة، وجعل يغرِّد، ففتح الفتى عينَه، وجعل يسمع تغريدَ الطائر، ثم قال:

وَلَقَدْ زَادَ الفُؤَادَ شَجًى   طَائِرٌ يَبْكِي عَلَى فَنَنِهْ
شَفَّهُ مَا شَفَّنِي فَبَكَى   كُلُّنَا يَبْكِي عَلَى سَكَنِهْ

ثم تنفَّس نفسًا فاضَت نفسُه منه، فلم نبرَحْ من عنده حتى غسَّلْناه وكفَّناه، وتولَّينا الصلاة عليه، فلمَّا فرَغنا من دفنه سألنا الغلامَ عنه، فقال: هذا العبَّاس بن الأحنَف.

## أبو تمَّام

كان أبو تمَّام حاضرَ البديهة، سريعَ الخاطر، فكان إذا سأله إنسان أجابه قبلَ انقضاء كلامه، فقال له رجل: يا أبا تمَّام؛ لِمَ لا تقول من الشِّعر ما يُعرف؟

فقال: وأنت لِمَ لا تَعرِف من الشِّعر ما يُقال؟

فأفحمه.

وكان أبو تمَّام عندَ الحسن بن رجاء، وكان الحسن قد أمر حاجبَه ألَّا يقف ببابه طالبُ حاجة إلَّا أعلمه خبرَه، فدخل حاجبُه يومًا يضحك، فقال: ما شأنُك؟

قال: بالباب رجل يستأذن، ويزعم أنَّه أبو تمَّام الطائي.

قال: فقُل له: ما حاجتُك؟

قال: يقول: مدحتُ الأميرَ أعزَّه الله وجئتُ لأُنشِدَه.

قال: أدخِله.

فدخل فحضرتِ المائدةُ فأكل معه، ثم قال له: مَن أنت؟

قال: أبو تمَّام حبيبُ بن أوسٍ الطائي، مدحتُ الأمير أعزَّه الله.

قال: هاتِ مدحَك، فأنشده قصيدةً حسنة، فقال: قد أحسنتَ، وقد أمرتُ لك بثلاثة آلاف درهم، فشكر ودعَا.

وكان الحسن قد تقدَّم قبل دخوله إلى الجماعة ألَّا يقولوا له شيئًا، فقال له أبو تمَّام: نريد أن تُجيز لنا هذا البيت، وعَمِل بيتًا فلَجْلَج، فقال له: ويحَك أما تستحي؟! ادَّعيت اسمي واسمَ أبي، وكنيتي ونَسَبي، وأنا أبو تمَّام.

فضَحِك الشيخ، وقال: لا تعجَل عليَّ حتى أحدِّث الأمير أعزَّه الله قصَّتي؛ أنا رجل كانت لي حال فتغيَّرت، فأشار عليَّ صديق لي من أهل الأدب أن أقصدَ الأمير بمدح، فقلت له: لا أحسن!

فقال: أنا أعمل لك قصيدة، فعمل هذه القصيدة ووهبَها لي، وقال: لعلَّك تنال خيرًا.

فقال له الحسن: قد نلتَ ما تريد، وقد أضعفتُ جائزتَك، فكانوا ينادونه ويتولَّعون به، فيَكنُونه بأبي تمَّام.

## بين الصاحب وابن العَميد

قال أبو حيَّان التوحيديُّ في كتابه "مثالب الوزيرَين": وقلت لأبي السلم نجبة بن عليٍّ الشاعِر القحطاني: أين ابن عبَّاد من ابن العميد، فقد زرتُهما منتجِعًا، وزرتُهما جميعًا؟

فقال: كان ابنُ العميد أعقل، وكان يدَّعي الكرم، وابن عبَّاد أكرم، وهو يدَّعي العقل، وهما في دعوتَيهما كاذبان، وعلى سجيَّتهما جاريان.

أنشدتُّ يومًا على باب دارِ ذا قولَ الشاعر:

إذا لم يكُن لِلمَرءِ في دَولَةِ امرِئٍ  جَمالٌ ولا مالٌ تَمَنَّى انتِقالَهَا
وما ذاكَ مِنْ بُغْضٍ لها غيرَ أَنَّهُ  يُؤَمِّلُ أُخْرَى وهْوَ يَرْجُو زَوالَهَا

فرُفع إليه إنشادي، فأخذني وأوعدني، وقال: انجُ بنفسك؛ فإنِّي إن رأيتُك بعد هذا أولغتُ الكلابَ دمَك.

وكنت قاعدًا على باب هذا منذ أيَّام، فأنشدتُّ البيتين على سهو، فرُفع إليه الحديث، فدعاني ووهب دُريهماتٍ وخُريقات، وقال: لا تتمنَّ انتقال دَولتِنا بعد هذا.

ثم قال أبو حيَّان: وأبو السلم هذا مِن أغزر الناس في الشِّعر، يحفظ الطِّمَّ والرِّمَّ (الطِّمُّ: الشيء الكثير، والرِّمُّ: الثَّرى) وكان طيِّبَ الإنشاد، رخيمَ النَّغمة، أنشدني لابن حسَّان:

إنَّ الجَدِيدَينِ في طُولِ اخْتِلافِهِما  لا يَفسُدانِ وَلَكِنْ يَفسُدُ النَّاسُ
لا تَطمَعا طَمَعًا يُدْنِي إلى طَبَعٍ  إنَّ المَطامِعَ فَقْرٌ والغِنَى اليَاسُ
لِلنَّاسِ مالٌ وَلِي مالانِ ما لَهُما  إذا تَحارَسَ أَهلُ المالِ حُرَّاسُ
مالِي الرِّضَا بالذي أصبَحتُ أملِكُهُ  ومالِيَ اليَأسُ مِمَّا يَملِكُ النَّاسُ



## المدح في الشِّعر العربي

كان العرب قبلَ الإسلام في جاهليَّة جهلاء، وضلالة عمياء، يعبدون الأوثان، ويشركون مع الله آلهة أخرى، يتبرَّكون بالأشجار والأحجار، ويلتمسون الشفاعة والزُّلْفى ممَّن لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، وكانت حالُ أهل الأرض الآخرين أسوأَ من حال العرب، وأشدَّ ضلالًا وكفرًا.

فلمَّا بعث الله نبيَّه محمَّدًا ﷺ وأنزل عليه القرآن العظيم، انتشر نورُ الإسلام، وشعَّ في أرجاء المعمورة، ودخل فيه الناس أفواجًا من كلِّ جنس وبلد ولون؛ لأنَّه دين البشر أجمعين.

## إنَّ الرسول لنورٌ يُستضاءُ به

قال كَعْبُ بن زُهَير:

بـانَـتْ سُـعـادُ فَـقَـلـبِـي الـيَـومَ مَـتْـبُـولُ ... مُـتَـيَّـمٌ إثـرَهـا لـم يُـفْـدَ مَـكْـبُـولُ
نُـبِّـئْـتُ أنَّ رَسُـولَ اللهِ أَوْعَـدَنِـي ... وَالـعَـفْـوُ عِـنْـدَ رَسُـولِ اللهِ مَـأمُـولُ
مَـهْـلًا هَـداكَ الـذي أَعْـطَـاكَ نَـافِـلَـةَ الـ ... ـقُـرْآنِ فـيـهَـا مَـواعِـيـظٌ وَتَـفْـصِـيـلُ
إنَّ الـرَّسُـولَ لَـنُـورٌ يُـسـتَـضـاءُ بـهِ ... مُـهَـنَّـدٌ مِـنْ سُـيُـوفِ اللهِ مَـسْـلُـولُ
في عُـصبَـةٍ مِـنْ قُـرَيـشٍ قـالَ قَـائِـلُـهُـم ... بِـبَـطْـنِ مَـكَّـةَ لَـمَّـا أَسـلَـمُـوا زُولُـوا
زالُـوا فَـمـا زالَ أَنْـكـاسٌ ولا كُـشُـفٌ ... عِـنـدَ الـلِّـقـاءِ ولا مِـيـلٌ مَـعـازِيـلُ
شُـمُّ الـعَـرانِـيـنِ أَبْـطَـالٌ لَـبُـوسُـهُـمُ ... مِـنْ نَـسْـجِ داودَ في الـهَـيْـجَـا سَـرابِـيـلُ
لَـيـسُـوا مَـفـارِيـحَ إنْ نـالَـتْ رِمـاحُـهُـمُ ... قَـومًـا ولَـيـسُـوا مَـجـازِيـعًـا إذا نِـيـلُـوا
لا يَـقَـعُ الـطَّـعْـنُ إلَّا فـي نُـحُـورِهِـمُ ... وما لَـهُـمْ عَـنْ حِـياضِ الـمَـوتِ تَـهْـلِـيـلُ

## من أبٍ إلى أبنائه

قال المنفلوطيُّ في كتابه "النظرات" لأولاده، يخاطب أولاده الأربعةَ الذين ماتوا قبلَه:

يا بَنيَّ، إن قدَّر الله لكم أن تتلاقَوا في رَوضةٍ من رِياض الجنَّة، أو على شاطئ غَديرٍ من غُدرانها، أو تحتَ قصرٍ من قُصورها - فاذكروني مثلَما أذكرُكم، وقِفوا بين يدي ربِّكم صفًّا واحدًا، كما يقفُ بين يديه المصلُّون، ومُدُّوا إليه أكفَّكم الصغيرة، كما يمدُّها السائلون.

وقولوا له: اللهمَّ إنَّك تعلم أنَّ هذا الرجل المسكين كان يحبُّنا، وكنَّا نحبُّه، وقد فرَّقت الأيامُ بينَنا وبينَه، فهو لا يزال يُلاقي بعدَنا مِن شقاء الحياة وبأسائها ما لا طاقةَ له باحتماله، ولا نزالُ نجدُ بين جوانحنا من الوَجْدِ به والحنينِ إليه ما يُنغِّص علينا هناءَ هذه النِّعمة التي ننعمُ بها في جِوارك، بين سمعك وبصرك، وأنت أرحمُ بنا وبه من أن تُعذِّبنا عذابًا كثيرًا، فإمَّا أن تأخُذنا إليه، أو تأتيَ به إلينا، بل لا تطلبوا منه إلَّا أن يأتيَ بي إليكم؛ فإنَّ الحياة التي كرهتُها لنفسي لا أرضاها لكم، فعسى أن يستجيبَ الله من دعائكم ما لم يَستجِب من دعائي، فيرفعَ هذا السِّتارَ المسبَلَ بيني وبينكم، فنلتقي كما كنَّا[١].

سأل الحجَّاجُ الغضبانَ بن القَبَعْثَرَى عن مسائلَ يمتحنُه فيها، قال له: مَن

(١) الغرض من إيراد كلام المنفلوطي هذا هو التنبيه إلى ما قد يقع فيه بعضُ الكتَّاب من غلط؛ إذ إنَّ هذا من الاستشفاع بالأموات، وذلك ممَّا جاء الشرع بالنهي عنه والتحذير منه؛ حمايةً للتوحيد، وابتعادًا عن الشرك ووسائله، فلا يجوز طلبُ الشفاعة من الأموات ولا الاستغاثةُ بهم ولا التوسُّلُ بهم؛ كما دلَّت على ذلك النصوص القرآنيَّة والأحاديث النبويَّة.

أكرمُ الناس؟

قال: أفقههم في الدِّين، وأصدقُهم لليمين، وأبذلُهم للمسلمين، وأكرمُهم للمُهانين، وأطعمُهم للمساكين.

قال: فمَن ألْأَمُ الناس؟

قال: المعطي على الهوان، المقتِّرُ على الإخوان، الكثيرُ الألوان.

قال: فمَن أشرُّ الناس؟

قال: أطولُهم جَفوة، وأدومُهم صَبوة، وأكثرُهم خَلوة، وأشدُّهم قَسوة.

قال: فمَن أشجعُ الناس؟

قال: أضربُهم بالسَّيف، وأقراهُم للضَّيف، وأتركُهم للحَيف.

قال: فمَن أجبنُ الناس؟

قال: المتأخِّر عن الصفوف، المنقبضُ عن الزُّحوف، المرتعِشُ عندَ الوقوف، المحبُّ ظلالَ السُّقوف، الكارهُ لضربِ السُّيوف.



خرج عمر بن عبد العزيز مع سليمان بن عبد الملك للغزو، فاقتتل غِلمانُ عمرَ وغِلمان سليمان على الماء، فشكَوا ذلك إلى سليمان، فأرسل إلى عمر فقال له: ضَرَب غلمانُك غلماني! قال عمر: ما علمت.

فقال له سليمان: كذبتَ!

قال: ما كذبتُ منذ شددتُّ عليَّ إزاري وعلمتُ أنَّ الكذب يضر أهله، وإن في الأرض عن مجلسِك هذا لسَعة!

فتجهَّز عمر يريد مصر؛ فبلغ ذلك سليمان، فشقَّ عليه، فدخلَتْ فيما بينَهما عمَّةٌ لهما، فقال لها سليمان: قولي له: يدخل عليَّ ولا يُعاتبني.

فدخل عليه عمر، فاعتذر إليه سليمان وقال له: يا أميرَ المؤمنين، ما اغتممتُ بأمر ولا أكربني همٌّ إلَّا خطرت فيه على بالي.

قيل لعمر بن عبد العزيز:

ما تقول في عليٍّ وعثمان، وفي حرب الجملِ وصِفين؟

قال: تلك دماءٌ كفَّ الله يدي عنها، فأنا أكره أن أغمِسَ لساني فيها.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عُمَّاله:

أمَّا بعد:

فإذا دَعَتكَ قُدرتُك إلى ظلم الناس، فاذكر قدرةَ الله عليك، ونفادَ ما تأتي إليهم، وبقاءَ ما يأتون إليك، والسلام.

قال هشام بن عبد الملك لمَسْلَمَة:

يا أبا سعيد، هل دخلك ذُعرٌ قطُّ لحَرْبٍ أو عدوٍّ؟

قال: ما سلمتُ في ذلك من ذُعرٍ ينبِّه على حِيلَة، ولم يَغْشَني فيها ذُعرٌ سلبني رأيِي.

قال هشام: هذه البَسالَة.

## محمَّد بن القاسم

قال أبو اليقظان: وَلَّى الحجَّاج محمَّدَ بن القاسم بن محمَّد ابن الحَكَم الثقفيَّ قتالَ الأكراد بفارس، فأباد منهم، ثم ولَّاه السِّند، فافتتح السِّند

والهند، وقاد الجيوش، وهو ابن سبعَ عشْرةَ سنة، فقال فيه الشاعر:

إنَّ السَّماحَةَ وَالمُرُوءَةَ والنَّدَى لِمُحَمَّدِ بنِ القاسِمِ بنِ مُحَمَّدِ
قَادَ الجُيُوشَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ حَجَّةً يا قُرْبَ ذَلكَ سُؤْدُدًا مِنْ مَولِدِ

وقال زياد بن الأعجم:

حَتَّى المَنَابِرُ أَصْبَحَتْ مُخْتَالَةً بِمُحَمَّدِ بنِ القاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ

## ليتَه سكت؟!

قال ابنُ الضحَّاك بن قَيْسٍ الفِهْرِيُّ لهشام بن عبد الملك قبل أن يملك - وهو يومئذٍ غلامٌ شابٌّ -: يا ابن الخلائف، لِمَ تُطيل شعرَك وقميصَك؟

قال: أكره أن أكونَ كما قال الشاعر:

قَصِيرُ القَمِيصِ فاحِشٌ عِنْدَ بابِهِ وَشَرُّ غِرَاسٍ في قُرَيشٍ مُرَكَّبَا

وهذا الشِّعر لأبي خالد مَرْوان بن الحَكَم، هجَا به الضحَّاكَ ابن قيس.

دخل رجلٌ على هشام بن عبد الملك فقبَّل يديه، فقال: أفٍّ له! إنَّ العرب ما قبَّلَتِ الأيدي إلَّا هُلوعا، ولا فعلَتْه العَجَمُ إلَّا خُضوعا.

لَمَّا صارت الخلافةُ إلى أبي جعفر المنصور، كتب إليه رجلٌ كان مِن خاصَّته قبل تولِّيه الخِلافة:

إنَّا بِبِطانَتُكَ الأُلَى كُنَّا نُكابِدُ ما نُكابِدْ
وَنَبِيتُ مِنْ شَفَقٍ عَلَيْكَ رَبِيئَةً وَاللَّيلُ ماجِدْ
هَذا أَوانُ وَفاءِ مَا سَبَقَتْ بِهِ مِنْكَ المَواعِدْ

فوقَّع أبو جعفر على كلِّ بيت منها: صدقتَ، صدقتَ، ثم دعا به وألحقَه في خاصَّته.

## لا يلومُه!

دخل شابٌّ من بني هاشم على المنصور، فسأله عن وفاة أبيه؟

فقال: مَرِض أبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يوم كذا، ومات رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يومَ كذا، وترك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِن المال كذا، ومِن الولد كذا...

فانتهرَه الرَّبيع، وقال: بين يدي أمير المؤمنين تُوالي بالدُّعاء لأبيك؟

فقال الشاب: لا ألومُكَ؛ لأنَّك لم تعرِف حلاوةَ الآباء.

قال الراوي: فما علمنا أنَّ المنصور ضَحِك في مجلسه ضحكًا قطُّ، فافترَّ عن نواجذه إلَّا يومئذ، وكان الرَّبيع لَقِيطًا.

## أبو الشَّمَقْمَق

كان أبو الشَّمَقْمَق الشاعر أديبًا ظريفًا، وكان صُعلوكًا، متبرِّمًا بالناس، وقد لَزِمَ بيتَه في أطمار مسحوقة، وكان إذا استفتح عليه أحدٌ بابَه، خرج فينظر من فُروجِ الباب، فإن أعجبَه الواقف فتح له، وإلَّا سكت عنه، فأقبل إليه يومًا بعضُ إخوانه الملطِّفين له، فدخل عليه، فلمَّا رأى سوء حاله، قال له: أبشِر أبا الشَّمَقْمَق، فإنَّا روينا في بعض الحديث: «إنَّ العارين في الدُّنيا هم الكاسون يومَ القيامة».

فقال: إن صحَّ والله هذا الحديثُ كنتُ أنا في ذلك اليوم بزَّازًا.



## دعاء

ربَّنا لا تؤاخذْنا إن نسينا أو أخطأنا، اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من غَلَبَة الدَّين وقَهْر الرِّجال.

وعن حمَّاد، عن أبيه؛ قال: دخلتُ يومًا على الرشيد، فقال لي: يا إسحاق، أنشدني شيئًا من شعرك.

فأنشدتُّه:

وَآمِرَةٍ بِالبُخْلِ قُلتُ لَهَا: اقْصِري ... فَـذَلِـكَ شَـيءٌ مـا إلَـيـهِ سَـبِـيـلُ
أَرَى النَّاسَ خُلَّانَ الجَوادِ ولا أَرَى ... بَـخِـيـلًا لَـهُ في الـعـالَـمِـينَ خَـلِـيـلُ
وَمِنْ خَيرِ حالاتِ الفَتَى لَوْ عَلِمْتِهِ ... إذا نـالَ شَـيـئًـا أَنْ يَـكُـونَ يُـنِـيـلُ
فَإنِّي رَأَيتُ البُخْلَ يُزْرِي بِأَهْلِهِ ... فـأَكـرَمـتُ نَـفْسِـي أَنْ يُـقـالَ بَـخِـيـلُ
عَطائِي عَطَاءُ المُكْثِرِينَ تَجَمُّلًا ... ومـالِـي كَـمَـا قَـدْ تَـعْـلَـمِـيـنَ قَـلِـيـلُ
وكَيفَ أَخافُ الفَقْرَ أَوْ أُحرَمُ الغِنَى ... وَرَأْيُ أَمِـيـرِ الـمُـؤمِـنِـيـنَ جَـمِـيـلُ

فقال: لا تخَفْ إن شاء الله، يا فضل؛ أعطِه مئةَ ألف درهم، ثم قال: لله دَرُّ أبياتٍ تأتينا بها يا إسحاق، ما أتقنَ أصولَها، وأحسنَ فُصولَها، وأقلَّ فُضولها!

فقلت: كلامُكَ يا أمير المؤمنين أحسنُ مِن شعري.

فقال: يا فَضْل؛ أعطِه مئة ألفٍ أخرى.

فكان أوَّل مالٍ اعتقدتُّه.

حكى الرَّبيع مولى الخليفة المنصور قال:

ما رأيتُ رجلًا أربطَ جأشًا وأثبتَ جَنانًا، من رجل سُعي به إلى المنصور أنَّ عندَه ودائعَ وأموالًا لبني أُميَّة، فأمرني بإحضارِه، فأحضرتُه إليه، فقال له المنصور: قد رُفِع إلينا خبرُ الودائع والأموال التي عندَك لبني أُميَّة، فأخرِج لنا منها وأحضِرها، ولا تكتُم منها شيئًا!

فقال: يا أميرَ المؤمنين؛ أنت وارثُ بني أُميَّة؟

قال: لا.

قال: فوَصِيٌّ لهم في أموالهم ورِباعِهم؟

قال: لا.

قال: فما مسألتُك عمَّا في يدي من ذلك؟

فأطرق المنصورُ وتفكَّر ساعة، ثم رَفَع رأسه، وقال: إنَّ بني أُميَّة ظلموا المسلمين فيها، وأنا وكيلُ المسلمين في حقوقهم، وأريد أن آخذَ ما ظلموا المسلمين فيه، فأجعلَه في بيت أموالهم.

فقال: يا أمير المؤمنين، فتحتاجُ إلى إقامة بيِّنة عادلة أنَّ ما في يدي لبني أُميَّة ممَّا خانوه وظلموه، فإنَّ بني أُميَّة قد كانت لهم أموالٌ غير أموال المسلمين.

فأطرقَ المنصور ساعة، ثم رفع رأسَه وقال: يا ربيع ما أرى الشيخَ إلَّا قد صدق، وما يجبُ عليه شيء، وما يسعُنا إلَّا أن نعفوَ عمَّا قيلَ عنه، ثم قال: هل لكَ من حاجة؟

قال: نعم، حاجتي يا أمير المؤمنين أن تجمعَ بيني وبين مَن سعى إليك، فوالله الذي لا إله إلَّا هو ما في يدي لبني أُميَّة مالٌ ولا وديعة، ولكنَّني لمَّا

مثُلت بين يديك، وسألتني عمَّا سألتني عنه، قابلتُ بين هذا القول الذي ذكرته الآنَ وبين ذلك القول الذي ذكرته أولًا، فرأيت ذلك أقربَ إلى الخلاص والنجاة.

فقال: يا رَبِيع؛ اجمع بينه وبين مَن سعى به.

فجمع بينهما، فلمَّا رآه قال: هذا غلامي، اختلس لي ثلاثةَ آلاف دينار من مالي، وأبَقَ منِّي، وخاف من طلبي له، فسعى بي عند أمير المؤمنين!

قال: فشدَّد المنصور على الغلام وخوَّفه فأقرَّ بأنَّه غلامُه، وأنَّه أخذ المال الذي ذكرَه، وسعى به كذبًا عليه، وخوفًا من أن يقعَ في يدِه.

فقال له المنصور: سألتُك أيُّها الشيخ أن تعفوَ عنه.

فقال: قد عفوتُ عنه وأعتقتُه، ووهبتُه ثلاثة الآلاف التي أخذها، وثلاثة آلاف أخرى أدفعُها إليه.

فقال له المنصور: ما على ما فعلتَ من مزيد.

قال: بلى يا أمير المؤمنين؛ إنَّ هذا كلَّه لقليلٌ في مقابلةِ كلامِكَ لي، وعفوِكَ عنِّي!

ثم انصرَف.

قال الرَّبيع: فكان المنصورُ يتعجَّب منه، وكلَّما ذَكَره يقول: ما رأيتُ مثل هذا الشيخ يا ربيع!

لما حجَّ هارون الرشيد وقَدِمَ المدينة، بعثَ إلى الإمام مالك بن أنس بكيسٍ فيه خمسمئة دينار، فلمَّا قضى نُسُكَه وانصرف وقَدِمَ المدينة، بعث إلى مالكٍ: إنَّ أمير المؤمنين يحبُّ أن تنتقل معه إلى مدينة السلام.

فقال للرسول: قل له: إنَّ الكِيسَ بخاتمه، وقال رسول الله ﷺ: «والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون».

دخل عبد الملك بن صالح يومًا على الرشيد، فلم يلبثِ الرشيد أن التفت إليه متمثِّلًا:

أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي ... عَذِيرُكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ

ثم قال: أما والله، ولكأنِّي أنظر إلى شُؤبُوبِها قد هَمَع، وعارضِها قد لَمَع، وكأنِّي بالوعيد قد وَقَع، فأقلعَ عن بَراجمَ بلا مَعاصِم، وجماجمَ بلا غَلاصِم، فمهلًا مهلًا.

فبي والله، يسهُل لكم الوَعر، ويصفو لكم الكَدر، وألقَت إليكم الأمورُ مقاليدَ أزمَّتِها، فالتدارُكَ التدارُك، قبل حلول داهيةٍ خَبوطٍ باليد، لَبوطٍ بالرِّجل.

قال عبد الملك: أَفَذًّا ما تكلَّمت، أم توءمًا يا أميرَ المؤمنين؟

قال: بل فذًّا.

قال: اتَّقِ الله في ذي رَحمِك، وفي رعيَّتك التي استرعاك الله، ولا تجعلِ الكفرَ مكانَ الشُّكر، ولا العِقابَ موضعَ الثواب، فقد مَحَضتُ لك النصيحة، وأدَّيتُ لك الطاعة، وشددتُّ أواخيَ مُلكك بأثقل مِن رُكني يَلملَم، وتركتُ عدوَّك سبيلًا تتعاورُه الأقدام، فاللهَ اللهَ في ذي رَحِمَك أن تقطعَه بعد أن وصلتَه.

إنَّ الكتاب لنَميمةُ واشٍ، وبغيُ باغٍ، ينهَشُ اللحم، ويَلَغُ في الدَّم؛ فكم ليلٍ تمامٍ فيكَ كابدتُّه، ومقامٍ ضيِّقٍ فرَّجتُه، وكنتُ كما قال أخو بني كِلاب:

وَمَقَامٍ ضَيِّقٍ فَرَّجْتُهُ ... بِلِسَانِي ومَقَامِي وَجَدَلْ

لَوْ يَقُومُ الفِيلُ أَوْ فَيَّالُهُ ... زَلَّ عَن مِثْلِ مَقَامِي وَزَحَلْ

فرضيَ عنه، ورحَّبَ به.

قال الأصمعي: قال لي الرشيد:

يا عبد الملك؛ أنت أعلم منَّا، ونحن أعقلُ منك، فلا تعلِّمنا في مَلَا، ولا تُسرِع إلى تذكيرنا في خَلَا، واترُكنا حتى نبتدِئَك بالسؤال، فإذا بلغتَ من الجواب قدرَ الاستحقاق، فلا تزِد إلَّا أن نستدعيَ ذلك منك، وانظر إلى ما هو ألطفُ في التأديب، وأنصفُ في التعليم، وأبلغ بأوجزِ لفظٍ غاية التقويم.

## أعرابيَّة تحبُّ قومَها

قالت امرأة من بني نُمَيْر وقد حضرتها الوفاةُ وأهلُها مجتمعون: من ذا الذي يقول:

لَعَمْرِي ما رِماحُ بَنِي نُمَيْرٍ بِطائِشَةِ الصُّدُورِ ولا قِصارِ؟

قالوا: زيادٌ الأعجَم.

قالت: أُشهِدكم أنَّ له الثلثَ من مالي.

وكان مالًا كثيرًا.

## رؤياهُ جنَت عليه

حُكِي أنَّ عاملًا أتى عمرَ رضي الله عنه فقال: رأيت الشمس والقمر اقتَتَلا، فقال له عمر: مع مَن كنت؟ قال: مع القمر، فقال: مع الآية الممحوَّة! والله لا وَلِيتَ لي عملًا، فعزله، ثم اتَّفق أنَّ عليًّا رضي الله عنه وقع بينه وبين معاويةَ ما وقع، فكان ذلك الرجل مع معاوية.

## حبٌّ عفيف

دخلَت بُثَيْنَةُ على عبد الملك بن مَرْوان فقال لها: يا بُثَينةُ، ما أرى فيكِ

شيئًا ممَّا كان يقوله جميل! فقالت: يا أمير المؤمنين، إنَّه كان يرنو إليَّ بعينَين ليستَا في رأسك.

قال: فكيف رأيتِه في عِشقِه؟

قالت: كان كما قال الشاعر:

لا والــذِي تَــسْــجُــدُ الــجِـبَـاهُ لَــهُ    مـا لِـي بِـمـا تَـحْـتَ ذَيْـلِـهَـا خَـبَـرُ
ولا بِـفِـيـهـا ولا هَـمَـمْـتُ بِـهـا    مـا كـانَ إلَّا الـحَـدِيـثُ وَالـنَّـظَـرُ

## يترفَّع عن الهجاء

عن يونس بن حَبِيبٍ النَّحْوي قال: قال رجل لخالد بن صَفْوان: كان عَبْدَةُ ابن الطَّبِيب لا يُحسن أن يهجو.

فقال: لا تقُل ذاك؛ فوالله ما أَبَى عن عِيٍّ، ولكنَّه كان يترفَّع عن الهجاء، ويراه ضِعَةً، كما يرى تركَه مروءةً وشرفًا.

ثم قال:

وأَجْـرأُ مَـنْ رَأيـتُ بِـظَـهْـرِ غَـيـبٍ    عَلَى عَيبِ الـرِّجالِ ذَوُو الـعُـيُـوبِ

## هل يجوز؟

قال بعضُهم: رأيتُ رجلًا محمومًا مصدَّعًا يأكُل التمر، ويجمع النَّوى؛ فقلت: ويحَك أنت بهذه الحال وتأكل التمر؟!

فقال: يا مولاي، عندي شاة تُرضِع، وما لها نوى، فأنا آكَلُ التمر مع كراهيتي له لأُطعمها النَّوى.

فقلتُ: أطعمها التَّمْر والنَّوى.

قال: أوَيجوزُ ذلك؟!

قلت: نعم.

قال: والله لقد فرَّجتَ عنِّي، لا إله إلَّا الله، ما أحسنَ العِلمَ!



* قال مَسْلَمَة بن عبد الملك لنُصَيْب: يا أبا مِحْجَن؛ أمَا تُحسِن الهجاء؟!

قال: أمَا تراني أُحسن مكانَ (عافاك الله): (لا عافاك الله)؟!

* وقيل للعَجَّاج: ما لَكَ لا تُحسن الهِجاء؟ قال: هل على الأرض نافعٌ إلَّا وهو على الإفساد أقْدرُ؟!

* وقال رُؤبَة بن العَجَّاج: الهدمُ أسرعُ من البناء.

* قال المدائني: أسرَتْ مُزَيْنَة حسَّان بن ثابت، وكان قد هجاهم، فقال:

مُـزَيْـنَـةُ لا يُـرَى فـيـهـا خَـطِـيـبُ ... ولا فَـلِـجٌ يُـطـافُ بِـهِ خَـضِـيـبُ
أُنـاسٌ تَـهْـلِـكُ الأَحْـسَـابُ فـيـهِـمْ ... يَـرَونَ الـتَّـيْـسَ يَـعْـدِلُـهُ الـحـبِـيـبُ

فأتتهم الخزرجُ يفتدونه، فقالوا: نُفاديه بتَيْس، فغضِبوا وقاموا، فقال لهم حسَّان: يا إخوتي، خُذوا أخاكم، وادفعوا إليهم أخاهم.

* سأل عبدُ الرحمن بن حسَّان بعضَ الولاة حاجةً فلم يقضِها له، فسألها آخرَ فقضاها، فقال:

ذُمِمْتَ ولَم تُحمَدْ وأَدْرَكتُ حاجَتِي ... تَـوَلَّى سِواكُـمْ أَجْرَهـا واصْطِبارَهَا
أَبَى لَكَ كَسْبَ الحَمْدِ رَأيٌ مُقَصِّرٌ ... وَنَـفْـسٌ أَضاقَ اللهُ بِالخَيرِ بَاعَهَا

إذا هِـيَ حَـثَّـتـهُ عَـلَـى الـخَـيـرِ مَـرَّةً   عَـصـاهَـا وإن هَـمَّـتْ بِـشَـرٍّ أَطـاعَـهَـا

* مرَّت امرأةٌ مِن بني نُمَيْر على مجلس لهم، فقال رجل منهم: أيَّتها الرَّسْحاء (الرَّسْحاء التي خَفَّ لحم أليَتَيْها ووَرِكَيها).

فقالت المرأة: يا بني نُمَير: والله ما أطعتُم الله، ولا أطعتُم الشاعر! قال الله ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، وقال الشاعر:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ   فَـلا كَـعْـبًـا بَـلَـغْـتَ ولا كِـلابَـا

* كان مسكينٌ الدارِميُّ - واسمه: ربيعة بن عامر بن أُنيف الدارِميُّ الحنظليُّ التميميُّ - شاعرًا مجيدًا، سيِّدًا شريفًا، وكان بينه وبين الفرزدق مُهاجاة، فدخل بينهما شيوخُ بني عبد الله وبني مُجاشِع، فتكافًّا، واتَّقاه الفرزدقُ خَشيةَ أن يستعين عليه بجَرِير، واتَّقى مسكينٌ الفرزدق خوفًا أن يُعينه عليه عبد الرحمن بن حسَّان.

* وقال الفرزدق: نجوتُ من ثلاثة أشياءَ لا أخاف بعدها شيئًا: نجوتُ من زيادٍ حين طلبني، ونجوت مِن ابنَي رُمَيْلَة وقد نذرَا دَمِي، وما فاتهما أحدٌ طلباه، ونجوتُ من مُهاجاة مسكينٍ الدارِمي؛ لأنَّه لو هجاني اضطرَّني أن أهدِم شطرَ حَسَبي؛ لأنَّه مِن بُحْبُوحَة نسبي، وأشراف عشيرتي، فكان جريرٌ حينئذٍ ينتصِفُ منِّي بيدي ولساني.

* قال رجل مِن بني تَغلِب، وكان ظريفًا: ما لقي أحدٌ من تَغْلِبَ ما لقيتُ أنا!

قيل: وكيف ذاك؟!

قال: قال الشاعر (جَرِير بن عطيَّة الخَطَفَى):

لا تَـطـلُـبَـنَّ خَـؤُلَـةً فـي تَـغْـلِـبٍ   فـالـزَّنْـجُ أَكـرَمُ مِـنـهُـمُ أَخْـوالَا

وَلَوَ انَّ تَغْلِبَ جَمَّعَتْ أَحْسَابَها ... يَومَ التَّفاخُرِ لم تَزِنْ مِثْقالَا
تَلْقاهُمُ حُلَماءَ عَنْ أَعدائِهِمْ ... وعَلَى الصَّدِيقِ تَراهُمُ جُهَّالَا
والتَّغلَبيُّ إذا تَنَحْنَحَ لِلقِرَى ... حَكَّ اسْتَهُ وتَمَثَّلَ الأَمْثالَا

والله إنِّي لأتوهَّم أن لو نهشتِ اسْتِيَ الأفاعي ما حككتُها!

* قال أبو عُبيدة: كان الرجل مِن بني أنْفِ الناقةِ إذا قيل: ممَّن الرجل؟ قال: من بني قُرَيع، فما هو إلَّا أن قال الحُطَيْئَة:

قَومٌ هُمُ الأَنْفُ وَالأَذْنابُ غَيرُهُمُ ... وَمَنْ يُساوِي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنَبا؟

فصار الرجلُ منهم إذا قيل: ممَّن أنت؟ قال: من بني أنف الناقة.

* قال عبد الله بن المُعتزِّ: لو قيل لي: مَن أحسنُ الناس شعرًا تعرِفُه؟ لقُلت: العبَّاس (ابن الأحنَف):

قَدْ سَحَّبَ النَّاسُ أَذْيالَ الظُّنُونِ بِنَا ... وَفَرَّقَ النَّاسُ فينَا قَولَهُمْ فِرَقَا
فَكاذِبٌ قَدْ رَمَى بِالظَّنِّ غَيرَكُمُ ... وَصَادِقٌ لَيسَ يَدْرِي أَنَّهُ صَدَقَا

## حَسَدُ الشُّعراء

مدَح أبو العَتاهِيَة عمرو بن العلاء، فأعطاه سبعين ألفًا، وخَلَع عليه خِلَعًا سَنيَّة، حتى إنَّه لم يستطِع أن يقوم.

فغار الشُّعراء منه، فجمعهم وقال: يا لَله العجب، ما أشدَّ حسدَ بعضِكم لبعض! إنَّ أحدكم يأتينا ليمدحنا، فيتغزَّل في قصيدته بخمسين بيتًا، فما يبلغنا حتى يذهبَ رَوْنَقُ شعره، وقد تشبَّب أبو العتاهية بأبيات يسيرة، ثم قال:

إنِّي أَمِنتُ مِنَ الزَّمانِ وَصَرْفِهِ ... لمَّا عَلِقْتُ مِنَ الأَمِيرِ حِبالَا
لَوْ يَستَطِيعُ النَّاسُ مِنْ إجْلالِهِ ... جَعَلُوا لَهُ حُرَّ الوُجُوهِ نِعالَا

إنَّ المَطايا تَشْتَكِيكَ لِأَنَّها     قَطَعَتْ إلَيكَ سَباسِبًا وَرِمالَا
فَإذا وَرَدْنَ بِنا وَرَدْنَ خَفائِفًا     وإذَا صَدَرْنَ بِنا صَدَرْنَ ثِقالَا

* لَمَّا وَلِيَ الحسنُ بن زيد المدينة، قال لابن هَرْمَة: إنِّي لستُ كمَن باعَك دِينَه رجاءَ مدحك، أو خوفَ ذَمِّك؛ فقد رزقني الله بولادةِ نبيِّه؛ الممادح، وجنَّبني المقابح، وإنَّ من حقِّه عليَّ ألَّا أُغضي على تقصيرٍ في حقِّ ربِّه، وأنا أقسمُ لئن أُتِيتُ بك سكران، لأضربنَّك حدًّا للخمر، وحدًّا للسُّكْر، ولأزيدنَّ لموضعِ حُرمتِك بي، فليكن تركُكَ لها لله، تُعَن عليه، ولا تَدعْها للناس فتُوكَل إليهم، فنهض ابن هَرْمَة وهو يقول:

نَهانِي ابْنُ الرَّسُولِ عَنِ المُدامِ     وَأَدَّبَنِي بِآدابِ الكِرامِ
وقالَ لِيَ اصْطَبِرْ عَنْها ودَعْها     لِخَوْفِ اللهِ لا خَوْفِ الأَنامِ

* وَفَدَ أبو نُوَاسٍ على الخَصِيبُ بمصر، فأذِن له وعنده الشعراء، فأنشد الشعراءُ أشعارَهم، فلمَّا فرغوا قال أبو نواس: أُنشِد أيُّها الأمير قصيدةً هي كعصا موسى تلقف ما صنعوا؟

قال: أنشد.

فأنشدَه قصيدتَه التي منها قولُه:

إذا لم تَزُرْ أَرْضَ الخَصِيبِ رِكابُنَا     فَأَيَّ فَتًى بَعدَ الخَصِيبِ نَزُورُ
فَتًى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّناءِ بِمالِهِ     ويَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِراتِ تَدُورُ
فَما فاتَهُ جُودٌ ولا حَلَّ دُونَهُ     وَلَكِنْ يَسِيرُ الجُودُ حَيثُ يَسِيرُ

فاهتزَّ الخَصِيبُ لها طربًا، وأمر له بألف دينار ووَصيفٍ ووَصيفة.

* قيل لأبي نُوَاس: قد بعثوا إلى أبي عُبَيدة والأصمعي؛ ليجمعوا بينهما، فقال: أمَّا أبو عُبيدةَ فإن خَلَّوهُ وشِعرَه قرأ عليهم أساطيرَ الأوَّلين والآخرين، وأمَّا الأصمعيُّ فبُلبلٌ يُطربُهم بصَفيرِه.

* حُكي أنَّ أبا دُلَفٍ سار يومًا مع أخيه مَعْقِل، فرأَيَا امرأتَين يتماشيان، فقالت إحداهما للأخرى: هذا أبو دُلَف!

قالت: نعم، الذي يقول فيه الشاعر:

إنَّــمــا الــدُّنــيَــا أبــو دُلَــفٍ    بَــيــنَ بــادِيــهِ وَمُــحْــتَــضَــرِهْ
فــإذا وَلَّــى أبــو دُلَــفٍ    وَلَّــتِ الــدُّنــيَــا عَــلَــى أَثَــرِهْ

فبكى أبو دُلَفٍ حتى جَرَت دموعُه، فقال له مَعقِل: ما لكَ يا أخي تبكي؟

فقال: لأنِّي لم أقضِ حقَّ الذي قال هذا!

قال: أولم تُعطِه مئةَ ألف درهم؟!

قال: واللهِ ما في نفسي حسرةٌ إلَّا لكوني لم أُعطِه مئةَ ألف دِينار.

* دخل أبو تمَّام على نَصْر بن منصور، فأنشدَه من حاله، فلمَّا بلغ إلى قوله:

أَسَــائِــلَ نَــصْــرٍ لا تَــسَــلْــهُ فــإنَّــهُ    أَحَنُّ إلى الإرفادِ مِنْكَ إلى الرِّفْدِ

قال له نصر: أنا واللهِ أغارُ على مدحكَ أن تضعَه في غير موضعه، ولئن بقيتُ لأحظُرنَّ ذلك إلَّا على أهله، وأمر له بجائزة وكُسوة.

## صداقةٌ وعداوةٌ

كان سَلْمُ بن عمرو بن حمَّاد المعروف بسَلْم الخاسر تلميذًا لبشَّار بن بُرْد، وصديقًا لأبي العَتاهِيَة، فلمَّا قال بشَّارٌ قصيدتَه التي يقول فيها:

مَنْ راقَبَ النَّاسَ لم يَظْفَرْ بحاجَتِهِ    وَفازَ بالطِّيِّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ

فقال سَلْمٌ أبياتًا أدخل فيها معنى هذا البيت؛ فقال:

مَنْ راقَبَ النَّاسَ ماتَ غَمًّا    وَفــازَ بِــالــلَّــذَّةِ الــجَــسُــورُ

فبلغ بيتُه بشَّارًا فغضب، وقال: سارَ واللهِ بَيتُ سَلْم، وخَمَلَ بيتُنا، وكان الأمر كذلك حتى لَهِج الناس ببيت سَلْم، ولم يُنشد بيتَ بشَّار أحدٌ، فكان ذلك سببًا للنفور بينهما، فكان سَلْمٌ بعد ذلك يقدِّم أبا العَتاهِية، ويقول: هو أشعرُ الجِنِّ والإنس، إلى أن قال أبو العتاهية يُخاطب سَلْمًا:

تَعَالى اللهُ يا سَلْمَ بْنَ عَمْرٍو ... أَذَلَّ الـحِـرْصُ أَعْـنـاقَ الـرِّجـالِ

هَبِ الدُّنيا تَصِيرُ إِلَيكَ عَفْوًا ... أَلَـيْـسَ مَـصِـيـرُ ذَلِـكَ لِـلـزَّوالِ؟!

فلمَّا بلغ ذلك سَلْمًا غَضِب على أبي العَتاهِية، وقال فيه كلامًا سيِّئًا، واتَّهمه بالزندقة، وقال: زعم أنِّي حريصٌ وقد كنزَ البِدَر، وهو لا يزال يطلب، وأنا في ثوبيَّ هذَين لا أملِك غيرهما! ثم كتب إليه:

مـا أَقْـبَـحَ الـتَّـزْهِـيـدَ مِـنْ واعِـظٍ ... يُـزَهِّـدُ الـنَّـاسَ ولا يَـزْهَـدُ

لَـوْ كـانَ فـي تَـزْهِـيـدِهِ صـادِقًـا ... أَضْـحَـى وَأَمْـسَـى بِـيْـتَـهُ الـمَـسْـجِـدُ

وَرَفَـضَ الـدُّنْـيَـا وَلـم يَـلْـقَـهـا ... وَلـم يَـكُـنْ يَـسْـعَـى وَيَـسْـتَـرْفِـدُ

فَـخـافَ أَنْ تَـنْـفَـدَ أَرْزاقُـهُ ... والـرِّزْقُ عِـنْـدَ اللهِ لا يَـنْـفَـدُ

أَلـرِّزْقُ مَـقْـسُـومٌ عَـلَـى مَـنْ تَـرَى ... يَـنـالُـهُ الأبـيَـضُ وَالأسْـوَدُ

كُـلٌّ يُـوَفَّـى رِزْقَـهُ كـامِـلًا ... مَـنْ كَـفَّ عَـنْ جَـهْـدٍ ومَـنْ يَـجْـهَـدُ

* قال إبراهيم بن عبد الله بن حسن لأبيه: ما شِعر كُثَيِّر عندي كما يصفه الناس، فقال له أبوه: إنَّك لن تضع كُثَيِّرًا بهذا، إنَّما تضع بهذا نفسك.

* يقال: أخطَبُ مِن سَحبان وائل، وهو رجل مِن خُطباء العرب وشُعرائها، وهو الذي يقول:

لَـقَـدْ عَـلِـمَ الـحَـيُّ الـيَـمـانُـونَ أَنَّـنِـي ... إذا قُلْتُ: (أَمَّا بَعْدُ) أَنِّي خَطِيبُهَا

وهو الذي قال لطَّلْحة الطَّلَحات الخُزاعي:

يـا طَـلْـحُ أَكْـرَمَ مَـنْ بِـهَـا    حَـسَـبًـا وَأَعْـطَـاهُـمْ لِـتَـالِـدْ
مِـنْـكَ الـعَـطَـاءُ فَـأَعْـطِـنِـي    وَعَـلَـيَّ مَـدْحُـكَ فـي الـمَـشَـاهِـدْ

فقال له طلحة: احتَكِم.

فقال: بِرْذَوْنَكَ الأشهبَ الوَرْد، وغُلامَك الخبَّاز، وقصرَك بِزَرَنْج (قَصَبَة خُراسان) وعشرة آلاف.

فقال له طلحة: أفٍّ! لم تسألني على قَدري، وإنَّما سألتَني على قدرِكَ وقدرِ باهلة، ولو سألتَني كلَّ قصر لي وعبدٍ ودابَّة لأعطيتُك، ثم أمر له بما سأل، ولم يزدِه عليه، وقال: تالله ما رأيتُ مسألةَ مُحكَّمٍ ألأمَ من هذا!!

* قال أبو يعلَى المعروف بابن القَلانسيِّ التميمي:

يا نَفْسُ لا تَجْزَعِي مِنْ شِدَّةٍ عَظُمَتْ    وَأَيْقِنِي مِنْ إِلَهِ الخَلْقِ بِالفَرَجِ
كَمْ شِدَّةٍ عَرَضَتْ ثُمَّ انْجلَتْ ومَضَتْ    مِنْ بَعْدِ تَأْثِيرِهَا في المالِ والمُهَجِ

## هجاءُ الصاحب بن عبَّاد

ومِن الشِّعر المقذِع في الهجاء ما ذَكَره أبو حيَّان التوحيديُّ في "مثالب الوزيرَين"؛ قال:

وحدَّثني العبسيُّ، وقد جرى ذكرُ ابنِ عبَّاد:

لَـقَـدْ أَتـانـا حَـدِيـثٌ مـا نُـكَـذِّبُـهُ    عَـنِ الـرَّسُـولِ رَوَيْـنـاهُ بِـإِسـنـادِ
أَنْ نَطلُبَ الخَيرَ مِمَّنْ وَجْهُهُ حَسَنٌ    فَكَيفَ نَطلُبُهُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّادِ؟!
مُشَوَّهِ الخَلْقِ لا دِينٌ ولا حَسَبٌ    كالقِرْدِ ما عِنْدَهُ خَيرٌ لِمُرْتادِ

فقلت: لِمَن الشِّعر، فإنَّه واقعٌ جدًّا؟!

فقال: هو لإدريسَ بن أبي حفصة.

قلت له: ما عنَى غيرَ صاحبنا.

## الأدب العربي

الأدب العربيُّ فيه الجادُّ والهازل، والحقيقيُّ والخيالي، حوى المدحَ والقَدْح، والرِّثاء والوَصْف، والتهانيَ والغَزَلَ والحماسة، ينتقل من فَنَنٍ إلى فَنَن، ويطيرُ من بُستان إلى بُستان، حتى يدفعَ الضَّجَر، ويُقاوم الكَسَلَ والسَّأم.

## البَزُّ والشَّارَة

كان في جوار أَبَانَ بن عبد الحميد اللاحِقِيِّ رجلٌ من ثَقِيف، يُقال له: محمَّد بن خالد بن عمَّار الثقفي، وكان عدوًّا لأَبَان، فتزوَّج بعَمَّارةَ بنت عبد الرحمن الثقفي، وكانت كثيرةَ المال، فقال أَبَانُ يهجوه، ويحذِّرها منه:

لَمَّا رَأيتُ البَزَّ والشَّارَهْ ... والفَرْشَ قَدْ ضَاقَتْ بِهِ الحارَهْ
واللَّوْزَ والسُّكَّرَ يُرْمَى بِهِ ... مِنْ فَوقِ ذِي الدَّارِ وذِي الدَّارَهْ
وَأَحْضَرُوا المُلْهِينَ لم يَترُكُوا ... طَبْلًا ولا صاحِبَ زَمَّارَهْ
قُلْتُ: لِمَاذَا؟ قِيلَ: أُعْجُوبَةٌ ... مُحَمَّدٌ زُوِّجَ عَمَّارَهْ
لا عَمَّرَ اللهُ بِهَا رَبْعَهُ ... ولا رَأَتْهُ مُدْرِكًا ثَارَهْ
ماذا رَأَتْ فيهِ وماذا رَجَتْ ... وَهْيَ مِنَ النِّسوانِ مُختارَهْ؟!
إذا غَفا باللَّيلِ فاسْتَيقِظِي ... ثُمَّ اظْفَرِي إنَّكِ ظَفَّارَهْ

فلمَّا سمعتْ عَمَّارةُ هذه بشِعره هذا هربَت، فَحُرِم الثقفيُّ من جهتها مالًا كثيرًا.



* مِن الناس مَن يُعَدُّ الواحد منهم بألف، ومنهم مَن يرفع رأسَ أمَّته ويُعلي من شأنها؛ لشجاعته أو علمه، أو اكتشافاتِه أو كرَمِه، ومنهم مَن هو غُثاءٌ كغُثاء السَّيل؛ كثيرٌ عددُهم، قليلٌ نفعُهم.

## الحكمة

الشِّعرُ له أغراضٌ عدَّة، وشعرُ الحِكمةُ أحدُ أغراضه، وهو مِن أكثرها تداولًا بين الناس، يُبادرون لحِفظه، ويَروُونه كابرًا عن كابر، ويتغنَّون به في أندِيَتهم، ويستعذبونَه في مجالسهم، ويتأمَّلون معانيَه بتمعُّن ورَوِيَّة؛ على أمل الاستفادة والاعتبار، ولا سيَّما إذا كان من جيِّد الشِّعر وواضحه.

## أهل منازل

قال أبو الطيِّب المتنبِّي:

أَبَـنِـي أَبِـيـنـا نَـحْـنُ أَهْـلُ مَـنـازِلٍ ... أَبَـدًا غُـرابُ الـبَـيْـنِ فـيـهـا يَـنْـعَـقُ
نَبْكِي عَلَى الدُّنيا وما مِنْ مَعْشَرٍ ... جَـمَـعَـتْـهُـمُ الـدُّنـيـا فَـلـم يَـتَـفَـرَّقُـوا
أَيْـنَ الأَكـاسِـرَةُ الـجَـبـابِـرَةُ الأُلَـى ... كَنَزُوا الكُنُوزَ فَما بَقِينَ ولا بَقُوا؟!
مِنْ كُلِّ مَنْ ضاقَ الفَضاءُ بِجَيْشِهِ ... حَـتَّـى ثَـوَى فَـحَـواهُ لَـحْـدٌ ضَـيِّـقُ
خُرْسٌ إذا نُودُوا كَأَنْ لم يَعْلَمُوا ... أَنَّ الـكَـلامَ لَـهُـمْ حَـلالٌ مُـطْـلَـقُ
والـمَـوْتُ آتٍ والـنُّـفُـوسُ نَـفـائِـسٌ ... والـمُـسـتَـعِـزُّ بِـمـا لَـدَيْـهِ الأَحْـمَـقُ
والـمَـرْءُ يَـأْمُـلُ والـحَـيـاةُ شَـهِـيَّـةٌ ... والـشَّـيْـبُ أَوْقَـرُ والـشَّـبِـيـبَـةُ أَنْـزَقُ

## وصفُ المكارم

قال ابن المُعتزِّ:

لن تكسِب - أعزَّك الله - المحامدَ وتستوجِب الشَّرَف إلَّا بالحمل على النفس والحال، والنهوضِ بحملِ الأثقال، وبَذْلِ الجاه والمال، ولو كانتِ المكارم تُنال بغير مَؤونةٍ لاشتَرَكَ فيها السِّفَلُ والأحرار، وتساهَمها الوُضعاءُ مِن ذوي الأخطار، ولكنَّ الله تعالى خصَّ الكُرماءَ الذين جعلهم أهلَها، فخفَّف عليهم حملَها، وسوَّغ فضلَها، وحظرها على السِّفَل؛ لصغر أقدارهم عنها، وبُعْد طباعهم منها، ونفورِها عنهم، واقشعرارِها منهم.

## نصائح

قال حسام الدِّين الواعظي:

مَنْ ضَيَّعَ الحَزْمَ في أَفعالِهِ نَدِما ... وظَلَّ مُكتَئِبًا والقَلْبُ قَدْ سَقِمَا
ما المَرْءُ إلَّا الَّذي طابَتْ فَضائِلُهُ ... والدِّينُ زَينٌ يَزِينُ العاقِلَ الفَهِمَا
والعِلمُ أَنفَسُ شَيءٍ أنتَ ذاخِرُهُ ... فلا تَكُنْ جاهِلًا تَسْتَورِثُ البَهَمَا
تَعَلَّمِ العِلمَ واجلِسْ في مَجالِسِهِ ... ما خابَ قَطُّ لَبِيبٌ جالَسَ العُلَمَا
والوَالِدَينِ فأَكرِمْ تَنْجُ من ضَرَرٍ ... ولا تَكُنْ نَكِدًا تَستَوجِبُ النِّقَمَا
ولازِمِ الصَّمْتَ لا تَنطِقْ بِفاحِشَةٍ ... وأَكْرِمِ الجارَ لا تَهتِكْ لَهُ حَرَمَا
وحاذِرِ المَزْحَ كَمْ في المَزْحِ مِنْ خَطَرٍ ... كَمْ مِنْ صَدِيقَينِ بعدَ المَزْحِ فاخْتَصَمَا
وصَبِّرِ النَّفسَ وارشُدْها إذا جَهِلَتْ ... وإن حَضَرْتَ طَعامًا لا تَكُنْ نَهِمَا

## ثمانيةٌ تجلِب الذُّل

قال الحكيم: ثمانيةٌ تجلِب الذُّلَّ على أصحابها؛ وهي:

جلوس الرجل على مائدةٍ لم يُدعَ إليها، ومَن تأمَّر على صاحب البيت، والطامع في الإحسان مِن أعدائه، والمُصغِي إلى حديث اثنين لم يُدخِلاه

بينهما، ومحتقِر السُّلطان، ومَن جلس فوقَ مرتبته، ومَن تكلَّم عند مَن لا يستمع، ومَن صادَقَ مَن ليس بأهل.

## هلاكُ العبد

قال أبو القاسم الحكيم: هلاكُ العبد في شيئين: المعصية، والانفراد بالرأي.

## العتابُ الظاهر

قال الحكيم: العِتاب الظاهرُ خيرٌ من الحِقد الباطن.



**هذا**، وللحِكَم شأنٌ وأيُّ شأن في الأدب العربي في الأمثال والأشعار؛ والهدف من إيرادها معلوم، ألا وهو الاتِّعاظ والاقتداء والاعتبار.

وقد يجد المطالِع لشعر زُهَير بن أبي سُلْمى وابن دُرَيد والمتنِّبي وغيرهم من الحِكم كثيرًا، يجدُر بالمرء الوقوفُ عندها، وتأمُّل مقاصدها، والانتفاع بها.

قال ابن دُرَيدٍ في "مقصورته":

والنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمُ كَواحِدٍ    وواحِدٌ كَالأَلْفِ إن أَمْرٌ عَنَا
ولِلْفَتَى مِنْ مالِهِ ما قَدَّمَتْ    يَداهُ قبلَ مَوتِهِ لا ما اقْتَنَى
وإنَّما المَرْءُ حَدِيثٌ بَعدَهُ    فَكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا لِمَن وَعَى
وَاللَّومُ لِلحُرِّ مُقِيمٌ رَادِعٌ    والعَبدُ لا يَرْدَعُهُ إلَّا العَصَا

وَآفَـةُ الـعَـقـلِ الـهَـوَى فَـمَـنْ عَـلا ... عَـلَـى هَـوَاهُ عَـقـلُـهُ فَـقَـد نَـجَـا
كَـمْ مِـنْ أَخٍ مَـسْـخُـوطَـةٍ أَخـلاقُـهُ ... أَصـفَـيـتُـهُ الـوُدَّ لِـخُـلْـقٍ مُـرتَـضَـى
إذا بَـلَـوْتَ الـسَّـيـفَ مَـحـمُـودًا فَـلا ... تَـذْمُـمْـهُ يـومًـا أَنْ تَـراهُ قَـد نَـبَـا
مَـنْ لَـكَ بِـالـمُـهَـذَّبِ الـعَـذْبِ الـذي ... لا يَـجِـدُ الـعَـيـبُ إلَـيـهِ مُـخْـتَـطَـى؟!
إذا تَـصَـفَّـحـتَ أُمُـورَ الـنَّـاسِ لـم ... تُـلْـفِ امْـرأً حَـازَ الـكَـمـالَ فَـاكـتَـفَـى
عَـوِّلْ عَـلَـى الـصَّـبـرِ الـجَـمِـيـلِ إنَّـهُ ... أَمْـنَـعُ مـا لاذَ بِـهِ أُولُـو الـحِـجَـا

## الأمثال

مِن الأمثال ما يُثبِّط العزائم، ويُوهِن المعالي، ويدعو للُّؤم والخُمول.

ومِن هذه الأمثال: «اتَّقِ شرَّ مَن أحسنتَ إليه»؛ فمِن الناس مَن يتحذلَق ويتشدَّق، ويردِّد هذه الكلمة، على اعتبار أنَّها أعظمُ ما تفتَّق عنه ذهنُ فيلسوفٍ مفكِّر، عندَه من الحصافة في الرأي والخِبرة في طبائع الناس ما جعلَه يُصدر هذا الحُكم القاسي، المنفِّر عن الخير، الداعيَ إلى منع المعروف، والأحرى أنَّه ممَّن يبخلُ ويأمر الناسَ بالبُخل.

ومِن الأمثال ما يُوضَع في غير محلِّه، ويُلقيه بعض الناس جُزافًا، جاهلًا ما يَعنيه وما يُراد به، ومن تلك الأمثال: «إذا كان الكلامُ من فِضَّة فالسكوتُ من ذهب»، فليس هذا صحيحًا على إطلاقه، وإنَّما يحتاج إلى تفصيل وتوضيح، فإن كان الكلام لغوًا وفضولًا، أو قبيحًا وَقِحًا، فالصمت أفضل منه بلا ريبٍ، وإن كان كلامًا نافعًا وكلامًا صائبًا قد قيل في وقته، فقطعًا هو أحسنُ من الصمت، وأولى من السكوت.

ولعلَّ في هذا المثال ما يدعونا للتأمُّل في الأمثال التي نُورِدها قبلَ أن نأخذها قضيَّةً مسلَّمة وحقيقةً مقبولة.

# في الأمثال

«خذ ما دَفَّ واستَدَفَّ»؛ يُقال في القناعة.

«خالِف تُذكَر»؛ قاله الحُطَيئة لعُتبة بن النَّهَّاس العِجلي، وكان الحُطَيئة قد سألَه: أيُّ الناس أشعر؟

فقال: أنت.

قال الحُطَيئة: خالِف تُذكَر، بل أشعرُ منِّي الذي يقول:

وَمَن يَجعَلِ المعرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ   يَفِرْهُ وَمَن لا يَتَّقِ الشَّتمَ يُشتَمِ
وَمَن يَكُ ذا فَضلٍ فيَبخَلْ بِفَضلِهِ   عَلَى قَومِهِ يُستَغْنَ عَنْهُ ويُذْمَمِ

«**اختلط المَرعِيُّ بالهَمَل**»؛ المرعي: الإبل فيها رِعاؤها، والهَمَل: التي ليس معها رُعاتُها.

في الأمثال: «**أبلغ مِن قُسٍّ**»؛ هو قُسُّ بن ساعدة بن حُذافة ابن زُهير بن إياد بن نِزار الإيادي؛ كان مِن عُقلاء العرب، وحُكمائهم وفُصحائهم، عُمِّر مئةً وثمانين سَنَة.

وقالوا: «**أبخلُ مِن مادِر**»؛ وهو رجل من بني هلال بن عامر بن صَعْصَعَة، بلغ مِن بُخله أنَّه سقى إبلَه، فبقي في أسفل الحوض بقيَّةٌ من ماء، فسلحَ فيه ومَدَرَ به الحوض (طلاه)، فسمِّي مادرًا لذلك، أمَّا اسمه فهو مُخارِق.

ويقولون: «**أخلفُ من وَلَدِ الحِمار**»؛ يعنون البغل؛ لأنَّه لا يُشبه أباه ولا أُمَّه.

ويقال: «**الحَصاةُ من الجبل**»؛ ويُريدون به أنَّ كلًّا يميل إلى شكله.

«**إذا صلَحت العَين، صلَحت سَواقيها**».

ومثله: «**الناس على دِين مُلوكهم**».

وقولهم: «**إذا صلَح الرأس، صلَح الجسَد**».

«**إنَّ أخاك مَن آساك**».

«**وإذا حان القضاءُ ضاقَ الفضاء**».

«**بَلَغ السَّيْل الزُّبى**».

«**رُبَّ أخٍ لك لم تلِدْه أمُّك**».

«**زكاةُ النِّعم المعروف**».

«**صدرُك أوسعُ لسِرِّك**».

«**عندَ الصباحِ يَحمدُ القومُ السُّرَى**».

«**قطعَت جهيزةُ قولَ كلِّ خطيب**».

«**نفسُ عِصام سوَّدت عِصامًا**»

«**لا يفُلُّ الحديدَ إلَّا الحديدُ**».

«**باتَ فلان يشوي القَراح**»؛ يعنون به: الماء الخالِص؛ أصله أنَّ رجلًا اشتهى مأدومًا، ولم يكن عنده سوى الماء، فأوقد نارًا، ووضع القِدرَ عليها، وجعل فيها ماءً وأغلاه، وأكبَّ على الماء يتعلَّل بما يرتفع مِن بُخاره؛ فقيل له: ما تصنع؟

فقال: أشوي الماء!

فضُرِب به المثل لِمَن ساء حالُه، ونفِد مالُه، فصار بحيثُ يشوي الماء شهوةً للطبيخ.

«**شمِّر ذَيلا، وادَّرِع لَيلا**»، ويُضرب في الجِدِّ في طلب الشيء.

«**شَفَيت نفسي وجدَعت أنفي**»، ويُضرب لمن يضرُّ بنفسه من وجه، ويشتفي من وجه.

«**حَلَبَ الدَّهرَ أشطُرَه**»، مأخوذٌ من: حَلَبَ أشطُرَ الناقة؛ وذلك إذا حَلَبَ خِلفَين من أخلافها، ثم يحلُبها الثانيةَ خِلفَين أيضًا، يُضرب للمجرِّب العارف.

«**إنَّه لأَلْمَعِيٌّ**»، يُضرب للذكيِّ الذي يُصيب بظنِّه، قال أوس ابن حَجَر:

ألأَلْمَعِيُّ الذي يَظُنُّ بِكَ الظْ ظَنَّ كَأَنْ قد رَأَى وقد سَمِعَا

وفي الحديث: «**اتَّقوا فِراسةَ المؤمن؛ فإنَّه ينظرُ بنورِ الله**»، وفي الحديث: «**إن يكُن في أُمَّتي مُحدَّثون فعُمر**».



## من الأمثال

يُقال للرجل المبرِّز في الفضل أو العلم: «**ما يُشقُّ له غُبار**».

ويُقال للرجل المشهور: «**هل يَجهل فلانًا إلَّا مَن يجهلُ القمر؟!**».

ويُقال للرجل الشجاع القويِّ القَلب: «**ما يُقعْقع له بالشِّنان**».

ويُقال في الاثنين يتشابهان قوَّة ومضاءً: «**الحديد بالحديد يُفلَح**».

ويقولون للذليل المستضعَف: «**لقد ذَلَّ مَن بالَتْ عليهِ الثعالبُ**».

## محاكمة

ما قالَته العربُ على ألسنةِ الحيوانات:

وجدتِ الضَّبُع تمرة، فاختلسَها الثعلبُ فأكلَها، فلطمَته، فلطَمَها، فتحاكمَا إلى الضَّبِّ، فقالت: يا أبا الحُسَيل!

قال: سميعًا دعوتِ.

قالت: أتيناكَ نحتكِم إليك.

قال: في بيته يُؤتَى الحَكَم.

قالت: إنِّي التقطتُ تمرة.

قال: حُلوًا اجتنيتِ.

قالت: إنَّ الثعلب أخَذَها فأكلَها.

قال: حظَّ نفسِه بغَى.

قالت: فلطمتُه.

قال: اشتفيتِ.

قالت: فلطمَني.

قال: حرٌّ انتصَر.

قالت: اقضِ بيننا.

قال: قد فعلتُ.

## الشجاعة والحماسة

كان للحماسة والإشادة بالبطولة، والتنويه بالشُّجعان دَورٌ كبير في تاريخ العرب في جاهليَّتهم، فلمَّا جاء الإسلام داعيًا للجهاد ورفعِ راية الإسلام، قام الشُّعراء المسلمون يحثُّون على الجهاد، ويُشيدون بالشُّجعان الأخيار الذين يدافعون عن دين الله، ويقمعون الكَفَرةَ والمشركين، لا هَمَّ لهم إلَّا نصرةُ دين الله، فإمَّا فوزٌ بالنصر، أو نيلٌ للشهادة، ولسان حالهم يقول:

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ في اللهِ مَصْرَعِي

* قال أبو بكر رضي الله عنه لخالد بن الوليد: اطلبِ الموتَ تُوهَب لك الحياة، وكان خالد رضي الله عنه يقول: ما أقرَّ لعيني مِن ليلة يُهدَى إليَّ فيها عروس، إلَّا ليلةٌ أغدو فيها لقتال العدو.

* دخل الفَرَزدَقُ على سليمان بن عبد الملك، فقال له: مَن أنت؟ وتجهَّم له كأنَّه لا يعرفه.

فقال له الفرزدق: وما تعرفني يا أميرَ المؤمنين؟

قال: لا.

قال: أنا مِن قوم منهم أوفَى العرب، وأسوَدُ العرب، وأجودُ العرب،

وأحلمُ العرب، وأفرسُ العرب، وأشعرُ العرب.

قال: والله لتُبيننَّ ما قلت، أو لأوجعنَّ ظهرَك، ولأهدِمنَّ دارَك.

قال: نعم يا أميرَ المؤمنين؛ أمَّا أوفى العرب فحاجبُ بن زُرارَة، الذي رهنَ قوسَه عن جميع العرب فوفَّى بها، وأمَّا أسوَدُ العرب فقَيسُ بن عاصم الذي وفَدَ على رسول الله ﷺ فبَسَط له رِداءَه، وقال: هذا سيِّد الوَبَر، وأمَّا أحلمُ العرب فعَتَّاب بن وَرْقاء الرِّياحي، وأمَّا أفرسُ العرب فالحَرِيشُ بن هلال السَّعدي، وأمَّا أشعر العرب فها أنا ذا بين يديكَ يا أمير المؤمنين؛ فاغتمَّ سليمانُ ممَّا سمع من فخره ولم يُنكِره، وقال: ارجع على عَقِبَيك؛ فما لك عندنا شيءٌ مِن خير، فرجع الفَرَزدَق، وقال:

أَتَينـاكَ لا مِـن حـاجَـةٍ عَـرَضَـت لَـنـا ... إلـيـكَ ولا مِـن قِـلَّـةٍ فـي مُـجَـاشِـعِ

* قال يزيد بن المهلَّب: ما رأيتُ أشرفَ نفسًا من الفَرَزدَق؛ هجاني ملكًا، ومدحني سُوقَة.

* قال عبد الملك بن مَرْوان يومًا: مَن أشجعُ العرب شِعرًا؟

فقيل: عمرو بن مَعدِيكَرِب.

فقال: كيف؟ وهو الذي يقول:

فَـجـاشَـتْ إلـيَّ الـنَّـفْـسُ أَوَّلَ مَـرَّةٍ ... فَـرُدَّت عَـلَـى مَـكـرُوهِـهـا فَـاسـتَـقَـرَّتِ

قالوا: فعمرو بن الإطنابة.

فقال: كيف؟ وهو الذي يقول:

وَقَـولِـي كُـلَّـمـا جَـشَـأَتْ وجـاشَـتْ ... مَـكَـانَـكِ تُـحـمَـدِي أَوْ تَـسـتَـرِيـحِـي

قالوا: فعامر بن الطُّفَيل.

قال: كيف وهو الذي يقول:

أَقُولُ لِنَفْسٍ لا يُجَادُ بِمِثْلِهَا أَقِلِّي مَرَاحًا إِنَّنِي غَيرُ مُدبِرِ

قالوا: فمَن أشجعهم عند أمير المؤمنين؟

قال: أربعة: عبَّاس بن مِرْداس السُّلمي، وقَيْسُ بن الخَطِيم الأَوسِي، وعَنتَرَة بن شدَّاد العَبْسي، ورجل من مُزَينَة.

أمَّا عبَّاسٌ فلقوله:

أَشُدُّ عَلَى الكَتِيبَةِ لا أُبَالِي أَفِيهَا كانَ حَتْفِي أَمْ سِواهَا

وأمَّا قَيسُ بن الخَطِيم فلقوله:

وإنِّي لَدَى الحَربِ العَوانِ مُوَكَّلٌ بِتَقْدِيمِ نَفْسٍ لا أُرِيدُ بَقاءَهَا

وأمَّا عنترةُ بن شدَّاد فلقوله:

إذ تَتَّقُونَ بِيَ الأَسِنَّةَ لم أَخِمْ عنها ولكِن قَدْ تَضَايَقَ مَقْدَمِي

وأمَّا المُزَنيُّ فلقوله:

دَعَوتُ بَني قُحافَةَ فَاستَجابُوا فقُلتُ: رِدُوا فَقَدْ طابَ الوُرُودُ

## نسيانٌ مُخيف

قال الجاحظ: نسيتُ كُنيتي ثلاثةَ أيَّام، فسألت أهلي: بماذا أُكنى؟ فقالوا لي: أبو عثمان.

## أُرتِجَ عليه

صَعِد عثمان بن عفَّانَ رضي الله عنه المنبر، فأُرتِج عليه، فقال: إنَّ أبا بكر وعمرَ كانَا يُعِدَّان لهذا المقام مقالًا، وأنتم إلى إمام عادل أحوجُ منكم إلى إمام خطيب.

## يُقال

كان يُقال: لا وحشةَ أوحشُ مِن عُجْب، ولا ظهيرَ أعونُ مِن مشورة، ولا فقرَ أشدُّ من عَدَمِ العقل.

* قال عطاء بن أبي رَباح: ما قال العبد: يا ربِّ، يا ربِّ، ثلاث مرَّات إلَّا نظر الله إليه، فذُكِر ذلك للحسن فقال: أما تقرؤون القرآن؛ ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ [آل عمران: ١٩٣] إلى قوله: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾.

* قال أبو الطيِّب يمدح سيفَ الدولة، ويذكر بناءَ مَرْعَش:

فَرُبَّ غُلامٍ عَلَّمَ المَجْدَ نَفْسَهُ ... كَتَعليمِ سَيفِ الدَّولَةِ الطَّعْنَ والضَّرْبَا

إذا الدَّولَةُ استَكْفَت بهِ في مُلِمَّةٍ ... كَفاهَا فَكانَ السَّيفَ وَالكَفَّ والقَلْبَا

تُهابُ سُيُوفُ الهِنْدِ وَهْيَ حَدائِدٌ ... فكَيفَ إذا كانَتْ نِزَارِيَّةً عُرْبَا

ويُرهَبُ نابُ اللَّيثِ واللَّيثُ وَحْدَهُ ... فكَيفَ إذا كانَ اللُّيُوثُ لَهُ صَحْبَا

فيَومًا بِخَيلٍ تَطرُدُ الرُّومَ عَنهُمُ ... ويَومًا بِجُودٍ يَطرُدُ الفَقرَ والجَدْبَا

سَراياكَ تَتْرَى والدُّمُسْتُقُ هارِبٌ ... وأصحابُهُ قَتلَى وَأَموالُهُ نُهْبَى

أَتَى مَرْعَشًا يَستَقرِبُ البُعْدَ مُقبِلًا ... وأدبَرَ إذ أقبَلتَ يَستَبعِدُ القُرْبَا

كَذا يَترُكُ الأعداءَ مَن يَرهَبُ القَنَا ... ويَقفُلُ مَن كانَتْ غَنِيمَتَهُ رُعْبَا

مَضَى بعدَما التَفَّ الرِّماحانِ سَاعَةً ... كَما يَتَلَقَّى الهُدْبُ في الرَّقْدَةِ الهُدْبَا

وَلَكِنَّهُ وَلَّى وَلِلطَّعْنِ سَوْرَةٌ ... إذا ذَكَرَتها نَفْسُهُ لَمَسَ الجَنْبَا

وَخَلَّى العَذارَى وَالبَطارِيقَ وَالقُرَى وَشُعْثَ النَّصارَى وَالقَرابِينَ وَالصُّلْبَا

* قالوا: إذا أعجبَك الكلام فاصمُت.

* وقال أبو فِراسٍ الحَمْداني:

أُسِرْتُ وَما صَحْبِي بِعُزْلٍ لَدَى الوَغَى وَلا فَرَسِي مُهْرٌ وَلا رَبُّهُ غَمْرُ

وَلَكِنْ إذا حُمَّ القَضاءُ عَلَى امْرِئٍ فَلَيسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهُ ولا بَحْرُ

وقالَ أُصَيْحابِي: الفِرارُ أَوِ الرَّدَى فَقُلْتُ: هُمَا أَمْرانِ أَحلاهُمَا مُرُّ

وَلَكِنَّني أَمْضِي لِما لا يَعِيبُني وَحَسْبُكَ مِن أَمرَينِ خَيرُهُما الأَسْرُ

ويُشير إلى تمنُّن الرُّوم عليه، بأنَّهم أبقَوا له ثيابَه، فيقول:

يَمُنُّونَ أَنْ خَلَّوا ثِيابِي وإنَّما عَلَيَّ ثِيابٌ مِن دِمائِهِمُ حُمْرُ

وقائِمُ سَيفٍ فيهِمُ دُقَّ نَصْلُهُ وأَعقابُ رُمْحٍ فيهِمُ حُطِّمُ الصَّدْرُ

سَيَذكُرُنِي قَومِي إذا جَدَّ جِدُّهُمْ وفي اللَّيلَةِ الظَّلماءِ يُفتَقَدُ البَدْرُ

وَنَحْنُ أُناسٌ لا تَوَسُّطَ بينَنَا لنا الصَّدْرُ دُونَ العالَمِينَ أَوِ القَبْرُ

* قال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عضُّوا على النواجذ من الأضراس (يعني في الحَرب)؛ فإنَّه أنبَى للسُّيوف عن الهام.

* لَمَّا قال أبو الطيِّب المتنبِّي:

يَرَى الجُبَناءُ أنَّ العَجزَ عَقْلٌ وَتِلكَ خَدِيعَةُ الطَّبْعِ اللَّئِيمِ

وَكُلُّ شَجاعَةٍ في المَرْءِ تُغْنِي ولا مِثْلُ الشَّجاعَةِ في الحَكِيمِ

قيل له: أنَّى يكون الشجاعُ حكيمًا، هما على طرفَي نقيض؟!

قال: هذا عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

* قال ابنُ عبد ربِّه صاحبُ "العقد الفريد" في وصف الحرب:

سُيُوفٌ يَقِيلُ الموتُ تحتَ ظُباتِهَا لَها في الكُلَى طُعْمٌ وبينَ الكُلَى شُرْبُ

إذا اصْطَفَّتِ الرَّاياتُ حُمْرًا مُتُونُهَا ... ذَوائِبُها تَهفُو فَيَهفُو لها القَلبُ
وَلم تَنطِقِ الأبطالُ إلا بفِعلِهَا ... فَألسُنُها عُجْمٌ وَأفعالُها عُرْبُ
إذا ما التَقَوا في مَأزِقٍ وتَعانَقُوا ... فلُقياهُمُ طَعنٌ وتَعنِيقُهُمْ ضَرْبُ

## نادرة!!

دعَا رجلٌ من الأشراف بمكَّة، فقال: اللهمَّ إن كنتَ ما تعرفني، فأنا فلان ابن فلان، وإنِّي مررتُ بعبدك فلان، وهو يقول شيئًا فيه فُحْش، فرفستُه فانبطحَ يفحَصُ برجليه ميِّتًا، اللهمَّ قد أقررتُ لك الآن، فاغفر لي كما تريد!

* يُقال: الشجاع محبَّب حتى إلى عدوِّه، والجبان يُبغَض حتى من أُمِّه.

* قال بعض الجُبناء: مَن أراد السلامة، فليَدَعِ الشجاعة.

## الوَصف

تغنَّى الشُّعراء في الوَصف، فوصفوا الشجاعة والجُبن، والجُود والبُخل والكرَم وعكسها، ونَعَتُوا السَّيف والقلم، والتُّفَّاح والرُّمَّان، والخيل والإبل، والسيَّارة والطائرة، والأسَد والحرب، والسحاب والغَيث، والشمس والقمر، والليل والنهار، والأمطار والزلازل، والبساتين والحدائق، وغيرَها.

## وَصفُ رَوض

مِن قصيدة للحسن بن عليٍّ بن وَكِيعٍ في وَصفِ رَوض:

أَسْفَرَ عَنْ بَهْجَتِهِ الرَّوضُ الأَغَرْ ... وَابْتَسَمَ الدَّوْحُ لَنا عَنِ الزَّهَرْ
أَبدَى لَنا فَصْلُ الرَّبِيعِ مَنظَرًا ... بِمِثلِهِ تُفْتَنُ أَلبابُ البَشَرْ
وَشْيًا وَلَكِنْ حاكَهُ صَانِعُهُ ... لا لِابتِذالِ اللُّبْسِ لكن لِلنَّظَرْ

عـايَـنـهُ طَـرْفُ الـسَّـمـاءِ فَـانـثَـنَـى عِـشْقًا لَـهُ يَـبْـكِـي بـأجـفـانِ الـمَـطَـرْ
فـالأرضُ فـي زِيِّ عَـرُوسٍ فَـوقَـهَـا مِـنْ أَدْمُـعِ الـقَـطْـرِ نِـثَـارٌ مِـن دُرَرْ
وَشْـيٌ طَـواهُ فـي الـثَّـرَى صِـوَانُـهُ حـتَّـى إذا قَـلَّ مِـنَ الـطَّـيِّ انْـتَـشَـرْ

## الرَّبيع

قال صفيُّ الدِّين الحِلِّي:

وَرَدَ الـرَّبِـيـعُ فـمَـرحـبًـا بِـوُرودِهِ وبِـنُـورِ بَـهـجَـتِـهِ وحُـسْـنِ وُرودِهِ
وَبِـحُـسْـنِ مَـنـظَـرِهِ وَطِـيـبِ نَـسـيـمِـهِ وَأَنِـيـقِ مَـلْـبَـسِـهِ وَوَشْـيِ بُـرودِهِ
فَـصْـلٌ إذا فَـخَـرَ الـزَّمـانُ فـإِنَّـهُ إنـسـانُ مُـقْـلَـتِـهِ وبـيـتُ قَـصِـيـدِهِ
يُغنِي المِزاجَ عَنِ العِلاجِ نَسِيمُهُ بـالـلُّـطْـفِ عـنـدَ هُـبُـوبـهِ ورُكُـودِهِ
يـا حَـبَّـذا أَزهـارُهُ وثِـمـارُهُ ونَـبـاتُ نَـاجِـمِـهِ وحَـبُّ حَـصِـيـدِهِ
والغُصْنُ قد كُسِيَ الغَلائِلَ بعدَما أَخَـذَت يَـدا كَـانُـونَ فـي تَـجْـرِيـدِهِ
نالَ الصِّبَا بعدَ المَشِيبِ وقد جَرَى مـاءُ الـشَّـبِـيـبَـةِ في مَـنـابِـتِ عُـودِهِ
والـوَرْدُ في أَعْـلَـى الـغُـصـونِ كَـأَنَّـهُ مَـلِـكٌ تَـحُـفُّ بِـهِ سَـراةُ جُـنُـودِهِ
والـيـاسَـمِـيـنُ كـعـاشِـقٍ قـد شَـفَّـهُ جَـوْرُ الـحَـبِـيـبِ بِـهَـجْـرِهِ وصُـدُودِهِ
فَـانـظُـر لِـنَـرْجِـسِـهِ الـشَّـهِـيـرِ كـأَنَّـهُ طَـرْفٌ تَـنـبَّـهَ بـعـدَ طُـولِ هُـجُـودِهِ
وانـظُـر إلـى الـمَـنـظُـوم مِـن مَـنـثُـورِهِ مُـتـنَـوِّعًـا بـفُـصـولـهِ وعُـقـودِهِ
أوَمـا تَـرَى الـغَـيْـمَ الـرَّقِـيـقَ ومـا بَـدَا لِـلـعَـيـنِ مِـن أَشـكـالِـهِ وَطُـرُودِهِ
وَالسُّحْبُ تَعقِدُ في السَّماءِ مَآتِمًا والأرضُ فـي عُـرْسِ الـزَّمـانِ وَعِـيـدِهِ
نَـدَبَـتْ فَـشَـقَّ لـهـا الـشَّـقِـيـقُ جُـيُـوبَـهُ وَازرَقَّ سَـوسَـنُـهـا لـلَـطْـمِ خُـدودِهِ

وقال أبو محمَّد المُهَلَّبي ينعَت الشمسَ في يومٍ غائِم:

ويَـومٍ كـأنَّ الـشَّـمـسَ والـغَـيـمُ دُونَـهَـا حِـجـابٌ بِـهِ صِـيـنَـتْ فَـمـا يَـتـهَـتَّـكُ

عَرُوسٌ بَدَتْ في زُرْقَةٍ مِن ثِيابِهَا ... تُجلِّلُها، فيها رِداءٌ مُمَسَّكُ

وقال أعرابيٌّ يصفُ نارًا في البَرِّيَّة:

رأيتُ بِحَزْنِ عَزَّةَ ضَوءَ نارٍ ... تَلألأُ وَهْيَ وَاضِحَةُ المَكانِ
فَشَبَّهَ صاحِبايَ بِها سُهَيلًا ... فقُلتُ: تَبيَّنا ما تُبصِرانِ
أَنارٌ أُوقِدَت لِتَنَوَّراهَا ... بَدَت لَكُما، أَم البَرْقُ اليَمانِي؟
كَأَنَّ النَّارَ يُقطَعُ مِن سَناهَا ... بَنائِقُ جُبَّةٍ مِن أُرْجُوانِ

وقال جَميلُ بُثَيْنَة:

أَكَذَّبتُ طَرْفي أَمْ رأَيتُ بِذِي الغَضَا ... لِبَثْنَةَ نارًا فَاحبِسُوا أيُّها الرَّكْبُ
إلى ضَوْءِ نَارٍ في القَتَام كأنَّها ... مِنَ البُعْدِ وَالأَهوَالِ جِيبَ بِهَا ثَقْبُ
وما خَفيتْ مِنِّي لَدُنْ شَبَّ ضَوْؤهَا ... وما هَمَّ حَتَّى أَصبَحَت ضَوْؤها يَخْبُو
وقالَ صِحابِي: ما نَرَى ضَوءَ نارِهَا ... ولكِن عَجِلتَ وَاستَناعَ بِكَ الخَطْبُ
فكَيفَ مَعَ المِحْرَاجِ أَبصَرتَ نارَهَا ... وكَيفَ مَعَ الرَّمْلِ المُنَطَّقَةُ الهُدْبُ؟

## الحمامة

قال أبو عليٍّ السَّهْواجي:

وَهَتُوفٍ أَيْكِيَّةٍ ذاتِ شَجْوٍ ... سَجَّعَت ثُمَّ رَجَّعَت تَرْجِيعَا
ذَكَرَت إلفَها فَحَنَّت إلَيهِ ... فَبَكَينا مِنَ الفِراقِ جَمِيعَا

وقال آخر:

وأَسلَمَها الباكُونَ إلَّا حَمامَةٌ ... مُطَوَّقَةٌ وَرْقاءُ بانَ قَرِينُهَا
تُجاوِبُها أُخرَى عَلَى خَيزُرَانَةٍ ... يَكادُ يُدَنِّيها مِنَ الأرضِ لِينُهَا

وقال حُمَيْدُ بن ثَوْر:

وَما هاجَ هذا الشَّوقَ إلَّا حَمامَةٌ ... دَعَتْ شَوقَ حُرٍّ مُغرَمٍ فَتَرَنَّمَا

بَكَت مِثلَ ثَكلَى قد أُصِيبَ حَمِيمُهَا ... مَخافَةَ بَيْنٍ يَترُكُ الحَبْلَ أَجْذَمَا
فلم أَرَ مِثْلِي شاقَهُ صَوتُ مِثْلِهَا ... ولا عَرِبَيًّا شاقَهُ صَوتُ أَعْجَمَا

وقال أحد الشُّعراء:

وتَنبَّهَت ذَاتُ الجَناحِ بِسَحْرَةٍ ... بِالوادِيَينِ فَنَبَّهَتْ أَشواقِي
وَرْقَاءُ قَدْ أَخَذَتْ فُنُونَ الحُزْنِ عَنْ ... يَعقُوبَ والأَلحانَ عَنْ إسحَاقِ
قامَتْ تُطارِحُنِي الغَرامَ جَهالَةً ... مِنْ دُونِ صَحْبِي بِالحِمَى ورِفاقِي
أَنَّى تُبارِينِي جَوًى وَصَبابَةً ... وكَآبَةً وأَسًى وفَيضَ مَآقِي
وأَنا الذِي أُملِي الجَوَى مِن خاطِرِي ... وَهِيَ التِي تُملِي مِنَ الأَوراقِ



كان أبو عبد الله النَّمَرِيُّ قد توجَّه من البصرة إلى ذي الكِفايتَين، ووصفَ بعضَ ما عاناه:

لَمَّا رَأيتُ كَرْمَهُمْ أَطَمَّا
وشَجَرَ البَلُّوطِ خُضْرًا عَمَّا
وفِتيَةً عَنِ الفَصِيحِ صُمَّا
ذَكَرْتُ بِالبَصْرَةِ نَخْلًا جَمَّا
وَفِتْيَةً بِيضَ الوُجُوهِ شُمَّا
نَادَيتُ: يَاللَّهُمَّ فَرِّجْ غَمَّا
ما أَسرَعَ الشَّيءَ إذا ما حُمَّا!

وقال بعضُهم: لا تُقيموا ببلادٍ ليس فيها نهرٌ جار، وسوقٌ قائمة، وقاضٍ عدل.

وقالوا: لا تُبنَى المدن إلَّا على الماء والمرعى والمُحتطَب.

قال الشاعر:

لِله دَرُّ سَـمَـيْـدَعٍ فَـجَـعَـت بِـهِ يـومَ الـبَـقِـيـعِ حَـوَادِثُ الأيَّـامِ
هَـشٌّ إذا نَـزَلَ الـوُفـودُ بِـبـابِـهِ سَـهْـلُ الـحِـجـابِ مُـؤَدَّبُ الـخُـدَّامِ
فـإِذَا رَأَيـتَ شَـقِـيـقَـهُ وَصَـدِيـقَـهُ لَـم تَـدْرِ أَيُّـهُـمـا أَخُـو الأَرحـامِ

لقي الحسين بن عليٍّ رضي الله عنه الفَرَزْدَق، فسألَه عن الناس؛ فقال: القلوبُ معك، والسُّيوفُ عليك، والنَّصرُ في السماء.

• قال أبو الحسن المدائني:

أجرى رسول الله ﷺ الخيلَ، وسابقَ بينها، فجاء فرسٌ له أدهمُ سابقًا، فجثَا رسول الله ﷺ على رُكبَتَيه، وقال: «ما هو إلَّا بَحْر».

وقال عمر بن الخطَّاب: كذَب الحُطَيئةُ حيثُ يقول:

وإنَّ جِـيـادَ الـخَـيـلِ لا تَـسْـتَـفِـزُّنَـا ولا جَاعِلاتُ العاجِ فَوقَ المَعاصِمِ

كان هشام بن عبد الملك يهتمُّ بالخيل، ويُعنَى بها، فسَبَقت له فرسٌ وتلتها أُختها، ففرِح لذلك فرحًا شديدًا، وقال: عَلَيَّ بالشُّعراء، فقال لهم: قولوا في هذه الفرس وأختها، فسأله الشعراء أن يُمهلَهم بعضَ الوقت، وكان بينهم أبو النَّجْم، فقال له: هل لكَ في رجل يقدِّم شعرًا حاضرًا بعد أن طلب الشُّعراءُ الإنظار؟

قال: هات!

فقال من ساعته:

أَشَـاعَ لِـلـغَـرَّاءِ فـيـنـا ذِكْـرَهـا
قَـوَائِـمٌ عُـوجٌ أَطَـعْـنَ أَمْـرَهـا

وما نَسِينا بالطَّرِيقِ مُهْرَها
حِينَ نَقِيسُ قَدْرَهُ وقَدْرَها
وَصَبْرَهُ إذا عَدَا وَصَبْرَها
والماءُ يَعْلُو نَحْرَهُ وَنَحْرَها
مَلْمُومَةٌ شَدَّ المَلِيكُ أَسْرَها
أَسْفَلَها وَبَطْنَها وَظَهْرَها
قَدْ كادَ هادِيهَا يَكُونُ شَطْرَها
لا تأخُذُ الحَلْبَةُ إلا سُؤْرَها

فأمر له بجائزةٍ وانصرَف.

سبق يومًا فرسٌ للرشيد يُسمَّى المشمِّر، وكان أجراه مع أفراس للفَضْل وجعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، فقال أبو العَتاهِيَة:

جاءَ المُشَمِّرُ والأَفْراسُ يَقْدُمُهَا     هَوْنًا عَلَى سُرْعَةٍ مِنا وما انْتَهَرَا
وخَلَّفَ الرِّيحَ حَسْرَى وهْيَ تَتبَعُهُ     وَمَرَّ يَختَطِفُ الأَبصارَ وَالنَّظَرَا

وقال آخر في وَصفِ فرس أبي الأعور السُّلَمي:

مَرَّ كَلَمعِ البَرْقِ سَامَ نَاظِرُهْ
تَسبَحُ أُولاهُ وَيَطفُو آخِرُهْ
فَما يَمَسُّ الأَرْضَ مِنْهُ حافِرُهْ

وسأل عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه عمرَو بن مَعدِ يكَرِب عن السِّلاح، فقال: يسألُ أميرُ المؤمنين عمَّا بدَا له.

قال: ما تقولُ في التُّرس؟

قال: هو المِجَنُّ الدائر، وعليه تدورُ الدوائر.

قال: فما تقول في الرُّمح؟

قال: أخوك، وربَّما خانكَ فانقصَف.

قال: فالنَّبل؟

قال: منايا تُخطئ وتُصيب.

قال: فما تقول في الدِّرْع؟

قال: مَثْقَلةٌ للراجل، مَتْعَبةٌ للفارس، وإنَّها لحصنٌ حصين.

قال: فما تقول في السَّيف؟

قال: هناك، لا أُمَّ لك يا أمير المؤمنين!

فضَرَبه عمر بالدِّرَّة، وقال: بل لا أُمَّ لك!

قال: الحُمَّى أضرَعَتني لك! (وهذا مَثَلٌ يقصد به أنَّ الإسلام قيَّده، وألزمَه الطاعة، ولو كان في الجاهليَّة، لم يعامِلْه بمثل هذه المعاملة).

* قال أحمدُ بن عبد ربِّه صاحبُ "العقد الفريد" يصفُ الحرب:

وجَيشٍ كَظَهرِ اليَمِّ تَنفَحُهُ الصَّبَا ... يَعُبُّ عُبابًا مِن قَنًا وقَنابِلِ
فَتَنزِلُ أُولاهُ وليسَ بِنازِلٍ ... وَتَرحَلُ أُخراهُ وليسَ بِراحِلِ
ومُعتَرَكٍ ضَنكٍ تَعاطَتْ كُماتُهُ ... كُؤُوسَ دِماءٍ مِن كُلًى وَمَفاصِلِ
يُدِيرُونَها راحًا مِنَ الرُّوحِ بَينَهُمْ ... بِبِيضٍ رِقاقٍ أو بِسُمرٍ ذَوابِلِ
وَتُسمِعُهُمْ أُمُّ المَنِيَّةِ وَسْطَهَا ... غِناءَ صَلِيلِ البِيضِ تحتَ المَناصِلِ

* قال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: مَن لم ينفَعْه ظنُّه، لم ينفَعْه يقينُه.

* قال ابن المُعتَزِّ يصفُ القلم:

القَلَمُ مُجهِّز لجيوش الكلام، يخدُم الإرادة، ولا يمَلُّ الاستزادة، يسكتُ واقفًا، وينطقُ سائرًا، على أرضٍ بياضُها مُظلِم، وسوادُها مُضيء.

## الشَّيب العاجل

قال المُوسَوي:

عَجِلتَ يا شَيبُ عَلَى مَفرِقِي ... وأيُّ عُذرٍ لَكَ أَنْ تَعْجَلا؟
وكيفَ أَقدَمتَ عَلَى عارِضٍ ... ما استَغرَقَ الشَّعْرَ ولا استَكمَلا؟
يا زائِرًا ما جاءَ حتَّى مَضَى ... وعارِضًا ما غامَ حتَّى انجَلَى
وما رَأَى الرَّاؤُونَ مِن قَبلِهَا ... زَرعًا ذَوَى مِن قَبلِ أَنْ يُبقِلا

## كُثيِّر وجَميل

قال كثيِّر: أتيتُ جَميلًا أستنصِحُه: هل أُظهر الشِّعر، فأنشدتُّه:

وكانَ الصِّبا خَدْنَ الشَّبابِ فَأَصبَحا ... وَقَدْ تَرَكانِي في مَغانِيهِما وَحدِي

فقال: حسبُك، أنت أشعرُ الناس.

* قال الشاعر أحمد رامي يصفُ البحرَ وراكبَه:

يا راكِبَ البَحرِ جَوَّابًا أَقاصِيهِ ... طَوِّف فأنتَ خَبيرٌ بالذِي فيهِ
ذَرَّعتَهُ والرِّياحُ الهُوجُ عاتِيَةٌ ... وجُزتَهُ مُدلَهِمَّاتٍ لَيالِيهِ
والمَوجُ يَهدِرُ في لبَّاتِهِ صَخِبًا ... زُبْدٌ أَسافِلُهُ غُرٌّ أَعالِيهِ

طَورًا يُسِفُّ فَتَهوِي في مَغاوِرِهِ     وَتارَةً تَمتَطِي أَعلَى رَوابِيهِ
وأنتَ رابِطُ جَأشٍ لا يُزَعزِعُهُ     مَخاوِفٌ تَتَراءَى في مَهاوِيهِ
حَماكَ مِن بَأسِهِ إيمانُ مُبتَهِلٍ     يَدعُو فَيَلقَى الرِّضا مِن لُطفِ بارِيهِ

* وقال مطرِّفٌ شاعر غِرناطَة يصفُ جبل طارق:

وأَقوَدَ قد أَلقَى عَلى البَحرِ مَتنَهُ     فأَصبحَ عَن قُودِ الجِبالِ بِمَعزِلِ
يُعرِّضُ نحوَ الأُفْقِ وَجهًا كأَنَّمَا     تُراقِبُ عَيناهُ كَواكِبَ مَنزِلِ

## أبو جعفر وأبو دُلامَة

كان أبو جعفرٍ المنصورُ قد أَمَر أصحابَه بلُبس السواد، وقلانسَ طوالٍ، ودراريعَ كُتِب عليها: ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وأن يعلِّقوا السُّيوفَ في المناطق، فدخل عليه أبو دُلامةَ في هذا الزِّي، فقال له المنصور: كيف أصبحتَ يا أبا دُلامَة؟

قال: بشَرِّ حالٍ يا أمير المؤمنين!

قال: كيف ذلك ويلَك؟!

قال: وما ظنُّك يا أميرَ المؤمنين بمَن أصبح وجهُه في وَسَطِه، وسيفُه على استِه، ونبذَ كتابَ الله وراءَ ظهره، وصبغَ بالسَّواد ثيابَه؟!

فضحك المنصور ووصلَه، وأَمَر بتغيير ذلك الزِّيِّ، وفي ذلك يقول أبو دُلامَة:

وكُنَّا نُرجِّي مِن إمامٍ زِيادَةً     فَجادَ بِطُولٍ زادَهُ في القَلانِسِ
تَراها عَلَى هامِ الرِّجالِ كأنَّها     دِنانُ يَهُودٍ جُلِّلَت بالبَرانِسِ



* وقال أبو الحُسين الجزَّار يصفُ دارَه وفقرَه:

ودارُ خَرابٍ بِها قد نَزَلتُ ... ولكن نَزَلتُ إلى السَّابِعَهْ
طَرِيقٌ مِنَ الطُّرْقِ مَسلُوكَةٌ ... مَحَجَّتُها للوَرَى شاسِعَهْ
فلا فَرْقَ ما بينَ أنِّي أكونُ ... بِها أَوْ أكونُ على القارِعَهْ
تُسارِرُها هَفَواتُ النَّسِيم ... فَتُصغِي بِلا أُذُنٍ سامِعَهْ
وأَخشَى بِها أَنْ أُقيمَ الصَّلاةَ ... فتَسجُدَ حِيطانُها الرَّاكِعَهْ
إذا ما قَرَأتُ ﴿إِذَا زُلْزِلَت﴾ ... خَشِيتُ بِأن تَقرَأَ (الوَاقِعَهْ)

* وقال أبو الشَّمَقْمَق:

بَرَزْتُ مِنَ المَنازِلِ والقِبابِ ... فَلم يَعسُرْ عَلَى أَحَدٍ حِجابِي
فمَنزِلِيَ الفَضاءُ وَسَقْفُ بَيتِي ... سَماءُ اللهِ أَوْ قِطَعُ السَّحابِ
فَأَنتَ إذا أَرَدتَّ دَخَلتَ بَيتِي ... عَلَيَّ مُسلِّمًا مِن غَيرِ بابِ
لِأَنِّي لَم أَجِدْ مِصراعَ بابٍ ... يكونُ مِنَ السَّحابِ إلى التُّرابِ
ولا انشَقَّ الثَّرَى عَن عُودِ تَخْتٍ ... أُؤمِّلُ أن أَشُدَّ بِهِ ثِيابِي
ولا خِفتُ الإباقَ على عَبِيدِي ... ولا خِفتُ الهَلاكَ عَلَى دَوابِي
ولا حاسَبتُ يَومًا قَهْرَمانًا ... مُحاسَبَةً فأَغلَطَ في حِسابِي
وفي ذا راحَةٌ وفَراغُ بالٍ ... فدَأبُ الدَّهرِ هذا بِي ودابِي

* وقال أحمد شوقي:

سَلامٌ مِن صَبَا بَرَدَى أَرَقُّ ... وَدَمعٌ لا يُكَفكَفُ يا دِمَشقُ
ومَعذِرَةُ اليَراعَةِ والقَوافي ... جَلالُ الرُّزْءِ عَن وَصْفٍ يَدِقُّ
وذِكرَى عَن خَواطِرِهَا لِقلبِي ... إليكِ تَلَفُّتٌ أبدًا وخَفقُ
وبِي مِمَّا رَمَتكِ بِهِ اللَّيالِي ... جِراحاتٌ لها في القَلبِ عُمقُ
تَكادُ لِرَوعَةِ الأَحداثِ فِيهَا ... تُخالُ مِنَ الخُرافَةِ وَهْيَ صِدقُ

وقِيلَ مَعالِمُ التَّاريخِ دُكَّتْ ... وقِيلَ أَصابَها تَلَفٌ وَحَرْقُ
أَلَستِ دِمَشقُ للإسلامِ ظِئْرًا ... وَمُرضِعَةُ الأُبُوَّةِ لا تُعَقُّ؟
وَكُلُّ حَضارَةٍ في الأرضِ طالَتْ ... لَها مِنْ سَرْحِكِ العُلويِّ عِرقُ
سَماؤُكِ مِن حُلَى الماضِي كِتابٌ ... وَأَرضُكِ مِن حُلَى التَّارِيخِ رِقُّ
بَنَيتِ الدَّولةَ الكُبرى ومُلكًا ... غُبارُ حَضارَتَيهِ لا يُشَقُّ
لَهُ بالشَّامِ أعلامٌ وعُرْسٌ ... بَشائِرُهُ بأندَلُسٍ تَدُقُّ
رِباعُ الخُلدِ وَيحكِ ما دَهاها ... أَحَقٌّ أَنَّها دَرَسَتْ، أَحَقُّ؟
بِلَيلٍ لِلقَذائِفِ والمَنايَا ... وَراءَ سَمائِهِ خَطْفٌ وصَعْقُ
إذا عَصَفَ الحَدِيدُ احمَرَّ أُفْقٌ ... عَلى جَنَباتِهِ واسوَدَّ أُفْقُ
سَلِي مَنْ راعَ غِيدَكِ بعدَ وَهْنٍ ... أبَينَ فُؤادِهِ والصَّخرِ فَرْقُ؟

## نورٌ على الدَّرب

### الغزل

المتفائلُ يقولُ عن المرأة: إنَّها رَيحانةٌ من الرياحين، ودُرَّةٌ نادرة، ولؤلؤةٌ غالية، وما الحياةُ لولا المرأة تزيِّنها، وتُعينُ على الخلاص مِن مشاكلها، وتؤنِسُ الحزين، وتسلِّي المهموم؟! وهي الأمُّ والبنت، والأخت والزَّوج، فلولاها لانقَرض النَّسْل وفَنِي البَشَر.

أمَّا المتشائم فيَرميها بأقذعِ النُّعوت، ويَصفُها بأسوأ الأوصاف، فهي عندَه عَقرَبٌ وشوكةٌ وأفعى، وهي غادرةٌ لا وفاءَ لها، متقلِّبة لا ثباتَ عندَها، تُفشي السِّرَّ، ولا تحسِنُ الاختيار، ولا يُركَنُ لها في أمر، ولا يُوثَقُ بها على أيِّ حال.

وفي هذا مِن التجنِّي الشيءُ الكثير، وليس النساءُ مستوِيات، ولسنَ مِن العُيوبِ مبرَّآت.

قال الشاعر:

بَيضاءُ ناصِعَةُ البَياضِ كأنَّهَا قَمَرٌ تَوسَّطَ جُنْحَ لَيلٍ مُبرِدِ
مَوسُومَةٌ بالحُسنِ ذاتُ حَواسِدٍ إنَّ الحِسانَ مَظِنَّةٌ للحُسَّدِ
وتَرَى مآقِيَها تُقلِّبُ مُقْلَةً حَوراءَ تَرغبُ عَن سَوادِ الإثمِدِ
خَوْدٌ إذا كثُرَ الحديثُ تَعوَّذَت بحِمى الحَياءِ وإن تَكلَّمْ تَقصِدِ

* روى الحسن بن مخلَد قال: أنشدَ إبراهيمُ بن العبَّاس قولَ العبَّاس بن الأحْنَف:

إن قالَ لم يفعَل، وإن سِيلَ لم يَبذُل، وإن عُوتِبَ لم يُعتِبِ
صَبٌّ بِهِجرانِي ولو قالَ لي: لا تَشرَبِ البارِدَ، لم أشرَبِ

فقال: هذا والله الشِّعر الحسَنُ المعنى، السهلُ اللفظ، العذبُ المستمَع، القليلُ النظير، ما سمعتُ كلامًا أجزلَ منه في رِقَّة، ولا أسهلَ في صعوبة، ولا أبلغَ في إنصاف مِن هذا!

فقال له الحسن: كلامُك والله أحسنُ مِن شعره.

* أنشد بشَّار قولَ المجنون:

ألا إنَّما لَيلى عَصا خَيزُرانةٍ إذا غمزَتها الكَفُّ فَهْيَ تَلِينُ

فقال: والله لو جعلَها عصا مخٍّ أو ثريد لكان قد هجَّن، فكيف يذكر العصا؟ هلَّا قال كما قُلت:

وحَوراءُ المَدامِعِ مِن مَعَدٍّ كأنَّ حدِيثَها قِطَعُ الجُمانِ
إذا قامَت لِحاجَتِها تَثنَّت كأنَّ عِظامَها مِن خَيزُرَانِ

* وقال جرير:

أتجمَعُ قَلبًا بالعِراقِ فَرِيقُهُ ومنهُ بأَظلالِ الأَراكِ فَرِيقُ

أَوانِسُ أمَّا مَن أَرَدنَ عَناءَهُ فَعانٍ وَمَن أَطلَقنَ فَهْوَ طَلِيقُ
دعَونَ الهَوَى ثُمَّ ارتَمَينَ قُلوبَنَا بأَسهُمِ أَعداءٍ وهُنَّ صَدِيقُ

* قيل لأعرابيٍّ من العُذْرِيِّين: ما بالُ قلوبكم كأنَّها قلوبُ طير، تَنْماثُ كما يَنْماث المِلح في الماء؟ أما تَجلَّدون؟

فقال: إنَّنا ننظرُ إلى محاجر أعيُن لا تنظرون إليها!

* قال أبو العَمَيْثَل عبد الله بن خُلَيد بن سعد:

وإنَّا لنُجرِي بينَنا حِينَ نَلتَقي حديثًا لهُ وَشْيٌ كوَشْيِ المَطارِفِ
حَدِيثٌ كَطَعمِ القَطْرِ في المَحْلِ يُشتَفَى بهِ مِن جَوًى في داخِلِ القَلبِ لاطِفِ

## مجنون ليلى

* سُئِل مجنونُ ليلى - وهو تَوْبَةُ بن الصِّمَّة - مرَّة: هل كان بينَك وبين ليلى رِيبةٌ قطُّ؟

فقال: برِئتُ من شفاعة محمَّد ﷺ إن كنتُ قطُّ حللتُ سَراويلي على محرَّم.

* ودخلَت ليلى على عبد الملك بن مَرْوان تشكو ظُلامةً، فقال لها: ماذا رأى منك توبةُ حتى عشِقَكِ هذا العشقَ كلَّه؟

فقالت: والله يا أمير المؤمنين، لم يكن بيني وبينَه قطُّ رِيبةٌ ولا خَنا، وإنَّما العربُ تعشَق وتعفُّ، وتقول الأشعار فيمَن تهوى، وتحب مع العِفَّة، والصيانة لأنفسها عن الدناءات، فأزال ظُلامتها وأجازها.

* سمع الفرزدق عمر بن أبي ربيعة ينشد قوله:

جَرَى نَاصِحٌ بِالوُدِّ بَينِي وبَينَها فقَرَّبَنِي يَومَ الحِصابِ إلَى قَتلِي

ولَمَّا بلغ قوله:

فقُمنَ وقد أفهَمنَ ذا اللُّبِّ إنَّما   أتَينَ الذي يأتِينَ من ذاكَ من أجلي

صاحَ الفرزدق: هذا واللهِ الذي أرادَته الشُّعراء، فأخطأَتْهُ وبكَت على الدِّيار.

* قال عبد الجبَّار بن سعيد المُساحِقيُّ عن أبيه: دخلتُ مسجد رسول الله ﷺ مع نَوْفَل بن مُساحِق، وإنَّه لمعتمِدٌ على يدي إذ مررنا بسعيد بن المسيّب في مجلسه، فسلَّمنا عليه، فردَّ سلامَنا، ثم قال لنَوْفَل: يا أبا سعيد، مَن أشعر؛ أصاحبنا أم صاحبكم؟ يعني عُبيد الله بن قيس الرُّقَيَّات، أو عمر بن أبي ربيعة.

فقال نَوْفَل: حين يقولان ماذا؟

فقال: حين يقول صاحبُنا:

خلِيلَيَّ ما بالُ المَطِيِّ كأنَّمَا   نَراها عَلَى الأدبارِ بالقَوم تَنكُصُ

وقد أبعَدَ الحادِي سُراهُنَّ وانتَحَى   بهِنَّ فَما يألُو عَجُولٌ مُقَلِّصُ

وقد قُطِعَت أعناقُهنَّ صَبابةً   فأنفُسُنا ممَّا تَكلَّفَ شُخَّصُ

يَزِدنَ بِنا قُربًا فيَزدادُ شَوقُنَا   إذا زادَ طُولُ العَهدِ، والبُعدُ يَنقُصُ

ويقول صاحبُكم ما شئت.

فقال له نَوْفل: صاحبُكم أشهرُ بالقول في الغَزَل - أمتع الله بك - وصاحبُنا أكثر شعرًا.

قال: صدقت.

فلمَّا انقضى ما بينهما من ذِكر الشِّعر جعلَ سعيدٌ يستغفر الله، ويعقِد بيده ويعُدُّه بالخمس كلِّها، حتى وفَّى مئة.

قال الراوي: فلمَّا فارَقناه قُلت لنَوفل: أتُراه استغفر الله مِن إنشاده الشِّعر

في مسجد رسول الله ﷺ؟

قال: كلَّا؛ هو كثير الإنشاد والاستنشاد للشِّعر فيه، ولكنِّي أحسبُه للفخر بصاحبه.

* ومن الغَزَل قول القَسِّ:

أَلَم تَرَها لا يُبعِدُ اللهُ دارهَا ... إذا مَرِحَت في صَوتِها كيفَ تصنَعُ
تَمُدُّ نِظامَ القَولِ ثمَّ تَرُدُّهُ ... إلى صَلصَلٍ في حَلْقِها فتُرَجِّعُ

* ولمَّا أنشد كُثَيِّر عبدَ الملك بن مَرْوان قولَه:

وما رَوضَةٌ بالحَزْنِ طَيِّبَةَ الثرى ... يَمُجُّ النَّدى جَثْجاثُها وعَرارُهَا
بأطيَبَ من أَردانِ عَزَّةَ موهِنًا ... إذا أُوقِدَت بالعَنبَرِ اللَّدْنِ نارُهَا

قيل له: امرؤ القيس أشعرُ منك حيثُ يقول:

أَلم تَرَيانِي كُلَّما جِئتُ طارِقًا ... وَجَدتُّ بِها طِيبًا وإن لم تَطَيَّبِ

* وقال عليُّ بن الجَهْم:

عُيونُ المَها بينَ الرُّصافَةِ والجِسْرِ ... جَلَبنَ الهَوى من حيثُ أدري ولا أدري
أَعَدنَ ليَ الشَّوقَ القَديمَ ولم أكُن ... سَلَوتُ ولكن زِدنَ جَمرًا عَلَى جَمْرِ
سَلِمنَ وأسلَمنَ القُلوبَ كأنَّما ... تُشَكُّ بأطرافِ المُثقَّفةِ السُّمْرِ
خَليلَيَّ ما أحلَى الهَوى وأمَرَّهُ ... وأعرَفَني بالحُلوِ منهُ وبالمُرِّ
كَفَى بالهوى شُغلًا وبالشَّيبِ زاجِرًا ... لوَ انَّ الهوى ممَّا يُنَهنَهُ بالزَّجْرِ
بما بينَنا من حُرمَةٍ هَل عَلِمتُمَا ... أرَقَّ مِن الشكوى وأقسى منَ الهَجْرِ
وأفضحَ مِن عَينِ المُحِبِّ لسِرِّهِ ... ولا سِيَّما إن أطلقَت عَبرَةً تَجرِي
وإن أَنسَ للأشياءِ لا أَنسَ قَولَهَا ... لِجارَتِها: ما أولَعَ الحُبَّ بالحُرِّ

* وقال يزيد بن الطَّثَرِيَّة:

بِنَفسِيَ مَن لَو مَرَّ بَردُ بَنانِهِ على كَبِدِي كانت شِفاءً أَنامِلُهْ
ومَن هابَنِي في كُلِّ شيءٍ وَهِبتُهُ فَلا هوَ يُعطِيني ولا أنا سائِلُهْ

* وقال البُحْتُرِي:

ولمَّا التَقَينا والنَّقا مَوعِدٌ لنَا تَعجَّبَ رائِي الدُّرِّ حُسنًا ولاقِطُهْ
فَمِن لُؤلُؤٍ تَجلُوهُ عندَ ابتِسامِهَا ومِن لُؤلُؤٍ عندَ الحدِيثِ تُساقِطُهْ

وقال البُحْتُرِيُّ أيضًا:

إنِّي وإن جانَبتُ بعضَ بِطانَتي وتَوهَّمَ الواشُونَ أنِّي مُقصِرُ
ليَشوقُنِي سِحرُ العُيونِ المُجتَلى ويَروقُني وَردُ الخُدُودِ الأحمَرُ

قال الشاعر:

لقد بَخِلَت حتَّى لَوَ انِّي سألتُهَا قَذَى العَينِ مِن سافي التُّرابِ لَضَنَّتِ
كأنِّي أُنادِي صَخرَةً حينَ أعرَضَت منَ الصُّمِّ لو تَمشي بِها الصُّمُّ زَلَّتِ
وإنِّي وتَهيامي بِعَزَّةَ بعدَمَا تَخَلَّيتُ ممَّا بينَنا وتَخلَّتِ
لَكالمُبتَغِي ظِلَّ الغَمامَةِ كُلَّمَا تَبوَّأَ مِنها لِلمَقِيلِ اضمَحلَّتِ

* وقال ظافرُ بن القاسم بن منصور الجُذاميُّ الإسكَندَريُّ الحدَّاد (٥٢٩هـ):

لو كانَ بالصَّبرِ الجميلِ مَلاذُهُ ما سَحَّ وابلُ دَمعِهِ ورَذاذُهُ
ما زالَ جيشُ الحُبِّ يغزُو قلبَهُ حتى وَهَى وتَقطَّعَت أفلاذُهُ
لم يَبقَ فيهِ مَعَ الغَرامِ بَقيَّةٌ إلَّا رَسِيسٌ يَحتَويهِ جُذاذُهُ
مَن كانَ يَرغَبُ في السَّلامَةِ فليَكُن أبدًا مِنَ الحَدَقِ المِراضِ عِياذُهُ
لا تَخدَعنَّكَ بالفُتورِ فإنَّهُ نَظَرٌ يَضُرُّ بقَلبِكَ استِلذَاذُهُ
يا أيُّها الرَّشأُ الذي من طَرْفِهِ سَهمٌ إلى حَبِّ القُلوبِ نَفاذُهُ

دُرٌّ يـلُـوحُ بِـفـيـكَ مَـن نَـظَّـامُـهُ؟ خَـمـرٌ بِـهِ قـد جـالَ مَـن نَـبَّـاذُهُ؟
هـاروتُ يَعـجِـزُ عَن مَـواقِـعِ سِحـرِهِ وهُـوَ الإمـامُ فَـمَـن تَـرَى أُسـتـاذُهُ
تـاللهِ مـا عَـلِـقَـت مَـحـاسِـنُـكَ امـرأً إلَّا وَعَـزَّ عـلـى الـوَرَى اسـتِـنْـقـاذُهُ
أغـرَيـتَ حُـبَّـكَ بِـالقُـلوبِ فَـأَذعَـنَـت طَـوعًـا وَقَـد أَودَى بِـهـا اسـتِـحـواذُهُ

* وقال أبو الحَكَم بن غَلِنْدو الإشبِيلي:

مـاسَـت فـأَزرَت بـالـغُـصـونِ الـمُـيَّـسِ وأتَـتـكَ تَـخـطُـرُ في غِـلالَـةِ سُـنـدُسِ
وتَـبـرَّجَـت جُـنـحَ الـظَّـلامِ كـأنَّـهَـا شَـمسٌ تَجَلَّت في دَياجِي الحِندِسِ
تَـخـتـالُ بـيـنَ لِـداتِـهـا فـتَـخـالُـهَـا بَـدرًا بَـدَا بـيـنَ الـجَـوارِي الـكُـنَّـسِ
أَرِجَـت بـرَيَّـاهـا دُجًـى فـتَـضـوَّعَـت أنـفـاسُـهـا والـصُّـبـحُ لـم يَـتـنَـفَّـسِ
وَسَـرَت إلَـيـنـا فـي مُـلاءَةِ سُـنـدُسٍ بِـتَـرَفُّـلٍ وتَـدَلُّـلٍ وَتَـبَـهـنُـسِ
وتَـزَلَّـفَـت والـلَّـيـلُ مُـسـبِـلُ جُـنـحِـهِ والـجَـوُّ داجٍ مـن ظَـلامِ الـحِـنـدِسِ

## استحسان

قال أبو حيَّان التوحيديُّ في "مثالب الوزيرَين":

وسمعتُه - يعني الصاحبَ ابن عبَّاد - يقول:

كان أبو الفضل مطبوعًا على معرفة الشِّعر، وكان لا يخفى عليه جيِّده من رَدِيِّه، وكان يُعجب بقول الشاعر:

وجاءَت إلى بابٍ منَ السَّجْفِ بَيننَا مُـجافٍ وقـد قـامَـت عـلـيـهِ الـوَلائِـدُ
لِتَسمَعَ شِعري وهْوَ يقـرَعُ قَلبَهَا بِـوَحـي تُـؤَدِّيـهِ إلـيـهـا الـقَـصـائِـدُ
إذا سَمِعَت مَعنًى لَطِيفًا تَنَفَّسَت لَـهُ نَـفَـسًـا تَـنـقَـدُّ مِـنـهُ الـقَـلائِـدُ

ثم قال: هذا والله القول، وأنا أُعجَب بقول الآخر حين يقول:

مـا زِلـتُ أهـواك سُـؤلَ قَـلـبـي مـا دُمـتُ بـيـنَ الأنـامِ حَـيَّـا

وكـيـفَ يَـسـلُـو هَـواك قَـلـبٌ سَـقَـيْـتـه مـن هَـواك رِيَّـا
أَولـى لَـك اللهُ ثُـمَّ أَولـى أمـا خَـشِـيـت الـعِـقَـابَ فِـيَّـا
جِـئـت إلَـيـنـا بـغَـيـرِ وَعـدٍ يـا حَـبَّ مَـن زارَنـا بَـدِيَّـا
حـتـى إذا مـا مَـلَـكـتَ قَـلـبـي وازدَدتَّ حُـسـنًـا، نَـعَـمْ وَزِيَّـا
نَـفَـرْتَ نَـفـرَ الـظِّـبـاءِ عَـنَّـا فـصـارَ مِـن دُونِـك الـثُّـرَيَّـا

* وقال الحسين بن عليٍّ الزَّبيدِيُّ اليمنيُّ في المحبَّة:

تَشكَّى المُحِبُّونَ الصَّبابَةَ لَيتَنِي تَحَمَّلتُ ما يَلقَونَ من بَينِهِم وَحدِي
فَكانَت لِنَفسِي لَذَّةُ الحُبِّ كُلُّهَا فلَم يَدرِها قَبلِي مُحِبٌّ ولا بَعدِي

## السَّهل الممتنِع

قال إبراهيم بن العبَّاس الصُّولي: ما سمعتُ كلامًا مُحدَثًا أجزلَ في رِقَّة، ولا أصعبَ في سُهولة، ولا أبلغَ في إيجازٍ من قول العبَّاس بن الأحنَف:

تَعالَيْ نُجَدِّدْ دارِسَ العَهدِ بَينَنَا كِلانَا على طُولِ الجَفاءِ مَلُومُ
أَناسِيَةٌ ما كانَ بَيني وبَينَهَا وقاطِعَةٌ حَبْلَ الصَّفاءِ ظَلُومُ؟!

## عَقَلَه

خرج رجلٌ ينظر الحسنَ بن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ فلقِيَ رجلًا، فقال له: ما اسمُك؟

قال: عِقال.

قال: ابن مَن؟

قال: ابن عَقِيل.

قال: مِن بني مَن؟

قال: من بني عَقِيل؟

قال: عَقَلْتَه عقلَكَ الله!

## عذاب المحبِّين

وقال بعض الشُّعراء:

وما في الدَّهرِ أَشقَى من مُحِبٍّ ولو وَجَدَ الهَوَى حُلوَ المَذاقِ
تَراهَ باكِيًا في كُلِّ حِينٍ مَخافَةَ فُرقَةٍ أو لِاشتِياقِ
فيَبكِي إن نَأوا شَوقًا إليهِم ويَبكِي إن دَنَوا خَوفَ الفِراقِ
فتَسخُنُ عَينُهُ عندَ التَّنائي وتَسخُنُ عَينُهُ عندَ التَّلاقِي

## غباء!

كان بواسط رجلٌ إلى جانب داره إصطَبل، فقال له أهلُه: إنَّا نغسِل الثيابَ في السَّطح، فيطيرُ بعضُها إلى الإصطَبل، فلا يردُّونه علينا!

فقال: وأنتُم إذا طار لهم إليكم شيءٌ فلا تردُّوه.

قالوا: وأيُّ شيءٍ يطير مِن أرض الإصطبل إلى سطحِنا؟

قال: أيَّ شيء طار؛ مثل لجام ومِقوَد، وفَرَس وغيره!

## الغُربَة والوَداع

الأدب العربيُّ حافلٌ بالصور الإنسانيَّة المعبِّرة عن المشاعر، والاختلاجات النفسيَّة، والمواقف المؤثِّرة.

قد يكون باعثَه لوعةُ الفِراق، ونأيُ الدار، وشطُّ المزار، وقد يكون بؤسُ

حال، وتقلُّبُ أمور، وربما هيَّجه الشوق، أو أثاره الصَّد، أو حرَّكه حَدَث، أو أجراه مشهَدٌ من مشاهد الحياة المليئة بالمتناقضات.

❋ قصيدة ابن زُرَيق:

ولعلِيِّ بن زُرَيقٍ البغداديِّ قصيدةٌ من أروع ما قيل في الاغتراب، والنأي عن الأحباب، نقتطِفُ منها هذه الأبيات:

لا تَعذِليهِ فإنَّ العَذلَ يُولِعُهُ    قد قُلتِ حَقًّا ولكن ليسَ يَسمَعُهُ
جاوَزتِ في لَومِهِ حَدًّا أَضَرَّ بهِ    من حَيثُ قَدَّرتِ أنَّ اللَّومِ يَنفَعُهُ
فاستَعمِلي الرِّفقَ في تَأنِيبِهِ بَدَلًا    من لَومِهِ؛ فَهْوَ مُضْنى القلبِ مُوجَعُهُ
قد كانَ مُضطَلِعًا بالخَطبِ يَحمِلُهُ    فَضيَّقَت بخُطوبِ البَينِ أَضلُعُهُ
يَكفيهِ من لَوعَةِ التَّفنِيدِ أنَّ لَهُ    مِنَ النَّوَى كُلَّ يَومٍ ما يُروِّعُهُ
ما آبَ مِنْ سَفَرٍ إلَّا وأَزعَجَهُ    رَأيٌ إلى سَفَرٍ بالعَزمِ يُزمِعُهُ
كأنَّما هُوَ مِن حِلٍّ وَمُرتَحَلٍ    مُوَكَّلٌ بِفَضاءِ الأرضِ يَذرَعُهُ
أستَودِعُ اللهَ في بَغدادَ لي قَمَرًا    بالكَرْخِ من فَلَكِ الأَزرَارِ مَطلَعُهُ
وَدَّعتُهُ وبِوُدِّي لَو يُوَدِّعُني    صَفْوُ الحَياةِ وأنِّي لا أُوَدِّعُهُ
وكم تَشَفَّعَ أنِّي لا أُفارِقُهُ    ولِلضَّرُوراتِ حالٌ لَا تُشفِّعُهُ
وكم تَشبَّثَ بي يومَ الرحيلِ ضُحًى    وأدمُعِي مُستَهِلَّاتٌ وأدمُعُهُ

❋ وقال عليُّ بن الجَهْم:

يا وَحشَتَا لِلغَريبِ في البَلَدِ النْـ    ـنَازِحِ ماذا بِنَفسِهِ صَنَعَا؟!
فارَقَ أحبابَهُ فَما انتَفعُوا    بالعَيشِ من بَعدِهِ ولا انتَفَعَا
يقولُ في نَأيِهِ وَغُربَتِهِ:    عَدْلٌ مِنَ اللهِ كُلُّ ما صَنَعَا

❋ وقال الحسينُ بن عقيل البزَّاز الواسطي:

ولمَّا حَدَا البَينُ المُشِتُّ بِشَملِنا    ولم يبقَ إلَّا أن تُثارَ الأَيانِقُ

ولـم نَـستَـطِـع عِـنـدَ الـوَداعِ تَـصَـبُّـرًا    وقـد غـالَـنـا دمـعٌ عَـنِ الـوَجـهِ نـاطِـقُ
وَقَـفـنـا لِـتَـودِيـعٍ فَـكـادَت نُـفـوسُـنَـا    لأَجـسـادِنـا قـبـلَ الـوَداعِ تُـفـارِقُ
فَـبـاكٍ لِـمـا يَـلـقـاهُ مـن فَـقْـدِ إلـفِـهِ    وشـاكٍ لـهُ قَـلْـبٌ بـهِ الـوَجْـدُ عـالِـقُ

* وقال حمزةُ بن علي:

يـا راكِـبًـا عُـرْضَ الـفَـلاةِ أَلَا    بَـلِّـغ أحِـبَّـايَ الـذي تَـسـمَـعُ
قُـل لَـهُـمُ: مـا جَـفَّ لـي مَـدْمَـعٌ    ولـم يَـطِـب لـي بـعـدَكُـم مَـضْـجَـعُ
ولا لَـقِـيـتُ الـطَّـيـفَ مُـذ غِـبـتُـمُ    وإنَّـمـا يَـلـقـاهُ مـن يَـهـجَـعُ

* وقالت أعرابيَّة في الوداع:

ومُـودِّعٍ يـومَ الـفِـراقِ بـلَـحْـظِـهِ    شَـرِقٌ مِـنَ الـعَـبَـراتِ مـا يَـتَـكـلَّـمُ

• ما قيل في الوداع:

ولـمَّـا تَـبَـدَّت لـلـرَّحِـيـلِ جِـمـالُـنَـا    وَجَـدَّ بِـنـا سَـيـرٌ وفـاضَـت مَـدامِـعُ
تَـبَـدَّت لـنـا مَـذْعُـورَةً مـن خِـبـائِـهَـا    ونـاظِـرُهـا بـالـلُّـؤلُـؤِ الـرَّطْـبِ دامِـعُ
أشـارَت بـأَطـرافِ الـبَـنـانِ ووَدَّعَـت    وأَومَت بِعَينَيها: متى أنتَ راجِعُ؟
فَـقُـلـتُ لَـهـا: وَاللهِ مـا مـن مُـسـافِـرٍ    يَـسِـيـرُ ويَـدرِي مـا بـهِ اللهُ صـانِـعُ
فَشالَت نِقابَ الوَجهِ من فَوقِ وَجهِهَا    فَسالَت منَ الطَّرْفِ الكَحِيلِ مَدامِعُ
وقـالَـت: إلَـهـي كُـنْ عـلـيـهِ خَـلِـيـفَـةً    فَـيـا رَبِّ مـا خـابَـت لَـدَيـكَ الـوَدائِـعُ

* قال الإمام الشافعيُّ - وقيل إنَّ الذي قاله هو أبو فِراسٍ العامريُّ - في الحضِّ على السَّفَر:

سَـافِـر تَـجِـد عِـوَضًـا عَـمَّـن تُـفـارِقُـهُ    وانْصَب فإنَّ لَذِيذَ العَيشِ في النَّصَبِ
مـا فـي الـمُـقـامِ لـذِي لُـبٍّ وذِي أَدَبٍ    مَـعَـزَّةٌ فـاتْـرُكِ الأَوطـانَ واغْـتَـرِبِ
إنِّـي رَأَيـتُ وُقـوفَ الـمـاءِ يُـفـسِـدُهُ    إن ساحَ طابَ وإن لم يَجرِ لم يَطِبِ
والـبَـدْرُ لـولا أُفـولٌ مِـنـهُ مـا نَـظَـرَت    إلـيـهِ فـي كُـلِّ حـيـنٍ عَـيـنُ مُـرتَـقِـبِ

والأُسْدُ لولا فِراقُ الغابِ ما قَنَصَت     والسَّهمُ لَولا فِراقُ القَوسِ لم يُصِبِ
والتِّبْرُ كالتُّرْبِ مُلقًى في مَعادِنِهِ     والعُودُ في أَرضِهِ نَوعٌ من الحَطَبِ
فإن تَغَرَّبَ هذا عَزَّ مَطلَبُهُ     وإن أَقامَ فَلا يَعلُو إلى الرُّتَبِ

## من أخبار البُخلاء

كان رجلٌ من البُخلاء اشترى دارًا، وانتقل إليها فوقَف ببابه سائلٌ فقال له: فتَح الله عليك، ثم وقفَ ثانٍ فقال له مثلَ ذلك، ثم وقفَ ثالثٌ فقال له مثلَ ذلك، ثم التفَتَ إلى ابنته، فقال لها: ما أكثرَ السُّؤَّالَ في هذا المكان!

فقالت: يا أبتِ ما دُمتَ متمسِّكًا لهم بهذه الكلمة، فما تبالي كثُروا أم قلُّوا.



* قال عبد الله بن الدُّمَيْنَة:

بنَفسِي وأهلي مَن إذا عَرَضوا لَهُ     ببعضِ الأَذى لم يَدرِ كيفَ يُجِيبُ
ولم يَعتَذِر عُذرَ البَريءِ ولم تَزَل     بهِ سَكتَةٌ حتى يُقالَ: مُرِيبُ
جَرى السَّيلُ فاستَبكانِيَ السَّيلُ إذ جَرى     وفاضَت لَهُ من مُقلَتَيَّ غُرُوبُ
وما ذاكَ إلَّا أن تَيقَّنَ أنَّهُ     يَمُرُّ بِوادٍ أنتَ مِنهُ قَرِيبُ
يَكُونُ أُجاجًا قبلَكُم فإذا انتَهى     إليكُم تَلقَّى طِيبَكُم فيَطِيبُ
أيا ساكِنِي شَرْقِيَّ دِجلَةَ كُلُّكُمْ     إلى القَلبِ من أَجْلِ الحَبِيبِ حَبِيبُ

* وقال ابن الدُّمَيْنَةِ أيضًا:

وأَذكُرُ أيَّامَ الحِمَى ثُمَّ أَنثَنِي     على كَبِدِي من خَشيَةٍ أن تَصَدَّعَا
ولَيسَت عَشِيَّاتُ الحِمَى بِرَواجِعٍ     عَلَيكَ ولكِن خَلِّ عَينَيكَ تَدْمَعَا

بَكَت عَينِيَ اليُمنَى فَلَمَّا زَجَرتُهَا  تَهَيَّجَتِ اليُسرَى فَأَسبَلتَا مَعَا

* وقال أبو تمَّام:

وَطُولُ مُقَامِ المَرءِ في الحَيِّ مُخْلِقٌ  لِدِيبَاجَتَيهِ؛ فَاغتَرِب تَتَجدَّدِ
فإِنِّي رَأَيتُ الشمسَ زِيدَت مَحبَّةً  إلى النَّاسِ أَن لَيسَت عَلَيهِم بِسَرمَدِ

* إباءُ الضَّيم والعُزوفُ عن مواطنِ الذُّلِّ وبلادِ الهُونِ مِن شِيَم الكرام، وسجايا أهلِ الطُّموح إلى المجد والسعادة والعزِّ، وقد يُفارق الواحد منهم وطنَه ويغتربُ عن بلاده طلبًا للمكارم، ونأيًا عن الخَسْفِ والإهانة، وفي بلاد الله الواسعة فُسحةٌ، وفي أرضه الشاسعة مكانٌ ومُنتجَع، وتجرُّع مرارة الفراق يسهِّله التَّوقُ إلى المعالي، ومُفارقةُ الأوغاد واللِّئام.

* قال المتلمِّسُ الضُّبَعِي:

إنَّ الهَوانَ حِمارُ الأَهلِ يَعرِفُهُ  وَالحُرُّ يُنكِرُهُ والرَّسْلَةُ الأُجُدُ
ولا يُقِيمُ عَلَى خَسفٍ يُرادُ بِهِ  إلَّا الأَذَلَّانِ عَيرُ الحَيِّ والوَتِدُ
هذا على الخَسْفِ مَعقُولٌ برُمَّتِهِ  وذا يُشَجُّ فلا يَبكِي لَهُ أَحَدُ
فإن أَقَمتُم على ضَيمٍ يُرادُ بكُم  فإنَّ رَحلِي لَكُم والٍ ومُعتَمَدُ
وفي البِلادِ إذا ما خِفتَ نائِرَةً  مَكرُوهَةً عن وُلاةِ السُّوءِ مُنتَفَدُ

## عهد الشباب

وقال الرَّمَّاح بن أبْرَد (المعروف بابن ميَّادة):

لقد سَبقَتكَ اليومَ عَيناكَ سَبْقَةً  وأبكاكَ من عَهْدِ الشَّبابِ مَلاعِبُهْ
وتَذْكارُ عَيشٍ قد مضى ليسَ راجِعًا  لنا أبدًا أوْ يَرجِعَ الدَّرَّ حالِبُهْ
كأنَّ فُؤادِي في يَدٍ عَبَثَت بهِ  مُحاذِرَةً أن يَقْضِبَ الحَبْلِ قاضِبُهْ
وأُشفِقُ من وَشْكِ الفِراقِ وإنَّنِي  أَظُنُّ لَمَحمُولٌ عليهِ فَراكِبُهْ

فـوَاللهِ مـا أدري أيَـغـلِـبُـنِـي الـهَـوى    إذا جَـدَّ جِـدُّ الـبَـيْـنِ أم أنـا غـالِـبُـهْ
فإن أَستَطِعْ أَغلِبْ وإن يَغلِبِ الهَوَى    فمِثلُ الذي لاقَيتُ يُغلَبُ صاحِبُهْ

* قال البُحْتُرِيُّ في الوَداع:

أللهُ جـارُكَ فـي انـطِـلاقِـكْ    تِـلْـقـاءَ شَـامِـكَ أَوْ عِـراقِـكْ
لا تَـعـذِلَـنِّـيَ فـي مَـسِـيـ    ـرِي يـومَ سِـرتُ ولـم أُلاقِـكْ
إنِّـي خَـشِـيـتُ مَـواقِـفًـا    لِـلـبَـيْـنِ تَـسْـفَـحُ غَـرْبَ مـاقِـكْ
وعَـلِـمـتُ مـا يَـلـقَـى الـمُـوَدْ    دِعُ عِـنـدَ ضَـمِّـكَ وَاعـتِـنـاقِـكْ
فـتَـرَكـتُ ذاكَ تَـعَـمُّـدًا    وخَـرَجـتُ أَهـرُبُ مـن فِـراقِـكْ

* مرِضَ أبو الدَّرْداء، فعادَه صدِيقٌ له، فقال: أيَّ شيء تشتكي؟

قال: ذُنوبي!

قال: فأيَّ شيء تشتهي؟

قال: الجنَّة!

قال: فندعو لكَ بالطبيب؟

قال: هو أمرَضَني.

* وقال محمَّد بن الحسن بن الحرون:

ولـمَّـا رَأَت أنَّ الـنَّـوَى حـانَ حِـيـنُـهُ    وأنَّ خَـلِـيـلًا مـن غَـدٍ سَـيَـبِـيـنُ
بَكَت فبَكَى من لَاعِجِ الشَّوقِ والأَسَى    وَكُـلٌّ بِـكُـلٍّ أن يَـبِـيـنَ ضَـنِـيـنُ
فـقُـلـتُ ولـم أملِكْ سَـوابِـقَ عَـبـرَةٍ    عـلـى الـخَـدِّ مِـنِّـي فـالـدُّمُـوعُ هُـتُـونُ
لقد كُنتُ أبكي قبلَ أن تَشْحَطَ النَّوَى    فـكـيـفَ إذا مـا غِـبـتُ عَـنـكِ أَكُـونُ



## المقامات

المقامات طِراز رفيعٌ في الأدب العربي، يمتازُ بجودة السَّبك، وانتقاء الكلمات، وسَعَة الثقافة وسَرْد قِصَص تجمع بين النادرة والمَثَل والشِّعر، مع الإمتاع والإفادة.

وللحَرِيرِيِّ والهَمَذَاني والزَّمَخْشَرِيِّ والمُوَيلِحي مقاماتٌ فيها الطرافة والدَّسامة، والتسلِية والإجادة.

قال الهَمَذَاني في (المقامة الجُرْجانِيَّة):

«حدَّثَنا عيسى بن هشام؛ قال: بينا نحن بجُرجانَ في مجمعٍ لنا، نتحدَّث وما فينا إلَّا مِنَّا، إذ وقفَ علينا رجلٌ ليس بالطويلِ المتمدِّد، ولا القصير المتردِّد، كَثُّ العُثْنُون، يتلوه صِغارٌ في أَطْمار، فافتتحَ الكلامَ بالسَّلام، وتحيَّة الإسلام، فولَّانا جَمِيلًا، وأوليناهُ جَزِيلًا، فقال: يا قومُ؛ إنِّي امرؤٌ من أهل الإسكَندَرِيَّة، مِن الثُّغورِ الأُمَوِيَّة، نَمَتْني سُلَيم، ورَحَّبَت بي عَبْس، جُبتُ الآفاق، وتقَصَّيتُ العِراق، وجُلتُ البَدوَ والحَضَر، وداري ربيعةَ ومُضَر، ما هُنتُ حيثُ كُنت، فَلا يُزرِيَنَّ بي عندَكُم ما ترونَه مِن سَمَلي وأَطْماري؛ فلقد كنَّا - والله - من أهل ثَمٍّ ورَمٍّ، نُرْغي لدَى الصَّباح، ونُثْغي عندَ الرَّواح.

وفينا مَقاماتٌ حِسانٌ وُجوهُهُم وأَندِيَةٌ يَنتابُها القَولُ والفِعلُ
عَلَى مُكثِريهِم رِزقُ مَن يَعتَرِيهِمُ وعِندَ المُقِلِّينَ السَّماحَةُ والبَذْلُ

ثم إنَّ الدَّهرَ يا قومُ قَلَبَ لي من بينهم ظهرَ المِجَن، فاعتَضتُ بالنَّوم السَّهر، وبالإقامةِ السَّفَر، تَترامى بيَ المَرامي، وتَتَهادى بيَ المَوامي، وقَلعَتني حوادثُ الزَّمنِ قَلْعَ الصَّمْغَة، فأُصبِحُ وأُمسي أنقى منَ الراحة، وأعرى من

صَفْحَةِ الوَلِيد، وأصبحتُ فارغَ الفِناء، صِفْرَ الإناء، ما لي إلّا كآبَةُ الأسفار، ومُعاقَرةُ السِّفار، أُعاني الفَقْر، وأُماشي القَفْر، فِراشِي المَدَر، ووِسادي الحَجَر.

بـــآمِـــدَ مَـــرَّةً وبـــرَأسِ عَـــيـــنٍ وأحـــيـــانًـــا بـــمَـــيَّـــافـــارِقِـــيـــنَـــا
لَـــيـــلَـــةً بـــالـــشَّـــآمِ ثُـــمَّـــتَ بـــالأَهْـــ ـــوازِ رَحْـــلِـــي ولَـــيـــلَـــةً بـــالـــعِـــراقِ

فما زالَتِ النَّوى تَطرَحُ بي كلَّ مَطْرَح، حتى وَطِئتُ بلادَ الحَجَر، وأحلَّتني بلدَ هَمَذان، فقبِلَني أَحْياؤها، واشْرَأبَّ إليَّ أحبَّاؤها، ولكنِّي مِلتُ لأعظمِهم جَفْنَة، وأزهَدِهم جَفْوَة:

لَـــهُ نـــارٌ تُـــشَـــبُّ عـــلـــى يَـــفـــاعٍ إذا الـــنِّـــيـــرانُ أُلـــبِـــسَـــتِ الـــقِـــنـــاعَـــا

فوَطَّأ لي مَضْجَعًا، ومهَّدَ لي مَهْجَعًا...».





# القسم الرابع

## شخصيّات وقِصَص



## عمر بن الخطَّاب

خرَج عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه ويدُه على المُعَلَّى بن الجارودِ العَبْدِي، فلقِيَته امرأةٌ من قريش، فقالت له: يا عمر!

فوقف لها؛ فقالت: كنَّا نعرِفُكَ مدَّة عُمَيرًا، ثم صِرتَ من بعد عُمَيرٍ عُمرَ، ثم صرتَ من بعد عمرَ أميرَ المؤمنين، فاتَّقِ الله يا ابن الخطَّاب، وانظر في أمور الناس؛ فإنَّه مَن خافَ الوَعِيد، قَرُبَ عليه البَعِيد، ومَن خافَ المَوْت، خَشِيَ الفَوْت.

فقال المعلَّى: يا أَمَةَ الله، لقد أبكيتِ أميرَ المؤمنين.

فقال له عمر: اسْكُت، أتدري مَن هذه، ويحَك؟! هذه خَوْلَةُ بنتُ حَكِيم التي سَمِعَ الله قولَها من سَمائِه، فعمرُ أحرى أن يسمعَ قولَها، ويقتديَ به.

* لَمَّا قَدِم عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه الشام تلقَّاه معاويةُ في مَوكِبٍ عظيم، فاجتازَ بعمر، وكان راكبًا على حمار هو وعبدُ الرحمن بن عَوف، ولم يشعُر معاويةُ بهما، فقيل له: إنَّك جاوزتَ أميرَ المؤمنين فرجع، فلمَّا رأى عمر ترجَّل، وجعل عمر يقول له: أنت صاحِب المَوكِب؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: هذا حالُك مع ما بلغني مِن طُول وقوفِ ذوي الحاجات ببابِكَ!

قال: هو ما بلغَكَ مِن ذلك.

قال: ولِمَ تفعل هذا؟ لقد هممتُ أن آمرَك بالمشي حافيًا إلى بلاد الحجاز.

قال: يا أمير المؤمنين؛ إنَّا بأرضٍ جواسيسُ العدوِّ فيها كثيرة، فيجب أن

نُظهرَ من عزِّ السُّلطان ما يكون فيه عزٌّ للإسلام وأهله، ونُرهِبُهم به، فإن أمرتَني فعلت، وإن تنهَني انتَهَيت.

فقال له عمر: يا معاويةُ؛ ما سألتُك عن شيء إلَّا تركتني في مثلِ رَواجِب الضِّرس، لئن كان ما قلتَ حقًّا إنَّه لرأيٌ رأيت، ولئن كان باطلًا، إنَّه لخديعةٌ أدَّيت!

قال: فمُرْني يا أميرَ المؤمنين بما شئت.

قال: لا آمُرك ولا أنهاك.

فقال عبد الرحمن بن عوف: ما أحسنَ ما صدرَ الفتى عمَّا أوردتَّهُ فيه!

فقال عمر: لحُسن مَواردِهِ ومَصادرِهِ جشَّمْناهُ ما جشَّمناه.

* وكان معاويةُ بن أبي سُفيان مِن عُقلاء الرِّجال المعدودين، وحُلمائهم المعروفين، قال: إنِّي لا أضعُ سَيْفي حيثُ يكفيني سَوْطي، ولا أضعُ سَوْطي حيثُ يكفيني لِساني، ولو أنَّ بيني وبينَ الناس شَعْرَةً ما انقطعَت.

فقيل له: وكيف ذلك؟

قال: كنتُ إذا مدُّوها أرخَيتُها، وإذا أرْخَوها مددتُّها.

* وخَطبَ معاويةُ، فقال في خُطبته: أيُّها الناس، إنَّا قد أصبحنا في دَهْرٍ عَنُود، وزَمَنٍ شديد، يُعَدُّ فيه المحسنُ مسيئًا، ويزدادُ الظالِم فيه عُتُوًّا، لا ننتفع بما عَلِمنا، ولا نسألُ عمَّا جَهِلنا، ولا نتخوَّف قارعةً حتى تَحُلُّ بنا.

* ودخل معاويةُ على عمرَ رضي الله عنه وعليه حُلَّةٌ خضراء، فنظر إليها الصحابة، فلمَّا رأى ذلك عمر وثَبَ إليه بالدِّرَّة، فجعلَ يضربُه بها، وجعل معاوية يقول: اللهَ اللهَ فيَّ! فرجع عمر إلى مجلسه، فقال له القوم: لِمَ ضربتَه يا أمير المؤمنين، وما في قومِكَ مثلُه؟!

فقال: والله ما رأيتُ إلَّا خيرًا، وما بلغني إلَّا خير، ولو بلغني غيرُ ذلك، لكان منِّي إليه غيرُ ما رأيتُم، ولكن رأيتُه - وأشار بيده - فأحببتُ أن أضعَ منه ما شَمَخ.

* كتب عمر إلى أبي موسى رضي الله عنه:

أمَّا بعد:

فإنَّ للناس نُفْرَةً عن سُلطانهم، فأعوذ بالله أن تُدركني وإيَّاك عمياءُ مجهولة، وضغائنُ محمولَة، وأهواءٌ متَّبَعَة، ودُنيا مؤثَرَة؛ فأقم الحَدَّ ولو ساعةً مِن نهار، وإذا عَرَضَ لك أمرانِ أحدُهما لله، والآخرُ للدُّنيا، فآثِر نصيبَكَ من الآخرة على نصيبِكَ مِن الدُّنيا؛ فإنَّ الدُّنيا تنفَدُ والآخرةَ تبقى، وكُن مِن خشيةِ الله على وَجَل، وأَخِفِ الفُسَّاق، واجعْلَهم يَدًا يَدًا، ورِجْلًا رِجْلًا، وإذا كانت بين القبائل نائِرَة، وتداعَوا: يالَ فُلان، يالَ فُلان، فإنَّما تلكَ دعوى الشيطان، فاضرِبهُم بالسَّيف، حتى يفيئوا إلى أمرِ الله، وتكونَ دعواهم إلى الله وإلى الإمام.

* خرج عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه فلقِي رجلًا مِن جُهَينَة، فقال: ما اسمُك؟

قال: شهاب.

قال: أبو مَن؟

قال: أبو جَمْرَة.

فقال: ممَّن أنت؟

قال: مِن بني حُرْقة، ثم من بني ضِرام.

قال: أين مسكنُك؟

قال: ذاتُ لَظَى.

قال: أدرِكْ أهلكَ، وما أراك تُدركهم إلَّا وقد احترقوا!

فأتاهم وقد أحاطَت بهمُ النار.

## أشياء تُثبِت الوُدَّ

قيل: ثلاثةٌ تُثبِت لكَ الوُدَّ عند أخيك: أن تبدأَه بالسلام، وتوسِّع له في المجلس، وتناديَه بأحبِّ الأسماء إليه.

* كان يحيى بن أَكْثَمَ يُناظر رجلًا في إبطال القِياس، وكان الرجلُ يَكنِيهِ بأبي زكريَّا، فقال يحيى: العجبُ أنَّك تَكنِيني بالقِياس، وتُناظِرُني في إبطاله!

* سأل عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه رجلًا أرادَ أن يستعينَ به على عَمَلٍ عن اسمِه، واسم أبيه؛ فقال: ظالِم بن سُراقة.

فقال: تظلمُ ويسرِقُ أبوك! ولم يَستعِن به في عَمَل.

* إذا أراد الله بأُمَّة خيرًا أصْلَح قادتها، ووفَّقها لعلماءَ ناصحين فَهِمين، وهيَّأ لها جُندًا مطيعين، وشُعوبًا تُسارع إلى الخيرات، وتتعاونُ على البرِّ والتقوى، صغيرُهم يحترمُ كبيرَهم، وكبيرُهم يحنو على صغيرِهم، يُنجدون البائس، ويُقيلون العاثِر، ويدأبون في العمل الصالح الذي ينفعهم دِينًا ودُنيا.

وَإذا أراد الله بأمَّة شرًّا سلَّط الولاة، واستشرَى الحسدُ والتقاطُع، والانسياقُ وراءَ المادَّة والشَّهوات واللذَّات العاجلة، والإعراض عن الدِّين، والرُّكون إلى الذُّلِّ والهَوانِ والخُمول.

* كان أبو بكر يقول عند المِدْحَة: اللهمَّ أنتَ أعلمُ منِّي بنفسي، وأنا أعلمُ بنفسي منهم، اللهمَّ اجعلني خيرًا ممَّا يحسَبون، واغفِر لي ما لا

يعلمون، ولا تُؤاخِذني بما يقولون.

## حِيلَةٌ بارِعَة

قدِم معاوية من الشام، وعمرو بن العاص مِن مصر على عمر، فأقعدهما بين يديه، وجعل يسألهما عن أعمالهما، إلى أن اعترضَ عمرو في حديث معاوية، فقال له معاوية: أعليَّ تعيبُ وإليَّ تقصد؟ هلمَّ حتى أُخبِرَ أميرَ المؤمنين عن عَمَلِك، وتخبرَه عن عَمَلي.

قال عمرو: فعلمتُ أنه بعملي أبصرُ منِّي بعَمَلِه، وأنَّ عمر لا يدعُ أوَّلَ هذا الحديث حتى يأتي على آخره، فأردتُّ أن أفعل شيئًا أقطعُ به ذلك، فرفعتُ يدي فلطمتُ معاوية، فقال عمر: بالله ما رأيتُ رجلًا أسفَهَ منك، يا معاويةُ الْطِمْهُ!

فقال معاوية: إنَّ لي أميرًا لا أقضي الأمورَ دونَه.

فأرسل عمرُ إلى أبي سُفيان، فلمَّا رآه ألقى له وسادة، ثم قال معتذرًا: قال رسول الله ﷺ: «إذا أتاكم كريمُ قومٍ فأكرِمُوه»، ثم قصَّ عليه ما جرى بين عمرٍو ومعاوية، فقال: ألهذا بعثتَ إليَّ؟! أخوه وابنُ عمِّه، وقد أتى غيرَ كبير، قد وهبتُ له ذلك.

## أسماؤهم أقفال!

وقَفَ أعرابيٌّ على قوم فسألهم عن أسمائهم؛ فقال أحدُهم: اسمي وَثِيق.

وقال الثاني: اسمي مَنِيع.

وقال الثالث: اسمي ثابت.

وقال الرابع: اسمي شَدِيد.

فقال الأعرابي: ما أظنُّ الأقفال إلَّا صُنِعت من أسمائكم.

## فراسةُ معاوية

لَمَّا قدِم معاوية المدينة منصرِفًا من مكَّة، بعث إلى الحسن والحسين، وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزُّبير وعبد الله بن صَفْوانَ ابن أُميَّة بهدايا مِن كُسًا وطِيب، وصِلات من المال، ثم قال لرُسُلِه: ليحفَظْ كلُّ رجلٍ منكم ما يرى ويسمعُ من الرَّدِّ، فلمَّا خرج الرُّسلُ من عنده، قال لِمَن حضر: إن شئتُم أنبأتُكم بما يكون من القوم.

قالوا: أخبِرنا يا أميرَ المؤمنين.

قال: أمَّا الحسن فلعلَّه يُنِيلُ نساءه شيئًا من الطِّيب، ويهَبُ ما بقِيَ مَن حضرَه، ولا ينتظرُ غائبًا.

وأمَّا الحسين فيبدأ بأيتام مَن قُتِل مع أبيهِ بصِفين، فإن بقِيَ شيءٌ نَحَرَ به الجُزُر، وسقى به اللَّبَن.

وأمَّا عبد الله بن جعفر، فيقول: يا بُدَيحُ (مولاه)؛ اقضِ به دَيْني، فإن بَقِيَ شيءٌ فأنفِذ به عِدَاتي (من كان قد وعَدَهم بشيء).

وأمَّا عبد الله بن عمر فيبدأُ بفُقَراء عَدِيٍّ بن كعب، فإن بَقِيَ شيءٌ ادَّخرهُ لنفسه، ومانَ به عيالَه.

وأمَّا عبد الله بن الزُّبير، فيأتيه رسولي وهو يُسبِّح، فلا يلتفتُ إليه، ثم يُعاوِدهُ الرسول، فيقول لبعض كُفاتِه: خُذوا من رسول معاويةَ ما بعثَ به، وصَلَه الله وجزاهُ خيرًا، ولا يلتفتُ إليها وهي أعظمُ في عينهِ من أُحُد، ثم ينصرفُ إلى

أهله، فيعرضُها على عينه، ويقول: ارفعوا لَعَلِّي أعودُ بها على ابنِ هِندٍ يومًا ما.

وأمَّا عبد الله بن صَفْوان، فيقول: قليلٌ مِن كثير، وما كُلُّ رجلٍ مِن قريشٍ وَصَلَ إليه كهذا، رُدُّوا عليه، فإن رَدَّها قَبِلناها.

فرجع رُسُلُه مِن عندهم بنحوٍ ممَّا قاله معاوية، فقال معاوية: أنا ابنُ هندٍ؛ أعلمُ بقريشٍ من قريش.



* اعتذرَ رجلٌ إلى جعفرِ بن يحيى فقال:

قد أغناكَ الله بالعُذرِ عن الاعتذار، وأغنانا بحُسْنِ النيَّة عن سُوءِ الظنِّ.

* ومن أخبار الحمقى الحكاية التالية:

كتب بشير بن عُبيد الله على خاتَمه: بشير بن عبيد الله بالرحمن لا يُشرِك، فلمَّا قرأ أبوه ما كتبه على خاتَمه قال: هذا أقبحُ من الشِّرك.

* وممَّا قيل في الخُطباء المصاقِعِ قول الأَعْرَج:

والقائِلِينَ فَلا يُعابُ خَطِيبُهُم يَومَ المَقامَةِ بالكَلامِ الفاصِلِ

* قال أبو فِراس الحَمْداني:

وهَل يَدفَعُ الإنسانُ ما هُوَ واقِعٌ وهَل يَعلَمُ الإنسانُ ما هُوَ كاسِبُ؟
وهَل لِقَضاءِ اللهِ في النَّاسِ غَالِبٌ وهَل من قَضاءِ اللهِ في النَّاسِ هارِبُ؟
عَلَيَّ طِلابُ العِزِّ من مُستَقرِّهِ ولا ذَنْبَ لِي إن حارَبَتنِي المَطالِبُ
إذا اللهُ لم يُحْرِزْكَ مِمَّا تَخافُهُ فَلا الدِّرعُ مَنَّاعٌ ولا السَّيفُ قَاضِبُ

## ذكاءٌ مبكِّر

دخَل عمرو بن سعيد على معاويةَ بعدَ موت أبيه - وعمرٌو يومئذٍ غلام - فقال له معاوية:

إلى مَن أوصى بك أبوك يا عمرو؟

قال: إنَّ أبي أوصى إليَّ ولم يوصِ بي.

قال: وبأيِّ شيءٍ أوصاك؟

قال: أوصاني ألَّا يفقِدَ إخوانُه إلَّا شخصَه.

فقال معاويةُ لأصحابه: إنَّ ابنَ سعيد هذا سيكون نِعمَ الخَلَفُ لأبيه.



* استعمل عمرُ بن الخطَّاب المُغِيرَةَ بن شُعْبَةَ على البحرين، فكرِهه أهلُها، فعزلَه عنهم، ولكنَّهم خافوا أن يردَّه إليهم، فقال رئيسُهم: اجمعوا مئةَ ألف درهم حتى أذهب بها إلى عمر، وأقول له: إنَّ المُغِيرةَ قد خانَك بهذا المبلغ وأودعني إيَّاه، فدعا عمر المُغِيرَة، وقال له غاضبًا: أعلمتَ بما سمعتُه عنك؟

فقال المغيرة: إنَّما كانَت مئتي ألف درهم.

فقال عمر: فما حملَكَ على ذلك؟

قال: العِيال والحاجة!

فنظر عمر إلى الرجل، فقال: والله لأصْدُقنَّك الخبر؛ والله ما دفع إليَّ

قليلًا أو كثيرًا، ثم قصَّ عليه القصَّة، فقال عمر للمُغيرة: ما دفَعَك إلى ما قلت؟

فقال المُغيرة: كَذَب الخبيثُ عليَّ، فأحببتُ أن أُخزِيَه.

## نادرةٌ!

روى الأصمعيُّ قال: سمعتُ أعرابيًّا يقول: اللهمَّ اغفِر لأُمِّي!

فقلت: ما لكَ لا تذكر أباك؟

فقال: إنَّ أبي رجلٌ يحتال لنفسه، وإنَّ أمِّي امرأةٌ ضعيفة.

* وعَظَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلًا، فقال: لا يُلْهِكَ الناس عن نفسِك؛ فإنَّ الأمر يصير إليكَ دونَهم، ولا تقطع النهارَ سادرًا؛ فإنَّه محفوظٌ عليك ما عمِلتَ، وإذا أسأتَ فأحسِن؛ فإنِّي لم أَرَ شيئًا أشدَّ طَلَبًا، ولا أسرعَ دَرَكًا مِن حَسَنةٍ حديثةٍ لذَنْبٍ قديم.

## الجواب على قدر السؤال

كان عَقيلُ بن أبي طالب مِن أسرعِ الناس بديهةً، وأعلمهم بمثالِب الناس، وكان قد انقطع إلى معاويةَ بالشام، ثم إنَّ معاويةَ قال يومًا: هذا أبو يزيد، ولولا أنَّه عَلِم أنِّي خيرٌ له من أخيه لَمَا أقام عندنا وتركه، فقال له عقيل: أخي خيرٌ لي في دِيني، وأنت خيرٌ لي في دُنياي.

وقال له مرَّة بصِفين: أنت معنا يا أبا يزيدَ الليلةَ؟! قال: ويومَ بدرٍ قد

كنتُ معكم!

وقال معاوية يومًا: يا أهلَ الشام، هل سمعتم قولَ الله - تبارك وتعالى - في كتابه العزيز: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١]؟ قالوا: نعم، قال: فإنَّ أبا لهب عمُّه، فقال عقيل: فهل سمعتم قول الله ﷻ: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾ [المسد: ٤]؟ قالوا: نعم، قال: فإنها عمَّته، قال معاوية: حَسْبُنا ما لَقِينا من أخيك؟!

* قال ابن عبَّاس رضي الله عنه: إنَّ لكلِّ داخلٍ دَهشةً، فآنِسُوه بالتحيَّة.

## دعاء كريم

اللهمَّ عفوَك؛ إنَّكَ عفوٌّ كريم.



* سُئِل ابن عبَّاس عن ابن الزُّبير رضي الله عنه، فقال: كان قارئًا لكتاب الله، متَّبعًا لسُنَّة رسول الله، قانتًا صائمًا في الهواجر من مَخافَةِ الله، ابنَ حَوارِيِّ رسول الله، وأمُّه بنتُ الصِّدِّيق، وخالتُه عائشة حبيبةُ حبيبِ الله، زوجةُ رسول الله، فلا يَجهل حقَّهُ إلَّا مَن أعماه الله.

## كيف عرف؟!

كان بأصفهانَ رجلٌ أعمى يطوف ويسأل، فأعطاه مرَّة إنسانٌ رَغِيفًا، فدعا له وقال: أحسنَ الله إليك، وباركَ عليك، وجزاكَ خيرًا، وردَّ غُربتَك!

فقال له الرجل: ولِمَ ذكرتَ الغُربةَ في دُعائك، وما عِلمُكَ بالغُربة؟

فقال: الآن لي هاهنا عشرون سَنة، ما ناولني أحدٌ رغيفًا صحيحًا!

## لا يستويان

قال الكَرَوَّسي:

ولا يَستَوِي الاثنَانِ لِلضَّيفِ آنِسٌ    كَرِيمٌ وَزاوٍ بَينَ عَينَيهِ قاطِبُ



* وقال أعرابي:

وإذا خَشِيتَ مِنَ الفُؤادِ لَجَاجَةً    فَاضرِب عَلَيهِ بِجُرعَةٍ مِن رائِبِ

* كان ابن عبَّاس رضي الله عنه من البُلغاء المعدودين، والفُصحاء المشهورين، والعُلماء المتبحِّرين.

قال حسَّان بن ثابت يمدح عبدَ الله بن عبَّاس رضي الله عنه:

إذا ما ابنُ عبَّاسٍ بَدَا لكَ وَجهُهُ    رَأيتَ لَهُ في كُلِّ مَجمَعَةٍ فَضْلَا
إذا قالَ لم يَترُكْ مَقالًا لِقائِلٍ    بِمُلتَقَطاتٍ لا تَرَى بَينَها فَصْلَا
كَفَى وشَفَى ما في النُّفُوسِ فلم يَدَعْ    لذِي إربَةٍ في القَولِ جِدًّا ولا هَزْلَا
سَمَوتَ إلى العَلْيا بغَيرِ مُنازِعٍ    فَنِلتَ ذُراها لا دَنِيًّا ولا وَغْلَا

قال سعد بن أبي وقَّاص: ما رأيت أحدًا أحضر فَهْمًا، ولا ألبَّ لُبًّا، ولا أكثرَ علمًا، ولا أوسعَ حِلمًا من ابن عبَّاس، ولقد رأيتُ عمرَ يدعوه للمُعضِلات، ثم يقول: عندَك قد جاءتكَ مُعضِلَة، ثم لا يجاوز قولَه، وإنَّ حولَه أهلَ بدرٍ من المهاجرين والأنصار.

## الأَحْنَفُ بن قَيس

الأحنفُ بن قَيسٍ سيِّد من سادات بني تميم، وداهيةٌ من دُهاة العرب، وممَّن يُضرَب به المَثَل في حِلْمِه.

قَدِم الأحنفُ على عمرَ بن الخطَّاب ﷺ في أهل البصرة وأهل الكوفة، فتكلَّموا عندَه في أنفسهم، وما ينوبُ كلَّ واحد منهم، وتكلَّم الأحنفُ فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ مفاتيح الخير بيَدِ الله، وقد أتتْكَ وفودُ العِراق، وإنَّ إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازلَ الأُمَم الخالية، والملوك الجبابرة، ومنازلَ كِسرى وقَيصَرَ وبني الأصفَر، فهُم من المياه العذبة، والجِنان المختلِفَة في مثل حِوَلَاءِ السَّلَى، وحَدَقَةِ البَعير، تأتيهم ثِمارُهم غَضَّة لم تحضر.

وإنَّا أُنزِلنا أرضًا طَرَفٌ في فَلاة، وطَرَفٌ في مِلحٍ أُجاج، جانبٌ منها منابتُ القَصَب، وجانبٌ سَبِخَةٌ نَشَّاشَة، لا يَجِفُّ ثَراها، ولا يَنبُتُ مَرعاها، يخرجُ الرجل الضعيف منَّا يستعذِبُ الماء من فَرْسَخَين، وتخرج المرأةُ بمثل ذلك تَرَنَّقُ لولَدِها تَرْنِيقَ العَنْز، تخافُ عليه العدوَّ والسَّبُع، فإلَّا ترفَع خَسِيسَتنا، وتُنعِش رَكِيسَتنا، وتجبُر فاقَتنا، وتَزِد في عِيالنا عِيالًا، وفي رِجالنا رِجالًا، وتُصغِّر دِرهَمنا، وتُكبِّر قَفيزَنا، وتأمُر لنا بنهرٍ نستعذِبُ به الماء - هَلَكْنا!

فقال عمر: هذا والله السيِّد! ثم كتب إلى أبي موسى الأشعريِّ أن يحتَفِرَ لهم نهرًا.

* ووفدَ الأحنفُ على معاويةَ مع أهل العراق، فخرج الآذن فقال: إنَّ أمير المؤمنين يَعزِم عليكم ألَّا يتكلَّم أحدٌ إلَّا لنفسه، فلمَّا وصلوا إليه قال

الأحنف: لولا عَزْمَةُ أمير المؤمنين لأخبرتُه أن دافَّةً دَفَّتْ، ونازلةً نَزَلتْ، ونابتةً نَبَتتْ، كلُّهم بهم حاجةٌ إلى معروف أمير المؤمنين وبِرِّه.

فقال معاوية: حسبُك يا أبا بَحْر؛ فقد كفَيتَ الشاهدَ والغائب.

* قِيلَ للأحنف: ممَّن تعلَّمتَ الحِلم؟

قال: مِن قَيسِ بن عاصم المِنْقَرِي، رأيتُه قاعدًا بفِناء داره، مُحتبِيًا بحَمائلِ سَيفِه، يُحدِّث قومَه، حتى أُتِيَ برجلٍ مكتوف، ورجلٍ مقتول، فقيل له: هذا ابنُ أخيك قَتَل ابنَك!

فوالله ما حلَّ حِبوَتَه، ولا قطعَ كلامَه، ثم التفتَ إلى ابن أخيه، وقال: يا ابنَ أخي، أسأتَ إلى رَحِمِك، ورميتَ نفسَكَ بسَهمِك، وقتلتَ ابنَ عمِّك!

ثم قال لابنٍ له آخر: قُمْ يا بُنيَّ، فحُلَّ كِتافَ ابنِ عمِّك، ووارِ أخاك، وسُقْ إلى أمِّه مئةَ ناقةٍ دِيَةَ ابنها؛ فإنَّها غَرِيبَة.

ثم أنشأ يقول:

إنِّي امرُؤٌ لا يَطَّبَى حَسَبِي ... دَنَسٌ يُهجِّنُهُ ولا أَفْنُ
من مِنْقَرٍ في بَيتِ مَكرُمَةٍ ... والغُصْنُ يَنبُتُ حَولَهُ الغُصْنُ
خُطَباءُ حِينَ يَقُولُ قائِلُهُم ... بِيضُ الوُجُوهِ مَصاقِعٌ لُسْنُ
لا يَفطِنُونَ لِعَيبِ جارِهِمُ ... وهُمُ لِحِفْظِ جِوارِهِ فُطْنُ

* ولَمَّا عَزَم معاويةُ على البيعة ليزيدَ، كتب إلى زيادٍ أن يوجِّه إليه بوفد أهل البصرة والكوفة، فتكلَّمتِ الخُطباء في يزيد، والأحنفُ بن قيس ساكتٌ، فلمَّا فرَغوا قال معاوية: قُل يا أبا بَحْر؛ فإنَّ العيون إليك أشرعُ منها إلى غيرِك.

فقام الأحنَف، فحَمِد الله وأثنى عليه، وصلَّى على نبيِّه ﷺ ثم قال:

يا أميرَ المؤمنين، إنَّك أعلمُنا بيزيدَ في ليله ونهاره، وإعلانه وإسراره، فإن كنتَ تعلمُه لله رِضًا فلا تُشاوِر فيه أحدًا، ولا تُقِم له الخُطباءَ والشُّعراء، وإن كنتَ تعلم بُعدَه من الله فلا تُزَوِّدْه من الدنيا وترحلُ أنتَ إلى الآخرة، فإنَّك تصير إلى ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٦].

فكأنَّه أفرَغ على معاوية ذَنوبَ ماءٍ بارد؛ فقال له: اقعُد يا أبا بَحْر، فإنَّ خِيرةَ الله تجري، وقضاءَه يمضي، وأحكامَه تنفُذ، لا مُعقِّب لحُكمِه، ولا رادَّ لقضائِه، وإنَّ يَزيدَ فتًى بلَوناه، ولم نجد في قريشٍ فتًى هو أجدرُ بأن يُجتمَع عليه منه.

فقال: يا أمير المؤمنين؛ أنت تحكي عن شاهِد، ونحن نتكلَّم على غائِب، وإذا أرادَ الله شيئًا كان.

* سأل غَيلانُ بن خَرَشَةَ الأحنفَ بن قيس: ما بقاءُ ما فيه العرب؟

قال: إذا تقلَّدوا السُّيوف، وشدُّوا العمائم، ورَكِبوا الخيل، ولم تأخُذهم حَمِيَّةُ الأوغاد.

قال غَيلان: وما حَمِيَّة الأوغاد؟

قال: أن يَعُدُّوا التواهُبَ فيما بينهم ضَيمًا.

* قال رجلٌ للأحنَف: دُلَّني على حَمدٍ بلا مَرْزِئَة؟

قال: الخُلق السَّجِيح، والكَفُّ عنِ القَبيح، ثم اعلموا أنَّ أدوى الداءِ اللِّسان البَذِيء، والخُلُقُ الرَّدِيء.

وقال: مَن ظلَمَ نفسَه كان لغيرِه أظلَم، ومَن هدمَ دِينَه كان لمجدِه أهدَم.

* قال رجلٌ في مجلس الأحنف بن قيس: ليس شيءٌ أبغضَ إليَّ من

التَّمْر والزُّبْد.

فقال الأحنف: رُبَّ ملومٍ لا ذَنْبَ له!

*** يعزِلُ الولاةَ ويُولِّيهم:**

كان زياد بن أبيه يُقرِّب الأحنفَ ويُدنِيه، فلمَّا مات زياد وولي ابنُه عُبيد الله لم يرفَع به رأسًا، فتأخَّرت عندَه منزلتُه، فلمَّا وفدَ برؤساء العراقِ على معاويةَ أدخلَهم عليه على مراتبهم عندَه، فكان الأحنفُ آخِرَ مَن أدخلَه عليه، فلمَّا رآه معاوية أجلَّه وأعظمَه، وأدناه وأكرَمه، وأجلسَه معه على الفِراش، ثم أقبلَ عليه يُحادِثُه دونَهم، ثم شَرَع الحاضرون في الثناء على ابن زياد، والأحنفُ ساكت، فقال له معاوية: ما لكَ لا تتكلَّم؟

قال: إن تكلمتُ خالفتُهم.

فقال معاوية: أُشهِدكم أنِّي قد عزلتُه عن العراق.

ثم قال لهم: انظروا لكم نائبًا، وأجَّلهم ثلاثةَ أيَّام، فاختلفوا بينهم اختلافًا كثيرًا، ولم يذكر أحدٌ منهم بعد ذلك عُبيدَ الله ولا طلبَه أحدٌ منهم، ولم يتكلَّم الأحنفُ في ذلك كلمةً واحدةً مع أحد منهم.

فلمَّا اجتمعوا بعدَ ثلاثٍ أفاضوا في ذلك الكلام، وكثُر اللَّغَط، وارتفعتِ الأصوات، والأحنفُ ساكت، فقال له معاوية: تكلَّم.

فقال له: إن كنتَ تريد أن تولِّيَ فيها أحدًا من أهل بيتك، فليس فيهم مَن هو مثلُ عُبيدِ الله؛ فإنَّه رجلٌ حازمٌ لا يسُدُّ أحدٌ منهم مَسَدَّه، وإن كنت تريدُ غيرَه، فأنتَ أعلمُ بقَرابتِك، فردَّه معاويةُ إلى الولاية، ثم قال له بينَه وبينَه: كيف جهلتَ مثلَ الأحنف؟ إنَّه هو الذي عزلَك وولَّاك، وهو ساكت؟!

فعظُمت منزلةُ الأحنفِ بعدَ ذلك عندَ ابن زيادٍ جدًّا.

* قال الأحنف: خيرُ الإخوان مَن إذا استغنَيت عنه لم يزِدكَ في المودَّة، وإن احتجتَ إليه لم ينقُصكَ منها، وإن عَثَرْتَ عَضَدَك، وإن احتَجتَ إلى مَؤونتِه رَفَدَك، وأنشد:

أخُوكَ الذي إن تَدعُهُ لمُلِمَّةٍ ... يُجِبْكَ وإن تَغضَب إلى السَّيفِ يَغضَبِ

* حكى ابنُ أبي عائشة: أنَّ شابًّا كان يُجالس الأحنف، ويُطيل الصَّمت؛ فأَعجبَ ذلك الأحنف، فخَلَتِ الحَلْقةُ يومًا، فقال له الأحنف: تكلَّم يا ابن أخي.

فقال: يا عمِّ أرأيتَ لو أنَّ رجلًا سقطَ من شَرَفِ هذا المسجد، هل كان يضرُّه شيء؟

فقال: يا ابنَ أخي، ليتنا تركناكَ مستورًا!

ثم تمثَّل بقول الأعوَر الشَّنِّي:

وكائِنْ تَرَى من صامِتٍ لَكَ مُعجِبٍ ... زِيادَتُهُ أَوْ نَقصُهُ في التَّكلُّمِ
لِسانُ الفَتَى نِصفٌ ونِصفٌ فُؤادُهُ ... فلم يَبْقَ إلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ والدَّمِ

* قال الأحنف: إنَّ الله جعلَ أسعدَ عبادِه، وأرشدَهم لديه، وأحظاهُم يومَ القيامة - أبذلَهم للمعروف يدًا، وأكثرَهم على الإخوان فضلًا، وأحسنَهم له على ذلكَ شكرًا.

* جاء رجلٌ فشتمَ الأحنف، فسكتَ عنه، وأعاد فسكت، فقال الرجل: والَهْفاه! ما يمنعُه من أن يردَّ عليَّ إلَّا هواني عندَه!

* قال الأحنف: لا صَدِيقَ لمَلُول، ولا وفاءَ لكَذوب، ولا راحةَ لحسُود، ولا مروءةَ لدَنِيء، ولا زَعامة لسَيِّئ الخُلق.

* قال الأحنفُ لمعاوية: أخافُكَ إن صَدَقتُك، وأخافُ اللهَ إن كذبتُك.

* قال الأحنف: لقد اختلَفنا إلى قَيسِ بن عاصمٍ في الحِلم كما نختلِفُ إلى الفُقهاء في الفِقه.

* وكان يقول: لا مروءةَ لكذوب، ولا سوادَ لبخيل، ولا وَرَعَ لسيِّئ الخُلق.

* وقال الأحنف: رُبَّ رجلٍ لا تغيب فوائدُه وإن غابَ، وآخَرُ لا يسلمُ منه جليسُه وإنِ احترَس.

* قال الأحنف بخُراسان: يا بني تَمِيم، تحابُّوا تجتمِعْ كلمتُكم، وتباذَلوا تعتدِلْ أموالُكم، وابدؤوا بجهادِ بُطونِكم وفُروجِكم يصلُحْ لكم دينُكم، ولا تَغُلُّوا يَسلم لكم جهادُكم.

* وقال: أسرعُ الناس إلى الفِتنة أقلُّهم حياءً من الفِرار.

* قال الأحنف: السُّؤدَدُ مع السَّواد (يريدُ أنَّ السيِّد يُعرف في حداثته وسَوادِ رأسه ولِحيَته).

* قال الأصمعي: وَفَدَ الأحنفُ والمنذِرُ بن الجارود إلى معاوية، فتهيَّأ المنذِر، وخرج الأحنفُ على قَعودٍ وعليه بَتٌّ، فكلَّما مَرَّ المنذِرُ قال الناس: هذا الأحنف؛ فقال المنذر: أراني تزيَّنتُ لهذا الشيخ!

* قال رجل للأحنف: بِمَ سُدتَّ قومَك؟

قال: بتَركِي من الأمرِ ما لا يَعنيني، كما عناكَ من أمري ما لا يَعنيك.

* وأغلَظَ رجلٌ للأحنَف في الكلام، وقال له: والله يا أحنَف؛ لئن قلتَ لي واحدةً لتسمعنَّ بدلَها عشْرًا!

فقال له: إنَّك إن قلتَ لي عشرًا لا تسمعُ منِّي واحدة.

* كان معاوية يَأذَن للأحنَفِ أوَّلَ مَن يأذن له، فأذِن له يومًا، ثم أذِن لمحمَّد بن الأشعَث، فأقبل حتى جلس بين معاويةَ والأحنَف، فقال له معاوية: لقد أحسستَ من نفسك ذُلًّا، إنِّي لم آذَن له قبلَكَ إلَّا ليكونَ في المجلس دونَك، وإنَّما كما نَملِك أمورَكم، كذلك نملكُ تأديبَكم، فأريدوا ما يُراد بكم؛ فإنَّه أبقى لنِعمَتكم، وأحسنُ لأدبِكم.

* قال رجل لأحنف بن قيس: بأيِّ شيءٍ سُدتَّ تميمًا، فوالله ما أنتَ بأجودِهم ولا أشجعِهم، ولا أجملِهم ولا أشرفِهم؟!

قال: بخلافِ ما أنتَ فيه.

قال: وما خلافُ ما أنا فيه؟

قال: تَرْكِي ما لا يَعنيني من أمورِ الناس، كما عَناكَ من أمري ما لا يَعنِيك.

* استعمل عمر بن عبد العزيز رجلًا، فقيل له: إنَّه حديث السِّنِّ، ولا نُراهُ يضبِطُ عملَك؛ فأخذ العهدَ منه، وقال: ما أُراكَ تضبِطُ عملكَ لحداثتِك.

فقال الفتى:

وليسَ يَزِيدُ المَرْءَ جهلًا ولا عَمًى ... إذا كانَ ذا عَقْلٍ حَداثَةُ سِنِّهِ

فقال عمر: صَدَق، وردَّ عليه عهدَه.

## عامرٌ الشَّعْبِي

كان عامرٌ الشَّعبِيُّ من العلماء الأدباء، ذوي الكِياسة والنَّباهة، وكان عبد الملك بن مَرْوان يُدنِيه ويُكرِمه ويأنسُ به، ولا غَرْوَ؛ فقد كان عبد الملك

فقيهًا أديبًا شغلَتْه الخلافةُ بأعبائها، ولم تُنسِه إعزازَ العلماء، وتقديرَ الفُضلاء.

* قال ابن خَلِّكان: حكى الشَّعبيُّ قال: أنفَذني عبد الملك ابن مَرْوان إلى ملك الرُّوم، فلمَّا وصلتُ إليه جعلَ لا يسألني عن شيءٍ إلَّا أجبتُه، وكان الرُّسُلُ لا تُطيل الإقامةَ عندَه، فحبسني أيَّامًا كثيرة، حتى استحَثتُ خُروجي، فلمَّا أردتُّ الانصرافَ قال لي: مِن أهل بيتِ المملكةِ أنت؟

فقلت: لا؛ ولكنِّي رجلٌ من العرب في الجُملة.

فهمسَ بشيءٍ فدُفِعَت إليَّ رُقعَة، قال: فأدَّيتُ الرسائلَ عندَ وصولي إلى عبد الملك، وأُنسِيتُ الرُّقعة، فلمَّا صِرتُ في بعض الدار أُريد الخروج تذكرتُها، فرجعتُ فأوصلتُها إليه، فلمَّا قرأها قال لي: أقال لكَ شيئًا قبل أن يدفعَها إليك؟

قلت: نعم؛ قال لي: مِن أهل بيتِ المملكة أنت؟ قلت: لا؛ ولكنِّي من العرب في الجُملة، ثم خرجتُ من عندِه، فلمَّا بلغتُ الباب رُدِدتُّ، فلمَّا مثُلتُ بينَ يديه.

قال لي: أتدري ما في الرُّقعة؟

قلت: لا.

قال: اقرأها، فقرأتُها فإذا فيها: عجبتُ من قوم فيهم مثل هذا، كيف ملَّكوا غيرَه؟!

فقلت له: والله لو علمتُ ما فيها ما حملتُها، وإنَّما قال هذا؛ لأنَّه لم يَرَك.

قال: أفتدري لِمَ كتبها؟

قلت: لا.

قال: حَسَدني عليك، وأرادَ أن يغريني بقتلك.

قال: فتأدَّى ذلك إلى ملك الرُّوم، فقال: ما أردتُ إلَّا ما قال.

* وروى أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزَّجَّاجيُّ في كتابه "مجالس العلماء" عن الشَّعبي؛ قال: دخلتُ على عبد الملك بن مَرْوان فصادفتُه في سِرارٍ مع بعض مَن يقرُب منه، فوقفتُ ساعةً لا يَرفع إليَّ طَرْفَه، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، عامرٌ الشَّعبي!

فقال: لم نأذَنْ لكَ حتى عَرَفنا اسمَك.

فقُلت: نَقْدَةٌ والله من أمير المؤمنين، فلمَّا فرغَ ممَّا كان فيه، وأقبل على الناس رأيتُ في المجلس رجلًا ذا رُواءٍ وهَيئةٍ لم أعرِفْه، فقلت: مَن هذا يا أمير المؤمنين؟

قال: الخُلفاء تَسأل ولا تُسأَل؛ هذا الأخطلُ الشاعر.

قُلت في نفسي: هذه أخرى؛ قال: وخُضْنا في الحديث فمرَّ له شيءٌ لم أعرِفْه، فقلت: أَكتِبنِيه يا أمير المؤمنين!

قال: الخلفاء تَستكتِب ولا تُستكتَب.

فقلت: هذه ثالثة.

وذهبتُ لأقومَ فأشار إليَّ بالقعود فقعدتُّ، حتى خفَّ مَن كان عندَه، ثم دعا بالطعام فقُدِّمت إليه المائدة، فرأيت عليها صَحْفَةً فيها مُخٌّ، وكذا كانت عادته أن يُقدَّم إليه المُخُّ قبلَ كلِّ شيء، فقلت: هذا يا أمير المؤمنين كما قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ [سبأ: ١٣]!

فقال: يا شَعبيُّ؛ مازَحتَ مَن لم يُمازِحْك.

فقلت: هذه والله رابعة.

فلمَّا فرغ من الطعامِ وقعدَ في مجلسه، واندفعنا في الحديثِ وذهبتُ لأتكلَّم، فما ابتدأتُ بشيء من الحديث إلَّا استلبَه منِّي فحدَّث الناس به، وربَّما زادَ فيه على ما عندي، ولا أنشدتُّه شعرًا إلَّا فعل مثل ذلك، فغمَّني ذلك، وانكسرَ بالي له، فما زِلنا على ذلك بقيَّة نهارنا، فلمَّا كان آخرُ وقتنا التَفَتَ إليَّ فقال: يا شَعبيُّ؛ قد والله تبيَّنتُ الكراهةَ في وجهك لِمَا فعلتُ، وتدري أيَّ شيء حملني على ذلك؟

قلت: لا يا أميرَ المؤمنين.

قال: لئلَّا تقول: لئن فازوا بالمُلك أوَّلًا، لقد فُزنا نحنُ بالعلم؛ فأردتُّ أن أُعرِّفَك أنَّا فُزنا بالمُلك، وشاركناكَ فيما أنت فيه.

ثم أمرَ لي بمال، فقمتُ من عندِه وقد زللتُ أربعَ زَلَّات.

## أدبٌ عال

ذَكَر رجل من القُرشِيِّين عبدَ الملك بن مروان - وعبدُ الملك يومئذٍ غلام - فقال: إنَّه لآخِذٌ لأربع، وتارِكٌ لأربع: آخذٌ بأحسن الحديث إذا حَدَّث، وبأحسن الاستماع إذا حُدِّث، وبأيسر المُؤنةِ إذا خُولِف، وبأحسن البِشْر إذا لُقِي، وتاركٌ لمُحادثة اللَّئيم، ومُنازَعةِ اللَّجوج، ومُماراةِ السَّفيه، ومُصاحَبة المأفون.

* كان عُمارة الفقيه يجالس عبدَ الملك بن مرْوان في ظلِّ الكعبة - وأشار له عبد الملك يومًا أنَّ الخلافة ستصير إليه، وطلب منه أن يَعرِضَ حاجاتِه عليه حينذاك، ومرَّت السِّنون، وصارتْ إليه الخلافة، فقصدَه عُمارة، فأكرَمه وقدَّمه على خاصَّته، وأعطاه عطاءً جَزْلًا، وذكَّره عبدُ الملك بوَعدِه له، فاستغربَ

عُمارةُ من تذكُّره لوَعدٍ قد مضى عليه أَمَدٌ طويل، قال: نعم، والله لا خيرَ فيمَن ينسى ما وَعَد به، ويَذكُر ما أَوعَد.

وعلَّل عبد الملك توقُّعَه أن تصيرَ إليه الخلافةُ بأنَّه عقَل في حداثته أشياءَ رجَا أن يرفع الله بها درجتَه، وينشُر بها ذِكرَه، قال عُمارة: وما هي يا أميرَ المؤمنين؟

قال: كنت لا أُشاري ولا أُماري (أي: لا يُلاحي ولا يُماري)، ولا أهتِكُ سِترًا سَتَرَه الله دوني، ولا أرتكِبُ محرَّمًا حظرَه الله عليَّ، ولا أحدثتُ ولا بَغَيت، وكنتُ من قومي واسطةَ القِلادة، وكنتُ أُكرِمُ جليسي وإن كان ذَمِيمًا، وأرفع قدرَ الأديب، وأُكرِم ذا الثِّقة، وأُداري السَّفيه، وأرحمُ الضعيف؛ فبذلك رفعَ الله قدري.

* قال محمَّد بن حَرْبٍ الهلالي: دَخَل زُفَرُ بن الحارث (الكِلابي) على عبد الملك بن مَرْوان بعدَ الصُّلح، فقال: ما بَقِيَ من حبِّكَ للضحَّاك؟

فقال: ما لا ينفعُني ولا يضرُّك.

قال: شَدَّ ما أجبتُموه معاشرَ قَيس!

قال: أَحَبناه ولم نُواسِه، ولو كنَّا آسيناهُ لقد كنَّا أدرَكْنا ما فاتنا منه.

قال: فما منعكَ من مُواساته يومَ المَرْجِ (مرج راهِط)؟

قال: الذي منعَ أباك من مُواساةِ عثمانَ يومَ الدار.

* رُوي أنَّ بعض عمَّال عبد الملك بن مَرْوان بعثَ إليه بجارية اشتراها بعشرة آلاف دينار، فلمَّا استحضرَها وأَنِسَ بها، دخل إليه رسولُ الحجَّاج بأنَّ عبد الرحمن بن الأَشْعَثِ خلَعَه، فأجاب عن كتابه، وجعل يقلِّب كفَّيه، وقال لها: إنَّ ما دونَكِ مُنيَةَ المتمنِّي!

فقالت: وما يمنعُك؟

قال: بيت الأَخْطَل:

قَــومٌ إذا حــارَبُــوا شَــدُّوا مــآزِرَهُــمْ    دُونَ الـنِّــسـاءِ وَلَـو بـاتَـتْ بـأَطْـهـارِ

فمكث ثلاثَ سنينَ وخمسةَ أشهر لا يقرَبُ امرأةً حتى أتاه خبرُ قتل ابن الأشعث، فكانَت أوَّلَ امرأة تمتَّع بها.

* أُتِي الحجَّاجُ برجلٍ من أصحاب ابن الأشعث، فقال له: أسألُكَ أن تقتُلني وتخلِّصني!

فقال له الحجَّاج: لِمَه؟

فقال: إنِّي أرى كلَّ ليلةٍ في المنام أنَّك تقتلُني، وقَتلةٌ واحدةٌ خيرٌ من قَتَلات!

فضَحِك وخلَّى سبيلَه.

* كان بالكوفة امرأةٌ موسِرةٌ، لها على الناس ديونٌ كثيرة بالسَّواد، فأتتِ الحكمَ بن عَبْدَلٍ وعرضَتْ له بأنَّها تتزوَّجه إذا اقتضى لها ديونَها، فقام ابنُ عَبْدَلٍ بدَيْنِها حتى اقتضاه، ثم طالبَها بالوفاء، فكتبَت إليه:

سَيُـخـطِـيـكَ الـذي حَـاوَلـتَ مِـنِّـي    فَـقَـطِّـعْ حَـبْـلَ وَصـلِـكَ مـن حِـبـالِـي
كَـمـا أَخْـطَـاكَ مَـعـرُوفُ ابـنِ بِـشْـرٍ    وكُــنــتَ تَــعُــدُّ ذَلِــكَ رَأسَ مــالِ

وكان ابنُ عَبْدَلٍ يأتي ابنَ بِشر بن مَرْوان بالكوفة فيسأله، فيقول له: أخمسمئة أحبُّ إليكَ العام، أم ألفٌ في قابِل؟

فيقول: ألفٌ في قابِل.

فإذا أتاه مِن قابِل قال له: ألفٌ أحبُّ إليكَ العام، أم ألفانِ في قابل؟

فيقول: ألفان.

فلم يزَل كذلك حتى مات ابنُ بِشر ولم يُعطِه شيئًا، فدخل ابنُ عَبْدَلٍ على عبد الملك بن مَرْوان بعدما جرى مع المرأة، فقال له عبد الملك: ما أحدثتَ بعدي؟

قال: خطبتُ امرأةً مِن قومي فردَّت عليَّ بيتَي شعر!

قال: وما هُما؟

قال: قالت:

سَيُخطِيكَ الذي حَاوَلتَ مِنِّي... البيتان

فضَحِك عبد الملك، وقال له: لَحَاك الله! أذكَرتَ بنفسِك، وأمَر له بألفَي درهم.

* لما وجَّه سليمانُ بن عبد الملك محمَّدَ بن يزيد إلى العراق ليطلقَ أهلَ السُّجون، ويقسِمَ الأموال، ضيَّق على يَزيد ابن أبي مسلم، فلمَّا وَلِي يزيد بن عبد الملك الخلافة وَلَّى يزيد ابن أبي مسلم إفرِيقِيَّة، وكان محمَّدُ بن يزيد واليًا عليها، فاستخفى محمَّد بن يزيد، فطلَبَه يزيد بن أبي مسلم وشدَّ في طلبه، فأُتِي به في شهر رمضان عند الغروب، وكان في يدِ يَزيد ابن أبي مسلم عُنقودُ عنب، فقال لمحمَّد بن يزيد حين رآه: يا محمَّد بن يزيد!

قال: نعم!

قال: طالَما سألتُ الله أن يمكِّنني منك!

فقال: وأنا والله طالَمَا سألتُ الله أن يُجيرني منك!

فقال: والله ما أجارَك ولا أعاذَك، وإن سبقني مَلَك الموت إلى قَبضِ

رُوحِكَ سبقتُه، والله لا آكُل هذه الحَبَّةَ العِنَبِ حتى أقتلَك!

ثم أمر به فكُتِّف ووضع في السَّطح، وقام السيَّاف، فأُقيمتِ الصلاة، فوضعَ العُنقود من يدِه وتقدَّم ليصلِّي، وكان أهل إفرِيقِيَّة قد أجمعوا على قَتلِه، فلمَّا رفع رأسَه ضربَه رجلٌ بعمود على رأسه فقتله، وقيل لمحمَّد بن يزيد: اذهَب حيثُ شِئت.



* ذَكَر بعضُ الأدباء القُدماء بعضَ فُرسان العرب؛ فمِن فُرسان العرب في الجاهليَّة: رَبيعَةُ بن مُكَدَّم، وعَنْتَرَةُ الفوارس، وعُتْبَةُ بن الحارث بن شِهاب، وأبو بَراء عامرُ بن مالك مُلاعِبُ الأسِنَّة، وزيدُ الخَيل، وبِسْطامُ بن قَيس، والأُحَيمِر السَّعدي، وعامر بن الطُّفَيل، وعمرو بن عبد وُدٍّ، وعمرو بن مَعدِ يكَرِب.

وفي الإسلام: أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب، والزُّبير، وطلحة، ورجال الأنصار: عبد الله بن خازم السُّلَمي، وعبَّاد بن الحُصَين، وعُمَير بن الحُباب، وقَطَرِيُّ بن الفُجاءة، والحَرِيشُ ابن هلال السَّعدي، وشَبِيبٌ الحَرُورِي.

* كتب رجلٌ مِن البُخلاء إلى رجلٍ من الأسخياء يأمره بالإبقاء على نفسِه، ويخوِّفه الفقر، فردَّ عليه: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ۝٢٦٨﴾ [البقرة: ٢٦٨]؛ إنِّي أكره أن أتركَ أمرًا قد وَقَع لأمرٍ لعلَّه لا يقع.

* أمر الحجَّاج بإحضار رجل من السِّجن، فلمَّا حضر أَمَر بضرب عُنقِه،

فقال: أيُّها الأمير، أخِّرني إلى غدٍ!

قال: وأيُّ فرج لك في تأخير يوم واحد؟!

ثم أمر بردِّه إلى السِّجن، فسمعه الحجَّاج وهو راجع إلى السِّجن يقول:

عَسَى فَرَجٌ يَأتِي بِهِ اللهُ إنَّهُ     لَـهُ كُـلَّ يَـومٍ فـي خَـلِـيـقَـتِـهِ أَمْـرُ

فقال الحجَّاج: واللهِ ما أخذَه إلَّا من كتاب الله، وهو قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، وأَمَر بإطلاقه.

* قال مالك بن دينار: لربَّما رأيتُ الحجَّاج يتكلَّم على مِنبره، ويذكرُ حُسنَ صَنيعِه إلى أهل العراق، وسوءَ صَنيعِهم إليه حتى ليخيَّل للسامع أنَّه صادقٌ مظلوم.

## ليتَه أدركَهم

قيل للحجَّاج: كيف وجدتَّ منزِلكَ بالعراق أيُّها الأمير؟

قال: خيرَ منزِل، لو أدركتُ بها أربعة نفر لتقرَّبتُ إلى الله ﷻ بدمائهم!

قيل له: ومَن هم؟

قال: مقاتل بن مسمع؛ ولي سِجِسْتان فأتاه الناس فأعطاهم الأموال، فلمَّا قَدِمَ البصرةَ بسطَ له الناس أرديتَهم فمَشَى عليها، فقال: لمثل هذا فليعمل العاملون.

وعبيد الله بن ظَبْيَان؛ خطبَ خُطبةً أوجزَ فيها، فناداه الناس من أعراض المسجد: كثَّر الله فينا أمثالَك، قال: لقد كلَّفتُم ربَّكم شَطَطًا.

ومَعْبَد بن زُرَارَة؛ كان ذات يومٍ جالسًا على طريق فمَرَّتْ به امرأة،

فقالت: يا عبد الله، أين الطريق لمكان كذا؟ فقال: لمثلِي يُقال: (يا عبدالله؟) ويلَك!

وأبو السماك الحَنَفي؛ أضلَّ ناقته، فقال: والله لئن لم يردُد عليَّ ناقتي لا صلَّيتُ أبدًا.

* قال عليُّ بن عبد الله: شهدتُّ الحجَّاج خارجًا من عند عبد الملك بن مَرْوان، فقال له خالد بن يزيد بن معاوية: إلى متى تقتلُ أهلَ العراق يا أبا محمَّد؟

فقال: إلى أن يكفُّوا عن قولهم في أبيك: إنَّه كان يشربُ الخمر.

## تسامُحٌ من الحجَّاج!

قال أبو عُبيدة: كان بين الحجَّاج وبين العُدَيلِ بن الفَرْخِ العِجليِّ بعضُ الأمر، فتوعَّده الحجَّاج بالقتل، فقال العُدَيل:

أُخَوَّفُ بالحَجَّاجِ حتَّى كأنَّمَا ... يُحَرَّكُ عَظْمٌ في الفُؤادِ مَهِيضُ
ودُونَ يَدِ الحَجَّاجِ من أن تَنالَنِي ... بِسَاطٌ لِأَيدِي اليَعْمَلَاتِ عَرِيضُ
مَهامِهُ أَشْباهٌ كَأَنَّ سَرابَهَا ... مُلاءٌ بِأَيدِي الغاسِلاتِ رَحِيضُ

ثم ظفِرَ به الحجَّاج، فقال له: إيهِ يا عُدَيل، هل نجَّاك بساطُك العريض؟ فقال: أيُّها الأمير، أنا الذي أقول فيكم:

ولو كُنتُ بالعَنْقاءِ أو بِيُسُومِهَا ... لَكانَ لحَجَّاجٍ عَلَيَّ دَلِيلُ
خَلِيلِ أميرِ المُؤمِنِينَ وسَيفِهِ ... لِكُلِّ إمامٍ مُصطَفًى وخَلِيلُ

فقال له الحجَّاج: اربَح نفسَك، واحقِن دَمَك، وإيَّاكَ وأُختَها؛ فقد كان الذي بيني وبين قتلكَ أقصرَ من إبهام الحُبارَى.

## نحويٌّ وفَقِيه

اجتمع الكِسائيُّ وأبو يوسف القاضي عندَ هارون الرشيد، فجعل أبو يوسف يذمُّ النحو، ويقول: وما النحو؟!

قال الكسائي - وأردتُّ أن أعلِّمه فضلَ النحو -: ما تقول في رجل قال لرجل: أنا قاتلُ غُلامِكَ، وقال له آخر: أنا قاتلٌ غُلامَكَ، أيَّهما كنت تأخذُ به؟

قال: آخذهما جميعًا.

فقال له هارون: أخطأتَ! وكان له عِلم بالعربيَّة.

فاستحيا، وقال: كيف ذلك؟

قال: الذي يُؤخَذ بقتلِ الغُلام هو الذي قال: أنا قاتلُ غلامِكَ بالإضافة؛ لأنَّه فِعلٌ ماض، وأمَّا الذي قال: أنا قاتلٌ غُلامَكَ بالنَّصب فلا يُؤخذ؛ لأنَّه مستقبَلٌ لم يكن بعدُ، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣ - ٢٤]، فلولا أنَّ التنوين مستقبَلٌ ما جاز فيه ﴿غَدًا﴾، فكان أبو يوسف بعدَ ذلك يمدحُ العربيَّة والنحو.

* صاح رجل بالمأمون: يا عبد الله! يا عبد الله!

فغضب المأمون وقال: أتدعوني باسمي؟!

فقال الرجل: نحن ندعو الله باسمِه.

فسَكَت المأمون، وقضَى حاجتَه، وأنعمَ عليه.

* دخل محمَّد بن زياد مؤدِّب الواثق على الواثق، فأظهرَ إكرامَه، وأكثرَ إعظامَه، فقيل له: مَن هذا يا أمير المؤمنين؟

قال: هذا أوَّل مَن فَتَقَ لساني بذِكر الله، وأدناني من رحمةِ الله.

* قال أبو عثمان بكر بن محمَّد: وفدتُّ على الواثق، فلمَّا دخلتُ وسلَّمتُ قال: هل خلَّيتَ وراءَكَ أحدًا يُهمُّك أمرُه؟

قلت: أُخيَّة لي ربيَّتُها، فكأنَّها بنتي.

قال: ليتَ شِعرِي ما قالت حينَ فارقتَها؟

قال: أنشدَتنِي قولَ الأعشى:

تَقُولُ ابنَتِي يَومَ جَدَّ الرَّحِيلُ     أَرَانَا سَوَاءً وَمَن قَد كَتَمْ
أَبَانَا فَلا رِمتَ من عِندَنَا     فَإِنَّا نَخافُ بِأَن تُختَرَمْ
أَرانَا إذا أَضْمَرَتكَ البِلا     دُ نُجفَى وَتُقطَعُ مِنَّا الرَّحِمْ

قال: ليت شعري، ما قلتَ لها؟

قال: أنشدتُّها - يا أميرَ المؤمنين - قولَ جرير:

ثِقِي باللهِ لَيسَ لَهُ شَرِيكٌ     وَمِنْ عِندِ الخَلِيفَةِ بالنَّجَاحِ

قال: أتاكَ النجاح، وأمرَ له بعشرة آلاف درهم.

* روى أبو حيَّان التوحيديُّ في كتابه "مثالب الوزيرَين" (الصاحب بن عبَّاد وابن العَمِيد) عن الصاحب بن عبَّاد: أنَّه قال يومًا: ما صدرُ قولِ الشاعر:

وَالْمَشْرَبُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزِّحَامْ

فسكتَ الجماعة، فقال: قد والله فَشَا النقص، وذهبَ الحِفظ، وماتَ الأدب، فقال ابنُ الرازي: صدرُه:

يَزْدَحِمُ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ

فأقبلَ عليه بغَيظ، وقال: ما عرفتُكُ إلَّا مُتعَجرِفًا جاهلًا، أما كان لكَ بالجماعة أُسوة؟!

* نظر زُرارَةُ بن عُدس إلى ابنه لَقِيط، فقال: مالي أراك مختالًا؟! كأنَّك جئتني بابنة ذي الجَدَّين، أو مئة من هَجائن النُّعمان!

فقال: والله لا يمسُّ رأسي دُهْنٌ حتى آتيَك بها، أو أُبلِيَ عُذرًا!

فانطلقَ حتى أتى ذا الجَدَّين - وهو قيسُ بن مسعود الشَّيباني - فوجدَه جالسًا في نادي قومه من شَيبان، فخَطَب إليه ابنتَه علانِيَة، فقال له: هلَّا ناجَيتَني؟

قال: قد علمتُ أنِّي إن ناجَيتُكَ لم أخدَعك، وإن عالَنتُكَ لم أفضَحك.

قال: ومَن أنت؟

قال: لَقِيط بن زُرارَة.

قال: لا جَرَمَ؛ لا تبيتنَّ فينا عَزَبًا ولا محرومًا.

فزوَّجه، وساق عنه المهر، وبَنَى بها من ليلته تلك، ثم خرجَ إلى النُّعمان، فجاءَ بمئتين من هَجائنه، وأقبلَ إلى أبيه، وقد وَفَى نذرَه، فبعث إليه قيسُ بن مسعود بابنته مع ولدِه بِسطامِ ابن قيس، فخرج لَقِيطٌ يتلقَّاها في الطريق، ومعه ابنُ عمٍّ له يُقال له: قُراد، فقال لَقِيط:

هاجَت عَلَيكَ دِيارُ الحَيِّ أَشْجانَا ... وَاستَقبَلُوا من نَوَى الجِيرانِ قُربانَا
تامَت فُؤادكَ لم تَقضِ الذي وَعَدَتْ ... إحدَى نِساءِ بَنِي ذُهلِ بنِ شَيبانَا
فانظُر قُرَادُ وَهَل في نَظرةٍ جَزَعٌ ... عُرْضَ الشَّقائِقِ هَل بَيَّنتَ أَظْعانَا
فيهِنَّ جارِيةٌ نَضْحُ العَبِيرُ بِهَا ... تُكسَى تَرائِبُها دُرًّا وَمَرْجانَا
كَيفَ اهتَدَيتَ ولا نَجْمٌ ولا عَلَمٌ ... وكُنتَ عِندِي نَؤُومَ اللَّيلِ وَسْنانَا؟!

ولَمَّا رحل بها بِسطامُ بن قيس قالت: مرُّوا بي على أبي أُودِّعْه!

فلمَّا ودَّعَتْه، قال لها: يا بُنيَّة؛ كوني له أَمَةً يكُن لك عبدًا، وليكُن أطيبَ طِيبكِ الماء، ثم لا أذْكَرتِ ولا أَيسَرتِ! فإنَّك تلدين الأعداء، وتقرِّبين البُعداء، إنَّ زوجكِ فارسٌ من فرسان مُضَر، وإنَّه يوشِك أن يُقتل أو يموت، فإذا كان ذلك فلا تخمِشي عليه وجهًا، ولا تحلِقي شَعرًا.

فلمَّا قُتل لَقيطٌ تحمَّلت إلى أهلها، ثم مالَت إلى محَلَّة عبد الله بن دارِم، فقالت: نعمَ الأحماءُ كنتُم يا بني دارِم، وأنا أُوصيكم بالغَرائبِ خيرًا، فلم أرَ مثل لَقيط!

ثم لحِقَت بقومِها فتزوَّجها ابنُ عمٍّ لها، فكانت لا تسلو عن ذِكرِ لَقيط، فقال لها زوجُها: أيُّ يومٍ رأيتِ فيه لَقيطًا أحسنَ في عينَيك؟

قالت: خرج يومًا يصطاد، فطردَ البقرَ فصَرَعَ منها، ثم أتاني مخضَّبًا بالدِّماء، فضمَّني ضَمَّة، ولَثَمَني لَثْمَة، فليتَني مِتُّ ثَمَّة!

فخرج زوجُها ففعلَ مثل ذلك، ثم أتاها فضمَّها ولَثَمَها، ثم قال لها: مَن أحسنُ أنا أم لَقيطٌ عندَك؟

قالت: «مرعًى ولا كالسَّعْدَان».

## العَكَوَّكُ الشاعر

لمَّا قال العَكَوَّكُ الشاعر قصيدتَه في أبي دُلَفٍ التي يقولُ فيها:

إنَّـمـا الـدُّنـيَـا أبـو دُلَـفٍ بَـيـنَ مَـغـزَاهُ وَمُـحـتَـضَـرِهْ
فـإذا وَلَّـى أبـو دُلَـفٍ وَلَّـتِ الـدُّنـيـا عـلـى أَثَـرِهْ
كُـلُّ مَـنْ فـي الأرضِ مـن عَـرَبٍ بـيـنَ بَـادِيـهِ إلـى حَـضَـرِهْ

يَـرتَـجِـيـهِ نَـيـلَ مَـكـرَمَـةٍ    يَـأتَـسِـيـهـا يَـومَ مُـفـتَـخَـرِهْ

وبلغَتِ المأمونَ فطلبَه، فهربَ منه، ثم أُحضر بينَ يديه، فقال له: ويحَك! فضَّلتَ القاسمَ بن عيسى علينا؟!

فقال: يا أمير المؤمنين؛ أنتم أهلُ بيتٍ اصطفاكم الله مِن بين عباده، وآتاكم ملكًا عظيمًا، وإنَّما فضَّلتُه على أشكاله وأقرانه.

فقال: والله ما أبقيت أحدًا، حيث تقول:

كُـلُّ مَـنْ فـي الْأَرْضِ مِـنْ عَـرَبٍ    بَـيْـنَ بَـادِيـهِ إلَـى حَـضَـرِهْ

ومع هذا فلا أستحلُّ قتلَك بهذا، ولكن بشركِك وكفرك.

حيث تقول في عبدٍ ذَلِيل:

أنـتَ الـذي تُـنـزِلُ الأيَّـامَ مَـنـزِلَـهَـا    وتَـنـقُـلُ الـدَّهـرَ من حـالٍ إلـى حـالِ

ومـا مَـدَدتَّ مَـدَى طَـرْفٍ إلـى أَحَـدٍ    إلَّا قَـضَـيـتَ بـأرزاقٍ وآجـالِ

ذاك الله يفعلُه، أخرجوا لسانَه مِن قَفاه!

فأخرجوا لسانَه فمات.



* قال المتنبِّي:

لـولا الـمَـشَـقَّـةُ سـادَ الـنَّـاسُ كـلُّـهـمُ    ألـجُـودُ يُـفـقِـرُ وَالإقـدَامُ قَـتَّـالُ

* قال يزيد بن المهلَّب يومًا لجُلسائه: أراكم تُعنِّفوني في الإقدام!

قالوا: نعم، والله إنَّكَ لترمي بنفسِكَ في المهالك!

فقال: إليكُم عنِّي، فوالله لو لم آتِ الموتَ مسترسِلًا، لأتاني مستعجِلًا،

إنِّي لستُ آتي الموتَ من حُبِّه، إنَّما آتيهِ من بُغضِه.

وقد أحسنَ الحُصَينُ بن الحُمام المُرِّيُّ حيث يقول:

تَأخَّرتُ أَستَبقِي الحَياةَ فَلَم أَجِدْ     لِنَفسِي حَياةً مِثلَ أن أَتَقَدَّمَا

* قال ياقوت الحمويُّ في "معجم الأدباء"(١): ورُوي أنَّه لَمَّا عزم السلطان محمود على قتلِ الطُّغْرائِي، أمر به أن يُشدَّ إلى شجرة، وأن يقفَ تُجاهَه جماعةٌ بالسِّهام، وأن يقفَ إنسانٌ خلفَ الشجرة يكتب ما يقول، وقال لأصحاب السِّهام: لا ترموه حتى أُشيرَ إليكُم، فوقفوا والسِّهامُ مفوَّقةٌ لرَميِه، فأنشدَ الطُّغْرائِيُّ في تلك الحالة:

ولقد أقُولُ لِمَن يُسدِّدُ سَهمَهُ     نَحْوِي وأَطرافُ المَنِيَّةِ شُرَّعُ
والمَوتُ في لَحَظاتِ أَحْوَرَ طَرْفُهُ     دُونِي وقَلبِي دُونَهُ يَتقَطَّعُ
باللهِ فَتِّشْ عن فُؤادِيَ هل يُرَى     فيهِ لغَيرِ هَوَى الأَحِبَّةِ مَوضِعُ
أَهوِنْ بِهِ لو لم يَكُن في طَيِّهِ     عَهدُ الحَبِيبِ وَسِرُّهُ المُستَودَعُ

فرَقَّ له، وأمرَ بإطلاقه، ثم إنَّ الوزيرَ أغراهُ بقتله بعد حينٍ فقتلَه.

## تكريمُ العالِم

أشرف الرشيدُ على الكِسائيِّ وهو لا يراه، فقامَ الكِسائيُّ ليلبَسَ نعلَه لحاجةٍ يريدُها، فابتدرَها الأمينُ والمأمونُ - وكان مؤدِّبَهُما - فوضَعاها بين يديه فقبَّل رؤسَهما وأيديَهما، ثم أقسمَ عليهما ألَّا يُعاوِدَا، فلمَّا جلسَ الرشيدُ مجلسَه، قال: أيُّ الناس أكرمُ خَدَمًا؟

قالوا: أمير المؤمنين أعزَّه الله.

---
(١) (٤/ ٥٢).

قال: بل الكِسائي؛ يخدُمه الأمينُ والمأمون؛ وحدَّثهم الحديث.

## طلَّقها أو طلَّقَته

جاءتِ امرأة إلى القاضي، وذكرَت أنَّ زوجَها طلَّقها، فقال القاضي: لك بيِّنة؟

فقالت: نعم؛ جارٌ لنا.

فأحضره القاضي، وسألَه: أسمعتَ طلاقَ هذه المرأة؟

فقال: يا سيِّدي خرجتُ إلى السوق فاشتريتُ لحمًا وخبزًا، ودِبسًا وزَعفَرانًا..

فقال له القاضي: ما سألتُك عن هذا، هل سمعتَ طلاقَ هذه المرأة؟

قال: ثم تركتُه في البيت وعدتُّ، فاشتريتُ حطبًا وخَلًّا..

فقال: دَعْ هذا عنك!

فقال: ما أُحسِنُ الحديثَ إلَّا بالحديث من أوَّله، ثم قال: جُلْتُ في الدار جَوْلَةً، فسمعت زعقاتهم، وسمعتُ الطلاقَ الثلاث، فما أدري أهي طلَّقَتْه، أم هو طلَّقَها؟!



* قال محمَّد بن شهابٍ الزُّهري: دخلت على عبد الملك بن مَرْوان في رجال من أهل المدينة، فرآني أحدثَهم سِنًّا، فقال لي: مَن أنت؟

فانتسبت إليه، فعرفني فقال: لقد كان أبوك وعمُّك نعَّاقين في فتنةِ

ابن الزُّبير!

قلت: يا أمير المؤمنين، مثلُك إذا عفا لم يَعُد، وإذا صَفَح لم يُثرِّب.

قال لي: أين نشَأت؟

قلت: بالمدينة.

قال: عند مَن طلَبت؟

قلت: عندَ ابن يَسَار وابن أبي ذُؤيب، وسعيد بن المسيّب.

قال لي: وأين كنتَ من عُروةَ بن الزُّبير؛ فإنَّه بحرٌ لا تكدِّره الدِّلاء؟!

* قال أبو الحسن بن محمَّد: ما خلق الله أحدًا كان أعرفَ بالحديث مِن يحيى بن معين؛ كان يُؤتَى بالأحاديث قد خُلطَت وقُلبَت، فيقول: هذا الحديث لذا، وذا لهذا.

فيكون كما قال.

## أبو حنيفةَ والخوارج

كان الخوارجُ حين دخلوا الكوفةَ انتهوا إلى أبي حنيفةَ رضي الله عنه فانتَضَوا سيوفَهم، فقالوا: يا عدوَّ الله، ما أحدٌ منَّا إلَّا وقتلُكَ عندَه أحبُّ إليه من عبادةِ سبعين سَنة، وقد جئناكَ بمسألتَين؛ فإن أجبتَ عنهما، وإلَّا أرَقْنا دمَك!

فقال: أنصِفوني، أغمِدوا السُّيوف، فإنَّ بريقَها يهُولُني!

فأبَوا، فقال: تكلَّموا.

فقالوا: جِنازتان على باب المسجدِ إحداهُما جِنازةُ شاربِ خمر شرِبَها فمات فيها غَرَقًا، والأخرى جِنازةُ زانيةٍ حَبَلَت وشرِبَت دواءً، فقتلَت جَنِينَها

وماتَت؟

فقال: أمنَ النصارى كانَا، أم منَ اليهود؟

قالوا: لا.

قال: فمن أيِّ المِلَلِ كانَا؟

قالوا: ممَّن يشهد أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله.

قال: فما يشهدانِ به من الكفر أم من الإيمان؟

قالوا: من الإيمان.

قال: أقول كما قال نوحٌ؛ في قومٍ كانوا أعظمَ جُرمًا منهم: ﴿... وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى﴾ [الشعراء: ١١٢ - ١١٣]، أو ما قال إبراهيم: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، أو ما قال عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٨]، وأقول ما قال نبيُّنا ﷺ: ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٣١].

فألقى القوم أسلحتَهم، وقالوا: تبرَّأنا ممَّا كُنَّا عليه!

* حُكي عن أبي حنيفة، قال: كنَّا نأتي حمَّادًا، فلا ننصرفُ عنه إلَّا بفائدة، فقال يومًا: إذا ورَدَت على أحدِكم مسألةٌ مُعضِلة، فليجعَل جوابَها منها.

فما رأيتُ قولَه شيئًا حتى دخلتُ يومًا دار المنصور، فخرجَ الرَّبيع، وسألني ممتحِنًا: أفتني في رجلٍ أمرَني أميرُ المؤمنين بقتلِه؛ أعليَّ في طاعته حرَج؟

فذكرت قول حماد؛ فقلت: أليس يأمرُك أمير المؤمنين بحقٍّ رآه؟

قال: نعم.

فقلت: افعَل؛ فكلُّ حقٍّ يأمُركَ به لا حَرَجَ عليك فيه.

## إمامةٌ بالقوَّة

كان يحيى بن اليَمان يصلِّي بقومه، فتعصَّب عليه قومٌ منهم، فقالوا: لا تصلِّ بنا، لا نرضاك، إن تقدَّمت نَحَّيناك!

فجاء بالسَّيف فسَلَّ منه أربعَ أصابع، ثم وضَعَه في المحراب، وقال: لا يدنو منِّي أحدٌ إلَّا ملأتُ السَّيفَ منه!

فقالوا: بينَنا وبينَك شَرِيك.

فقدَّموه إلى شَرِيك، فقالوا: إنَّ هذا كان يصلِّي بنا وكَرِهناه!

فقال لهم شَرِيك: مَن هو؟

فقالوا: يحيى بن اليَمان.

فقال: يا أعداءَ الله، وهل بالكوفة أحدٌ يُشبِه يحيى؟! لا يصلِّي بكم غيرُه.

فلمَّا حضرَته الوفاة، قال لابنه داود: يا بنيَّ كادَ دِيني يذهبُ مع هؤلاء، فإن اضطُرُّوا إليكَ بعدي، فلا تُصلِّ بهم.

* كان أبو العَلاء الهَمَذانيُّ من تلامذة الشيخ أبي العِزِّ المقرئ القَلَانِسِي، وكان يفضِّله على أصحابه؛ فشَقَّ ذلك عليهم، فاجتمعَ بهم يومًا - وفيهم أبو العَلاء - فسألهم الشيخُ أبو العزِّ عن اختلاف القرَّاء في قوله تعالى: ﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ﴾ [النور: ٣٥]، وأقاويلِ الأئمَّة فيها. فَسُقِط في أيديهم، وتاهوا في شَرْحها،

وما أجابوا بطائل، ثم أقبل الشَّيخ أبو العزِّ على أبي العَلاء، وقال: تكلَّم أنتَ فيها يا أبا العَلاء.

فشَرَع فيها وعدَّ بضعةَ عشَر قولًا، وأدَّى فيها حقَّها بأحسنِ إشارة، وأبلغِ عبارة.

فلمَّا فرَغَ نظرَ الشَّيخ أبو العزِّ إلى أصحابه الحاضرين، وقال: بهذا أُفضِّله عليكم، ولو أمهلتُكم مدَّة لَمَا قدَرتُم على الذي ذكره بديهةً من غير عزيمةٍ سابقة، ورَوِيَّةٍ سالِفة.

## أيُّهم المغبون؟

باع حَكيمُ بن حِزامٍ دارَه من معاويةَ بستِّين ألفَ درهم، فقيل له: غَبَنَكَ واللهِ معاوية!

فقال: واللهِ ما أخذتُها في الجاهليَّة إلَّا بزِقٍّ من خمر! أُشهدُكم أنَّها في سبيل الله، فانظروا أيَّنا المغبون؟!

## قتيلٌ ليسَ لأعظُمِه جَبْر

جاء يومًا عبد الله بن المعتزِّ في المسجد الجامع إلى أبي العبَّاس أحمد ابن يحيى؛ ليسلِّمَ عليه، فقام له وأجلسَه مكانَه، فداسَ ابنُ المعتزِّ قَلَمًا فكسَره، فلمَّا جلسَ قال لِمَن حولَه:

لِكَفِّيَ ثأرٌ عِندَ رِجلِي لأنَّها ... أَثارَت قَتِيلًا مَا لِأَعْظُمِهِ جَبْرُ



## دعـاء

اللهمَّ الْطُف بنا، فإنَّك لطيفٌ رحيم، ولا تسلِّط علينا بذنوبنا مَن لا يخافُكَ ولا يرحمُنا، واجعَلنا من أوليائكَ المفلحين، وحِزبكَ المنصورين، وعبادِكَ المتَّقين.

## أخلاقٌ عالية

قال الشيخ محمَّد بن عبد الهادي في كتابه "العقود الدُّرِّيَّة":

«سمعتُ الشيخ تقيَّ الدِّين رَحِمَهُ اللَّهُ يذكر أنَّ السُّلطان لَمَّا جلسَ بالشُّبَّاك أخرج من جَيبِه فتاوى لبعض الحاضرين في قتله، واستَفتاه في قتلِ بعضِهم، قال: ففهمتُ مقصودَه، وأنَّ عندَه حَنَقًا شديدًا عليهم لَمَّا خلعوه، وبايعوا الملكَ المظفَّر رُكنَ الدِّين بَيْبَرْسَ الجَاشْنَكِير، فشرَعتُ في مدحِهم والثناءِ عليهم، وأنَّ هؤلاء لو ذهبوا لم تَجِد مثلَهم في دولتك، أمَّا أنا فَهُم في حِلٍّ من حقِّي ومن جهتي، وسكَّنت ما عندَه عليهم.

قال: فكان القاضي زَين الدِّين بن مخلُوف - قاضي المالكيَّة - يقولُ بعد ذلك: ما رأينا أتقى من ابن تيميَّة: لم نُبقِ مُمكِنًا في السعيِ فيه، ولَمَّا قَدَرَ علينا عفَا عنَّا!».

## حوَّل السِّجنَ إلى مدرسةٍ صالحة

قال محمَّد بن أحمد بن عبد الهادي في كتابه "العقود الدُّرِّيَّة، من مناقبِ شيخ الإسلام أحمدَ بن تيميَّة":

«لَمَّا دخلَ الحبسَ وجَد المحابيسَ مشتغلين بأنواعٍ من اللَّعِب، يلتهُون بها

عمَّا هم فيه، كالشِّطْرَنجَ والنَّرد، ونحو ذلك من تضييعِ الصلوات، فأنكرَ الشيخُ عليهم ذلك أشدَّ الإنكار، وأمرَهم بملازمة الصلاة، والتوجُّهِ إلى الله بالأعمال الصالحة، والتسبيحِ والاستغفارِ والدُّعاء، وعلَّمهم من السُّنَّة ما يحتاجون إليه، ورغَّبهم في أعمالِ الخير، وحضَّهم على ذلك، حتى صارَ الحبسُ بما هو فيه من الاشتغالِ بالعِلم والدِّين خيرًا مِن الزوايا والرُّبُط، والخَوانقِ والمدارس، وصار خَلْقٌ من المحابيسِ إذا أُطلِقوا يختارون الإقامةَ عندَه، وكثُر المتردِّدون إليه، حتى كان السجنُ يمتلئ بهم».

* كتب شيخ الإسلام أحمد ابن تيميَّةَ من مصر إلى دمشق كتابًا جاء فيه: «تعلمون كثرةَ ما وقعَ في هذه القضيَّة منَ الأكاذيب المفتَراة، والأغاليطِ المظنونة، والأهواءِ الفاسدة، وأنَّ ذلك أمرٌ يجِلُّ عن الوصف، وكلُّ ما قِيلَ مِن كذبٍ وزُور، فهو في حقِّنا خيرٌ ونعمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور: ١١].

وقد أظهَر الله من نور الحقِّ وبُرهانِه ما ردَّ به إفكَ الكاذب وبُهتانَه، فلا أُحِبُّ أن يُنتصرَ من أحدٍ بسبب كذِبِه عليَّ، أو ظُلمِه وعُدوانِه، فإنِّي قد أحللتُ كلَّ مسلم، وأنا أحبُّ الخيرَ لكلِّ المسلمين، وأريدُ لكلِّ مؤمنٍ من الخيرِ ما أُحبُّه لنفسي، والذين كَذَبوا وظلموا، فهم في حِلٍّ من جِهتي، وأمَّا ما يتعلَّق بحقوق الله، فإن تابوا تابَ الله عليهم، وإلَّا فحُكم الله نافذٌ فيهم».

## يكتبُ بالفَحمِ في سِجنه

ذَكَر ابن عبدالهادي في "العقود الدُّرِّيَّة" عن شيخ الإسلام ابن تيميَّة في سجنه في آخر مرَّة سُجِن فيها، ومدتُّها سنتان وثلاثة أشهر وأيَّام؛ قال:

«وكان ما صنَّفه في هذه المدَّة قد خرجَ بعضُه من عندِه، وكتَبه أصحابُه، واشتهرَ وظهَر، فلمَّا كان قبل وفاته بأشهر ورَدَ مرسومُ السُّلطانِ بإخراج ما عندَه كلِّه، ولم يبقَ عندَه كتابٌ ولا ورقة، ولا دَواةٌ ولا قلم، وكان بعدَ ذلك إذا كتب ورقةً إلى بعض أصحابه يكتبُها بفَحْم».

ثم قال ابن عبدالهادي: «وقد رأيتُ أوراقًا عِدَّةً بعثَها إلى أصحابه، وبعضُها مكتوبٌ بفَحم».



* قال السيوطيُّ في كتابه: "نظمُ العِقيان، في أعيان الأعيان" في ترجمة أحمدَ بن إبراهيمَ العَسْقَلاني:

«وانتهَت إليه رياسةُ الحنابلة، ووَلِيَ التدريسَ بغالبِ المدارس العظيمة، كالجامعِ الطُّولُوني، والجامعِ الحاكمي، ومدرسةِ السُّلطان حسن، والشَّيخُونيَّة، والجمَّاليَّة، والمؤيِّديَّة والأشرفيَّة، وغيرها.

ثم وَلِي قضاءَ القُضاةِ بعدَ موتِ البدر البغدادي، فباشرَه بعِفَّة ونَزاهَة، وتواضُع مفرَد - بحيث لم يَتَّخذ له نقيبًا ولا حاجبًا - وتركِ تكلُّف، وحُسنِ مُعاشرة، وهذا شأنُ مَن يكون عريقًا في الرِّياسة أنَّ المنصِبَ لا يزيدُه إلَّا تواضُعًا، وطَرحًا للتكلُّف، والإكرامَ لا يَزيدُه إلَّا لِينًا ولُطفًا، والأراذلُ على الضدِّ مِن ذلك؛ إذا وُلُّوا وِلايَة ازدادوا تكبُّرًا وترفُّعًا، وإذا أُكرموا ازدادوا عُتُوًّا وطُغيانًا، وقد جاءَ بالإسناد عن السَّلَف قال: «احذروا صَولةَ الكريم إذا أُهين، واللئيمِ إذا أُكرِم، والحرِّ إذا جاع، والعبدِ إذا شَبع».

## عالمٌ نَحْوِي

عيسى بن عمر أبو عمرو الثَّقَفي، البَصْري، النَّحْوي، شيخ سيبويه، كان عالمًا كبيرًا، وإمامًا في اللُّغة والنحو والقراءات، من تلامذته: الخليل بن أحمد، والأصمعي، وسيبويه.

وقد لازَمَه سيبويه، وانتفع به، ومن كتبه "الجامع"؛ وقد أخذَه سيبويه، فزادَ عليه وبسَط، فهو "كتاب سيبويه" المعروف، والذي يُطلق عليه النُّحاة اسمَ "الكتاب" لشهرته، وكان سيبويه يسألُ شيخَه الخليلَ بن أحمد عمَّا أُشكِل عليه من كتاب "الجامع"، فسأله الخليل عمَّا صنَّف عيسى بن عمر، فقال: جمع بضعًا وسبعين كتابًا، ذهبَت كلُّها إلَّا كتاب "الإكمال"، وهو بأرض فارس، وهو الذي أشتغِلُ فيه، وأسألُكَ عن غوامضِه، فأطرقَ الخليل ساعةً، ثم أنشَد:

ذَهبَ النحوُ جميعًا كلُّهُ ... غيرَ ما أَحدَثَ عيسى بنُ عُمَرْ
ذاكَ إكمالٌ وهذا جامِعٌ ... وهُما للنَّاسِ شَمسٌ وقَمَرْ

وكان عيسى يتقعَّر في كلامه، ويأتي بألفاظٍ غريبةٍ في مخاطبته للناس؛ حَكَى الجوهريُّ في "الصِّحاح": أنَّه سقطَ يومًا عن حِماره، فاجتمعَ عليه الناس، فقال: ما لكُم تَكَأكَأتُم عليَّ كتَكَأكُئِكُم على ذِي جِنَّة؟! افْرَنْقِعُوا عنِّي! (يقصد: ما لكم تجمَّعتُم عليَّ كتجمُّعكم على مجنون، تفرَّقوا عنِّي).

قال بعضُهم: إنِّي حسبتُه يتكلَّم بالفارسيَّة حين قال هذا الكلام!!



# القسم الخامس

## طلبُ العلم وبَثُّه



## نعمةُ القراءةِ والكتابَة

امتنَّ الله على الإنسان بالقراءة والكتابة، فقال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١ - ٥]، وما أعظَمَها من نعمة، وما أكبرَها من فائدة! وسبحان الخلَّاق العليم، الذي خلقَ الإنسان وسوَّاه، وكرَّمه وفضَّله على كثير ممَّن خلق، فلولا ما علَّمه الله لبني آدمَ، هل كنَّا نقرأ هذه الأسفار، وتلك المجلَّدات الهائلة من العلوم والعرفان؟!

وهل كانت تستقيمُ حياةُ الناس؟! وكيف يستطيعون تدوينَ أفكارِهم وخواطرِهم؟! وماذا كنَّا نعرِفُ عن البشريَّة في مختلِف أطوارِها، وعلى تبايُن عهودِها ودُوَلِها؟! وكيف نعرِفُ الأديانَ والشرائعَ والأحكام؟! وبماذا كانتِ اللُّغة تُحفَظُ وتُضبَطُ مع تنوُّع أساليبها، وكثرة مفرداتها، واختلاف تصاريفها، والفروقِ بين مدلولاتها، وشواهدها ورواياتها؟!

ماذا تكون حالة البشريَّة لو لم تكن تَعرِفِ القراءة والكتابة؟! فما أعظَمَ النِّعم التي وهبَها الله لعباده، ولكنَّ أكثرَ الناس لا يشكرون!

أليس من الغريب أن تكون النِّعم لا تُقابَل بالشُّكر، والحمد لله على آلائه وأفضاله، فاتَّخذها بعضُ الناس ممَّن زاغ وطغَى وسيلةً للجحود والكُفر ومُعاداة الله؟!

وما ضرَّ اللهَ كفرُ الكافرين، ومعصيةُ العاصين، ولا نفعَه طاعةُ المطيعين؛ ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت: ٤٦].

كان من الأمَّة الإسلاميَّة المجيدة رُواةٌ حَفِظ الله بهم الدِّين، فنقلوه بأمانةٍ

وصِدق، ورَوَوهُ على أحسنِ الوجوه وأفضلِها، وكان منهم مَن بلغَ في الحفظ مكانةً نادرة، ومنزلةً سامية، حتى ليخالُها الإنسان لأوَّل وَهْلَةٍ ضربًا من الخيال، مع أنَّها الحقيقةُ المجرَّدة؛ فأبو هريرة وعائشة، وابن عمر وابن عبَّاس، وغيرهم من الصحابة الأكارم - عليهم رضوان الله - كانوا من الحفَّاظ المعدودين، وجاء بعدَهم أناسٌ كانوا في الحِفظ مبرِّزين، وللروايات ضابطين، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا.

## حفظ وذكاء

بينما كان ابنُ عبَّاس في المسجد الحرام، وعندَه نافعُ بن الأَزْرَق، وناسٌ من الخوارج يسألونه، إذ أقبل عمرُ بن أبي رَبِيعَة، فقال له ابن عبَّاس: أنشِدنا!

فأنشدَه:

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فَمُبكِرُ     غَداةَ غَدٍ أَمْ رائِحٌ فَمُهَجِّرُ

حتى أتى على آخرِ القصيدة، فأقبل عليه نافعُ بن الأزرق، فقال: الله يا ابن عبَّاس، إنَّا نضرِبُ إليكَ أكبادَ الإبل نسألُكَ عن الحلال والحرام، فتَثاقلُ عنَّا ويأتيك غلامٌ مُترَفٌ من مُترَفي قريش فينشدُك:

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إذا الشَّمسُ عارَضَتْ     فَيَخْزَى وأَمَّا بالعَشِيِّ فَيَخْسَرُ

فقال: ليسَ هكذا قال.

قال: فكيف قال؟

قال: إنَّه قال:

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إذا الشَّمسُ عارَضَتْ     فَيَضْحَى وأَمَّا بالعَشِيِّ فَيَخْصَرُ

قال: ما أُراكَ إلَّا وقد حفظتَ البيت!

قال: أجَلْ، وإن شئتَ أن أُنشِدَك القصيدةَ أنشدتُّكَ إيَّاها.

قال: فإنِّي أشاء!

فأنشدَه القصيدةَ حتى أتى على آخرها، وما سمِعَها قطُّ إلَّا تلكَ المرَّة صفحًا.

* قال المُزَنِي: قال لي الشافعي: رأيتُ ببغداد شابًّا إذا قال: حدَّثَنا، قال الناس كلُّهم: صَدَق!

قلت: مَن هو؟

قال: أحمد بن حنبل.

وقال أحمد بن سِنان: ما رأيتُ يَزيدَ بن هارون لأحدٍ أشدَّ تعظيمًا منه لأحمد بن حنبل، ولا رأيتُه أكرم أحدًا مثلَه، وكان يُقعده إلى جنبِه، ويوقِّره، ولا يمازحه.

قال بعض العلماء: مَنَّ الله تعالى على هذه الأُمَّة بأربعة في زمانهم: بالشافعيِّ بفقهه في حديث رسول الله ﷺ، وبالإمام أحمدَ بن محمَّد بن حنبل في المِحنَة، ولولا ذلك لكَفَر الناس، ويحيى بن مَعِينٍ لنفي الكَذِب عن حديث رسول الله ﷺ، وبأبي عُبَيد القاسم بن سلَّام لتفسير الغريب من حديث رسول الله ﷺ؛ قال: ولولا ذلك لاقتحمَ الناس في الخطأ.

* قال صالح ابن الإمام أحمد: عَزَم أبي على الخروج إلى مكَّة، ورافقَ يحيى بن مَعِين، فقال أبي: نحجُّ ونمضي إلى صنعاء إلى عبد الرزَّاق؛ قال: فمضَينا حتى دخَلنا مكَّة، فإذا عبدُ الرزَّاق في الطواف - وكان يحيى يعرِفُه - فطُفنا، ثم جئنا إلى عبد الرزَّاق فسلَّم عليه يحيى، وقال: هذا أخوك أحمد بن

حنبل، فقال: حيَّاه الله! إنَّه ليبلغني عنه كلُّ ما أُسَرُّ به، ثبَّته الله على ذلك.

ثم قام لينصرف، فقال يحيى: ألَا نأخذ عليه الموعِد؟

فأبَى أحمد، وقال: لم أغيِّر النيَّة في رحلتي إليه، أو كما قال.

ثم سافرَ إلى اليمن لأجله، وسمِعَ منه الكتبَ، وأكثرَ عنه.

* دخل عُروة بن الزُّبَير بستانًا لعبد الملك بن مَرْوان، فقال: ما أحسنَ هذا البستان!

فقال عبد الملك: أنت واللهِ أحسنُ منه؛ إنَّ هذا البستان يُؤتِي أُكلَه كلَّ عام، وأنت تُؤتي أُكلَك كلَّ يوم.

* قيل لبعض العلماء: أيُّ الأمور أمتع؟

قال: مجالسةُ الحُكماء، ومذاكرةُ العُلماء.

* قال بعض العلماء: اقصِد من أصنافِ العلم إلى ما هو أشهى إلى نفسِك، وأخفُّ على قلبِك؛ فإنَّ نفاذَكَ فيه على حسَب شهوتِكَ له، وسُهولتِه عليك.

* قال حنبل: جَمعَنا أحمدُ بن حنبل أنا وصالحًا وعبد الله، وقرأ علينا "المسند"، وما سَمِعَه غيرُنا، وقال لنا: هذا الكتاب جمعتُه وانتقيتُه من أكثرَ من سبعمئة ألف حديث وخمسين ألفًا، فما اختَلف فيه المسلِمون من حديث رسول الله ﷺ فارجعوا إليه فإن وجدتُّموه، وإلَّا فليس بحُجَّة.

## الصبر على نشر العلم

### الشافعيُّ وعِزَّة نفسِه

قال الرَّبيع بن سليمان: كان الشافعيُّ رحمه الله يُملي علينا في صَحْن المسجد،

فلحِقَته الشمس، فمرَّ به بعضُ إخوانه، فقال: يا أبا عبد الله، في الشمس؟!

فأنشأ الشافعيُّ يقول:

أُهِينُ لَهُم نَفْسِي لأُكرِمَها بِهِمْ   ولَنْ تُكْرَمَ النَّفْسُ التي لا تُهِينُهَا

## من آداب العلم

قال الشَّعبيُّ رحمة الله عليه: جالسوا العلماء؛ فإنَّكم إن أحسنتُم حمِدُوكم، وإن أسأتُم تأوَّلوا لكم وعذروكم، وإن أخطأتُم لم يُعنِّفوكم، وإن جهِلتُم علَّموكم، وإن شهِدوا لكم نفعوكم.

* قال دَغْفَلُ النسَّابة: إنَّ للعلم أربعة: آفةً ونُكْدًا، وإضاعةً واستِجاعَةً؛ فآفتُه النِّسيان، ونُكْدُه الكَذِب، وإضاعتُه وضْعُه في غير موضعه، واستِجاعَتُه أنَّك لا تشبعُ منه.

* وقالوا: لو أنَّ أهل العلم صانوا علمَهم، لسادوا أهلَ الدُّنيا، لكن وضعوه في غير موضعِه؛ فقصَّر في حقِّهم أهلُ الدُّنيا.

## علماء حفَّاظ

يُروَى عن بعض العلماء والأدباء في الحفظِ ما يُدهش، وما هو غريب، حتى ليَحار المرء؛ أيُصدِّقه أم يُكذِّبه؟! فإن نظر إلى ثقة الراوي، وصِحَّة السَّنَد، وقوَّة البرهان مالَ إلى التصديق، وإن رجع إلى الحال المشاهَدة، وضعفِ الذاكرة، ونُدرة مَن يحفظ كثيرًا، ساوَرَته الشكوكُ والرِّيَب.

ولكنَّه على كلِّ حال سيتأكَّد في النهاية أنَّه كان في القديم حُفَّاظ قد نبغوا في هذا الشأن، وبرَّزوا فيه، وصحَّتِ الأخبار عنهم؛ ممَّا لا يدعُ مجالًا للشكِّ

في صِدقِ ذلك وثُبوته، وأبصرتُ شخصين: أحدهما أستاذٌ لي - وإن كان لا يحبُّ أن يُلقَّب بأستاذ - فهو شيخٌ لي، كان حفظُه كثيرًا جدًّا، بحيث إذا سمعه الإنسان وهو يسرُد الآياتِ والأحاديثَ، والرواياتِ وأبياتَ الشِّعر، والمنظوماتِ والنوادرَ - انبَهَرَ وأصغى، وتمنَّى أن يستمرَّ الشيخ في درسِه لا يقطعُه رنينُ جَرَس، أو إزعاج سائل، وكنَّا نعُدُّ من النعم العظيمة علينا أن درسنا على عالِم بهذا الوصف، متَّعه الله بالصحَّة والعافية، ونفعَ بعلمه.

أمَّا الآخَرُ فهو أحد رُواة الشِّعر النَّبَطِي، فقد قال لي: إنَّه يحفظ القصيدةَ من أوَّل مرَّة يسمعها، وهكذا نرى شواهدَ تؤكِّد ما كنَّا نقرؤه ونسمعه عن الحفَّاظ المتقدِّمين.

## حفظ غريب

قال الأصمعي: ما بلغتُ الحُلُم حتى رويتُ اثنتي عشْرة ألفَ أرجوزةٍ للأعراب.

* وأقبل فتيانٌ إلى أبي ضَمْضَمٍ بعد العِشاء، فقال: ما جاءَ بكم؟

قالوا: جِئْنا نتحدَّث إليك.

قال: كذبتم يا خُبثاء! ولكن قُلتم: كَبِر الشيخ، فهلُمَّ بنا، عسى أن نأخذَ عليه سَقْطة. فأنشدهم لمئة شاعرٍ كلُّهم اسمه (عمرو).

* وقال الشَّعْبِي: لستُ لشيء من العلوم أقلَّ روايةً من الشِّعر، ولو شئتُ لأنشدتُّ شهرًا، ولا أُعيدُ بيتًا.

* وقال الحسن بن هانئ: رويتُ أربعة آلاف شِعر، وقُلتُ أربعة آلاف شِعر، فما رَزَأْتُ لشاعر شيئًا.

* ذكر أعرابيٌّ رجلًا، فقال: كان له عِلمٌ لا يُخالِطُه جَهل، وصِدقٌ لا يَشوبُه كَذِب، كأنَّه الوَبْل عند المَحْل.

* كان أبو الفضل الرِّيَاشيُّ من الحفَّاظ المعدودين، وكان من كِبار أهل اللُّغة، كثيرَ الرِّواية للشِّعر، أَخَذَ عن الأصمعي، وكان يحفظ كُتبَ الأصمعيِّ وكُتبَ أبي زيد كلَّها، وقرأ على أبي عثمانَ المازنيِّ "كتاب سيبويه"، فكان المازنيُّ يقول: قرأ عليَّ الرِّيَاشي "الكتاب"، وهو أعلم به منِّي.

* وقال الحسين بن عليِّ بن محمَّد الزَّبيديُّ اليمني:

خَيرُ ما وَرَّثَ الرِّجالُ بَنِيهِمْ ... أَدَبٌ صالِحٌ وحُسنُ ثَناءِ
ذاكَ خَيرٌ مِنَ الدَّنانيرِ والأَوْ ... راقِ في يَومِ شِدَّةٍ وَرَخاءِ
تِلكَ تَفْنَى والدِّينُ وَالأَدَبُ الصَّا ... لِحُ لا يَفْنَيانِ حَتَّى اللِّقاءِ

* لَمَّا صنَّف أبو عُبيدٍ القاسمُ بن سلَّام كتابَه "غريب الحديث" عَرَضه على عبد الله بن طاهر، فاستحسَنه، وقال: إنَّ عقلًا بعثَ صاحبَه على عملٍ مِثْل هذا لحقيقٌ ألَّا يخرجَ عنَّا إلى طلب المعاش!

فأجرى له عشرةَ آلاف درهمٍ في كلِّ شهر.

* بينما الشَّعْبيُّ جالسٌ في مجلسه، وأصحابُه حولَه يُناظرونه في الفِقه، وإذا شيخٌ بقُربِه قد أقبلَ عليه - بعد أن طالَ جلوسه - فقال له: إنِّي أجدُ في قَفاي حِكَّة، أَفَتَرى لي أن أحتجِم؟

قال الشَّعْبي: الحمد لله الذي حوَّلنا من الفِقه إلى الحِجامة.

* قال الأستاذ أحمد أمين في كتابه "إلى ولدي":

«إنَّنا في هذا الزمان أحوجُ ما نكون إلى مناراتٍ تضيء للسائرين في لُجَجِ الظلام، يكون شعارُهم القيامَ بالواجب مهما كلَّفهم؛ لأنَّه واجب، لا طلبًا

للصِّيت، ولا جَريًا وراءَ المجد، لا يعرفون المجاملةَ ولا النِّفاق، ولا يستهوِيهم وَعْد، ولا يُرهِبُهم وَعِيد، لسانُهم مُطابِقٌ لقلبِهم، وعَملُهم متَّفق مع وَحيِ ضميرِهم، فكُن إحدى هذه المنارات».

* قال أبو بكر بن دُرَيد:

جَهِلتَ فَعادَيتَ العُلومَ وأَهلَها كَذاكَ يُعادِي العِلمَ مَن هُوَ جاهِلُهْ
ومَن كانَ يَهْوَى أَن يُرَى مُتَصَدِّرًا ويَكرَهُ (لا أَدرِي) أُصِيبَتْ مَقاتِلُهْ

* قال يحيى بن سعيد: مَن أراد أن يبيِّن عملَه، ويظهِرَ علمَه، فليجلس في غيرِ مجلس رَهطِه.

* وقيل: أزهدُ الناس في عالِمٍ أهلُه.

## واجب المدرِّسين

إنَّ على المدرِّسين - وكلِّ مثقَّف - أن يدرُسَ تاريخَه الإسلاميَّ، وأن يُرشِد الطلَّاب إلى نواحي العظمة - وهي كثيرة - في تاريخهم المشرِّف، وما أدَّاه علماءُ الإسلام، وقادتُه وجندُه، وما لهم من جهود جليلة في الثقافة على مختلِف مَناحيها، وسيُدركون - عندَ ذاك - أنَّ إعجابَهم بثقافة الغرب ورجاله إنَّما جاء نتيجةَ الصُّدود عن تاريخهم وثقافتهم الإسلاميَّة الأصيلة، وأنَّ الأَوْلى بالتقدير والتنويه هم أولئكَ السَّلفُ الصالح، الذين نشروا علمًا نافعًا، كان خيرًا وبركةً على البشر أجمعين، وأنشؤوا حضارةً قائمةً على الفَهْم، والعدل والاستقامة.

## دعاء

اللهمَّ اغفِر لنا وارحَمنا، وتُبْ علينا، واعفُ عنَّا، واكفِنا شرَّ الحاسدين،

وأذى الحاقدين، ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].



## الإفتاء على جهل

من (البلاوي) التي عمَّتْ وانتشرَت، وهي كثيرةٌ يُنسِي آخرُها أوَّلَها، ويشغَلُ كبيرُها عن صغيرها، ويتفاقَمُ أمرُها حتى لم يَعُدِ المرء يدري ما الذي يطلق عليه اسمَ بليَّة، ممَّا يستحقُّ اسم رزيَّة وكارثة، فهي كما جاء في الحديث: «فِتن يُرقِّق بعضُها بعضًا»، وذلك من علامات الساعة وأشراطها.

أقول: إنَّ من (البلاوي) فتاوَى صارَت تَصدُر من بعض المنتسبين للعِلم، يزعمونها تجديدًا، وتسهيلًا وترخيصًا، وكأنَّ السلفَ كانوا في نظرهم مِن الغَباء بحيث أفتَوا بضدِّ ما يُفتي هؤلاء الذين يتلاعبون بالنصوص، ويفسرونها حسَبَ أهوائهم، ويتكلَّفون في تأويلها التكلُّفاتِ المتنطِّعة، ممَّا يتَّفق ومَرامَهم.

إنَّ الدِّين - بحمد الله - كامل، وقد بلَّغ الرسولُ ﷺ البلاغَ المبين، وكان أنصحَ الخَلقِ وأفصحَهم، وأكثرَهم أمانة، ولم يتوفَّه الله حتى أكملَ به الدِّين؛ ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، فمَن لم يرضَ بذلك، وأفتى بخلافِه، فهو إمَّا صاحبُ هوى يُخشَى عليه الفتنة، وإمَّا جاهلٌ لا يدري، ولا يَعرِف الأحكامَ الشرعيَّة، وإمَّا مغرورٌ قد زَيَّن له الشيطان، وظنَّ لنفسِه منزلةً لا يبلغُها.

قال قَتادةُ بن دِعامَةَ السَّدُوسِي: لو كان أحدٌ مكتفيًا من العلم لاكتفى نبيُّ الله موسى؛ إذ قال للعبد الصالح: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ﴾ [الكهف: ٦٦].



* قالوا: علِّم عِلمَك، وتعلَّم عِلمَ غيرِك؛ فإذا أنتَ قد علِمتَ ما جهلت،

وحفِظتَ ما علِمت.

* قال يحيى بن خالد: الناس يكتبون أحسنَ ما يسمعون، ويحفظون أحسنَ ما يكتبون، ويتحدَّثون بأحسنِ ما يحفظون.

* قال ابن عبَّاس: إذا تَرَك العالِمُ قول: (لا أدري) أُصِيبَت مقاتلُه.

## عبد الملك وعالمٌ متبحِّر

دخل رجلٌ على عبد الملك بن مَرْوان - وكان لا يسأله عن شيءٍ إلَّا وجدَ عندَه منه علمًا - فقال له: أنَّى لكَ هذا؟

فقال: لم أمنَع قطُّ - يا أميرَ المؤمنين - علمًا أُفيدُه، ولم أحتقِر علمًا أستفيدُه، وكنتُ إذا لَقِيتُ الرجلَ أخذتُ منه وأعطيتُه.

## نُكتَـة

خرج جُحا إلى السوق يشتري حمارًا، فلقيه صَدِيق له فسأله: إلى أين؟

فقال: إلى السوق؛ لأشتريَ حمارًا.

فقال: قُل: (إن شاء الله).

فقال: ليس ها هنا موضعُ (إن شاء الله)؛ الدراهمُ في كُمِّي، والحمارُ في السوق!

فبينما هو يطلب الحمار سُرِقتِ الدراهم، فرجع خائبًا، فلقِيَه صديقُه، فقال له: ما صنعتَ؟ قال: سُرقتِ الدراهمُ إن شاء الله!

فقال له صديقُه: ليس ها هنا موضعُ (إن شاء الله)!!

## يقتسمون ميراثَ الرسول

قال سليمان بن عمران: سمعتُ أسدَ بن الفُرات يقول: بلغني أنَّ قومًا كانوا يتناظرون بالعراق في العِلم، فقال قائل: مَن هؤلاء؟ فقيل: قومٌ يقتسمون ميراثَ رسول الله ﷺ.

## أدبُ التلميذ مع أستاذه

صلَّى زيد بن ثابت على جِنازة، ثم قُرِّبت له بَغلةٌ ليركبَها، فجاء ابن عبَّاس فأخذ برِكابه، فقال له زيد: خلِّ عنك يا ابن عمِّ رسول الله!

فقال ابن عبَّاس: هكذا يُفعل بالعُلماء والكُبراء.

## أثر العلم

وعن الحسن قال: كان طالِب العلم يُرى ذلك في سمعِه وبَصَرِه وتَخشُّعِه.

## مُذاكرةُ الحديث

وقال أبو سعيد: تذاكروا الحديث؛ فإنَّ الحديث يُهيِّج الحديث.

## سؤال العالم

* قال علي: ألَا رجلٌ يسأل فينتفِعُ، وينفعُ جُلساءَه؟

* قال عبد الرحمن بن أبي لَيلى: لا أُماري أخي؛ فإمَّا أن أكذِّبَه، وإما

أن أُغضِبَه.

* نظر جعفر بن محمَّد إلى فتًى على ثيابِه أثرُ المِداد، وهو يستُره، فقال له:

لا تَـجـزَعَـنَّ مِـنَ الـمِـدادِ؛ فَـإِنَّـهُ    عِـطـرُ الـرِّجـالِ وحِـلـيَـةُ الـكُـتَّـابِ

* قيل: عليكم بثلاث: جالِسوا الكُبراء، وخالِطوا الحُكماء، وسائِلوا العُلماء.

* يقال: أربعُ خِصالٍ يسودُ بها المرء: العلم والأدب، والعِفَّة والأمانة.

* قال سعيد بن جُبير: إنَّما يهمُّني أنِّي وددتُّ أنَّ الناس قد أخذوا ما معي من العِلم.

* وقال الرَّبيع بن سليمان: قال لي الشافعي: يا رَبيع، لو قدَرتُ أن أُطعمَك العِلم لأطعمتُك إيَّاه.

* قال المُهلَّب بن أبي صُفْرَة: لأنْ أرى لعقلِ الرجل فضلًا على لسانِه، أحبُّ إليَّ من أن أرى للسانِه فضلًا على عقله.

* قال خالد بن صفوان لابنه: يا بُنيَّ؛ الأدب بهاءُ الملوك، ورِياشُ السُّوقة، والناسُ بين هاتَين؛ فتعلَّمه تجِدْه حيثُ تحبُّ.

* قال بعض الشُّعراء:

نِـعـمَ الأَنِـيـسُ إذا خَـلَـوتَ كِـتـابُ    تَـلـهُـو بِـهِ إن مَـلَّـكَ الأَحْـبـابُ

لا مُـفـشِـيًـا سِـرًّا إذا اسـتَـودَعـتَـهُ    وتُـفـادُ مِـنـهُ حِـكـمَـةٌ وصَـوابُ

* قال سُفيانُ بن عُيَيْنَة: إنَّما العالِم مثلُ السِّراج، مَن جاء اقتبسَ من علمِه، ولا يَنقصُه شيئًا، كما لا يَنقُصُ القابسُ من نُور السِّراج شيئًا.

* وقال أبو الأسود الدُّؤَلِي: الملوك حكَّام على الدُّنيا، والعلماءُ حكَّام

على الملوك.

* كان رجلٌ يطلب العلم، فلا يقدِرُ عليه، فعزمَ على تَركِه، فمرَّ بماءٍ ينحدِرُ من رأس جبل على صخرة، قد أثَّر فيها، فقال: الماءُ على لَطافتِه قد أثَّر في صخرةٍ على كثافتها! والله لأطلبنَّ العلم، فطلبَ فأدرَك؛ وفي ذلك قال الشاعر:

أُطْلُبْ ولا تَضْجَرَ من مَطلَبٍ فَآفَةُ الطَّالِبِ أن يَضْجَرَا
أَمَا تَرَى الماءَ بتَكرارِهِ في الصَّخرَةِ الصَّمَّاءِ قد أَثَّرَا

* وقال سُفيان الثَّوري: اطلبوا العلم، ويحَكم! فإنِّي أخافُ أن يخرجَ منكم، فيصيرَ في غيرِكم؛ فإنَّه عِزٌّ وشَرَفٌ في الدُّنيا والآخرة.

* قال الشَّعْبِي: عليك بالصِّدق حيث ترى أنَّه يضرُّك؛ فإنَّه ينفعُك، واجتنِبِ الكذبَ في موضعٍ تَرَى أنَّه ينفعُك؛ فإنَّه يضرُّك.

## إصلاحُ المناهِج

مِن أُولى واجباتِ مَن يُريد الإصلاحَ أن يتَّجه لإصلاحِ الناحية العِلميَّة، وأن يسعى لأن يتلقَّى الطَّلبةُ وغيرهم العلمَ النقيَّ الصحيح.

وأوَّل ذلك: الاهتمامُ بدراسة القرآن الكريم وتفسيره، وبالأحاديث النبويَّة، وكلام السَّلَفِ الصالح، وسيرتهم وعلومهم؛ ليكونَ الشبابُ المسلم واعيًا يَقِظًا، ومتسلِّحًا بالعلوم النافعة.

وإنَّ تعديل بعضِ الكتب في (وِزارة المعارف)، وتطهيرَها من الشوائب، ممَّا يدعو للتفاؤل بأنَّ الشباب سيتلقَّى التوجيهَ السليم، وأنَّ الغيورين على مستقبل الإسلام، وعلى أبناء المسلمين يُدرِكون ما للتعليم من أهميَّة بالغة،

وأنَّهم حريصون على أن يسيرَ التعليمُ مواكبًا للدِّين، خادمًا له، لا مُصادِمًا مُعادِيًا، والدِّين - بحمد الله - جاء بكلِّ نافعٍ مُفيد، وحذَّر من كلِّ ضارٍّ ومُفسِد.

وإنَّ فيما نلمَسُه من مساعي الغيورين؛ لتشجيعِ الطَّلَبَةِ على حفظ القرآن، وبثِّ المدارس لتحفيظ القرآن - لدليلًا على أنَّ هذا الاتِّجاه سوف يَسيرُ من نجاح إلى نجاح، ومن ظَفَرٍ إلى ظَفَر.

## إلى المعلِّمين

قال عُتبة بن أبي سُفيان لمعلِّم بَنِيه:

ليكُن أوَّلَ ما تبدأ به من إصلاحِكَ بَنِيَّ إصلاحُ نفسِك؛ فإنَّ أعيُنَهم معقودةٌ بعَينِك، فالحسنُ عندَهم ما استحسَنت، والقبيحُ عندَهم ما استقبَحت، علِّمهم كتابَ الله، ولا تُكرِهْهم عليه فيمَلُّوه، ولا تتركهم منه فيهجُروه، ثم رَوِّهم من الشِّعرِ أعفَّه، ومِنَ الحديثِ أشرفَه، ولا تُخرجهم من علمٍ إلى غيره حتى يُحكِموه؛ فإنَّ ازدحام الكلام في السَّمع مَضِلَّة للفَهم، ورَوِّهم سِيرَ الحُكماء، وأخلاقَ الأُدباء، وجنِّبهم مُحادَثَةَ النِّساء، وتهدَّدهم بي، وأدِّبهم دُوني، وكُن لهم كالطبيب الذي لا يعجَلُ بالدواء حتى يعرفَ الداء، وإيَّاك أن تتَّكل على عذرٍ منِّي لك، فقد اتَّكلتُ على كفايةٍ منك، وزِد في تأديبهم أزِدكَ في بِرِّي إن شاء الله تعالى.

## تعلُّم النحو

كان أيُّوب السَّخْتِيانِيُّ يقول: تعلَّموا النَّحو؛ فإنَّه جمالٌ للوضيع، وتَركُه هُجْنَةٌ للشَّريف.

وقال أبو الأسود الدُّؤَلِيُّ ظالِمُ بن عمرو:

أَلعِلمُ زَينٌ وتَشرِيفٌ لِصاحِبِهِ فاطلُبْ - هُدِيتَ - فُنونَ العِلمِ والأَدَبا

كَمْ سَيِّدٍ بَطَلٍ آباؤُهُ نُجُبٌ كانُوا رُؤُوسًا فأَضحَى بَعدَهُم ذَنَبا

ومُقْرِفٍ خامِلِ الآباءِ ذِي أَدَبٍ نالَ المَعالِيَ بالآدابِ والرُّتَبَا

أَلعِلمُ ذُخْرٌ وكَنْزٌ لا نَفادَ لَهُ نِعمَ القَرِينُ ونِعمَ الخِدْنُ إن صَحِبَا

قَدْ يَجْمَعُ المالَ شَخْصٌ ثُمَّ يُحرَمُهُ عَمَّا قَلِيلٍ؛ فَيَلْقَى الذُّلَّ والحَرَبَا

يا جامِعَ العِلم نِعمَ الذُّخْرُ تَجمَعُهُ لا تَعدِلَنَّ بِهِ دُرًّا ولا ذَهَبَا

* قالوا: إنَّ تمامَ آلة العالِم أن يكون شديدَ الهَيْبة، رَزِينَ المجلس، وَقورًا صَموتًا، بطيءَ الالتِفات، قليلَ الإشارات، ساكنَ الحَرَكات، لا يصخَبُ ولا يغضَب، ولا يُبهَرُ في كلامه، ولا يَمسَحُ عُثْنُونَه عندَ كلامه في كلِّ حين؛ فإنَّ هذه كلَّها من آفاتِ العِيِّ.

* قال عبد الحميد الكاتب: مَن أخَّر الفُرصةَ عن وَقتِها، فليكُن على ثقةٍ من فَوْتِها.

* قال عليٌّ رضي الله عنه:

كلماتٌ لو رحَّلتُم المَطِيَّ فيهنَّ لا تُصيبوهنَّ قبلَ أن تُدركوا مثلهنَّ: لا يرجونَّ عبدٌ إلَّا ربَّه، ولا يخافنَّ إلَّا ذنبه، ولا يستحي مَن لا يعلم أن يتعلَّم، ولا يستحي إذا سُئِل عمَّا لا يعلم أن يقول: الله أعلم، واعلموا أنَّ منزلة الصبر من الإيمان كمنزلةِ الرأس من الجَسَد، فإذا ذهبَ الرأسُ ذهبَ الجسد، وإذا ذهبَ الصبرُ ذهبَ الإيمان.

قال الشاعر:

يُعَدُّ رَفيعُ القَومِ مَن كانَ عالِمًا وإن لم يَكُن في قَومِهِ بِحَسِيبِ

وإن حَلَّ أَرضًا عاشَ فيها بعِلمِهِ    وما عالِمٌ في بَلْدَةٍ بغَريبِ

* قال الحجَّاج لمعلِّم وَلدِه: علِّم ولدي السباحةَ قبلَ الكتابة؛ فإنَّهم يُصيبون مَن يكتب عنهم، ولا يُصيبون مَن يَسبَحُ عنهم.

* كتب عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه إلى ساكني الأمصار:

أمَّا بعد:

فعلِّموا أولادَكم السِّباحة والفُروسيَّة، ورَوُّوهم ما سارَ من المَثَل، وحَسُن من الشِّعر.

* قال بعضُ العلماء يمدحُ الحِفظ:

عَلَيكَ بالحِفْظِ دُونَ الجَمعِ في كُتُبٍ    فإنَّ للكُتْبِ آفاتٌ تُفَرِّقُهَا
ألماءُ يُغرِقُها والنَّارُ تَحرِقُهَا    واللِّصُّ يَسرِقُها والفارُ يَخرِقُهَا

* سأل رجلٌ أبا عُبيدةَ عَنِ اسمِ رجل، فقال: ما أعرف اسمَه.

فقال له بعض أصحابه: أنا أعرَفُ الناس به؛ اسمه خراش، أو خداش، أو رياش، أو شيء آخَر!!

* وصَف رجلٌ رجلًا، فقال: كان يغلَط في عِلمه من وجوه: يسمعُ غيرَ ما يُقال له، ويَحفظُ غيرَ ما يسمع، ويَكتُب غيرَ ما يحفَظ، ويُحدِّث بغيرِ ما يكتب!

* قال الحسن اللؤلؤيُّ: عبرتُ أربعين عامًا ما قِلْتُ ولا بِتُّ، إلَّا والكتابُ على صدري.

* وقال الشاعر:

وإنَّ عَناءً أن تُعَلِّمَ جاهِلًا    فَيَحسَبُ - جَهْلًا - أنَّهُ مِنكَ أَعلَمُ
مَتَى يَبلُغُ البُنيانُ يَومًا تَمامَهُ    إذا كُنتَ تَبنِيهِ وغَيرُكَ يَهدِمُ؟!

مَتَى يَنتَهِي من سَيِّئٍ مَن أَتَى بِهِ    إذا لم يَكُن مِنهُ عَلَيهِ تَنَدُّمُ؟!

* قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: لا يَعرِف فضلَ أهل العلم إلَّا أهلُ الفضل.

* قال بعضُ العلماء: مَن أكثر المذاكرةَ بالعلم لم ينسَ ما عَلِم، واستفادَ ما لم يعلَم.

* وقال الشاعر:

إذا لم يُذَكِّرْ ذُو العُلوم بعِلمِهِ    ولم يَستَفِدْ عِلمًا نَسِي ما تَعلَّمَا

فكَم جامِعٍ لِلكُتْبِ من كُلِّ مَذهَبٍ    يَزِيدُ مَعَ الأيَّامِ في جَمْعِهِ عَمَى

* وقد قيل: عندَ الامتحان يُكرَم المرءُ أو يُهان.

## الفُضَيلُ بن عِياض

قال الفُضَيل بن عِياض: العملُ لأجلِ الناس شِرك، وتَركُ العمل لأجلِ الناس رِياء، والإخلاصُ أن يُعافيَك الله منهما.

وقال في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، قال: يعني: أخْلَصَه وأصْوَبَه، إنَّ العمل يجب أن يكون خالصًا لله، وصَوابًا على متابعة النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

## الكِسائيُّ والرَّشيد

قال الكِسائيُّ: صلَّيتُ يومًا بالرشيد، فأعجبَتني قراءتي، فغلِطتُ غلطةً ما غلِطها صبيٌّ؛ أردتُّ أن أقول: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، فقلت: (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعِينَ)، فما تجاسَر الرشيدُ أن يردَّها، فلمَّا سلَّمتُ قال: أيُّ لغة هذه؟

فقلت: إنَّ الجوادَ قد يعثُر!

فقال: أمَّا هذا فنَعَم.

## سِيرةُ الرَّشيد

كان الخليفةُ هارون الرَّشيد من أحسن الناس سِيرة، وأكثرهم غزوًا وحَجًّا، وفعلًا للخيرات، وقد قال فيه أبو المعلَّى الكِلابي:

فمَن يَطلُبْ لِقاءَكَ أو يُرِدْهُ ... فبِالحَرَمَينِ أو أَقصَى الثُّغُورِ
فَفي أرضِ العَدُوِّ عَلَى طِمِرٍّ ... وفي أرضِ التَّرَفُّهِ فَوقَ كُورِ
وما حازَ الثُّغُورَ سِواكَ خَلْقٌ ... مِنَ المُتَخَلِّفينَ عَلَى الأُمورِ

## العلمُ بَحر

العلم بحرٌ لا ساحلَ له، ولا حدَّ لغايته، كلَّما أوغَلَ فيه المرءُ طلبًا وتحصيلًا أبصر بُعدَ مَداه، وسَعةَ محيطه وعُمقَه، وهو يجدُ في الغَوصِ لذَّة، وفي البحثِ مُتعة، وفي الطَّلب هَناءً.

وإذا سمع العُذَّال يلومونه أعرَض عن مشورتهم، وتجنَّب خُلطتَهم، إذا لم يقدر على إقناعهم بخطأ رأيهم، واختلالِ فِكرتهم، والعلمُ نورٌ وهدايةٌ وسعادة.

## المتعمِّق في العلم

قال بعضُ العلماء: المتعمِّق في العلم كالسابح في البحر، ليس يرى أَرضًا، ولا يعرفُ طُولًا ولا عَرضًا.

## أنواعُ العلوم

قال الإمام الشافعي: مَن تعلَّم القرآنَ عَظُمَت قيمتُه، ومَن تعلَّم الفقهَ نَبُلَ مقدارُه، ومَن كتب الحديثَ قوِيَت حُجَّتُه، ومن تعلَّم الحسابَ جَزُلَ رأيُه، ومَن تعلَّم اللُّغةَ رَقَّ طبعُه.

## العُلماءُ والأغنِياء

قيل لبعضهم: العلم أفضل أمِ المال؟

قال: بل العلم.

قيل: فما بالُنا نرى العُلماءَ على أبواب الأغنياء، ولا نكادُ نرى الأغنياءَ على أبواب العُلماء؟ فقال: ذلك لمعرفةِ العُلماءِ بمنفعة المال، وجَهلِ الأغنياء بفَضلِ العلم.

## الأوزاعي

* قال الأوزاعي: إذا أرادَ الله بقومٍ شرًّا أعطاهم الجَدَل.

* قال ابن عبَّاس رضي الله عنه: اذكُر أخاك إذا غاب عنكَ بما تحبُّ أن يذكرَكَ به، ودَعْ منه ما تحبُّ أن يدَعَ منك.

## التَّصحِيف

قال الأصمعي - وذكرَ رجلًا يصحِّف -: كان يسمعُ فيَعِي غيرَ ما يسمع، ويكتبُ غيرَ ما وَعَى، ويقرأ في الكتاب غيرَ ما هو فيه!

وكان ابنُ سِيرينَ إذا سُئِل عن مسألةٍ فيها أُغلوطة، قال للسائل: أمسِكْها حتى تسألَ عنها أخاك إبليس!

## عَطاءُ بن أبي رَباح

قيل لأهل مكَّة: كيف كان عطاءُ بن أبي رَباحٍ فيكم؟

قالوا: كان مِثلَ العافيةِ التي لا يُعرَف فضلُها حتى تُفقَد.

أمَّا لونُه وهيئتُه، فكان أسودَ أعوَر، أفطسَ أشَلَّ، أعرجَ، ثم عَمِي.

## فضلُ الصَّحابة

قال الحسنُ البصريُّ - وقد ذُكِر عندَه الصحابةُ ﷺ -: شَهِدوا وغِبْنا، وعَلِموا وجَهِلنا، فما اجتمعوا عليه اتَّبعْنا، وما اختلفوا فيه وَقَفْنا.

* قال بديعُ الزمانِ الهَمَذاني:

العِلمُ شيءٌ بعيدُ المَرام، لا يُصادُ بالسِّهام، ولا يُقسَمُ بالأَزْلَام، ولا يُرى في المَنام، ولا يُورَثُ عنِ الآباء والأعمام، وزَرْعٌ لا يزكو إلَّا متى صادَف من الحَزْمِ ثَرًى طيِّبًا، ومن التوفيقِ مَطَرًا صَيِّبًا، ومن الطَّبْعِ جَوًّا صافيًا، ومِن الجُهدِ رُوحًا دائِمًا، ومن الصَّبرِ سَقيًا نافِعًا، وعَرَضٌ لا يُصاب إلَّا بافتِراشِ المَدَر، واستنادِ الحَجَر، ورَدِّ الضَّجَر، ورُكوبِ الخَطَر، وإدمانِ السَّهَر، واصطِحابِ السَّفَر، وكثرةِ النَّظَر، وإعمالِ الفِكَر.

* قيل في الاجتهاد والمثابَرة: لا تُنالُ الراحةُ إلَّا بالتَّعَب، ولا تُدرَكُ الدَّعَةُ إلَّا بالنَّصَب.

* قال بعضُ الحُكماء: بادروا بتأديبِ الأطفال، قبلَ تراكُم الأشغال،

وتفرُّق البال.

* اختار أهل حمص شيخًا لهم، لم يكن فيهم أعقلُ منه ولا أكملُ، مع ابنين له، معروفَين عندَهم بالعقلِ والكمال، وأوفدوهم إلى الرشيد لمَظلِمَة كانت بهم، فلمَّا وردوا الباب، وأُذِن لهم دخل الشيخ، فقال: السلام عليك يا أبا موسى.

فعلم أنَّه أحمق، وأمَرَه بالجلوس، ثم قال: يا شَيخ؛ أحسبُكَ قد طلبت العلم، وجالستَ العلماء؟ قال: نعم يا أبا موسى!

قال: مَن جالستَ من العلماء؟

قال: أبي.

قال: وما كان يقولُ في عذاب القبر؟

قال: كان يكرهه، فضَحِك الرشيدُ ومَن حضر.

ثم قال: يا شيخ، مَن حفرَ البِحارَ فيما سمعت؟

فسكتَ الشيخ، فقال أحدُ ولدَيه: قد حفرَها موسى حين طرق له.

قال: فأين طِينُها؟

فقال الولدُ الثاني: الجِبال.

ففرِح الشيخ بحُسنِ جوابِ ولدَيه، وقال: والله ما علَّمتُهما، ما هو إلَّا إلهامٌ من الله تعالى، وله الحمد.

* وقال حمزة بن علي بن العَين زَرْبي:

ألمالُ يَرفَعُ ما لا يَرفَعُ الحَسَبُ والوُدُّ يَعطِفُ ما لا يَعطِفُ النَّسَبُ
والحِلمُ آفَتُهُ الجهلُ المُضِرُّ بِهِ والعَقلُ آفَتُهُ الإعجابُ والغَضَبُ

كان سُفيانُ الثَّوريُّ يقول: قال لي ابنُ مُناذِر: أَصِفُ لكَ أصحابَك؛ أمَّا الأصمعيُّ فأحفظُ الناس، وأمَّا أبو عُبيدةَ فأجمعُهم، وأمَّا أبو زيد الأنصاريُّ فأوثقُهم.

## غَيرَةٌ مُفرِطة

قال الدكتور مصطفى السِّباعي - غفر الله له - في كتابه "من روائع حضارتنا" في معرِض حديثه عن المكتبات، وما أصابها من النكَبات:

«وأغربُ النكَبات ممَّا يثيرُ الضَّحك ما تفعله الحماقةُ بالعِلم وكُتبه؛ فقد كان للأمير ابن فاتك - من أمراء مصر في القرن الخامس الهجري - مكتبةٌ ضَخمة، كان يجلسُ فيها أكثرَ أوقاته ولا يُفارقها، وكانت له زوجةٌ كبيرةُ القَدْر من أرباب الدولة، ولكن داخلَتْها الغَيرةُ من الكتب، فلمَّا توفي نهضَت هي وجواريها إلى خزائن كتبه، وفي قلبها لَوعةٌ من الكتب؛ لأنَّه كان يشتغل بها عنها، فجعلت تبكيه وتندُبه، وفي أثناء ذلك تَرمي الكتبَ في بِركةِ ماء كبيرة في وسَط الدار هي وجَواريها!

هكذا فعلَت زوجةٌ أحنَقَها وَلَعُ زوجها بالكتب، فانتقمَت من الكتب بعدَ وفاته، ولا يزال في زوْجاتِنا مَن يَغَرْنَ من الكتب، كما غارَت تلك الزوجة الفاضلة، وقديمًا كانَت زوجةُ الإمام الزهريِّ تقول له حين تراه غارقًا في الكتب: واللهِ لهذه الكتبُ أشدُّ عليَّ من ثلاثِ ضرائر!».

* قال ابن مسعود رضي الله عنه:

لو أنَّ أهل العِلم صانوا علمَهم، ووضعوه عندَ أهله، لسادوا به أهلَ زمانهم، ولكنَّهم بذلوه لأهل الدنيا؛ لينالوا به مِن دنياهم، فهانوا على أهلها؛ سمعتُ نبيَّكم ﷺ يقول: «مَن جَعَل الهمومَ همًّا واحدًا كفاه الله همَّ آخِرته،

ومَن تشعَّبَت به الهمومُ في أحوال الدُّنيا لم يُبالِ الله في أيِّ أودِيَتها وَقَعَ».

* قال بعض العلماء: لستُ أطلبُ العِلم طَمَعًا في بلوغ غايته، والوقوف على نهايته، ولكن التِماسَ ما لا يَسَعُ جهلُه، ولا يَحْسُن بالعاقل إغفالُه.

* قال سعيد بن سلَّام البصري: سمعتُ أبا حنيفةَ النُّعمانَ يقول: لقيتُ عطاءَ بن أبي رباحٍ بمكَّة، فسألتُه عن شيء، فقال: مِن أين أنت؟

فقلت: مِن أهل الكُوفَة.

قال: أنت مِن أهل القرية الذين فرَّقوا دِينَهم وكانوا شِيَعًا؟!

قلت: نعم!

قال: فمِن أيِّ الأصناف أنت؟

قلت: ممن لا يسبُّ السَّلَف، ويؤمِن بالقَدَر، ولا يُكفِّر أحدًا من أهل القِبلة.

قال عطاء: عَرَفْتَ فالْزَم.

## أوقاتٌ للراحة

كان السَّلفُ الصالح رهبانًا باللَّيل، أُسودًا بالنهار، وكانوا مع التُّقى والعِفَّة والصلاح يمزحون، ويُعطون النفسَ حقَّها من الراحة، ويدَعون أوقاتًا للعُطلةِ والاستِجمام، فلا يُكثرون على طالِب العلم؛ لئلَّا يسأمَ ويضجَر، ولا يوالون المواعظَ والزواجِر؛ خوفًا من المَلَل، وحتى يعلمَ الناس أنَّ في الدِّين فُسحةً، وأنَّه دِينُ اليُسرِ والسَّماحة، وقد فهِموا الدِّين حقيقة، وقاموا به أحسنَ قيام؛ فانتصروا، وفتحوا الدُّنيا، ونشروا العلمَ في أنحاء الدُّنيا، وأشادوا حضارةً زاهيةً وارفةَ الظِّلال، استمتع بها العالَم قرونًا طويلة، وحين ضَعُف

أمرُ المسلمين، وانخدعَ بعضُهم بتقليد الغَربِ والإعجابِ به، متجاهلًا مجدَه وتاريخَه، ومتهاونًا بدِينه وعقيدته - أصابَ العالَمَ من الاختلال وفِقدان الاستقرار، الذي كان ينعَمُ به في قوَّة المسلمين الشيءُ الكثير.

فهل تُشرِق حضارةُ المسلمين على العالَم القَلِق المهدَّد بالدمار والحروب؟! وهل يدرك أولئك الناصِبون العداوةَ للإسلام أنَّه دينُ هداية وسعادة، وأنَّه رحمةٌ للعالَمين؟!

## تفاوتُ أثَر المتكلِّم

أُستاذان لك، يختلف تأثيرُهما عليك، وصَدِيقان لك، تُصغي لواحدٍ منهما، وتأخذُ برأيه، وتقبل مشورتَه، وآخَرُ قد لا ترضَى برأيه، ولا تعملُ بمشورَتِه، وإن كنتَ لا تشكُّ في حُسنِ نيَّته.

وواعظان يُلقيان على الناس المواعظ، فيكون لواحدٍ منهما القَبولُ والرِّضا، ويكون حظُّ الثاني من ذلك بخسًا أو معدومًا.

وترى أشخاصًا لأوَّل مرَّة، فتأنَسُ ببعض منهم، وتطمئنُّ إليه، وتتحفَّظ أمامَ الآخرين، وربَّما - ولأسباب تجهلُها - كرهتَ أحدًا منهم، مع أنَّه لم يسبِق لك معرفةٌ به مِن قبل، وتشعرُ بنُفورٍ منه.

ولستُ أريد الخوضَ فيما قاله علماء النفس من تعليلات، لا أحسَبُها صحيحةً كلَّها، وإن كان فيها بعضُ الصحَّة، وليس فيها الشمول، وإن كان فيها أجزاءٌ من الحقيقة.

إنَّ للنيَّة الحسنة بلا ريبٍ أثرًا في القَبول، وعكسُها النيَّة المدخولة، وطريقة اللِّقاء والكلام والتعبير لها دَور في الرِّضا والسَّخَط، والإقبال

والإعراض، ولكن هناك حالاتٌ تبقَى محتاجةً إلى تفسير أكثر، وإلى أن يتمَّ الكشف عن أسبابها ومسبِّباتها - إن كان ذلك ممكنًا - سنتوقَّف متأمِّلين، وعلى كلِّ حال فإنَّ قدرة الله لا حصرَ لها، ولا إحاطةَ بها، وهو الحكيم العليم.

## من صُنوف الغزوِ الفكري

من صُنوف الغزو الفكريِّ الذي يركِّز عليه أعداءُ الإسلام على اختلاف نِحَلهم ومعتقداتهم: الناحية التعليميَّة، ومحاولةُ توجيهها وِجهةً تُبعدها عن أهدافها، وتُخرجها عن إطارها.

إنَّهم يعرفون ما للتعليم مِن أثرٍ في تربية النشء، واتِّجاه المجتمع؛ لذلك فَهُم يعمِدون إلى القضاء على التعليم الدِّينيِّ الإسلاميِّ، وإذا لم يمكنهم ذلك لسببٍ من الأسباب، فإنَّهم يغيِّرون وِجهتَه؛ ليصبحَ قليلَ الأثر، وربَّما كانوا يهدفون لإبقاء الأسماء؛ اجتذابًا للناس، وكسبًا لثِقَتهم، بينما الحقيقة أنَّه لم يَبقَ إلَّا الاسم، أمَّا الجوهر فهو مغايرٌ لذلك تمامًا، وشتَّان بين الاسم والمسمَّى!

ولعلَّ المعاهدَ الدِّينيَّة والمدارسَ الدينيَّة كانت من أوَّل ما عُني أعداءُ الإسلام بالإجهاز عليه كليًّا أو جزئيًّا، ونحن نعرف أنَّ بعض المعاهد الدِّينيَّة في بُلدانٍ عربيَّةٍ قد غيِّرَت مناهجُها وطرائقُها، حتى أصبحتِ اسمًا على غير مسمَّاه.

ولقد أكثروا فيها من الموادِّ الدراسيَّة ما جعل العلومَ الدِّينيَّة تتضاءل، أو تكادُ تنعدِم، فيتخرَّج منها الطالِب وكأنَّه أصبحَ من عُلماءِ المسلمين وفُقهائِهم، وهو من أجْهل الناس بالعلوم الدِّينيَّة، وأبعدهم عنها!! ولا تَسَلْ عمَّا يجرُّه

هذا الوضعُ من نتائجَ غيرِ حميدة.

إنَّ قِلاعَ العلوم الدِّينيَّةِ يجب أن تظلَّ صامدةً قويَّة، لا تُزعزِعُها رياحُ الأباطيل، ولا ينخدع المسؤولون عنها بالدَّعاوى الزائفة، والترويجات الفاسِدة، إنَّ من هؤلاء كثيرين لا يُشكُّ في غَيرَتِهم وطِيبَتِهم، ولكنَّهم قد لا يُدركون المقاصدَ من وراء بعض الدعاوى السيِّئة، ولا يعلمون ما تُعقِبُه من شُرور ومخاطر.

إنَّها أمانةٌ، وإنَّها مسؤوليَّة؛ فـ«كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رَعِيَّته».

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

## تكريمُ النابغين

الأمَّة التي تكرِّم نابغِيها، وتقدِّر موهوبيها، وتشجِّع أذكياءَها، وتحترِمُ عُقلاءها، وتُطيعُ وُلاتَها المصلحين، وتُجلُّ عُلماءها المتَّقين، وتُعنى بأدبائها الفاهمين، هي أمَّةٌ مآلُها الفوز، وعُقباها الظَّفَر، وهي وشيكةٌ أن تصعدَ إلى أَوجِ العُلا، وأن ترقى إلى المجدِ على عَجَل.

أمَّا إذا كان العكس هو الواقعَ، فإنَّ ذلك نذيرٌ بالتفتُّت والتمزُّق، وضياع الأمور، واختلاط الحابلِ بالنابِل، والنكوصِ إلى الوراء، والارتِكاسِ في حَمْأةِ الحَسَد والوِشايات، وطَمرِ الكفاءات، والاشتغال بالقِيلِ والقال، والادِّعاءِ العَريض، والجهلِ الكثير، واتِّباع كلِّ ناعق، والسَّيرِ في رِكاب الإمَّعاتِ والغَوغاءِ ودُعاةِ الباطل، اللهمَّ ارحمنا برحمتك يا ربَّ العالمين.

فالتربيةُ الصحيحة تُولِي النابغين والموهوبين والأذكياءَ من الطلبة عنايةً

خاصَّة، وتدعو لتوفير أسباب الراحة لهم، وتشجيعهم على إبراز مواهبِهم وصَقلها، فيهتمُّون بهم؛ ليواصلوا تعليمَهم، ويختاروا التخصُّص الذي يتَّفق مع ميولهم.

ولو أنَّ البُلدانَ تختلف في هذه المسألة من ناحية التطبيق اختلافًا شاسعًا؛ فبلادٌ تشجِّع الموهوبين والأذكياء تشجيعًا هائلًا، وتقدِّم لهم المساعدات الكبيرة، وترعاهم وتهتمُّ بشؤونهم، وبلاد تُقبَر فيها الكفاءات، وتُوأَد المواهب، وليس المجال هنا مجالَ مقارَنة ومفاضَلة.

ولكن أردتُّ أن أقول: إنَّ الرسول ﷺ كان يشجِّع الأذكياء، وكذا صحابته الكرام، وتاريخُنا الإسلاميُّ حافلٌ بالأمثلة الكثيرة، فليس ذلك مِن مِيزات التربية الحديثة المأخوذةِ عن الغربِ والحضارة الغربيَّة، ولكن لذلك تاريخٌ في الإسلام، ومكانةٌ لدى المسلمين قبل أن توجَد الحضارة الغربيَّةُ بقُرون كثيرة.

وقد نبغَ في المسلمين عُلماءُ متبحِّرون، وشُعراءُ مجيدون، وخُطباءُ مشاهير، وقد بلغَ من تفوُّق أحدهم حدًّا يُضرَب به المثل، ويُبهِر بما وصلَ إليه من مكانةٍ مرموقة، ومنزلةٍ سامِية.

وإذا كان من المتأدِّبين في هذا العصر مَن صرفَته صوارِف، وشغلَته شواغِل، أو شوَّش ذهنَه بالتفاهات، وقنِعَ بها عن جيِّد تراثه وجَزْلِ الأدب ورفيعِه، مُستعِيضًا عن هذا بأدب المُجون والانحلال، وسخافات الهُراء والإسفاف؛ فإنَّ هذا هو الشَّطَط والخَطَل، وخيرٌ لهم أن يعودوا لكنوزهم الدفينة، ومنائرِهم الشاهقة، ومناهِلِهم الصافية؛ ففي هذا الطريق سبيلُ النجاح، والسلامةُ من المهالك والعَثَرات.

كان العرب في جاهليَّتهم وإسلامهم يقدِّمون النابهين، ويُكرِّمون

المتفوِّقين، ويشجِّعون المجدِّين، وإذا كان في عصور الضَّعف والوَهَنِ معاكسةٌ لهذه القاعدة، فليس معنى هذا أنَّ العرب كانوا على تلك الصِّفة المتخلِّفة، ولا أنَّ الغربيِّين هم الذين ينفردون بمَزِيَّة تشجيع الأذكياء، وإفساح المجال أمامَ ذوي المواهب.

*وقال الحسين بن أحمد المعروف بابن الحجَّاج:

تَصَدَّرَ لِلْتَّدْرِيسِ كُلُّ مُهَوِّسِ ... بَلِيدٍ تَسَمَّى بِالْفَقِيهِ الْمُدَرِّسِ
فَحُقَّ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَمَثَّلُوا ... بِبَيْتٍ قَدِيمٍ شَاعَ فِي كُلِّ مَجْلِسِ
لَقَدْ هَزُلَتْ حَتَّى بَدَا مِنْ هُزَالِهَا ... كُلَاهَا وَحَتَّى سَامَهَا كُلُّ مُفْلِسِ

## أُعجوبة

طفلٌ لبنانيٌّ في الرابعة من عُمره يعرِف عاصمةَ كلِّ بلد في العالَم، وأسماءَ رؤساء الدُّول، ويعرِف أنواعَ السيَّارات والطائرات، ويفرِّق بين الطائرات الحربيَّة والمدنيَّة، ويحدِّد الدولةَ التي تصنع تلك الطائرات، وله ذاكرةٌ مدهِشة؛ فهو يحفظُ كلَّ ما يسمعُه، أو يطَّلع عليه من أسماءٍ وحوادثَ، وتفصيلات دقيقة، وأسماءِ المشاهير، ولا ينسى شيئًا مما يُذكَر أمامَه مرَّة واحدة، فهو يحفظ غيبًا ودونَ تَكرار، ثم لا ينسى ذلك، وهو يُتقن العربيَّة، واليابانيَّة، والفَرَنسيَّة بطَلاقة، ويفهم الإنكليزيَّة والتُّركيَّة!!

واسمُ هذا الطفل العجيب: داتو حسن بك الهبري، أبوه لُبناني، وأمُّه يابانيَّة، فسبحان الخالق الوهَّاب!!

## إضاعةُ الفُرص

تُرى كم من الناس عندَه من الأسباب للهَناء والراحة، ولكنَّه لا يعرِف

كيف يستفيدُ من تلك الفُرَص السانحة؛ فتذهبُ من بين يديه سُدًى، ولا يشعر بفَداحَة الخَسارة إلَّا بعد فَوات الأوَان؟!

ولأضرب مثلًا - بضحِكات الأطفال وأحاديثهم البريئة وأمانيهم، وتخيُّلاتهم واستفساراتهم؛ هل جرَّبتَ أن تُصغي سمعَك لهم، وتُشاركهم في مشاعرهم، وتقدِّر لهم آمالَهم، وتتعرَّف على مشكلاتهم، وتندمجَ في جَوِّهم؟ ستشعر - إن فعلت - أنَّ شيئًا قد طرأ على حياتك، وأنَّك عِشتَ في جوٍّ مَرِح لطيف، مُشبَعٍ بالبراءة والسَّماحة، بعيدٍ عن التعقيد والالتِواء، والمكرِ والدسائس والبَغضاء، سترى أنَّك في مجتمعِ الحبِّ والوفاء، والنُّبلِ والطِّيبة، وستحسُّ بسعادةٍ غامرة، وهَناء وارِف.

وستتمنَّى لو أنَّك أدركتَ هذه المعاني منذ زمنٍ بعيد، ولم تهرُب تلك الأوقاتُ منك وتفرِّطْ فيها؛ لأنَّك لم تكن تدركُ أنَّها على هذا المستوى من العَظمة والفائدة، وبالتأكيد ستحرِص على اغتنامها مستقبلًا.

براءة الطفولة بهجةُ النفس وقُرَّةُ العَين، وتعبيراتها السَّهلة، ومعانيها اللَّطيفة سَلوةٌ وفرحة، هذه البراعم اللَّدْنة، والغصون الغَضَّة، حَرِيَّة بالتعهُّد، وحُسن الرِّعاية، والتربية الصالحة، والسياسة الحكيمة، التي لا تُسرف في التدليل، ولا تشتطُّ في العقاب.

والطفل مُولَع بالسؤال؛ يُريد أن يستكشفَ ما حولَه، وأن يعلمَ بما يدور في مجتمعه، وأن يعرِف ما يسمع عنه أو يشهده، ويجدُر بالأبوين والإخوة الكِبار ألَّا يضجروا من سؤالات الأطفال، ولا يردُّوها بجَفاء أو تبرُّم، بل يوضِّحون لهم بقدر الإمكان، ويرشدونهم برِفقٍ وحِكمة؛ لأنَّهم بهذه الطريقة يساعدونهم على محبَّة العلم، والبحث عن المعرفة، وصَقْلِ المواهب، وتوسيع الثقافة، وقد قيل: العلم في الصِّغَر كالنقش في الحَجَر.

تربية الأطفال مِن أشقِّ الأمور وأصعبها، فهناك مَن يُهمِل أطفاله، ولا يكترِثُ لهم، ولا يُعنَى بشأنهم، وإنَّما هو لاهٍ في مشاغله وعمله وحاجاته، وما يتعلَّق بالمعيشة والكِسوة والسكن.

وهذا إهمالٌ له نتائجُ وخيمة، وعواقبُ غير حميدة، وهناك مَن يقسو ويشتدُّ، ويحاسب أطفالَه حسابًا عسيرًا، ولا يعطف عليهم، وكأنَّ الرحمة قد نُزِعت من قلبه، وفيهم مَن هو مدلِّل للأطفال، مُلَبٍّ كلَّ طلب يطلبونه، فلا يؤدِّبهم، ولا يوجِّهُهم التوجيهَ السليم، والأدبَ القويم، والتربية الصالحة، وهو على عكس ذلك القاسي العنيف، كلاهما قد أخطأ الصواب، والعدل أن يَتوسَّط المرء، فلا يُهمل ولا يَتعسَّف، ولا يُسرِف في التدليل، ولا يقسو في التأديب.

## المِراء

المماراة تُعجِّل بالعَداء، وتُوغِر الصدور، وتُثير البغضاء؛ قال الشاعر:

فـإيَّـاكَ إيَّـاكَ الـمِـراءَ فـإنَّـهُ     إلى السَّبِّ دَعَّاءٌ ولِلصَّرْمِ جالِبُ

## موتُ العُلماء

ممَّا جاء في أشراط الساعة: كثرةُ القُرَّاء، وقلَّة الفُقهاء؛ وقد توفي عالمان في هذه البلاد في وقت متقارِب أحدُهما: مفتي الدِّيار السعوديَّة ورئيس قُضاتها، شيخنا العلَّامة محمَّد بن إبراهيم، وثانيهما: السيِّد علوي المالكي، وقد كان لوفاتهما أسًى عميق، وحزنٌ كبير، وقد شعر الناس - بعد وفاتهما بالخَسارة الفادحة - بفَقد العالِم العامل، وقد كان هذان العالمان يمثِّلان العلم، ويعتزَّان به ويحترمانِه، وكان لهما تلامذةٌ كُثر، وقد نفع الله بعلمهما.

وفي أقطار إسلاميَّة أُخرَ مات علماء، فكان لموتهم رَنَّة حُزن ووُجوم، وشعور بهَول المصاب.

إنَّنا عندما نفقد عالِمًا من هذا الطِّراز، فإنَّ وجود أعداد من العلماء تخلفه يُعدُّ من أصعب الأشياء، فالعلماء ورثةُ الأنبياء، وهم حاملو رايةِ العلم، ومِشعَل النور، يُضيئون به الطريق للبشريَّة، وللعلماء الأعلام مكانُ القيادة الصالحة، والتوجيه الرشيد، والنُّصْح والإفادة.

## الولدُ المدلَّل

وُلِد وفي فمِه ملعقةٌ من ذهب - كما يقولون - فقد تفتَّحت عيناه على الثراء، والوجاهة والأُبَّهة، وعاش طفولتَه ويَفاعته مُدلَّلًا مترفًا - ولم يكن يفهم لماذا يكُدُّ الآخرون، ويجهدون أنفسَهم في طلب المعيشة، وبشقِّ الأنفس؟! فقد كان يظنُّ أنَّه من السهل أن ينهال عليهم المال بلا تعب ولا عَناء، كما هي حاله وأترابِه، من ذوي الثراء العريض.

وكان يسخر من ذلك الطِّفل الفقير بأسماله البالية، ولَونِه المغبرِّ، ورجليه المشقوقتَين، وكان ذلك الفقير مُجِدًّا حصيفًا، يُضني نفسَه في الدراسة والتحصيل، ولم يكن يأبَه لتندُّر الطفل المدلَّل وضحِكاته، ولومِه له على الدِّراسة، والسَّهر في طلب العلم.

وتبعثرَت ثروةُ الغنيِّ، وشهد ذلك الفقيرَ البائس وقد صار له شأن، وذِكْرٌ جميل، ومكانة سامية، ومالٌ وجاه، أما هو فقد فاتَه التعليم، وأضحى يضرب كفًّا بكفٍّ، ويلوم نفسَه على جهله وحماقته، ويودُّ لو أنَّه عَرَف الحقيقة قبل فوات الأوان!

## بين الكتب

ما أجملَ الدقائقَ والساعاتِ التي يُمضيها المرء بين الكتب، وما أبهاها! فهي تنقُل الإنسانَ إلى عوالِمَ جديدة، على أنَّها تجمع أشتاتًا لا تلتقي في الزمان، ولا يُوحِّدها المكان، ولا يتجانس فيها الألوان والأشكال، ومُطالِعُ الكتب كأنَّه في بستان أغنَّ، فيه عَبَقُ الورد، وشذى الخُزَامَى، وشميمُ العَرَار، وأزهار القَرَنْفُل والياسَمين، يتفيَّأ ظلالَ النخيل، ويقطِف من العنب والتِّين والرُّمان ما لذَّ وطاب، ويجني من الفاكهة ما يروم، ويَعرِف من عقول الرِّجال وآدابها، ومزايا المفكِّرين وآثارهم، وجهود العلماء وصبرهم الكثير، مما يُعجِب ويُطرِب، ويسُرُّ ويُبهِج، ويُفيد ويُمتِع.

## زَوامِلُ الأسفار

قال مَرْوان بن أبي حَفْصَةَ في قوم يجمعون الكتب ولا يستفيدون منها:

زَوامِلُ لـلأَسْفـارِ لا عِـلـمَ عِـنـدَهُـمْ ... بِـجَـيِّـدِهَـا إلَّا كَـعِـلـمِ الأَبـاعِـرِ
لَـعَـمْـرُكَ مـا يَـدْرِي الـمَـطِـيُّ إذا غَـدَا ... بِـأَحْـمـالِـهـا أَوَ راحَ مـا فـي الـغَـرائِـرِ

أرى الشابَّ يقضي بعضَ الوقت من فراغه في المكتبة فيُعجبني، وأعدُّ هذا دليلًا على أنَّ الوعي قد تقدَّم، وأنَّ قيمة الوقت معروفةٌ لدى شبابنا، وحين أرى كثيرين يُضيِّعون أوقاتهم سُدًى، ويتكاسلون عن دراستهم أتأسَّف لإهمال هؤلاء، وعدم إدراكهم لِمَا يؤمِّله منهم آباؤهم وإخوانهم وأمَّتُهم، وقد أقبلَ الاختبار، وعندَ الامتحان يُكرم المرء أو يُهان، ومَن جدَّ وَجَد، ومَن زَرَع حَصَد.

* كان ابن الصابونيِّ خازنًا لمكتبة في بغداد، فعزَّ عليه أن يجدَ الناسَ

ينتفعون بها دونَه، وأبَى أن يكون أمينًا على كتب يجهل ما فيها؛ ومِن ثَمَّ أخذ يجتهد في قراءتها، ويُعنَى بالتدقيق في مسائلها حتى ألَّف كتاب "مجمع الآداب" في خمسين مجلدًا، و"دُرَّ الأصداف" في عشرين مجلَّدًا.

* قال رجل لابنه يوصيه: يا بُنيَّ؛ لا تقطع القريب وإن أساء؛ فإنَّ المرء لا يأكلُ لَحْمَه وإن جاع.

* قال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: مَن يُنصِف الناس من نفسِه يُعطَ الظَّفَرَ من أمرِه.

## قِصصُ الأطفال

قصصُ الأطفال مهمَّة جدًّا، وما يوجد منها في المكتبات قليل، ومع قلَّته فإنَّ الكثير منه قد يأتي بنتائجَ عكسيَّة؛ لِمَا يحويه من خُرافات وخِداع، وشَعوذةٍ وشِبهها، ممَّا يغرس في ذِهن الطفل التشويش، ويخلِطُ عليه الحقائق، ويجعله لا يُصدِّق ما يسمعه وما يقرؤه؛ لأنَّه قرأ في هذه القصص أشياءَ لا حقيقة لها، بل هي أكاذيبُ وخيالات، تُنافي الواقعَ وتُصادِمه، إنَّه من المهمِّ والضروريِّ أن يُعنَى بقصص الأطفال، وأن تُكتَب بطريقة مشوِّقة، فيها اختيار لقصص حقيقيَّة، تدلُّ على الفضائل والمكارم، وتحذِّر من الرذائل والمعايب.

قصصٌ تُشيد بالتديُّن والبرِّ والصِّلة، والرِّفق والكرم، والشَّهامة والمروءة والشَّجاعة، والمحبَّة والرحمة، والتسامح والخُلُق النبيل، وتحذِّر من الخيانة والغَدر، والجُبن والقطيعة، واللُّؤم والإلحاد، والمُجون والبُخل، والهمجيَّة والقسوة، قصص تستمدُّ عناصرها من القرآن الكريم والسُّنَّة المطهَّرة، ومِن سِيرة السَّلف الأكارم، ومِن أخبار الفُضلاء والنابهين، وذوي الشَّهامة والمروءة، والشَّجاعة والسَّخاء.

## العنايةُ بالمكتبات

المكتبات في العالَم العربيِّ تحتاج إلى اهتمام كبير، وإلى جهود مُخلِصة جادَّة؛ لإنقاذها من الوَهْدَةِ المتردِّية فيها، وحِفظها من التَّلَف ومن الضَّياع، ومِن أن تمتدَّ إليها الخيانةُ والاختلاس، وفي حاجة إلى استخدام الأدوات والآلات الحديثة؛ من تصويرٍ للمخطوطات، والكتب النادرات، ومِن إرسال مختصِّين إلى مكتبات تركيا وأوربَّا وأمريكا وغيرها؛ لانتخاب الكتب النفيسة، وتصويرها.

ولقد كان للمكتبات شأنٌ عظيمٌ في تاريخنا الإسلاميِّ الزاهِر، واليومَ نشهد المكتباتِ تعيش المأساةَ والهزيمة، وكأنَّها تحسُّ بما يحسُّ به شعبٌ عريق عظيم، قد جُرحت كبرياؤه، ودِيسَت كرامتُه، وأُذلَّ على أيدي أعداءٍ مختلفي الأشكال والألوان، ولكنَّه لن يسكتَ على الهوان، ولن يرضَى بالمذلَّة، وسينتصر بإذن الله.

إنَّ الأموال متوفِّرة بحمد الله، والغيورين على المكتبات موجودون، ولم يبقَ إلَّا العَزم والتصميم، ثم التنفيذ؛ ليصبحَ الحُلمُ حقيقةً، والأمانيُّ واقعًا.

* ذكر الأستاذ مصطفى السباعي في كتابه "من روائع حضارتنا" عن (قصر الزهراء) بقُرطبةَ، نقلًا عن المؤرِّخ التركي ضيا باشا قولَه:

إنَّه كان أعجوبةَ الدهر، التي لم يخطُر مثلُ خيالها في ذهن بنَّاء منذ بدأ الله الكون، ولا تَمثَّل رسمٌ كرَسمها في عقل مهندس منذُ وُجدتِ العقول.

ويقول الأستاذ مصطفى السباعي في حديثه عن المكتبات قديمًا:

«وكان للمكتبات العامَّة موظَّفون، يرأَسُهم خازن المكتبة، وهو دائمًا مِن

أشهر علماء عصره، ومُناولون يناولون الكتب للمطالعين، ومترجِمون ينقُلون الكتب من غير العربيَّة إلى العربيَّة، ونسَّاخ يكتبون الكتب بخطوطهم الجميلة، ومجلِّدون يُجلِّدون الكُتب؛ لتُحفظَ من التمزُّق والضياع، هذا عدَا عن الخَدَمِ وغيرهم، ممَّن تقتضيهم حاجةُ المكتبات».

• أجِدُ لذَّة جامحة، وشوقًا شديدًا لقراءة كُتب التاريخ والسِّير والتراجم، وألقَى متعةً ورغبةً عارمةً في الأسفار، وأُمنيَّتي أن أقومَ بجولة حول العالَم، وقد يكون لهذَين الأمرين من الفوائد ما لا يُعدُّ ولا يُحصَى، ولا سيَّما مَن انصرف قلبه إلى التفكُّر، وأخذ العِبرة والموعظة.

والله تعالى قد أشار لذلك في القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾ [يوسف: ١١١].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠﴾ [العنكبوت: ٢٠]، وقال: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ٢٨﴾ [لقمان: ٢٨].

إنَّ المشاهد التي تمرُّ أمامَ الإنسان عيانًا، والتي يقرأ عنها، ويعيها قلبُه، وما فيها من تبايُن، وغرائبَ وعجائب، وتقلُّبات وتنوُّعات، وما قام فيها من دُول، وخلَفها غيرُها، واختلاف القَسَمات والألوان، واللَّهَجات واللُّغات والطبائع - ممَّا يَزيد المؤمنَ إيمانًا بعظمة الله، وقُدرتِه وعلمِه وحكمتِه، تبارك الله ربُّ العالَمين!

## اقتِناءُ الكتب

عندما أجِدُ كتابًا نفيسًا فإنِّي أبادر إلى شرائه ما أمكنني ذلك، وأعتبر الثمنَ الذي أدفعه فيه قليلًا، مهما كان الثمن، وأُسرع إلى الاتِّفاق مع صاحب المكتبة التجاريَّة على شرائه، حتى لا يسبقني إليه أحد، وقد دفعتُ في بعض الكتب أثمانًا باهظة، ولكن أعدُّها أقلَّ من قيمة الكتاب، وأعتبر نفسي رابحًا في اقتنائه، وإنِّي ضَنينٌ بالكتب جدًّا، وأحرِص عليها حرصًا شديدًا.

وأعدُّ البيت الذي لا مكتبةَ فيه هو كالأرض المعطَّلة، والقصر الخَرِب، وإن زانَ رِياشُه، وتأنَّق صاحبه في أثاثِه وفَرشِه، وستائره ودِهانه.

إنَّني أشعر أنَّ المكتبة في البيت ضروريَّة لكلِّ مثقَّف لا يحسب الثقافةَ تنتهي بنيل الشهادة المعلَّقة في الجدار، وإنَّما العلم من المهدِ إلى اللَّحْد، وكلَّما نال منه الإنسان شيئًا أبصر المسافةَ أمامَه تتَّسع، وكأنَّه مشهد البحر الزاخر، الذي لا تُدرِك العين مداه، ولا تُبصر نهايتَه، فالعِلم لا حدَّ له ولا حَصر، ومَن يظنُّ أنَّه قد بلغ في العِلم نهايتَه، فقُل على عقله العَفاء.

## شُروط التصنيف

قال الأمير عبد القادر الجزائريُّ في كتابه "ذِكرى العاقل، وتنبيه الغافل" :

«ويُشترَط في التصنيف إتمامُ الغرض الذي وُضع الكتاب لأجله من غير زيادة ولا نقص، وعدم استعمال اللفظ الغريب إلَّا في الرموز والألغاز، وينبغي أن يكون التصنيف مسوقًا على حسَب إدراك أهل الزمن، وعلى قدرِ ما تصل إليه عقولُهم، فإذا كانت الخواطرُ ثاقبةً قام الاختصار لها مقامَ الإكثار،

واستغنت بالتلويح عن التصريح، وإلَّا تكن الخواطرُ كذلك فلا بدَّ لها من زيادة الكشف والبيان.

ويلزم كلَّ مصنِّف - إذا أتمم ما صنَّفه - ألَّا يُخرجَه للناس، ولا يطرحَه مِن يدِه إلَّا بعد تهذيبه وتنقيحه، وإعادة مطالعته، فإنَّه قد قيل: الإنسانُ في سَعَةٍ وفي سلامةٍ من أفواه جِنسِه ما لم يُصنِّف كتابًا، أو يقُل شِعرًا.

ويقال: مَن ألَّف فقدِ استشرف؛ أي: مدَّ عُنقَه للمدح أو الذمِّ، فإن أحسنَ فقد استَعطَف؛ أي: عطفَت عليه القلوب، وإن أساء فقد استَقذَف؛ أي: عرَّض نفسَه للقذف والشَّتم.

## تاريخ المملكة

تاريخ المملكة لا يزال يحتاج إلى الكثيرِ ممَّا يُكتب وما يُدوَّن، وكثير من الأحداث الهامَّة في وقت الملك عبد العزيز - رحمة الله عليه - كان عددُ من شاركوا فيها يَروُون تفاصيلها، ويعرفون من أخبارها وبواعثها ونتائجها كثيرًا لم يُنشَر.

ومِن المؤسِف أنَّ أكثر هؤلاء قد ذهبوا بما يَعرِفون، فلم يُكتب عنهم، ويُتلقَّ منهم ما كانوا يعُونه ويخبُرونه، وإنَّ قلَّةً لا تزال على قَيد الحياة تُلِمُّ إلمامًا حسنًا ببعض الجوانب، ولديهم معلوماتٌ مفيدة في موضوعها، فعسى ألَّا يذهبوا بما لديهم دونَ تدوين.

وإذا كان مَنِ انقرضوا ولم يُسجَّل ما يحفظونه قد فات الأوان في العِتاب على مَن قصَّر في إغفال هذا الموضوع مع أهميَّته وفائدته، فإنَّه من الممكن إدراكُ ما يعلمُه الأحياءُ ببذل الجُهد والجَلَد، والسعي للرِّواية عنهم، وتقييد ما يبوحون به ممَّا يعلمون.

## المدرِّس المجتهد

المدرِّس المجتهد الدؤوب على التزوُّد من العلم، ونشر المعرفة، وإرشاد الطلَّاب إلى الطريق الأقوَم، والمنهج الأسلَم - هو شخص جديرٌ بالاحترام والتقدير والتشجيع؛ فهو يربِّي جيلًا، ويُعنَى بنُخبةٍ إن صلَحَت سعِدَت بها الأمَّة، وسارت مسيرًا طيِّبًا، وكان للمدرِّس الناصح فضلُ الرائد، وثوابُ العامل للخير، وحسنةُ القُدوة السامية.

وما أحسنَ أن يجد الأستاذُ من تلاميذه الوفاءَ والاعتراف بما أسداه لهم من أيادٍ بيضاءَ لا تُقدَّر بثمن، ولا تقوَّم بمال! وما أحرى بالمدرِّس أن يجتهد ويصبر، ويعتبر ما يؤدِّيه عملًا جليلًا لا ينتظر عليه ثوابًا، ولا يحزَن إن فاتَه ما يستحقُّ من عناية واهتمام، أو لَقِي من تلامذته جَفاءً أو إعراضًا؛ فالله يُثيب المخلصين الناشرين لدِينه، والداعين إلى الخير، وكَفَى بالله شهيدًا.

## تربية الأولاد

قال ابن الجوزيِّ في كتابه "اللطائف والطبِّ الرُّوحاني" :

«وليعلمِ الوالدُ أنَّ الولدَ أمانةٌ في عُنقه؛ فليُجنِّبه قُرناءَ السُّوء من الصِّغر، ولا يعوِّده إيَّاهم، وليُلقِ إليه الخير؛ فإنَّ قلبه فارغ يقبل ما يُلقى إليه، وليُحبِّب إليه الحياءَ والسَّخاء، وليُلبِسه الثيابَ البيضاء، فإن طَلَبَ الملوَّن قال له: تلك ملابسُ النِّساء والمخانيث، وليُبادِر بأخبار الصالحين، وليُجنِّبه أشعارَ الغزَل؛ لأنَّها بذور الفساد، ولا يمنع من أشعار السَّخاء والشجاعة؛ ليمجُدَ وينجُد، فإن أساء تغافَل عن إساءته، ولا يهتِك مؤدِّبه ما بينَه وبينَه مِن السِّتر، ولا يوبِّخ

إلَّا سرًّا، ويُمنَع من كثرة الأكل والنَّوم، ويُعوَّد الخشونةَ في المطعم والمفرَش؛ فإنَّه أصحُّ لبدنه، ويُعالج بالرياضات الجسمانيَّة كالمشي، ويؤدَّب بالنهي عن استدبار الناس، والامتِخاطِ بينهم والتثاؤب.

## ذكريات الدِّراسة

قد تكون ذكريات الدِّراسة هي أمتعَ الذكريات، وأكثرَها خصوبةً وإمراعًا، وأشدَّها وقعًا في النفس، والتصاقًا بالذِّهن، مع مرور السِّنين والشُّهور والأيَّام.

وقد درستُ سنواتٍ عديدة، وكنت أرى في بعض الطلَّاب نباهةً وذكاء، وإقبالًا على العلم، وأدبًا وتهذيبًا، وكنت أتوسَّم فيهم ميلًا شديدًا للعِلم، وظننتُ أنَّه سيكون لهم مستقبل علميٌّ حافل، واتِّجاه إلى نشر العلم وتبليغه، وكان منهم مَن صَدَق ظنِّي فيه، وهو اليومَ يؤدِّي واجبَه، ويشارك في مَيدانه بنصيبٍ جيِّد، ومنهم من شغلَته الوظيفةُ والعَيشُ عن ذلك، ولعلَّه يحنُّ إلى أن يجد متَّسعًا من الوقت ليُسهمَ في بثِّ العلم والمعرفة، وما زال الوقتُ أمامَه - إذا ما صَدَق العزم - وأقبل على العِلم مطالعةً ونشرًا، وقُلت في نفسي: لو أنَّ الأذكياء النابهين أُتيحَت لهم فُرَص للنَّهل من العِلم، والقيام بنشره، وعُمِلت طريقةٌ لتخليصهم من رُوتين الوظيفة ومشاكلها، ووُجِّهوا توجيهًا علميًّا، أم أنَّه مَطلَب صعبُ التنفيذ؟!!

## المعاهد الدِّينيَّة

في بعض البُلدان العربيَّة مدارسُ ومعاهدُ اشتهرَت طيلةَ قرون أو سنينَ بتدريس العلوم الدِّينيَّة، وتخرَّج منها عددٌ كبير من العلماء، واشتهرَت وذاع صِيتُها.

وقد ساء أعداءَ الإسلام أن تستمرَّ تلك المعاهد، وأن تبقى قِلاعًا إسلاميَّة تنشر الإسلام، وتدافع عنه، وتدحضُ الشُّبهات، وتردُّ على المفترين؛ فعملوا شتَّى الوسائل لإضعافها وزلزلتها، وكان ممَّا لجؤوا إليه أخيرًا أن أدخلوا عليها - باسم التجديد - علومًا كثيرة، وذلك بعدَ إقناع مَن يستطيعون إدخالَ تلك العلوم طَوعًا أو كراهية، ورَّوجوا أنَّ الهدف من ذلك مسايرةُ العصر، وفَهم المشكلات.

وكانت تلك الضربة قاصمةً؛ فقد زال جَوهر تلك المعاهد، وبقيَ اسمُها، أمَّا حقيقتها فهي لا تختلف عن بقيَّة المعاهد والمدارس، التي يتخرَّج طلَّابُها وهم جُهلاء بأمور دِينهم، وقد تكون المصيبة بهؤلاء أشدَّ؛ لأنَّهم يحملون ألقابًا ضخمةً على أنَّهم من علماء الدِّين العارفين به، فيُصبحون قادةً جهلاءَ، وأدعياءَ علم، وسريعين في الانقياد لِمَا خُطِّط لهم في الخَفاء.

## أوقاتُ العُطَل

للنفس طاقةٌ إذا تجاوزتها أُرهِقَت وكلَّت، وللقلب نشاطٌ إذا كلِّف بأكثرَ منه سَئِمَ وضَجِر، وللجسم قُدرةٌ إذا تعدَّاها ضَعُف وتَعِب؛ ولذا كان دَفعُ السأم والملل مُراعًى شرعًا وعُرفًا وفطرة.

وبيَّن الإسلام في آدابه العالية أنَّ لنفس المرء عليه حقًّا، ولجسمه عليه حقًّا، ولأهله عليه حقًّا، ولولده عليه حقًّا.

وكان السلف يتخلَّلون طلبةَ العلم بالدِّراسة، ويختارون الأوقاتَ المناسبة، حتى لا يسأموا.

فما أحلى أيَّام الدراسة، وأجملَ ذكرياتها! وما أبهى تلك الليالي التي سهِرناها برُفقة الكُتب، وصِحاب العلم، ونَهَمِ الطالب الذي لا يشبع،

ولا يَروَى من اكتساب الفوائد، وتقييد الشوارد، وملازمة العلماء!

إنَّ ذكرياتِها تتضوَّع أريجًا كالمِسك، ونقاءً كالطُّهر، وحلاوةً كالشَّهد!

أيَّامٌ وليالٍ تنقضي وكأنَّها ساعات؛ لشدَّة الرغبة في القراءة والمطالعة، واجتناء العلم؛ فمِن قراءة في التفسير، إلى دروس في الحديث والفِقه والأصول، والعقائد والمذاهب، إلى استزادة في الأدب والتاريخ، وهكذا تمضي الأيَّام والليالي.

ومع شَظَفِ العَيش ومتاعب الحياة، فقد كانتِ الرغبةُ في العلم، والفرحُ بالفائدة نُحصِّلها، تُهوِّن علينا المصاعب، حتى ننسى المتطلَّباتِ المادِّيةَ، ونقنَع باليسير جدًّا، فلذَّةُ الدِّراسة كانت تفوق كلَّ لذَّة، وأولئك الرُّفقة الأتقياء الطيِّبون كانت مجالسهم نظيفةً زكيَّة، فيها المعرفة والوقار، والعلم والأدب، والتأدُّب بالآداب الرفيعة.

وبعدُ، فما أحلى أيَّام الدراسة، وما أجملَها! على الرغم من شَظَفِها، وصعوبة العَيش أيَّامَها.

## عزيمةٌ صادقة

كان قد شُغِل بمتطلَّبات المعيشة، وشؤونِ البيت والأولاد، وكان قد أَيِس من الدِّراسة أو كاد، وفكَّر ذاتَ يوم في حالته فرأى أنَّه مفرِّط، وأنَّ وظيفته الصغيرة وراتبها الزهيد لا يتناسبان وما يطمح له، ولا يقيمان أَوَدَه وحدَه، فضلًا عن أن يكفيَا عائلةً تتكوَّن من أفراد عديدين، وهالَه أكثرَ أن يجد نفسه غبيًّا بين المتعلِّمين، وما ذاك من قلَّة ذكائه، ولا نقص في فَهمه، ولكن لأنَّه لم يتعلَّم.

وعزم على الدراسة، وعلى دخول مدرسة محوِ الأُميَّة، أو الدراسة منتسبًا، ولكنَّه آثرَ الأخيرة، حتى يستعينَ بمُرتَّبه الزهيد، وقَطَع شوطًا في الدِّراسة لا بأس به، ونَجَح في مسابقة بوظيفة كبيرة نسبيًّا، وازداد مرتَّبُه زيادةً كثيرة، وهو اليومَ يعيش عيشةً رَخِيَّة، ويستعرِض حالته، وكأنَّه لا يصدِّق ما حَدَث، ولكنَّها العزيمة التي تأتي بالعجائب، ولا تقفُ عند حدِّ المثبِّطات، ودعوى فارِق السِّنِّ، أو صعوبة الأمر، فلسان حال المقدام:

لأَستَسهِلَنَّ الصَّعبَ أَوْ أُدرِكَ المُنَى فَما انقادَتِ الآمالُ إلَّا لِصابِرِ

## نُبوغٌ

كان مِن أسرة فقيرة، قد عضَّها الفقرُ بأنيابه، وذاقَتِ البؤسَ، وشَظفَ العيش، وحرَّ الصَّيف، وبَرد الشِّتاء، دونَ أن تَجِدَ الدِّفء، والكِساء والغذاء، الذي يدفع غائلةَ الجوع، ويَقي المَسغَبة، وكان ذا عزيمة وهمَّة عالية منذ الصِّغر، وكان طموحُه منذ أن بدأ يعي ما حولَه يُثير فضولَ الأطفال، فكانوا يلتفُّون حولَه، يستمعون له يَسرُدُ أحلامَه وآمالَه، وما ينوي أن يَعملَه عندما يَكبَر، فكان يُدهشهم بأحلامه، ويُعجبهم بتخيُّلاته.

وجدَّ في الدِّراسة، فكان في طليعة زملائه إبَّان دراسته كلِّها، وقد أثار اهتمامَ زملائه وتقديرهم له، فكانوا ينظرون إليه نظرةً رفيعة، ويُجلُّونه ويحترمونه.

وكان دؤوبًا على طلب العِلم، مُكِبًّا على الدِّراسة، يلتهم الوقت التهامًا في الاستفادة، والمطالعة والقراءة، وكأنَّه يشِحُّ بالدقائق أن تُفلِت في غير فائدة.

ونبغ الطالِب، وتحدَّث زملاؤه وأساتذتُه بنبوغه، وأشادوا به، وجاءتِ الشهرة مبكِّرة، وهو يهرُب منها ويبتعد، وكان لذلك قليلَ المخالطةِ للناس،

وخاصَّة في الحفلات والمنتديات، وقد نال من العِلم حظًّا طيِّبًا، وهو اليوم من ألْمع الرجال في العالَم الإسلامي، ومِن أكثرِهم شُهرةً وتألقًا، وله مكانةٌ علميَّة وأدبيَّة سامية، وقد انتفع منه خَلْقٌ كثير؛ ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

* قال ابن عائشة يومًا لابن عُيينة: ما شيءٌ تحدِّثونه يا أبا محمَّد؟

قال: ما هو؟

قال: يقولون: إنَّ الله تعالى يقول: «أيُّما عبدٍ كانت له إليَّ حاجة، فشغلَه الثناءُ عليَّ عن سؤال حاجته، أعطيتُه فوقَ أُمنِيَّته»!

فقال له: يا ابن أخي، وما تُنكر من هذا؟ أما سمعتَ قولَ أُميَّة بن أبي الصَّلت في عبد الله بن جُدعان:

إذا أَثْنَى عَلَيهِ المَرْءُ يَومًا ... كَفاهُ مِن تَعَرُّضِهِ الثَّناءُ

فكيف بأكرم الأكرمين؟!

* روى الأصمعيُّ قال: كنت أقرأ: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ والله غفورٌ رحيمٌ)، وبجانبي أعرابيٌّ فقال: كلامُ من هذا؟

فقلت: كلام الله!

قال: أَعِدْ، فأعدتُّ، فقال: ليس هذا كلامَ الله!

فانتبهت؛ فقرأتُ: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

فقال: أصبتَ، هذا كلامُ الله!

فقلت: أتقرأ القرآن؟

قال: لا.

فقلت: مِن أين علمت؟

فقال: يا هذا؛ عزَّ فحَكَم فقَطَع، ولو غَفَرَ ورَحِمَ لمَا قَطَع.

* قال الإمام الشافعي:

وكُـنْ رَجُـلًا عَـلَـى الأَهْـوالِ جَـلْـدًا    وَشِـيـمَـتُـكَ الـسَّـمـاحَـةُ والـسَّـخـاءُ
فَـــلا حُـــزْنٌ يَـــدُومُ ولا سُـــرُورٌ    ولا بُـــؤسٌ عَـــلَـــيـــكَ ولا رَخـــاءُ

* يُقال: أوَّل المروءة طلاقةُ الوجه، والثانية التودُّدُ إلى الناس، والثالثة قضاءُ الحاجة للناس.

* قال مِسكينٌ الدارِمي:

وفِتيانُ صِدقٍ لَستُ مُطلِعَ بَعضِهِمْ    عَلَى سِرِّ بَعضٍ غَيرَ أَنِّي جِماعُهَا
لِكُلِّ امرِئٍ شِعْبٌ مِنَ القَلبِ فارِغٌ    ومَوضِعُ نَجْوَى لا يُرامُ اطِّلاعُهَا
يَظَلُّونَ شَتَّى في البِلادِ وَسِرُّهُمْ    إلى صَخْرَةٍ أَعْيا الرِّجالَ انْصِداعُهَا

* يُقال: أوَّلُ العلم الصَّمت، والثاني الاستِماع، والثالثُ الحِفظ، والرابعُ العمل به، والخامسُ نَشرُه.

* ويقال: لا تُناظر جاهلًا ولا لجوجًا؛ فإنَّه يجعل من المناظرة ذريعةً إلى التعلُّم بغير شُكر.

* قال محمَّد بن حفص: كن إلى الاستماع أسرعَ منك إلى القَول، ومِن خطأ القول أشدَّ حَذَرًا من خطأ السُّكوت.

* وعن زِرِّ بن حُبَيش؛ قال: أتيتُ صفوانَ بن عَسَّالٍ المُراديَّ، فقال: ما جاء بك؟

قلت: ابتغاءُ العلم.

قال: فإنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَن خَرَج مِن بيته ابتغاءَ العلم، وضَعتِ الملائكةُ أجنحتَها له رِضاءً بما يصنَع».

* وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألتُ أبي عمَّن طلب العلم، ترى له أن يلزمَ رجلًا عندَه علم، فيكتبَ عنه، أو ترى له أن يرحلَ إلى المواضع التي فيها العلم فيَسمعَ منهم؟

قال: يرحل؛ يكتب عن الكوفيِّين والبصريِّين، وأهل المدينة ومكَّة، يُشافِهُ الناس؛ ليسمعَ منهم.

* وقال أحمد بن حنبل: لم يكن في زمان ابن المبارك أطلبُ للعلم منه؛ رَحَل إلى اليمن، وإلى مصر، وإلى الشام والبصرة والكوفة، وكان مِن رُواة العِلم، وأهل ذلك، كَتَب عن الصِّغار والكِبار، كتب عن عبد الرحمن بن مَهْديٍّ، وعن الفَزَاريِّ، وجَمَع أمرًا عظيمًا.

* وقال أبو يحيى زكريا بن يحيى الساجيُّ: كنَّا نمشي في أزقَّة البصرة إلى بعض المحدِّثين، فأسرَعنا المشي، وكان معنا رجل ماجِن، مُتَّهم في دِينه، فقال: ارفعوا أرجلَكم عن أجنحة الملائكة لئلَّا تكسروها - كالمستهزئ - فما زال من موضعه، حتى جفَّتْ رِجلاهُ وسَقَط!

## تربيةٌ حَسَنة

كان من قوم صالحين، ومن بيت علم وأدبٍ وتُقًى، كانت دُورُهم كخلايا النحل في العبادة والتهجُّد، وتلاوة القرآن وذِكر الله، وكان مَحَلًّا للمُسامرات الأدبيَّة، والمجالس العلميَّة، وكان فتًى صغيرًا، يشهد عن كَثَبٍ هذه الأماكنَ الطيِّبة والنَّدْوات الحافلة.

فشبَّ متخلِّقًا بالأخلاق الحسنة، متأدِّبًا بالآداب الرفيعة، شهمًا نبيلًا، راجحَ العقل، حصيفَ الرأي، لبيبًا فاضلًا، فطَار صِيتُه في المدينة، وذاع أمرُه في القُرَى المجاورة، واشتاق الناس إلى رؤيته، والاستماع لحديثه، والانتفاع بعلمه وأدبه، وجاهه وماله، وهو سخيٌّ يتهلَّل وجهُه فرحًا، ويطرَبُ لقضاء الحاجات، وإعطاء مَن يؤمِّل منه نَوالًا، وينشر علمَه في تواضعٍ جَمٍّ، وحياء كريم، ولسانُ حال مَن يعرفه عن قُرب يردِّد مع أبي الطيِّب المتنبِّي:

وأَستَكبِرُ الأَخْبارَ قَبلَ لِقائِهِ     فَلَمَّا التَقَينَا صَغَّرَ الخَبَرَ الخُبْرُ

وهو كثيرُ الدُّعاء والابتهال إلى الله، وسؤاله إيَّاه أن يُثيب والديه وأهلَه خيرًا؛ إذ نشَّؤُوه على التربية الحسنة، وأرشدوه إرشادًا قويمًا، ولكنَّه لم يَسلَم من حَسَد الحاسدين، وأذى الجاحدين، وما زال نجمُه يتألَّق ويسمو، أمَّا حُسَّاده فإنَّهم ينحدرون، ويُقابَلون بالمَقتِ والاحتقار، وقد اتَّسعَت شهرتُه، وعظُم شأنُه، وطار صِيتُه في الآفاق، وأضحى مثلًا حيًّا للخِلال الكريمة، والفضائل الجمَّة.

## القراءةُ باللَّيل

في هَدْأةِ اللَّيل، وخُفوت الأصوات، وسُكون الضجيج، تطيبُ القراءةُ والكتابة، ويُحسُّ الإنسان بالانسجام مع الموضوع الذي يقرؤه أو يكتبه، بعيدًا عن التشويش، وانقطاعِ حبلِ التفكير، كما هي الحالُ في النهار.

إنَّ هذا الوقتَ هو أنسبُ الأوقات للقراءة والمطالعة، وإنِّي أتحدَّث عن تجرِبة، ولست الوحيدَ في هذا الرأي؛ فقد سبقني إليه كثيرون، ولحِكمةٍ باهرة قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان: ٦٢].

إنَّ هذا الوقتَ من أنفس الأوقات وأبهاها، فما بالُ البعض - بل الكثيرون - يضيِّعونه فيما لا جدوى منه، إن لم يكن في الغِيبة والنميمة، والقِيل والقال، وتحمُّل الأوزار والآثام، أو في اللَّهو والعَبَث الضارِّ، وكثيرون يُهدرون الوقتَ في لَعِب الورق الذي يمتصُّ وقتَهم، ويُفنيه فيما يضرُّ صحَّتَهم، ويذهب أوقاتَهم سُدًى، ويحرمهم من المنفعة، ويسبِّب الإيذاء لأهلهم وأولادهم، ويَعوقُهم عن كثير من العبادات والطاعات، فعسى أن ننتفع من أوقاتنا.

## أدعياءُ العلم

قد يجمعك مجلسٌ ببعض مَن يتشدَّق بالعلم، ويتبجَّح بالشهادة، ويظنُّ أنَّه بالورقة المزركَشة - التي يدعونها (شهادةً)- قد حوى العلمَ كلَّه؛ فما يحتاج منه إلى مزيد، ولا وراء علمه مجالٌ لمتعلِّم، وقد ترى البعض من هذا الصِّنف ساخطًا ناقمًا، يُنكر كلَّ قديم، ويستخفُّ بالماضي؛ خيرِه وشرِّه، حسنه وسيِّئه، وهو قد تخيَّل أنَّ القديم هو العَقَبةُ التي تحول بينه وبين التطوُّر، وينصح بأن ينبُذَ الناس القديم إذا ما أرادوا النجاح والتطوُّر، ويُغالِط ويَفتري، ويحسَبُ الجهلَ علمًا، والغُرورَ معرفة، والتعظُّمَ فضيلة.

وكأنَّما عَناهُ الشاعر أحمد شوقي بقوله:

لا تَحْذُ حَذْوَ عِصابَةٍ مَفْتونَةٍ    يَجِدُونَ كُلَّ قَدِيم شَيءٍ مُنكَرَا
وَلَوِ استَطاعُوا في المَجامِعِ أَنكَرُوا    مَن ماتَ من آبائِهِم أَوْ عَمَّرَا

إنَّ هذا النوع من الناس نكبةٌ على الأمَّة، وعقبةٌ في سبيل تقدُّمِها، وهو يعكس الآية، ويدَّعي زورًا أنَّه يريد رُقيَّها ونهوضَها.

قال جابر بن قَبِيصَة: شهدتُّ قومًا ورأيتُهم بعيني، فما رأيت أقرأَ لكتاب

الله، ولا أفقهَ في دِين الله من عمرَ بن الخطَّاب رضي الله عنه، وما رأيتُ رجلًا أعطى من صُلبِ مالِه في غير ولائه مِن طلحة بن عُبَيد الله، وما رأيتُ رجلًا أسودَ من معاوية، وما رأيتُ رجلًا أنصعَ ظَرْفًا، ولا أحضرَ جوابًا، ولا أكثر صوابًا من عمرو بن العاص، وما رأيتُ رجلًا المعرفةُ عندَه أنفعُ منها عندَ غيره مِن المُغِيرةِ بن شُعْبَة.

* قال الشاعر:

رَجَعتُ عَلَى السَّفيهِ بفَضلِ حِلْمِي وكانَ تَحَلُّمِي عَنْهُ لِجامَا
وظَنَّ بِيَ السَّفَاهَ فَلم يَجِدْنِي أُسافِهُهُ وقُلتُ لَهُ: سَلامَا
فَقامَ يَجُرُّ رِجلَيهِ ذَلِيلًا وَقَدْ كَسَبَ المَذَلَّةَ والمَلامَا
وَفَضْلُ الحِلْمِ أَبْلَغُ في سَفيهٍ وَأَحْرَى أَنْ يَنالَ بِهِ انتِقامَا

* قال سهلُ بن هارون؛ وهو عند المأمون: من أصناف العلم ما لا ينبغي للمسلمين أن ينظُروا فيه، وقد يُرغَب عن بعض العلم، كما يُرغَب عن بعض الحلال.

فقال المأمون: قد يُسمِّي بعضُ الناس الشيءَ علمًا، وليس بعلم، فإن كان هذا أردتَّ، فوجهُه الذي ذكرت، ولو قُلت أيضًا: إنَّ العلم لا يُدرك غَورُه، ولا يُسبَرُ قَعرُه، ولا تُبلَغ غايتُه، ولا تُستَقصى أصولُه، ولا تنضبِطُ أجزاؤه صدقتَ، فإن كان الأمر كذلك، فابدأ بالأهمِّ فالأهمِّ، والأوكَدِ فالأوكَد، وبالفَرض قبلَ النَّفل، يكُن ذلك قَصْدًا ومذهبًا جميلًا.

* وقال عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنه: مَنهُومان لا يشبعان: طالبُ علم، وطالبُ دُنيا.

* قال كثيرُ بن هِراسَة: إنَّ من الناس ناسًا يَنقصونكَ إذا زدتَّهم، وتهونُ عندَهم إذا خاصَصتَهم، ليس لرِضاهم موضعٌ تعرِفُه، ولا لسَخَطِهم موضِعٌ

تحذرُه، فإذا عرفتَ أولئك بأعيانهم، فابذُلْ لهم موضعَ المودَّة، واحرِمْهُم موضعَ الخاصَّة، يكُن ما بذلتَ لهم من المودَّة حائلًا دونَ شَرِّهم، وما حرمتَهم من الخاصَّة قاطعًا لحُرمَتِهم.

* قال شَبِيبُ بن شَيْبَة: اطلبوا الأدب؛ فإنَّه مادَّة العقل، ودليلٌ على المروءة، وصاحبٌ في الغُربة، ومؤنِسٌ في الوَحشة، وحِليةٌ في المجلس، ويجمعُ لكم القلوبَ المختلفة.

قال أبو جعفر لسَلْم بن قُتيبة: ما ترى في قتل أبي مسلِم؟

قال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.

قال: حسبُكَ أبا أُميَّة!

## مشاعلُ على الطريق

كانوا زملاءَ في الدِّراسة، وكان لكلٍّ منهم أمانيُّ وآمال.

وقد تلتقي آمالُهم في أشياء، وتختلف في أمور كثيرة، كان بعضُ تلك الأماني ضربًا من الخيال، يُثير من الضَّحِك أكثرَ ممَّا يبعث على الجِدِّ، وكان طموحهم مختلفًا، وكانوا مثل غيرهم من الناس ليسوا على قَدرٍ واحد من الذكاءِ والحفظِ والمواهب.

ومرَّتِ السِّنون، وانقضى ما ينوفُ على عشَرة أعوام، وفي لحظة من اللَّحظات، ومن غير أن يَعرِف تعليلًا واضحًا فكَّر في زملاء الدِّراسة، وأين استقرُّوا؟ وهل تحقَّقت آمالُهم؟ وماذا كان مصيرُ الطامح منهم والقانع؟ وأين ألقَت عصا التِّسيار بالذكي؟ وكيف آلَ أمرُ متوسِّط الذكاء؟

وقد عَرَف قليلًا من الجواب على هذا التساؤل، وخَفي عليه الكثير؛ لقد

تفرَّق أولئك الزملاء في مُدن وقُرًى، ومنهم من اخترمَته المنيَّة، وكان منهم مَن نال منصبًا مرموقًا، وثروةً وجَاهًا، وآخرُ نال شهرةً وعِلمًا وأدبًا؛ وثالثٌ له بيتٌ هادئ، وبنونَ وحَفَدَة، ورابعٌ يعيش كَفافًا وهو مسالِم وادِع، وخامسٌ في صِراع وكفاح، شعارُه: إنَّ الحياة عقيدةٌ وجهاد.

ولكنَّه خرج بنتيجة أنَّ الحظَّ له دور، وأنَّ الله سبحانه لحِكمةٍ يعلمُها قد فاوَتَ بين عباده في ألوانهم ومواهبهم وأرزاقهم، وأنَّه لن تموتَ نفسٌ حتى تستكمِلَ رِزقَها وأجلَها، وأنَّ على العباد السعيَ والاجتهاد، وعلى الله التوفيق والاعتماد.

## لا أدري

سأل إبراهيم النَّخَعِيُّ عامرًا الشَّعْبِيَّ عن مسألة، فقال: لا أدري.

فقال: هذا والله العالِم؛ سُئِل عمَّا لا يدري فقال: لا أدري.

## غرور

قال مُقاتلُ بن سليمان، وقد دخلَتْه أُبَّهةُ العلم: سَلوني عمَّا تحتَ العَرش، إلى أسفلَ من الثَّرى! فقام إليه رجل من القوم فقال: ما نسألُكَ عمَّا تحتَ العَرش، ولا أسفل من الثَّرى، ولكن نسألك عمَّا كان في الأرض، وذَكَره الله في كتابه؛ أخبرني عن كَلب أهل الكهف ما كان لونه؟ فأفحمَه.

* قال زُهير بن أبي سُلْمَى في هَرَمِ بن سِنان:

وأَبيَضَ فَيَّاضٍ يَداهُ غَمامَةٌ ... عَلَى مُعْتَفيهِ ما تُغِبُّ نَوائِلُهْ
تَراهُ إذا ما جِئتَهُ مُتَهَلِّلًا ... كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الذي أنتَ سائِلُهْ
أَخِي ثِقَةٍ لا تُتلِفُ الخَمْرُ مالَهُ ... ولكِنَّهُ قَدْ يُتلِفُ المَالَ نائِلُهْ

* وأنشد الرِّيَاشي:

سَأَشْكُرُ عَمْرًا ما تَراخَتْ مَنِيَّتِي أَيادِيَ لم تُمنَنْ وإن هِيَ جَلَّتِ
فَتًى غَيرُ مَحْجُوبِ الغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ ولا مُظهِرُ الشَّكوَى إذا النَّعْلُ زَلَّتِ
رَأَى خَلَّتِي مِن حَيثُ يَخْفَى مَكانُهَا فَكانَتْ قَذَى عَينَيهِ حَتَّى تَجَلَّتِ

## مسؤوليَّة المثقَّفين

واليوم وقد كَثُر المتخرِّجون من الكلِّيَّات والجامعات والدِّراسات العُليا، فإنَّ من الجدير بهم أن يلتفتوا إلى المؤلَّفات العظيمة التي خلَّفها علماءُ المسلمين، وأسهموا بها في نشر المعرفة، وخِدمة الدِّين الإسلاميِّ الحنيف، وراموا من ورائها العملَ على إسعاد البشريَّة في الدَّارين، وإنَّ المخطوطاتِ الهائلةَ التي تزخَرُ بها دُور الكتب في إستنبول والقاهرة، ودمشق والمدينة، والرِّباط ولندن، وباريس وهولندا وغيرها - في حاجة إلى مَن ينفُضُ غبارَها، ويحقِّقها وينشرها، وإذا كان الغربيُّون بدافع من التعصُّب قد تجاهلوا دَورَ العرب في العلوم والمعارف المختلفة، ما عدا النَّزْرَ القليل، فإنَّ في إظهار تلك الكتب وإبرازها على أوسع نِطاق ما يدحضُ مزاعمَ أعداء الإسلام من رَمي المسلمين بالتخلُّف والجهل، فعسى أن يقوم المثقَّفون بواجبهم حِيالَ هذا العمل الخطير.

• العلماء ورثةُ الأنبياء، وقد خَدمُوا العلم ورَوَوْه وحقَّقوه، واعتنوا بالتفاسير والأسانيد والرِّوايات، والجَرْح والتعديل، والفقه والاختلاف، والاجتهاد والقياس، والاستنباط والغريب، واهتمُّوا باللغة نحوًا وصرفًا، وضبطًا وأدبًا، وصنَّفوا في التاريخ فأجادوا، وفي التراجم والسِّيَر والطِّبِّ، والتقويم والفلك، وسواها، وكانت مؤلَّفاتُهم نِبراسًا وصُوًى على الطريق،

وإنَّ آدابهم ومحاوراتِهم، ومجالسهم وتدريسهم من أجلِّ ما رواه التاريخ، ودوَّنَته الأقلام، فما بال البعض يُعرِض عن هذا التراث الجيِّد، ويعشق الضَّبابَ والسَّراب، ويحسب الوَرَمَ شحمًا، والهَذَيان علمًا؟!

## كَرَمُ اللَّيث بن سعد

بعث مالك بن أنس - إمامُ دار الهجرة - إلى العالِم الشهير اللَّيثِ بن سعدٍ يستهديه شيئًا من العُصْفُرِ لأجل جِهاز ابنته، فبعث إليه بثلاثين حِملًا، فاستعمل منه مالكٌ حاجتَه، وباع منه بخمسمئة دينار، وبقيَتْ عنده منه بقيَّة.

وحجَّ مرَّة، فأهدى له مالكٌ طبقًا فيه رُطَب، فردَّ الطبقَ وفيه ألْفُ دينار.

وكان يَهَبُ للرجل من أصحابه من العلماء الألفَ دينارٍ، أو ما يقارِب ذلك، وكان يخرج إلى الإسكندريَّة في البحر هو وأصحابُه في مركب، ومطبخُه في مركب.

## اهتمام

يهتمُّ المصلِحون، ويَحرِص الغيورون المخلِصون على نشرِ العلوم الدِّينيَّة، ومساعدة الدِّراسات الإسلاميَّة.

وإنَّ استمرار كلِّيتَي الشريعة في الرياض ومكَّة، وكلِّيَّة اللُّغة العربيَّة، والمعاهد العلميَّة، ودار التوحيد، ومدارس تحفيظ القرآن، وبذلَ المكافآت لطلَّابها، وكذا الجامعة الإسلاميَّة في المدينة، والإسهام في تشجيع النشاط الإسلامي في كلِّ مكان في العالَم، وإرسال الكتب الإسلاميَّة، وبَعثَ الدُّعاة لإفرِيقيَا وغيرها لنشر الإسلام، والردِّ على المعادين، وإزالة الشُّكوك

والشُّبهات - كلُّ هذه الأعمال جديرةٌ بالتقدير والاستبشار، ويفرح المسلمون الغيارَى بهذه الجهود المثمِرة النافعة، وإن كان هذا لا يُرضِي الملاحدةَ، ومَن في قلوبهم مرضٌ من أتباع الأفكار المسمومة، والدِّعايات المغرِضة ممَّن يسوؤهم كلُّ اتِّجاه إسلامي، فيسعَون لمحاربته بكلِّ وسيلة، وسينتصر الحقُّ - بإذن الله - وتعلو رايةُ الإسلام، وإن كَرِه الكافرون.

* قال زِيادٌ في خُطبته: استوصوا بثلاثة منكم خيرًا: الشريف والعالِم والشيخ، فوالله لا يأتيني شريفٌ بوَضيع استخفَّ به إلَّا انتقمتُ له منه، ولا يأتيني عالِمٌ بجاهل استخفَّ به إلَّا نكَّلتُ به، ولا يأتيني شيخٌ بشابٍّ استخفَّ به إلَّا أوجعتُه ضربًا.

* قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه لصَعْصَعةَ بن صُوحان: واللهِ ما علمتُك إلَّا كثيرَ المعونة، قليلَ المؤونَة، فجزاك الله خيرًا!

فقال صَعْصَعة: وأنت يا أمير المؤمنين، فجزاك الله أحسنَ من ذلك؛ فإنَّك ما علِمتُك بالله عليم، واللهُ في عينِكَ عظيم.

## مؤتمراتُ العلماءِ المسلمين

لستُ أعرف تعليلًا لعدم اللِّقاءات المستمرَّة بين علماء المسلمين في كافَّة أصقاعِهم، وشتَّى ديارهم.

إنَّنا نشهد اجتماعاتٍ ولقاءاتٍ بين جميع المستويات، وبين جميع الطبقات، ولكنَّا لا نجدُ تنظيمًا للالتقاء بين علماء الإسلام، إلَّا ما نَدَر، وهو إذا حصل على نطاق ضيِّق، والذي أتمنَّاه ويتمنَّاه كلُّ غيور أن يتعرَّف علماء المسلمين بعضُهم على بعض، وأن يلتَقوا ويتشاوَروا، ويبحثوا في المشكلات التي يُجابهها العالَم الإسلامي، وطريقةِ حلِّها على ضَوء الإسلام، واستنباط

الأدلَّة من القرآن والسُّنة، والاستئناس بآراء العلماء الذين سبقَ لهم أن عالجوا تلك المشكلات.

إنَّه من المهمِّ أن تحصل اللقاءاتُ بين علماء المسلمين؛ لِمَا فيها من مصالحَ عظيمة، ومنافعَ كثيرة، تعود بالخير العظيم، والمنافع الجَمَّة، إنَّ في تلك الاجتماعات من الفوائد التفاهمَ وتقديرَ كلٍّ لرأي الآخر، وتبيان كلٍّ ما لَدَيه من دليل وتعليل، وفي ذلك سلامةٌ من سوء الظنِّ، وتوسيع الخلاف، ونسبة أقوال وآراء غير صحيحة، وعسى أن يتحقَّق هذا الأملُ على نطاق واسع.

ولست أدري سِرَّ هذا الصمتِ من العلماء - وأعني بهم علماء الدِّين والشَّرع - ولماذا لا يُسمَع لهم صوتٌ جَهْوَرِيٌّ، في الوقت الذي يَنعِق فيه الناعقون، ويَهذِي المهرِّجون؟!

وإن كنت لا أجهل أنَّ التخطيطَ الماكر من أعداء الإسلام قد شنَّ حربًا شعواءَ على العلماء، وكُمِّمت أفواهُهم في كثير من البُلدان المنتسِبة للإسلام، ومع أنَّ قوًى كثيرة قد تألَّبت عليهم وحاصرتهم، فإنَّ الشعوب المسلِمة تتطلَّع إلى سماع كلمتهم صريحةً مدويَّة، جاهرة بالحقِّ، مُعلِيَة أمر الله، مُبيِّنة حُكمَه، مدويًا صوتهم، دون مَلَقٍ أو تصنُّعٍ أو جُبن.

إنَّ البلاد التي يعلو فيها الجهرُ بالحقِّ، ويُنظر للعلماء فيها نَظرةَ احترام، هي بلاد سائرةٌ على طريق قويم.

أمَّا البلاد التي يختفي فيها العلماء، ولا يُسمع لهم كلمة، ولا سيَّما في الأوقات العصيبة، فإنَّ ذلك عنوانُ التردِّي والانحدار، ولنتذكَّر الحديث الشريف: «مَن سُئِل عن عِلم فكتَمَه أَلْجَمَه الله بلِجامٍ من نار».

فللعلماءِ دَورٌ خطير، وعليهم مسؤوليَّة ضخمة، وقد ترتَّب عليهم من الواجبات في البيان، والدِّفاع عن الحقِّ، ونشر الإسلام، ودَحْض الشُّبه،

والجُرأة في قولَةِ العدل ما يعرفه العلماء، وبقَدر ما نالوا من الشَّرف والفضل ومكان الصدارة بالعلم، فإنَّ عليهم حقوقًا جليلة، والناس في كلِّ وقت ينظرون للعلماء، ويترقَّبون منهم مواقفَ جادَّة، وصراحةً في القول، وبيانًا للحقِّ، بلا مُحاباةٍ ولا مُداهنةٍ ولا خُنوع.

وعندما يتَّصف العلماءُ بهذه الصفات الكريمة، فإنَّ هذا دليلٌ بارزٌ على أنَّ الأمَّة تسير في طريق صحيح، وأنَّ دعاة الشرِّ والجهل مدحورون، أمَّا عندما يتكاسل العلماء ويتقاعسون، ويرضَون بالعيش الهادئ، والبعد عن المشاكل، ويتخلَّون عن مسؤوليَّتهم القياديَّة، فإنَّ تلك الأمَّة توشِك أن تقع في مشاكلَ طويلة عريضة، وإنَّها محفوفة بالمخاطِر التي تكاد تبتلعها، ومواقفُ علماء السلف المجاهدين الصادعين بالحقِّ أكثرُ من أن تُذكر هنا، وكان نتيجةُ خُمول العلماء ومداهنتهم في بعض الأقطار الإقصاءَ والإهانةَ والتندُّر، أمَّا الصرحاء الناصحون، فهم محَلُّ التقدير والإعزاز والإصغاء.

## القادةُ الصالحون

قال الأَفْوَهُ الأَوْدِي:

لا يَصلُحُ النَّاسُ فَوضَى لا سَراةَ لَهُمْ ... ولا سَـراةَ إذا جُـهَّـالُـهُـمْ سـادُوا

والـبَـيـتُ لا يُـبـتَـنَـى إلَّا لَـهُ عَـمَـدٌ ... ولا عِـمـادَ إذا لـم تُـرسَ أَوتـادُ

فَـإنْ تَـجَـمَّـعَ أَوتـادٌ وأَعـمِـدَةٌ ... لـمَـعْـشَـرٍ بَـلَـغُـوا الأمـرَ الـذي كـادُوا

## نصائحُ غالية

قال ابن عبَّاس رضي الله عنه: قال لي أبي: أرى هذا الرجل - يعني: عمرَ بن الخطَّاب - يستفهِمُك ويقدِّمك على الأكابر من أصحاب محمَّد ﷺ، وإنِّي

موصِيكَ بخِلال أربع: لا تُفشينَّ له سرًّا، ولا يجربنَّ عليك كذبًا، ولا تطوِ عنه نصيحة، ولا تغتابَنَّ عندَه أحدًا.

قال الشَّعْبِي: فقلت لابن عبَّاس: كلُّ واحدةٍ خيرٌ مِن ألف.

قال: إي والله، ومِن عشرة آلاف.

## الحِفاظُ على اللُّغة

نُكِب العرب بغزوٍ ثقافيٍّ، هدفُه القضاء على الدِّين الإسلاميِّ واللُّغة العربيَّة، وقد حاول المستعمِرون الصليبيُّون، وسعى الشيوعيُّون إلى تحقيق هذا الغرض بكلِّ ما يستطيعون، وتحرَّرت بُلدانٌ عديدة من الاستعمار العسكريِّ والسياسيِّ والاقتصاديِّ، ولكنَّها لم تقوَ على التحرُّر من الغزوِ الثقافيِّ، وإن كانت تبذلُ جهودًا جبَّارة للتخلُّص من هذا الغزو الفاتك.

ونشهد في كلِّ بلاد عربيَّة كلماتٍ أجنبيةً تزحفُ على اللُّغة العربيَّة، ويوشك خطرُها أن يكون واضحًا لكلِّ إنسان، ونجد البعض يحبِّذ استعمالَها، ويتجاهل أضرارَها، وواجبُ كلِّ مسلم غيور على دِينه وعلى لغة القرآن أن يَبذُلَ جهدَه لوَقفِ هذا الزحف الهدَّام، وأن يحرص على استعمال اللُّغة العربيَّة، وهي لغة غنيَّةٌ بمفرداتها، سهلةُ الألفاظ والتراكيب، واضحةُ الدلالة، متنوِّعةُ الأغراض، تفي بالمتطلَّبات والحاجات.

## أنَّى لكَ هذه الفصاحة؟!

قال أبو عمرو بن العلاء: لقيتُ أعرابيًّا بمكَّة فقلت: ممن أنت؟

قال: أَسَدِي.

قلت: ومِن أيِّهم؟

قال: نَمَرِي.

قلت: من أيِّ البلاد؟

قال: من عُمان.

قلت: فأنَّى لك هذه الفصاحة؟

قال: إنَّا سكنَّا أرضًا لا نسمعُ فيها ناجِخَةَ التيَّار.

قلت: صِفْ لي أرضَك.

قال: سِيفٌ أفْيَح، وفضاءٌ صَحْصَح، وجبلٌ صَرْدَح، ورَمْلٌ أَصْبَح.

قلت: فما مالُك؟

قال: النخل.

قلت: فأين أنتَ عن الإبل؟

قال: إنَّ النخل حِملُها غِذاء، وسَعَفُها ضِياء، وجِذْعُها بِناء، وكَرَبُها صِلاء، ولِيفُها رِشاء، وخُوصُها وِعاء، وقَرْوُها إناء.

## علِّمهُ القرآن

يُحكى أنَّ غالب بن صَعْصَعَةَ التَّميميَّ أتى أميرَ المؤمنين عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له: مَن أنت؟

قال: غالِب.

فقال له علي: صاحبُ الإبل الكثيرة؟

قال: نعم.

فقال: ما فعلَت إبِلُك؟

قال: دَغْدَغَتْها النوائب، وفرَّقتْها الحقوق.

فقال: ذلك خيرُ سَبيلِها، مَن هذا الذي معك؟

قال: ابني، وهو يقول الشِّعر، فإن أَذِنَ أمير المؤمنين أنشد!

فقال: علِّمه القرآن، فإنَّه خيرٌ له من الشِّعر.

## لا تُكثِر العِتاب

قال زُهَيْرُ بن أبي سُلمى:

ولا تُكثِرْ عَلَى ذِي الضِّغْنِ عَتْبًا ... ولا ذِكرَ التَّجَرُّمِ للذُّنُوبِ

ولا تَسألْهُ عَمَّا سوفَ يُبدِي ... ولا عَنْ عَيْبِهِ لَكَ بِالمَغِيبِ

مَتَى تَكُ في صَدِيقٍ أَوْ عَدُوٍّ ... تُخبِّرْكَ العُيُونُ عَنِ القُلُوبِ

## خطرُ المبشِّرين

المبشِّرون النصارى يجوبون قارَّةَ إفرِيقِيَا وآسيا، وتُمدُّهم بالأموال الضخمة مؤسَّساتٌ رسميَّة وغير رسميَّة، ولا يَفتُرون عن جذبِ الوثنيِّين والجُهلاءِ إلى ديانتهم المحرَّفة، وشريعتهم المنسوخة، وقد ظهرَت أخطارُهم ونتائجُ أعمالهم في عدد من الأقطار الإفرِيقيَّة، في زَنْجبار والسودان، وغانا والسِّنغال، ونيجيريا وغيرها، وفي أقطار آسيويَّة من بينها إندونيسيا.

وإنَّ على زعماء المسلمين وعلمائهم ومفكِّريهم أن يقوموا بمجهوداتٍ في نشر الإسلام، وإبعادِ الأخطار التي تنجُم عن تشكيك المبشِّرين النصارى

وغيرهم في قدرة الإسلام على الصُّمود، وصلاحيته لكلِّ زمان ومكان، ومقاومة الشُّبَه التي يروِّج لها المبطِلون.

مدرسةٌ تبشيريَّة في بلد عربيٍّ أُغلِقت لقيامها بأعمال ضارَّة، ولارتكابها مخالفاتٍ كثيرة، وتألَّب مَن تألَّب، وتوسَّط مَن توسَّط، وهبَّ أنصار الباطل يَدعُون بالوَيل والثُّبور، يُهدِّدون ويتوعَّدون، ويُغرون ويُمنُّون، ونشط أناسٌ للعمل جهارًا، وآخرون في الخَفاء لإبقاء مدرسة تبشيريَّة في بلد ينتسب للإسلام، ويرفض ما يُصادم دِينَه وعقيدته، ولا يرضى أن يُصبح أبناؤه معاولَ هَدم، تُوجِّههم المدارس التبشيريَّة، وتغرِسُ فيهم بذورَ العداء للإسلام ولأهلهم، وبلدهم وأمَّتهم.

إنَّها مدرسة عاديَّة! وقد أقاموا لأجلها الدُّنيا، فما معنى ذلك؟ أليس هو التعصُّب؟!

أمَّا عندما يدافع مسلِم عن دِينه، فهذا في رأيهم تزمُّت! لقد خدعونا بحريَّة الفِكر المزعومة؛ ليصلوا إلى أغراضهم المشبوهة.

والمسلمون - والحديث عنهم مريرٌ مؤلِم - ما حالُهم؟ وما شأنُهم؟ لا في إغلاق مدرسة إسلاميَّة، ولكن في تحطيم دول إسلاميَّة، وفي الغزو العسكريِّ والسياسيِّ، والاقتصاديِّ والثقافيِّ الموجَّه لإسلامهم وبلادهم في كلِّ يوم؟ فمتى يستيقظون؟! وما الطريق لصَحوهِم من رُقادٍ طويل؟!

## أيَّامُ الامتحانات

أيَّام الامتحانات تُقطَف فيها ثمارُ الدراسة بعدَ شهورٍ قضاها الطالبُ في التردُّد على المدارس، وتأبُّط الكتب، وحمل الأقلام والدفاتر، وها هو يحصد ما زَرَع، ويَلقَى نتيجةَ ما غَرَس، وعند الامتحان يُكرَم المرء أو يُهان،

والامتحان اختبارٌ لمدى التحصيل، وفَهم الدروس، وبَذل الجُهد في التعلُّم، وليس الغرضُ منه الإرهابَ والقَسوة، والعقوبةَ الصارمة، ولكنَّه وُضِع ليُعرفَ به حالُ التلميذ، وليكون حافزًا على الجِدِّ، ومواصلة القراءة والاطِّلاع، وتقويةِ نفسه في المعرفة، والاجتهاد في تنمية معلوماته.

ومن المؤسِف أن يتصوَّر بعضُ الطلبة الامتحانات وكأنَّها كارثة، وفاجعة وداهية! وما هكذا قُصِد بها، ولا أُريد لها، فمَن نَجَح فليتواضَع ويَحمَدِ الله، وليعلَم أنَّ النجاح في المدرسة ليس نهايةَ المطاف، ومَن أخفقَ ورَسَب، فليجتهِد ويتَّخذ مِن الفَشَل سُلَّمًا للنجاح، وليُضاعف من حِرصه واجتهاده، فرُبَّ ضارَّة نافعة.

* قال عبد الله بن معاوية:

ولَستُ بِبادِي صاحِبي بِقَطِيعَةٍ ... ولَستُ بِمُفشٍ سِرَّهُ حينَ يَغضَبُ
عَلَيكَ بإخوانِ الثِّقاتِ فإنَّهُمْ ... قَليلٌ؛ فَصِلهُم دُونَ مَنْ كُنتَ تَصحَبُ
وما الخِدنُ إلَّا مَنْ صَفا لَكَ وُدُّهُ ... ومَنْ هُوَ ذُو نُصْحٍ وأنتَ مُغَيَّبُ

* سمع عمرُو بن عُتْبَةَ رجلًا يشتُمُ رجلًا في مجلس أحد الأشخاص، فقال له: ويلَك! نَزِّه سمعَكَ عن استماع الخَنا، كما تُنزِّهُ لسانَكَ عن الكلام به؛ فإنَّ السامع شريكُ القائل، وإنَّه عَمَدَ إلى شرِّ ما في وِعائه، فأفرغَه في وِعائك، ولو رُدَّت كلمةُ جاهلٍ في فيه، لسَعِدَ رادُّها كما شَقِي قائلُها.

## بديهة سريعة

كان سِنان بن مكمل النميريُّ يُساير عمرَ بن هُبَيرةَ الفَزاريَّ يومًا على بَغلَة، فقال له ابن هُبيرة: غُضَّ من عِنان بَغلتِك!

فقال: إنَّها مكتوبة، أصلحَ الله الأمير!

أراد ابنُ هُبيرةَ قولَ جَرير:

فغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ من نُمَيْرٍ ... فلا كَعْبًا بلَغتَ ولا كِلابَا

وأراد سِنان قولَ الشاعر:

لا تأمَنَنَّ فَزارِيًّا خَلَوتَ بِهِ ... عَلَى قَلُوصِكَ واكتُبها بأَسْيارِ

## الأجوبةُ المُسكِتة

من الأجوبة ما يكون موجَزًا وافيًا بالغرض، مؤثِّرًا في نفس السامعين، مقنِعًا مفحِمًا، ولا ريبَ أنَّ مَن يمتلك هذه البديهةَ، وتلك الخَصلة، فإنَّه قد حَظِي بموهبة عظيمة، وثقافة جيِّدة، وفي الغالب يكون محصولُه الثقافيُّ واسعًا متنوِّعًا.

وقد اشتهر في التاريخ أُناسٌ لهم من سرعة البديهة، والجواب المختصر المقنع ما يُدهش، ونقرأ قِصَصهم، وكأنَّها رواياتٌ ملفَّقة، ابتكرها خيالٌ خَصب وتصوَّرها حقيقةً، وهي أبعدُ ما تكون عن الحقائق، ومِن هؤلاء المشهورين بسُرعة البديهة: عَقِيلُ بن أبي طالب، وابن عبَّاس، والفَرَزْدَق، والقاضي إياسُ بن معاوية.

وقد عُرِف أناس بعلم فيه شَبَهٌ بهذا العلم، وإن اختلف عنه في نواحٍ أُخر، ذلك علم القِيافَة، والفِراسَة، وهذا العِلم قد اشتهر به بنو مُدلِج، وبنو مُرَّة.

وكان عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه ذا فِراسةٍ صادقة، وكان ابن تيميَّة له معرفةٌ عجيبةٌ في هذه الأمور.

وهناك علم يقارِب هذه العلومَ من ناحية غموضه، ذلك هو علم تعبير الرؤيا، وقد برَّز فيه الإمامُ محمَّد بن سيرين، وعبد الغنيِّ بن سُرور المقدسي،

وما أكثرَ ما لدى علماء المسلمين من العلوم والمعارف!

* قال رجل لمحمَّد بن مطروح الأعرج: أتجدُ في بعض الحديث أنَّ جهنَّمَ تخرَب؟ قال: ما أشقاكَ إن اتَّكلتَ على خرابها!

وكان يجلس إليه خَصِيٌّ لزِرياب، فسَأله مرَّة قائلًا: ما تقول في الكبشِ الأعرج؛ أيجوز في الأضحية؟

قال: نعم، والخصيُّ أيضًا مثلُك.

* دخل رجلٌ من محارِب قيس على عبد الله بن يزيدَ الهلالي، وهو عامل على أَرْمِينِيَة، وقد بات في موضع قريبٍ منه غَديرٌ فيه ضفادع، فقال عبد الله للمحاربي: ما تركَتنا أشياخُ محارِب نِنام في هذه الليلة لشدَّة أصواتها!

فقال المحاربيُّ: أصلحَ الله الأمير؛ إنَّها أضلَّت بُرقُعًا لها، فهي في بِغائِه!

أراد الهلاليُّ قولَ الأخطَل:

تَـنِـقُّ بِـلا شَـيءٍ شُـيـوخُ مُـحـارِبٍ    وما خِلتُها كانَت تَرِيشُ ولا تَبرِي
ضَفادِعُ في ظَلْماءِ لَيلٍ تَجاوَبَتْ    فَدَلَّ عَلَيها صَوتُها حَيَّةَ البَحْرِ

وأراد المحاربيُّ قولَ الشاعر:

لِـكُـلِّ هِـلالِـيٍّ مِـنَ الـلُّـؤمِ بُـرْقُـعٌ    ولِابـنِ هِـلالٍ بُـرْقُـعٌ وقَـمِـيـصُ

* كان أبو محمَّد القاسم بن محمَّد الحريريُّ - صاحب "المقامات" - دميمَ المنظر، فجاءه شخصٌ غريبٌ يزورُه، ويأخذُ عنه شيئًا، فلمَّا رآه استزرَى شكلَه، ففهِمَ الحريريُّ ذلك منه، فلمَّا التَمَسَ منه أن يُمليَ عليه، قال له:

اكتُب:

مـا أَنـتَ أَوَّلُ سـارٍ غَـرَّهُ قَـمَـرٌ    ورائِـدٍ أَعـجَـبَـتْـهُ خَـضْـرَةُ الـدِّمَـنِ
فاختَرْ لِنَفْسِكَ غيري، إنَّنِي رَجُلٌ    مِثلُ المُعَيْدِيِّ؛ فاسمَعْ بِي ولا تَرَنِي

* قال أحد الشُّعراء:

كَـرِيـمٌ يَـغُـضُّ الـطَّـرْفَ عِـنـدَ حَـيـائِـهِ    ويَــدْنُــو وأَطــرافُ الــرِّمــاحِ دَوانِ
وكَـالـسَّـيـفِ إن لايَـنْـتَـهُ لانَ مَـتْـنُـهُ    وحَــدَّاهُ إن خــاشَــنْــتَــهُ خَــشِــنــانِ

## ما المروءة؟

قال بعضُهم؛ وقد سُئِل: (ما المروءة؟):

طهارةُ البَدَن، والفعلُ الحَسَن.

وقيل للأحنَف: ما المروءة؟

فقال: العِفَّة، والحِرْفَة.

* قيل للزُّهري: ما الزهدُ في الدُّنيا؟

قال: ألَّا يغلِبَ الحرامُ صبرَك، ولا الحلالُ شُكرَك.

## الدِّراسة والتدريس

وأودُّ اليوم أن أتحدَّث عن الدِّراسة والتدريس، والمعلِّم والتلميذ، حسبَما تسمح به هذه السطورُ المعدودات.

لعلَّ مهنةَ التدريس أشرفُ مهنة، وأرقى وظيفة، وأقصد بالمدرِّس ذلك الذي يجتهد في غرسِ العلوم الدِّينيَّة النافعة، ويبذلُ قُصارى جُهده؛ ليحصلَ الطلبة على أكبر قدر من العلم والمعرفة والفَهم، ويوضِّح لتلامذته أنَّ العلوم يجب أن تكون في خِدمة الدِّين، والذَّوْدِ عنه.

ولعلَّ بهجتَه وحُبورَه إذ يرى نجاحَ طلَّابه، واضطلاعهم بالمسؤوليَّات،

وإسهامَهم في نشرِ الإسلام، والدِّفاع عنه لا يُوصَف ولا يُحدُّ.

وقد كنتُ زاولتُ التدريس خمسَ سنوات رسميًّا، وقبلها سَنَة متطوِّعًا في مدرسة لمحو الأُميَّة.

ويؤسفني أن أرى بعضَ المتخرِّجين يعزِفون عن التدريس، ويفضِّلون الأعمالَ الإداريَّةَ والكتابيَّةَ عليه.

ولا شكَّ أنَّ للمدرِّس مطالبَه وحقوقَه، ومن الواجب على مَن أُنيطَت بهم مسؤوليَّةُ التعليم أن يُنصِفوه، كما أنَّ على الطلَّاب أن يحترموا أستاذَهم، ويُكرموه، ويعرفوا له فضلَه، ويقدِّروا له ما قدَّم لهم من علم، وجُهد ونُصح.

## إحياءُ المعروف

قالوا: أحيِ معروفَك بإماتةِ ذِكرِه، وعظِّمهُ بالتصغير له.

قال الحسن: لأن أقضِيَ حاجةً لأخ لي أحبُّ إليَّ من عبادة سَنَة.

## زميلٌ مُثابر

كان زميلًا مثابرًا كريمًا، مجتهدًا مؤدَّبًا، وانقضَت أيَّام الدِّراسة، وتفرَّقنا كلٌّ لشأنه وما قُدِّر له، وفي خِضَمِّ الحياة وتشعُّبها مرَّت سنوات لم أرَه فيها، وفوجئتُ به ذات يوم قريب، ولا تسَلْ عن الفرحة، فكلٌّ منَّا كان يُعزُّ صاحبَه ويحترمه، ويُسَرُّ بلقائه، وكان الشَّوق إلى أن نجتمع، ويعرف كلٌّ منَّا حالَ زميله أيَّام الدراسة، وتحدَّثنا وتساءلنا، وكلٌّ يودُّ أن يعرف كلَّ شيء عن صديقه؛ عن عمله، وحالته الاجتماعيَّة، ونشاطه العلمي والأدبي، ومساهمته في الأعمال النافعة وفي الثقافة، ويستفسر عن أبنائه وأقاربه وأصدقائه، وعن زُملاء الدِّراسة، وأين ألقَت بهم عصا التِّسْيار.

ولم نَنسَ أنَّ نسأل عن أساتذتنا الأفاضل الذين لهم فضلٌ في تدريسنا لا ننساه، ولا نُنكره، وترحَّمْنا على مَن مات، ودَعونا الله أن يمتِّع الأحياء بالصحَّة، وأن يوفِّق الجميعَ للخير والرَّشاد.

وبعدَ وقت مرَّ كأنَّه لحظات ودَّعنا بعضَنا، وانصرف كلٌّ منَّا لشؤونه وشُجونه.

## الرَّدع

«آخرُ الدواء الكي»، هذا مَثَلٌ تقوله العرب، وتعني به: استعمال الشِّدَّة حين تكون ضروريَّة؛ كعِلاج لمشكلة، أو إصلاح لفرد.

والضَّرب قد يُستعمل تأديبًا وزجرًا، والعقوبات المشروعة جاءت لصالح البشريَّة، ودفعِ المفاسِد عنها، ولهناء المجتمع وراحته.

والبلادُ التي أغفلَت هذه الناحية بدعوى الحضارة والتقليد للغربيِّين، أصبحوا يُقاسون الأهوال، ويعبثُ فيهم المجرِمون، والقَتَلةُ واللصوصُ والمعتدون، فلا يجدون وازعًا، ولا رادعًا، ولا يخشَون عقوبة، ولا يتوقَّعون شدَّة رادعة، وقد انتُزِع عن تلك المجتمعات أمنُها، وزال استقرارُها، فعاشَت في خوف وهَلَع، وشدَّة وجَزَع.

ولقد نشأت آراء تفلسَفَ بها أصحابُها، وحمَّلوا ذنبَ المجرِم مجتمعَه، وزعموا أنَّ المجرمَ يحتاج إلى علاج نفساني، لا إلى عقوبة صارِمة، وعابوا الضَّربَ للتلميذ المتمرِّد السيِّئ الخُلُق؛ بحُجَّة التربية الحديثة؛ فنشأ التلاميذُ في كثير من البُلدان لا يعبؤون بتعاليم، ولا يحترمون دِينًا، ولا يُقدِّرون والدًا، ولا يهتمُّون للروابط الأُسريَّة والأخويَّة.

وهكذا نُقضَت أُسسٌ مكينة، ودبَّت الفوضى، وطَمَى سيلٌ عارمٌ من المفاسد، والرذائل والاستهتار، ووقفَ الغيورون يتأسَّفون ويحزنون ويُحذِّرون، ولكن ما أقلَّ السامعين والواعين!

## العُطلةُ الصيفيَّة

وجاءتِ العُطلةُ الصيفيَّة، وهذا الفراغ مجالٌ لأحاديثَ كثيرة، ومناقشاتٍ على صفحات الصُّحف، وفي الإذاعات، وبين الآباء والمدرِّسين، والمسؤولين عن التعليم.

والمدرِّس والطالب كلاهما لا بدَّ له من راحة بعدَ عناء الدِّراسة وسهرها المُضني، ولياليها المُرهِقة، وامتحاناتها الجادَّة، ولكنَّ الفراغ له مشاكلُه، وخاصَّة لصِغار الطلبة.

ويطيب لي أن أعرض فكرةً لا أدَّعي أنَّ الجميع سيطبِّقونها، ولكنِّي آمُل أن تجدَ أُذنًا صاغية، وقلبًا واعيًا من ذوي الغَيرةِ الدِّينيَّة، وأهل الفضل والاستقامة، وممَّن يحرصون على القِيام بأمانتهم تُجاهَ تربية أبنائهم دِينًا ودُنيا.

تلك الفِكرة هي إلحاقُ أبنائهم بمدارس تحفيظ القرآن؛ لا سيَّما وأنَّ الطالب في المدارس الرسميَّة مرهَق بالدروس الكثيرة، والأعباء الجسيمة؛ ممَّا لا يدع له فرصةً لحفظ القرآن أثناء الدِّراسة، وبدلًا من إضاعة الوقت في العَبَث واللَّعِب، والتعرُّض للأخطار البدنيَّة والنفسيَّة والأخلاقيَّة، فإنَّ في مدارس تحفيظ القرآن نيلَ الحُسنَيين، والفوزَ بالفَضيلتَين.

## اللَّهو في فِلَسْطِين

نشرَت مجلَّة "الحوادث اللُّبنانيَّة" في عددها (٧٣٦) في (١٨/ ٢/

١٩٧٠م) ما يأتي:

«منذ أسبوعَين كَتَبت كلود ساروت - المبعوثة الخاصَّة لجريدة "لو موند" الفَرنسيَّة - تحقيقًا عن اللَّهو في فِلَسْطِينَ المحتلَّة، وممَّا جاء في هذا المقال قول كلود ساروت:

قبل حرب ٥ حَزيران ١٩٦٧م لم يرغبِ القادة الإسرائيليُّون باستقدام التليفزيون؛ خوفًا من تكاسُل الناس، وانصرافهم عن أشياءَ مفيدةٍ للبلاد في جميع النواحي، خصوصًا الحياة الجنسيَّة الزوجيَّة، وزيادة عدد المواليد، وهدف التليفزيون بعدَ استقدامه إلى بثِّ برامجَ معيَّنة للعرَب في الأراضي المحتلَّة».

ويقال: إنَّ ذلك كان السببَ الوحيد لإقامته.

## ثمن مذكِّرات هارولد ولسون

عَرَضَت جريدة "سان" الإنكليزيَّة مبلغَ مئةِ ألف جنيهٍ إسترليني على هارولد ولسون رئيس وزراء بريطانيا السابق مقابلَ كتابةِ مذكِّراته عن مدَّة حُكمه مدَّة ستِّ سنوات.

وهذا المبلغ أكثر مِن راتبه الذي تقاضاه طيلةَ حُكمه؛ فإنَّ رئيس وزراء بريطانيا يتقاضَى راتبًا سنويًّا قدره (١٥٢٥٠) جنيهًا!

## مجلَّات إسلاميَّة

في قُطر مجاور هو الكويت تصدُر ثلاث مجلَّات إسلاميَّة هي: "البلاغ"، و"المجتمع"، و"الوعي الإسلامي"، وهي مجلَّات جيِّدة المظهر والمخبَر، قويَّة صريحة، تعالج القضايا الإسلاميَّة في كلِّ مكان من العالَم،

وتردُّ بشدَّة على الأفكار والاتِّجاهات الهدَّامة، وتَلقى تجاوبًا طيِّبًا في الكويت وغيرها.

وتصمُدُ هذه المجلَّات أمامَ الحمَلات المغرِضة التي تتعرَّض لها من ذوي الميول المشبوهة، والمقاصِد الملوَّثة، ولا ريبَ أنَّ هذه المجلَّات مفخَرةٌ من مفاخر الكويت، ونتمنَّى أن نجد في بلادنا مجلَّاتٍ على غِرار تلك المجلَّات في عُمقها وشكلها.

وفي نفس الوقت نرجو أن تحُدَّ بعضُ البُلدان من موجات الصُّحف والمجلَّات الخليعة، والسيِّئة التوجيه؛ لأنها وباءٌ مدمِّر، وبذور شرٍّ يحصدُ زارِعُها ندامة، وقد انخدع بعضُ مدَّعي التطوُّر والحريَّة بالتشدُّق بألفاظ روَّج لها ماكرون، قد خطَّطوا لتدمير العالَم، وإزالةِ أسباب المقاومة، ومَن يقرأ "بروتوكولات حُكماء صِهْيَون" يرى الخُططَ الفظيعة، ويَستبِين له كثيرٌ من الحقائق المرعبة، ويفهم الكثيرَ ممَّا يجري في العالَم من تخبُّط، وفوضى وانحلال.

وإنِّي أحثُّ كلَّ مريد للمعرفة أن يطَّلع على كتاب هنري فورد "اليهودي العالمي"؛ فقد وَضَع فيه النُّقط على الحروف، وكان صريحًا جدًّا.

## المجلَّات

طغَى موجُ المجلَّات والصُّحف، وانهالَت من كلِّ جانب، تَفِدُ إلى هذه البلاد أكوامًا وأكداسًا، ويتلقَّفها الشباب، ويتلهَّفون لها، وكثيرٌ منها مُضيِّعةٌ للوقت، مشوِّشٌ للفِكر، ولو أنَّ الوقت الذي يصرِفه الشاب في مطالعة هذه الصحف والمجلَّات قضاه في قراءة كتاب جيِّد، لأضافَ إلى معارِفِه معارفَ جَمَّة، ولاتَّسعت مداركُه، وقوِيَت معلوماتُه، وأصبح مثقَّفًا واسعَ الاطِّلاع،

ولانتَفعَ من وقته، بدلًا من إضاعته فيما لا يُجدي، أو فيما فائدتُه قليلة.

فهل تجدُ هذه الأُمنيَّةُ صدًى حسنًا، وتجاوبًا من أولئك الذين يتهافتون على المجلَّات البرَّاقة، والصُّحف الخدَّاعة؛ فيعودون لمطالعة الكتب النفيسة، ويستفيدون ممَّا احتوَته من ثمرات الأفكار، وصَقيل المعارف؟!

## اللُّغة العربيَّة

اللُّغة العربيَّة لغةٌ واسعةٌ جميلة، قد يسمع الإنسانُ اللفظَ المؤدِّي إلى معنى، فيحسبُه تَكرارًا لا جدوى منه، ولكنَّه إذا أمعنَ النظرَ ودقَّق، وَجَدَ أن لكلِّ لفظٍ مدلولًا، ويُفيد معنًى لا يُفيده اللفظُ المقارِب له.

## مُشكِلاتُنا

أذكر أنَّني مرَّة - منذ سنوات خَلَت - تناقشتُ مع شخص بارز على إثر كتابتي مقالاتٍ عن "قبرص"، وكان من رأيه أن تقتصرَ على معالجة مشاكلنا، ولكنَّني بيَّنتُ أنَّ واجب المسلِم أن يهتمَّ بأمور إخوانه المسلمين في كلِّ مكان، وكان قد اعترض على كتابتي لمواضيعَ محليَّة، وقُلت له: لستُ أدري ما الذي يُرضيكم؟! إن كتبنا عن أشياءَ محليَّة لم يُعجِبكم التطرُّق للأمور الداخليَّة، وإن تحدَّثنا عن أمور خارجيَّة من شؤون إخواننا المسلمين لم يُرضِكم! فقد حيَّرتمونا.

وقد كنت أقول قولًا أدافع به عن وِجهة نظري، وأقرِّر حقيقةً اصطدمتُ بها كثيرًا قبلَ ذلك الشخص: وبعدَه، وهل على مَن يريد التحدُّث عن موضوعٍ ما أن يضع في حسابه أن يكون الناس جميعًا راضين عنه؟! إنَّه إن فكَّر في ذلك وأرادَه فقد أرادَ شَططًا؛ فالناس كلُّهم لم يرضَوا عن الله وعن رُسلِه،

وعن المصلِحين الأخيار، ولم ينعقِد منهم الإجماعُ على ذلك، ولكن منهم مَن رَضِي، ومِنهم مَن سَخِط.

وإذًا فإنَّ على المرء أن يضع نُصبَ عينَيه قولَ الحقيقة، والجهر بالصواب، بطريقة حَكيمة تسعى للإصلاح والبناء، أمَّا رِضا الناس جميعًا، فليتأكَّد أنَّه لن ينالَه مهما حاول وسَعَى.

## الكتابةُ والصِّحافة

الكتابة والصِّحافة سلاحانِ ماضيان، قد يستخدمهما المرءُ استخدامًا حسنًا، فيكونان نِعمةً وفَلاحًا، وقد يعكس الأمرَ فيصبحانِ وبالًا وشرًّا، وضررًا على المجتمع، وبلاءً على صاحبهما، ويجب أن يُدرِك الكاتبُ والصَّحفيُّ أنَّ الكتابة أسمى من العبث، وأرقى من التملُّق، وأشرفُ من الأغراض الشخصيَّة والأهواء والحَزازات.

وكلُّ امرئ مسؤول يومَ القيامة عمَّا كسبَت يداه، وعمَّا خطَّته يمينُه، وما تفوَّه به لسانُه، ومجازًى على قصدِه وغاياته، فليضَع كلٌّ منَّا حين يكتبُ هذا الشأنَ أمامَ ناظرَيه، وليتَّقِ الله في نفسه وبلاده، وفي الأمَّة الإسلاميَّة جمعاء، وليكن عاملَ إصلاح، لا مِعوَلَ هدم، ورائدَ هداية، لا داعية ضلال.

وما من كاتِبٍ إلَّا سَيَفْنَى ... ويَبقى الدَّهرَ ما كَتَبَت يَداهُ
فَلا تَكتُب بِكَفِّكَ غيرَ شَيءٍ ... يَسُرُّكَ في القِيامَةَ أن تَراهُ

## مجلَّة اللِّسان العربي

"مجلَّة اللسان العربي" مجلَّة تصدر في الرِّباط بالمغرب الأقصى عن (مكتب تنسيق التعريب) التابع لـ(جامعة الدول العربيَّة)؛ هي مجلَّة فريدة في

نَوعها، ضخمة الحجم، غزيرةُ المباحِث، تتَّسم بالشمول والسَّعة، والتنوُّع في أبحاث اللُّغة العربيَّة، وقد أربَت صفحاتُ أحد أعدادها على ستِّمئة صفحة.

وصلتني منها هديةً بعضُ الأعداد فألفيتُها مجلَّةً نادرةً بحجمها، وكثرة كتَّابها، وتنوُّع مواضيعها، ممَّا يتَّصل باللُّغة العربيَّة في مفرداتها وتراكيبها، واشتقاقاتها ومصطلحاتها، وبلاغتها واحتوائها، وسلاستها.

وكان مما نُشِر فيها أجوبةٌ لسؤال عن صِلة اللُّغة العربيَّة بالإسلام، وكَتَب في هذا الموضوع بعضُ الكتَّاب من المملكة، وكنتُ واحدًا منهم.

وإذا كنَّا نُسَرُّ بوجود مجلَّة من هذا النوع، فإنِّي أتخوَّف ألَّا تستمرَّ طويلًا؛ نظرًا لتكاليف طبعها وتوزيعها، والإشراف عليها، والكتابة فيها، ونعتبرها خُطوةً جيِّدةً في خِدمة اللُّغة العربيَّة وانتشارها، ولا سيَّما في المغرب العربي الذي نُكِب بالاستعمار الفرنسي، وكاد أن يمحوَ اللغة العربيَّة في بعض أقطاره.

## الصُّحف الواردة

تغطِّي الصُّحف الواردة من خارج المملكة مساحاتٍ كبيرةً من المكتبات التِّجارية، ومن هذه الصُّحف ما هو مفيد ونافِع، ولكنَّه قلَّة قليلة، ومنها ما هو حاوٍ للنافع والضارِّ، ومنها ما هو سمومٌ فتَّاكة، وأخطارٌ داهمة.

وأحسَب أنَّه من الضروري جدًّا أن يُسارَع إلى فَحص هذه الصُّحف، وإبعاد غثِّها، وإبقاء سمينها، ودَرءِ أخطارها وشرورها، وإذا كانت (وزارة الإعلام) و(دار الإفتاء) يتحمَّلان مسؤوليَّةً مباشِرة في ذلك، فإنَّ على القارئ مسؤوليَّةً كذلك بانتقاء الصُّحف الجيِّدة، ونَبذ الصحف الضارَّة، وعدم تشجيعها؛ إذ هي خَسارةٌ في المالِ والفِكرِ والأخلاق.

أمَّا الصُّحف التي تستحقُّ التشجيعَ والتعضيد، فهي الصُّحُف الإسلاميَّة التي تذُبُّ عن الدِّين، وتنشر المكارِم، وتدعو إلى الخير، وتُقدِّم المعلوماتِ المفيدةَ ممحَّصة من الدسائس والشوائب.





# القسم السادس

## الناس والحياة



• قال أبو عقيل بن دُرُسْت:

إذا لم يكنِ المستمعُ أحرصَ على الاستماع من القائل على القول، لم يبلُغ القائلُ في منطقِه، وكان النُّقصان الداخلُ عليه بقَدرِ الخَلَّة بالاستماع منه.

وقال أيضًا: نشاط القائل على قَدرِ فَهم المستمِع.

## الكلام والصَّمت

من الكلمات ما يكون له مغزًى عميقٌ، ويُلامس القلوبَ كالندى، وتظلُّ رائحتُه العَطِرَة عَبِقةً طيِّبة، وتأتي الشهور والسِّنون، وتلك الكلمات لها وقعُها الحسن، وصَداها الجميل، ومن الكلمات ما هي كالحِجارة الصَّلدة، والمطارق البغيضة؛ فصاحبُها يُثير الاشمئزاز، ويغرس الكراهيةَ، وينكِّد الحياة، وهذا النَّوع من الكلمات بقدر ما هي مُستثقَلَة مُبغضة، فإنَّها دليلٌ بارِز على ثِقل قائلها وبُغضه، وأنَّه من فئة لا تُحتمل، ولا تُطاق رؤيتُها؛ لأنَّها قذًى في العين، وكابوسٌ على الصدر، ونكبةٌ من النكَبات.

لقد قال الشافعي ذات مرَّة ما معناه: إنَّه إذا جلس إلى جانِبه ثقيل، أحسَّ أنَّ جانبه الذي يليه كأنَّه قد أُصيب بالشَّلل.

لماذا لا نختارُ الكلمةَ الطيِّبة، والقول الهادئ السديد؛ فقد أرشدَنا الله للقول الطيِّب، والكلمة الصالحة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]؟!



## المرءُ بأصغَرَيه

المرءُ بلِسانه وعقله، وعِلمه وفضله، أمَّا المظاهرُ فهي شكل، وليست جوهرًا، وكم من شخص ذي رُواء ومنظر يُذكِّر بقصَّة أبي حنيفة في مدِّ رِجله!

وكم مِن إنسان تقتحِمه العينُ وينبو عنه النظر لأوَّل وَهْلَة، بَيدَ أنَّ بيانه وحُنكتَه واطِّلاعه تُجبِر سامعَه على تقديره والإعجاب به.

قال زُهَير بن أبي سُلْمى:

وكائِنْ تَرَى من صامِتٍ لكَ مُعْجِبٍ زِيادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ في التَّكَلُّمِ
لِسانُ الفَتَى نِصفٌ ونِصفٌ فُؤَادُهُ فلم يَبقَ إلَّا صُورَةُ اللَّحمِ والدَّمِ

## الحجَّاجُ والخوارج

لَمَّا عاد الحجَّاجُ من محاربة الخوارج قال: اطلبوا لي فاضلًا أُخرِجْه إلى عبد الملك.

فأتَوْه برجل دَمِيم المنظَر، حسَنِ المخبَر؛ فلمَّا رآه عبد الملك استبشَعَ منظرَه، فاستنطقه فملأَ أذنَه صوابًا، فتعجَّب منه عبد الملك، وأنشدَ متمثِّلًا:

وَإنَّ عَرَارًا إن يَكُنْ غيرَ واضِحٍ فإنِّي أُحِبُّ الجَوْنَ ذا المَنْكِبِ العَمَمْ

فقال: يا أميرَ المؤمنين، أتدري لِمَن هذا الشِّعر؟

قال: نعم هو لعمرو بن شأس في ابنه عَرار.

فقال: أنا عَرارٌ ابنُه.

فتعجَّب عبد الملك من مطابقة القول الحال؛ فأمرَ له بمال، وأوصَى به إلى الحجَّاج.

## دعاء

يا ربِّ أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، اللهمَّ اغفر لنا حَوْبَنا، وتجاوَز عن سيِّئاتنا، واشمَلْنا برحمتك التي وسعَت كلَّ شيء؛ فأنت أهلُ ذلك والقادرُ عليه.

## تسمعُ بالمُعَيدِي

نظَر النُّعمان بن المنذِر إلى ضَمْرةَ بن ضَمرَة، فلمَّا رأى دَمامتَه وقِلَّته، قال: «تسمع بالمُعَيْدِي لا أن تراه»، هكذا قالتِ العرب.

فقال ضَمرَة: أبَيْتَ اللَّعن! إنَّ الرجال لا تُكال بالقُفْزان، ولا تُوزَن في الميزان، وإنَّما المرء بأصغَرَيه: قلبِه ولسانِه، إن صالَ صالَ بجَنان، وإن قالَ قالَ ببَيان.

وكان ضَمرةُ خطيبًا فارسًا شاعرًا، شريفًا سيِّدًا.

* ومن الأمثال: «رُبَّ إشارة أبلغُ من عِبارة».

* قال أبو الدَّرداء: أنصِف أُذنَيكَ من فيك؛ فإنَّما جُعل لك أُذنان اثنتان وفمٌ واحد لتسمعَ أكثرَ ممَّا تقول.

* كان مالك بن دينار يقول: لو كانتِ الصُّحف من عندنا لأقلَلنا الكلام.

* قال محمَّد بن سلَّام: كان عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه إذا رأى رجلًا يُلجِلجُ في كلامه قال: خالِقُ هذا وخالِقُ عمرو بن العاص واحد.

* وتكلَّم عمرو بن سعيد الأشدَقُ، فقال عبد الملك بن مَرْوان: لقد رجوتُ عثرتَه لَمَّا تكلَّم، فأحسنَ حتَّى خشِيتُ عثرتَه إن سكت.

* قيل: أبلغُ الكلام ما سابقَ معناهُ لفظَه.

* تكلَّم رجل في مجلس الهَيْثَم بن صالح فهَذَر ولم يُصِب، فقال: يا هذا، بكلام أمثالكَ رُزِقَ الصمتُ المحبَّة.

* كان عبد الملك بن مَرْوان يقول: لأنا للعاقل المدبِرِ أرجى منِّي للأحمقِ المقبِل.

* ذُكِر الكلام في مجلس سليمان بن عبد الملك، فذمَّه أهلُ المجلس، فقال سليمان: كلَّا، إنَّ مَن تكلَّم فأحسنَ قديرٌ على أن يسكُتَ فيُحسن، وليس كلُّ مَن سكت فأحسن قادرًا على أن يتكلَّم فيُحسِن.

* قال بعض الشُّعراء:

وإذا نَطَقتَ فَلا تَكُن أَشِرًا ... واقصِدْ فَخَيرُ النَّاسِ مَن قَصَدَا

* قيل لأعرابي: مَن أبلغُ الناس؟

قال: أسهلُهم لفظًا، وأحسنُهم بَدِيهَة.

* وقال أبو الفتح البُسْتي:

تَكَلم وسَدِّدْ ما استَطَعتَ فإنَّمَا ... كَلامُكَ حَيٌّ والسُّكُوتُ جَمادُ
فإن لم تَجِدْ قَولًا سَديدًا تَقُولُهُ ... فَصَمتُكَ عَنْ غَيرِ السَّدادِ سَدادُ

## زيادٌ مع خارجيٍّ

أَخذ زيادٌ رجلًا من الخوارج فأفلتَ منه، فأخذ أخًا له فقال: إن جئتَ بأخيكَ وإلَّا ضربتُ عُنقَك!

قال: أرأيتَ إن جئتُ بكِتابٍ من أمير المؤمنين تُخلِّي سبيلي؟

قال: نعم.

قال: فأنا آتيكَ بكتاب من العزيز الرحيم، وأُقيم عليه شاهدَين إبراهيم وموسى عليهما السلام:

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [النجم: ٣٦ - ٣٨].

قال زياد: خلُّوا سبيلَه؛ فقد لُقِّن الرجلُ حُجَّتَه!

• قال الشاعر:

وما خَيرُ مَن لا يَنفَعُ الأهلَ عَيشُهُ    وإن ماتَ لم تَجزَعْ عَلَيهِ أَقارِبُهْ
كَهامٌ عَلَى الأَقصَى كَلِيلٌ لِسانُهُ    وفي بَشَرِ الأَدنَى حِدادٌ مَخالِبُهْ

* قال الحسن البصريُّ: إملاءُ الخير خيرٌ من الصمت، والصمتُ خيرٌ من إملاء الشَّرِّ.

## أعرابيٌّ ينعَتُ صاحبَه

قال أعرابيٌّ في وصف صاحبٍ له:

أفصحُ خَلقِ الله كلامًا إذا حَدَّث، وأحسنُهم استماعًا إذا حُدِّث، وأكفُّهم عن المُلاحاةِ إذا خُولِف، يُعطي صديقَه النافلةَ، ولا يسألُه الفريضة، له نفسٌ عن العَوراءِ محصورة، وعلى المعالي مقصورة، كالذهب الإبريز الذي يعَزُّ كلَّ أوان، والشمس التي لا تخفَى بكلِّ مكان، هو النَّجْم المضيءُ للجِيران، والباردُ العَذبُ للعَطشان.



## مَخايِلُ النَّجابة

نَظَر رجلٌ إلى معاويةَ وهو غلامٌ صغير، فقال: إنِّي أظنُّ هذا الغلامَ سيسودُ قومَه!

فقالت هند: ثَكِلَتْهُ أمُّه إن كان لا يسودُ إلَّا قومَه.

## دعاء

اللهمَّ أعِزَّ الإسلامَ والمسلمين، واقمَعِ الكفرةَ والملحدين، اللهمَّ وفِّقْنا لما تُحبُّ وترضى.

## مخبَرُ الرجلِ لا مظهرُه

الناس مخابِر لا مظاهر، فمَن جادَتْ قريحتُه، وغزُرَ علمُه، ورَجَحَ عقلُه، وحَسُن أدبُه، وقَوِيَ دِينُه، وثبتَ يقينُه، ونَصَعَ بيانُه، وكان جَوادًا فاضلًا - فهو الرجلُ الرجل، وهو الذي ينطبق عليه قولُ القائل:

سَيَذكُرُني قَومِي إذا جَدَّ جِدُّهُمْ وفي اللَّيلَةِ الظَّلْماءِ يُفتَقَدُ البَدْرُ

إنَّ هؤلاء هم مفاخرُ الأمَّة ومحاسنُها، وتيجانُها ولآلئُها، وبمثلهم ترتقي الأُمم، وتعتزُّ الشعوب، وتتقدَّم الحضارة صُعُدًا.

## انشُر لا أبا لك!

قحِطَتِ البادية في أيَّام هشام بن عبد الملك، فوفدَتْ رؤساءُ القبائل على هشام، ورحلوا إليه ومعهم ولدٌ عمره أربع عشرة سَنة، اسمه: دِرْواسُ بن

حبيب، عليه شَمْلَتان وله ذُؤابة، فاستصغرَه هشام، وقال لحاجبه: ما يشاء أحدٌ أن يصل إليَّ إلَّا وصلَ حتى الصِّبيان!

وكان القوم قد تهيَّبوا القولَ وأحجموا عن الكلام، فقال دِرْواس: يا أميرَ المؤمنين؛ إنَّ دخولي لم يُخلَّ بكَ شيئًا، ولقد شرَّفني، وإنَّ هؤلاء القوم قدِموا لأمرٍ أحجموا دونَه، وإنَّ الكلام نَشْرٌ، والسكوت طَيٌّ، ولا يُعرَف الكلامُ إلَّا بنَشْره.

فقال هشام: فانشُر لا أبا لك! وأعجبَه كلامُه.

فقال: أصابَتنا ثلاثُ سنين؛ فسَنَةٌ أذابتِ الشَّحم، وسَنَةٌ أكلَتِ اللَّحم، وسَنَةٌ نَقَّتِ العَظم، وفي أيديكم فضولُ أموال، إن كانت لله ففرِّقوها على عباده المستحقِّين لها، وإن كانت لهم فعلامَ تحبِسونها عنهم؟! وإن كانت لكم فتصدَّقوا بها عليهم؛ فإنَّ الله يجزي المتصدِّقين، ولا يُضيع أجرَ المحسنين، واعلَم يا أمير المؤمنين، أنَّ الوالي من الرعيَّة كالرُّوح من الجسد، لا حياةَ للجسد إلَّا به.

فقال هشام: ما تَرَكَ الغلامُ في واحدةٍ من الثلاث عُذرًا! وأمر أن تُقسَم في بادِيَته مئةُ ألف درهم، وأمر لدِرْواسٍ بمئة ألف درهم، فقال: يا أميرَ المؤمنين؛ ارْددُها إلى أَعطِيَةِ أهل بادِيَتي؛ فإنِّي أكره أن يعجِزَ ما أمر لهم به أميرُ المؤمنين عن كِفايَتِهم.

قال: فما لك من حاجة تذكُرها لنفسك؟

قال: ما لي من حاجة دونَ عامَّة المسلمين.

ولـمَّا عاد دِرْواسٌ إلى منزله بَعَثَ له هشام بمئة ألف درهم، ففرَّقها في تسعةِ أبطُن من العرب، لكلِّ بطنٍ عشَرة آلاف، وأخذ هو عشَرةَ آلاف، فقال

هشام: إنَّ الصَّنيعةَ عندَ دِرْواسٍ لتَضعُفُ على سائرِ الصنائع.

* قال الإمام الشافعيُّ:

لا خَـيـرَ فـي حَـشْـوِ الـكَـلا   م إذا اهـتَـدَيـتَ إلـى عُـيُـونِـهْ
والـصَّـمـتُ أَجـمَـلُ بِـالـفَـتَـى   مـن مَـنـطِـقٍ فـي غَـيـرِ حِـيـنِـهْ
وعَـلَـى الـفَـتَـى لِـطِـبـاعِـهِ   سِـمَـةٌ تَـلُـوحُ عَـلَـى جَـبِـيـنِـهْ
كُـلُّ امْـرِئٍ فـي نَـفْـسِـهِ   أَعـلـى وأَشْـرَفُ مـن قَـرِيـنِـهْ

* وقال بعضُ الشُّعراء:

وكُـنـتُ جَـلِـيـسَ قَـعْـقـاعِ بـنِ شَـوْرٍ   ولا يَـشْـقَـى بـقَـعْـقـاعٍ جَـلِـيـسُ
ضَـحُـوكُ الـسِّـنِّ إن نَـطَـقُـوا بـخَـيـرٍ   وعِـنـدَ الـشَّـرِّ مِـطْـراقٌ عَـبُـوسُ

* حُكِي أنَّ بعض الحكماء رأى رجلًا يُكثِر الكلام، ويُقِلُّ السكوت، فقال: إنَّ الله تعالى إنَّما خلق لك أُذنَين ولسانًا واحدًا؛ ليكونَ ما تسمعُه ضِعفَ ما تتكلَّم به.

* وقال الجاحظ: للكلام غايَة، ولنشاط السامعين نهايَة، وما فَضَلَ عن الاحتمال، ودعا إلى الاستِثقال والمَلال، فذلكَ الفاضلُ هو الهَذْر.

* ذكر ابنُ الجوزيِّ في كتاب "الحمقى والمغفَّلين":

قال عبد الله بن محمَّد: قلت لرجل مرَّة: كم في هذا الشَّهرِ من يوم؟

فنظر إليَّ، وقال: لستُ أنا والله من هذا البلد!

* لمَّا مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز حَزِن عليه أبوه حزنًا شديدًا؛ فقال ذات يوم لِمَن حضرَه: هل من مُنشِدٍ شعرًا يُعزِّيني به، أو واعظٍ يخفِّف عنِّي فأتسلَّى به!

فقال رجل من أهل الشام: يا أميرَ المؤمنين؛ كلُّ خليل مفارِقٌ خليلَه،

بأن يموت، أو يذهبَ إلى مكان.

فتبسَّم عمر بن عبد العزيز، وقال: مُصيبتي فيكَ زادَتْني إلى مُصيبتي مُصيبة!

* وصف ربيعةُ بن حِصْنِ بن تَيْم اللَّات بن ثَعْلَبَةَ قومًا بالعِيِّ، فقال: منهم مَن ينقطِعُ كلامُه قبل أن يصلَ إلى لسانِه، ومنهم مَن لا يبلغُ كلامُه أُذنَ جليسه، ومنهم مَن يقتَسِرُ الآذان، فيحملُها إلى الأذهان عبئًا ثقيلًا.

* صَعِدَ مَعْنُ بن زائدة المِنبرَ فأُرتِجَ عليه، فضربَ المنبر برِجلِه، ثم قال: فتى حُروب، لا فتى منابر!!

* لَمَّا أتى يزيدُ بن أبي سفيانَ واليًا على الشام لأبي بكر رضي الله عنه خَطَب فأُرتِجَ عليه، فعاد إلى الحمد فأُرتِجَ عليه، فعاد إلى الحمد ثم أُرتِج عليه، فقال: يا أهلَ الشام؛ عسى الله أن يجعلَ من بعد عُسرٍ يُسرًا، ومن بعد عِيٍّ بيانًا، وأنتم إلى إمام عادلٍ أحوجُ منكم إلى إمام قائِل.

ثم نزل، فبلغَ ذلك عمرو بن العاص فاستحسَنه.

* قال الإمام الشافعي:

إذا نَطَقَ السَّفيهُ فَلا تُجِبْهُ ... فخَيرٌ من إجابَتِهِ السُّكوتُ
فإن كَلمتَهُ فَرَّجْتَ عنهُ ... وإن خَلَّيْتَهُ كَمَدًا يَمُوتُ

* قال أبو العَيناء: سمعتُ العبَّاس بن الحسن العَلويَّ يصفُ كلامَ رجل فقال: كلامُه سهل؛ كأنَّ بينَه وبينَ القلوب نَسَبًا، وبينَه وبينَ الحياة سَبَبًا، كأنَّما هو تُحفةُ قادم، ودواءُ مريض، وواسِطَةُ قِلادَة.

* قال عمرو بن مَعدِ يكَرِب: الكلام الليِّن يُليِّنُ القلوبَ التي هي أقسى من الصخر، والكلام الخَشِن يخشِّنُ القلوبَ التي هي أنعمُ من الحَرير.

* قال زياد: ما قرأتُ كتابَ رجل قطُّ إلَّا عرفتُ فيه عقلَه.

* قال موسى بن يحيى بن خالد البَرْمَكِي: قال أبو علي: رسائلُ المرء في كتبه أدلُّ على مقدار عقلِه، وأصدقُ شاهِد على غَيبِه لك ومَعناهُ فيك، من أضعاف ذلك على المشافهة والمواجهة.

* قال الجاحظ: أحسنُ الكلام ما كان قليلُه يُغني عن كثيره، وكان معناه في ظاهر لفظِه، حتى ليُخيَّلَ لك أنَّ الله ﷻ ألبسَه من الجلالة، وغشَّاه من نُورِ الحِكمة على حسَبِ نيَّة صاحبه، وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفًا، واللفظُ بليغًا، وكان صحيحَ الطَّبع، بعيدًا عن الاستِكراه، منزَّهًا عن الاختلال، مصونًا عن التكلُّف، صَنَعَ في القلب صُنعَ الغَيثِ في التُّربَة الكريمة، ومتى فَصَلَتِ الكلمةُ على هذه الشَّريطة، ونَفَذَت من قائلها على هذه الصِّفة، أصحبَها الله من التوفيق، ومنحَها من التأييد ما لا يَمتنِع من تعظيمها به صدورُ الجبابرة، ولا يَذْهَلُ عن فَهمِها عقولُ الجَهَلَة.

* حُكي عن أبي يوسفَ الفَقيهِ - صاحب أبي حنيفة - أنَّ رجلًا كان يجلس إليه فيُطيل الصَّمت، فقال له أبو يوسف: ألَا تسأل؟

قال: بلى؛ متى يُفطِر الصائم؟

قال: إذا غَرَبَتِ الشمس.

قال: فإن لم تغرُب إلى نصفِ اللَّيل؟

فتبسَّم أبو يوسف، وتمثَّل ببيتَي الخَطَفَى جَدِّ جَرِير:

عَجِبتُ لإزْراءِ العَيِيِّ بنَفْسِهِ    وصَمْتِ الذي قَدْ كانَ بالقَولِ أَعْلَمَا
وفي الصَّمتِ سِترٌ للعَيِيِّ وإنَّمَا    صَحِيفَةُ لُبِّ المَرءِ أن يَتَكلَّمَا

* رأى قَبِيصَةُ بن المُهَلَّب جَرادًا يطير، فقال: لا يهولَنَّكُم ما تَرَوْن؛ فإنَّ عامَّتها موتى.

## مكارمُ الأخلاق

مكارِم الأخلاق مطلبٌ سامٍ، وهدفٌ غالٍ، وأنشودةٌ عَذبَة، يتغنَّى بها الناس على مرِّ القرون والعصور، وفي شتَّى الأقطار والدِّيار، وكانت العربُ تتمادَحُ بحُسن الهيئة، وطِيب الرائحة:

* قال الفَرَزْدَق:

بَنـو دارِمٍ قَـومِـي تَـرَى حُـجُـزاتِـهِـمْ　　عِـتـاقًـا حَـواشِـيـهـا رِقـاقًـا نِـعـالُـهَـا
يَـجُـرُّونَ هُـدَّابَ الـيَـمـانِ كَـأنَّـهُـمْ　　سُيوفٌ جَلا الأَطْباعَ عنها صِقالُهَا

* وقال آخر:

مِنَ الـنَّـفَـرِ الـشُّـمِّ الـذيـنَ إذا اعـتَـزَوا　　وَهابَ الرِّجالُ حَلْقَةَ البابِ قَعْقَعُوا
جَلا الأذفَرُ الأَحْوَى مِنَ المِسْكِ فَرْقَهُ　　وطِـيـبُ الـدِّهـانِ رَأسَـهُ فَـهْـوَ أَنْـزَعُ

* وقال النابغة:

رِقـاقُ الـنِّـعـالِ طَـيِّـبٌ حُـجُـزاتُـهُـم　　يُـحَـيَّـونَ بـالـرَّيْـحـانِ يـومَ الـسَّـبـاسِـبِ
يُـحَـيِّـيـهِـمُ بِـيـضُ الـوَلائِـدِ بَـيـنَـهُـمْ　　وأَكْسِيَةُ الإضْرِيجِ بينَ المَشاجِبِ
يَصُونُونَ أَجْسادًا قَدِيمًا نَعِيمُهَا　　بِخالِصةِ الأَرْدانِ خُضرِ المَناكِبِ
ولا عَيبَ فيهِمْ غيرَ أَنَّ سُيوفَهُمْ　　بِـهِـنَّ فُـلـولٌ مِـنْ قِـراعِ الـكَـتـائِـبِ

## شعرٌ وشُعراء

* قال أبو الأسود الدُّؤلي:

وما كُلُّ ذِي لُبٍّ بِمُؤتِيكَ نُصحَهُ　　ولا كُـلُّ مُـؤتٍ نُـصـحَـهُ بِـلَـبِـيـبِ
ولَكِنْ إذا ما استَجْمَعا عِندَ صاحِبٍ　　فَـحُـقَّ لَـهُ مـن طـاعَـةٍ بِـنَـصِـيـبِ

* سمع سليمان بن عبد الملك مغنِّيًا في عسكره، فقال: اطلبوه!

فجاؤوا به، فقال: أعِد عليَّ ما تغنَّيتَ به!

فغنَّى واحتفل - وكان سليمان أغيرَ الناس - فقال لأصحابه: كأنَّها والله جَرْجَرَةُ الفَحْلِ في الشَّوْل، وما أحسَبُ أنثَى تسمع هذا إلَّا صَبَت!

وأمرَ به فخُصِي!

* وقال أبو تمَّام:

ويَلبَسُ أخلاقًا كِرامًا كأنَّهَا   عَلَى العِرْضِ من فَرْطِ الحَصانَةِ أَدْرُعُ

* قال عبد الله بن الحسن لابنه محمَّد حين أرادَ الاستِخفاء: أي بُنيَّ؛ إنِّي مؤدٍّ إليكَ حقَّ الله في حُسنِ تأديبِك، فأدِّ إليَّ حقَّ الله في حُسنِ الاستماع!

أي بُنيَّ؛ كُفَّ الأذى، وارفُضِ البَذَا، واستَعِنْ على الكلام بطول الفِكر في المواطن التي تدعوك فيها نفسُك إلى القول؛ فإنَّ للقول ساعاتٍ يضرُّ فيها خطؤه، ولا ينفعُ صوابُه.

احذَرْ مشورةَ الجاهل وإن كان ناصحًا، كما تحذرُ مشورةَ العاقل وإن كان غاشًّا؛ فإنَّه يوشِك أن يورِّطاك بمشورتِهما، فيسبقُ إليك مكرُ العاقل، وتوريطُ الجاهل.

## دعاء

اللَّهم ثبِّتْنا على الإيمان، واهدِنا إلى سَواء السَّبيل.

اللهمَّ انصرنا على القوم الكافرين، اللهمَّ إنَّا نعوذ بك من مُضلَّات الفِتن، ومُوجِبات النِّقَم، ربَّنا آتِنا في الدُّنيا حَسَنَة، وفي الآخرة حَسَنَة، وقِنا عذابَ النار.

* قال المتلمِّس الضُّبَعِي:

إحفَظْ نَصِيحَةَ مَن بَدا لكَ نُصْحُهُ وكَذاكَ رَأيُ الحُرِّ جَهْدَكَ فاقبَلِ

* قال المتنبِّي:

إذا ساءَ فِعلُ المَرْءِ ساءَتْ ظُنونُهُ وَصَدَّقَ ما يَعْتادُهُ مِن تَوَهُّمِ
وعادَى مُحِبِّيهِ بقَولِ عُداتِهِ وأصبحَ في لَيلٍ منَ الشَّكِّ مُظلِمِ
أُصادِقُ نَفسَ المَرْءِ مِن قَبلِ جِسْمِهِ وأَعْرِفُها في فِعْلِهِ والتَّكلُّمِ
وأَحلُمُ عَن خِلِّي وأَعلَمُ أنَّهُ مَتَى أَجزِهِ حِلمًا عَلَى الجَهلِ يَندَمِ
فأَحسَنُ وَجهٍ في الوَرَى وَجهُ مُحسِنٍ وأَيمَنُ كَفٍّ فيهِمُ كَفُّ مُنعِمِ
وأَشرَفُهُمْ مَن كانَ أَشرَفَ هِمَّةً وأكثرَ إقدامًا عَلَى كُلِّ مُعظَمِ

* وقال الحُسين بن مُطَير:

أُحِبُّ مَكارِمَ الأخلاقِ جَهْدِي وأَكرَهُ أن أَعِيبَ وأن أُعابَا
وأَصفَحُ عَن سِبابِ النَّاسِ حِلمًا وشَرُّ النَّاسِ مَن يَهوَى السِّبابَا
ومَن هابَ الرِّجالَ تَهَيَّبُوهُ ومَن حَقَرَ الرِّجالَ فَلَن يُهابَا

* يقال: مَن كَسا الحياءُ ثَوبَه، سَتَرَ عن العيونِ عيبَه.

* وقال الحُسين بن مُطَير:

رَأَتْ رَجلًا أَوْدَى بِوافِرِ لَحْمِهِ طِلابُ المَعالِي واكتِسابُ المَكارِمِ
خَفيفَ الحَشا ضَربًا كَأنَّ ثِيابَهُ عَلَى قاطِعٍ مِنْ جَوهَرِ الهِندِ صارِمِ
فقُلتُ لها: لا تَعْجَبِنَّ فإنَّنِي أَرَى سِمَنَ الفِتيانِ إحدَى المَشاتمِ

* خَطَب بلالُ بن أبي بُرْدَةَ بالبصرة؛ فقال: أيُّها الناس؛ لا يمنعنَّكم سوءُ ما تعلمون منَّا أن تقبلوا أحسنَ ما تسمعون منَّا.

* قال قَعْنَبُ بنُ أُمِّ صاحب:

صُـمٌّ إذا سَـمِـعُـوا خَـيـرًا ذُكِـرتُ بِـهِ وإن ذُكِـرتُ بِـسُـوءٍ عِـنـدَهُـمْ أَذِنُـوا
فَـطـانَـةٌ فَـطِـنُـوهـا لَـوْ تـكـونُ لـهُـمْ مُـروءَةٌ أَوْ تُـقًّـى للهِ مـا فَـطِـنُـوا
إن يَـسـمَـعُـوا سَيِّئًا طارُوا بهِ فَرَحًا مِنِّي وما سَمِعُوا من صالِحٍ دَفَنُوا

* قِيلَ لبعضهم: أيُّ ولدِكَ أحبُّ إليك؟

قال: صغيرُهم حتى يكبَر، ومريضُهم حتى يَبرَأ، وغائبهم حتى يَقدَم.

* قال محمَّد بن عبد الله بن طاهر، وقيل: إنَّها لمحمود الورَّاق:

لَعَمرُكَ ما بالعَقلِ يُكتَسَبُ الغِنَى ولا بِاكتِسابِ المالِ يُكتَسَبُ العَقلُ
وكم مِنْ قَلِيلِ المالِ يُحمَدُ فَضلُهُ وآخَـرُ ذُو مـالٍ ولَـيـسُ لَـهُ فَـضـلُ
وما سَبَقَت من جاهِلٍ قَطُّ نِعمَةٌ إلى أَحَدٍ إلَّا أَضَرَّ بِها الجَهلُ
وذُو اللُّبِّ إن لم يُعطِ أَجْمَلْتَ قَوْلَهُ وإن هُوَ أَعْطَى زانَهُ القَولُ والفِعْلُ

* قال ابن عبَّاس ﵄: الدُّنيا العافية، والشبابُ الصِّحَّة، والمروءةُ الصبر، والكَرَمُ التقوى، والحَسَبُ المال.

* وأنشد أبو محلِّم لرجل من وَلَدِ طَلبةَ بن قَيسِ بن عاصم:

وكُنتُ إذا خاصَمْتُ خَصْمًا كَبَبْتُهُ عَلَى الوَجْهِ حَتَّى خاصَمَتني الدَّراهِمُ
فلَمَّا تَنازَعْنا الخُصُومَةَ غُلِّبَتْ عَلَيَّ وقالُوا: قُمْ فإنَّكَ ظالِمُ

* كان أبو ذَرٍّ يقول: اللهمَّ أمتِعنا بخِيارنا، وأعِنَّا على شِرارنا.

* مرَّ عمر بن عبد العزيز برجل يُسبِّح بالحصى؛ فإذا بلغ المئة عَزَل حَصاة، فقال له عمر: ألقِ الحصى، وأخلِصِ الدُّعاء.

* قال محمَّد بن عليِّ بن عبد الله بن عبَّاس لابنه:

يا بنيَّ؛ إذا أنعم الله عليك نِعمةً فقُل: الحمد لله، وإذا حَزَبك أمرٌ فقُل: لا حَولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله، وإذا أبطأ عنكَ رِزقٌ فقُل: أستغفر الله.

* قال عبد الله بن محمَّد:

تَـأمَّـل بِـعَـيـنَـيـكَ هـذا الأَنـامَ ... وكُـنْ بـعـضَ مَـنْ صـانَـهُ نُـبـلُـهُ
فَـحِـلـيَـةُ كُـلِّ فَـتًـى فَـضـلُـهُ ... وقِـيـمَـةُ كُـلِّ امـرِئٍ عَـقـلُـهُ
ولا تَـتَّـكِـلْ فـي طِـلابِ الـعُـلَا ... عَـلَـى نَـسَـبٍ ثـابِـتٍ أَصْـلُـهُ

* وقال بعض الشُّعراء:

فَتًى مِثلُ صَفْوِ الماءِ ليسَ بِباخِلٍ ... بِشَيءٍ ولا مُهْدٍ مَلامًا لِباخِلِ
ولا قائِلٍ عَوْراءَ تُؤذِي جَلِيسَهُ ... ولا رافِعٍ رَأسًا بِعَوْراءِ قائِلِ
ولا مُظهِرٍ أُحْدُوثَةَ السُّوءِ مُعجَبًا ... بإعلانِها في المَجلِسِ المُتَقابِلِ

* قال عبد الله بن عمرو بن العاص:

أربعٌ إن أُعطِيتَهنَّ فلا يضرُّك ما عُدِلَ به عنكَ من الدُّنيا: حُسن خُلُق، وعَفاف طُعْمَة، وصِدق حديث، وحِفظُ أمانة.

## طرائف

* قال إبراهيم المَوصِليُّ لأسباطٍ الشَّيباني: صِف ليَ الأخوَّةَ وأوجِز.

فقال: أغصانٌ تُغرَس في القلوب، فتُثمِرُ على قدرِ العُقول.

* قال زيد بن ثابت:

ثلاثُ خِصال لا تجتمع إلَّا في كريم: حُسنُ المحضَر، واحتمالُ الزَّلَّة، وقلَّة المَلالَة.

* قال عبد الملك بن مَرْوان: إنِّي لأعرف عِزَّة الرجلِ في جِلسَتِه.

* قال بعضُهم:

يَزِينُ الفَتَى في النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ    وإن كانَ مَحظُورًا عَلَيهِ مَكاسِبُهْ
وشَينُ الفَتَى في النَّاسِ قِلَّةُ عَقْلِهِ    وإن كَرُمَت آباؤُهُ ومَناسِبُهْ

* قال الحسن بن وهب: كاتِبْ رئيسَك بما يستحقُّه، ومَن دونَك بما يستوجِب، وكاتِبْ صديقَك بما تُكاتِبُ به حبيبَك.

* قال لُقمان لابنه: يا بُنيَّ؛ إيَّاك والكسلَ والضَّجَر؛ فإنَّك إذا كَسِلتَ لم تؤدِّ حقًّا، وإذا ضجِرتَ لم تصبر على حقٍّ.

* قيل لخالد بن يزيد بن معاوية: ما أقربُ شيء؟

قال: الأجَل.

قيل له: فما أبعدُ شيء؟

قال: الأمَل.

قيل له: فما أوحشُ شيء؟

قال: الميِّت.

قيل له: فما آنَسُ شيء؟

قال: الصاحِب المُواتي.

* وقدِمَ وفدٌ على معاوية، فقال لهم: ما تعدُّون المروءة؟

قالوا: العَفاف، وإصلاح المعيشة.

قال: اسمَع يا يزيد.

* قيل لعبد الملك بن مَرْوان: أكان مُصعَبُ بن الزُّبَير يشربُ الطِّلاء؟

فقال: لو عَلِمَ مُصعَبٌ أنَّ الماء يُفسِد مروءتَه ما شَرِبه.

* قال سهل بن هارون: مَن ثَقُل عليكَ بنفسه، وغمَّك بسُؤاله، فأعِرْه أذنًا صَمَّاء، وعينًا عَمياء.

* دخل مجوسيٌّ على والٍ، فقال: ما اسمُك؟

قال: يزدان اذان.

قال: اسمان وجِزيةٌ واحدة! لا يكون ذلك. وألْزَمه جِزيتَين!

* قال هُدْبَةُ العُذري:

ولَستُ بمِفراحٍ إذا الدَّهرُ سَرَّني ... ولا جازعٍ مِنْ صَرفِهِ المُتَقلِّبِ
ولا أَتَمَنَّى الشَّرَّ والشَّرُّ تارِكي ... ولكن مَتَى أُحمَلْ عَلَى الشَّرِّ أَركَبِ
ويَعتَدُّهُ قَومٌ كَثيرٌ تِجارَةً ... ويَمنَعُنِي من ذاكَ دِينِي ومَنصِبِي
فإنَّ مَسِيرِي في البِلادِ ومَنزِلِي ... لبِالمَنزِلِ الأَقصَى إذا لَم أُقرَّبِ

* قال الحسن: الرجال ثلاثة: رجلٌ بنفسِه، ورجلٌ بلِسانِه، ورجلٌ بمالِه.

* قال أبو عمرو بن العلاء: خُذِ الخيرَ من أهلِه، ودَعِ الشرَّ لأهلِه.

* قال أبو العَتاهِيَة:

كَم من مُؤَخِّرِ غايَةٍ قَدْ أَمكَنَتْ ... لِغَدٍ وليسَ غَدٌ لها بِمُواتِ
حتَّى إذا فاتَتْ وفاتَ طِلابُهَا ... ذَهبَتْ عليها نَفْسُهُ حَسَراتِ
تَأتِي المَكارِهُ حِينَ تَأتِي جُملَةً ... وأَرَى السُّرورَ يَجِيءُ في الفَلَتاتِ

* قال ابن المقفَّع: لا يُعجِبْكَ إكرامُ مَن يُكرمُك لمنزلةٍ أو سُلطان؛ فإنَّ السُّلطةَ أوشَكُ أُمور الدُّنيا زَوالًا، ولا يُعجِبنَّك إكرامَهم إيَّاك للنَّسَب؛ فإنَّ الأنسابَ أقلُّ مناقبِ الخير غِناءً عن أهلها في الدِّين والدُّنيا، ولكن إذا أُكرمتَ على دِين أو مروءة فذلك فليُعجِبك؛ فإنَّ المروءةَ لا تُزايِلُك في الدُّنيا، والدِّينَ لا يُزايِلُك في الآخرة.

## حِكمة

لا تحقِرنَّ شيئًا من الخير وإن كان صغيرًا؛ فإنَّك إذا رأيتَه سرَّكَ مكانُه، ولا تحقِرنَّ شيئًا من الشرِّ وإن كان صغيرًا؛ فإنَّك إذا رأيتَه ساءك مكانُه.

* قال المأمون لمحمَّد بن عُبادةَ المُهلَّبي: أنتَ مِتْلاف!

فأجاب: مَنعُ الجُود، سوءُ ظنٍّ بالمعبود؛ يقول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

* قال لُقمان الحكيم:

كَذَب مَن قال: إنَّ الشرَّ يُطفَأ بالشرِّ؛ فإن كان صادقًا فليُوقِد نارَين، ولينظُر هل تُطفئ إحداهُما الأخرى؟! وإنَّما يُطفئ الخيرُ الشرَّ، كما يُطفئ الماءُ النار.

* قال معاوية بن أبي سُفيان لزِيادٍ حين ولَّاه العراق: ليكُن حبُّك وبغضُك معتدلًا؛ فإنَّ العِشرةَ فيها كامِنَة، واجعَل للنُّزوع والرُّجوع بقيَّةً من قلبك، واحذَر صَولةَ الانهِماك؛ فإنَّها إلى الهَلاك.

* سأل أحدُ الملوك وزيرَه: ما خيرُ ما يُرزَقُه الإنسان؟

قال: عقلٌ يعيش به.

قال: فإن عَدِمَه؟

قال: أدبٌ يتحلَّى به.

قال: فإن عَدِمَه؟

قال: فصاعِقةٌ تَحرِقُه وتُريح منه العِبادَ والبلاد.

* قال علي رضي الله عنه: ما أزهدَ كثيرًا من الناس في الخير! عجِبتُ لرجل يأتيه أخوه في حاجة فلا يرى نفسَه أهلًا للخَير! فلو كنَّا لا نرجو جَنَّة، ولا نَخاف من نار، ولا ننتظِر ثوابًا، ولا نخشى عقابًا، لكان ينبغي لنا أن نطلبَ مكارِمَ الأخلاق.

* سُئِل بعضُ الحكماء: ما الذي لا يَحسُن أن يُقال، وإن كان حقًّا؟

قال: مَدحُ المرء لنفسِه.

* قال بعض الحكماء: مَن أظهرَ شُكرَك فيما لم تأتِه، فاحذَر أن يكفُرَ نعمتَك فيما أتيتَه.

* قال المتوكِّل يومًا لأبي العَيناء: إنَّ سعيد بن عبد الملك يضحكُ منك!

فأجاب أبو العَيناء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩﴾ [المطففين: ٢٩].

* قال شَبِيبُ بن شَيْبَة: الأريبُ العاقِل، هو الفَطِنُ المتغافِل.

* وقال الشاعر:

لیسَ الغَبِيُّ بِسَيِّدٍ في قَومِهِ ... لَـكِـنَّ سَـيِّـدَ قَـومِـهِ الـمُـتَـغـابِـي

* رأى عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه رجلًا مُقنَّعًا، فقال له: كان لُقمان الحكيمُ يقول: القِناعُ رِيبةٌ بالليل، وذُلٌّ بالنَّهار.

فقال الرجل: لُقمانُ الحكيم لم يكن عليه دَين.

* وقال الحسين بن عليّ بن عبد الواحد النَّصِيبيُّ النَّديم:

ومُـحـتَـرِسٍ مِـن نَـفـسِـهِ خَـوفَ زَلَّـةٍ ... تَـكُـونُ عَـلَـيـهِ حُـجَّـةً وَهْـيَ مـا هِـيَـا

يَـصُـونُ عَـنِ الـفَـحـشاءِ نَـفـسًـا كَـرِيـمَـةً ... أَبَـت شَـرَفًـا إِلَّا الـعُـلَـى والـمَـعـالِـيَـا

صَبُورٍ عَلَى رَيبِ الزَّمانِ وصَرْفِهِ   كَتُوم لأَسْرارِ الفُؤادِ مُدارِيَا
لَهُ هِمَّةٌ تَعلُو عَلَى كُلِّ هِمَّةٍ   كما قَدْ عَلا البَدرُ النُّجُومَ الدَّرارِيَا

* قال أكثَمُ بن صَيْفي: تباعَدوا في الدِّيارِ تقارَبوا في المودَّة.

* وقال عمرو بن العاص: ثلاثةٌ لا أمَلُّهم: جليسي ما فَهِم عنِّي، ودابَّتي ما حملَتْ رَحلِي، وثوبي ما ستَرَني.

* كان يُقال: كَدَرُ الجماعةِ خيرٌ من صَفوِ الفُرْقة.

* قال الفُضَيل بن عِياض: نعمتِ الهديَّة الكلمةُ الطيِّبة، يحفظُها الرجلُ حتى يُلقيَها لأخيه.

* وقال عليٌّ رضي الله عنه:

أَخُوكَ الَّذِي إن أَحوَجَتكَ مُلِمَّةٌ   مِنَ الدَّهرِ لم يَبرَحْ لها الدَّهرَ واجِمَا
وليسَ أَخُوكَ الحَقُّ مَن إن تَشعَّبَتْ   عَلَيكَ أُمُورٌ ظَلَّ يَلْحاكَ لائِمَا

* قال المُغِيرَةُ بن شُعْبَة: كان عمر أفضلَ من أن يَخدَع، وأعقلَ من أن يُخدَع.

* قال زيادُ بن أبيه: لا يُعدِمنَّك من الجاهل كثرةُ الالتِفات، وسرعةُ الجواب.

* وقالوا: أمران لا ينفكَّان من الكَذِب: كثرة المواعيد، وشدَّة الاعتِذار.

* كان عبد الملك بن الحجَّاج بن يوسف يقول: لأنَا للعاقل المدبِر أرجى منِّي للأحمق المقبِل.

* قيل: ومِن أبخَلِ البُخلِ تركُ ردِّ السلام.

* وقال عمرو بن علي:

إذا نَطَقَ السَّفيهُ فَلا تُجِبْهُ ... فخَيرٌ من إجابَتِهِ السُّكوتُ
سَكَتُّ عَنِ السَّفيهِ فَظَنَّ أنِّي ... عَيِيتُ عَنِ الجَوابِ وما عَيِيتُ

* وفي المثل: لا تكن حُلوًا فتُزْدَرَد، ولا مُرًّا فتُلفَظ.

* قال ابن عُيَيْنَة: ليس أقولُ لكم إلَّا ما سمعت؛ قيل لابن المُنْكَدِر: أيُّ الأعمال أفضل؟

قال: إدخالُ السُّرور على المؤمِن.

وقيل: أيُّ الدُّنيا أحبُّ إليك؟

قال: الإفضالُ على الإخوان.

* قال ابن عبَّاس:

ثلاثةٌ لا أُكافِئُهم: رجلٌ بدأَني بالسلام، ورجلٌ وسَّع لي في المجلس، ورجلٌ اغبرَّتْ قدماه في المشي إلى إرادةِ التسليم عليَّ، فأمَّا الرابع فلا يُكافئه عنِّي إلَّا الله ﷻ.

قيل: ومَن هو؟

قال: رجلٌ نزلَ به أمرٌ فباتَ ليلتَه يُفكِّر بمَن يُنزله، ثم رآني أهلًا لحاجته، فأنزلَها بي.

* قال حمَّاد عَجْرَد:

إنَّ الكَريمَ ليُخفي عنكَ عُسرَتَهُ ... حَتَّى تَراهُ غَنِيًّا وهْوَ مَجهُودُ
إذا تَكَرَّهْتَ أن تُعطِي القَليلَ ولم ... تَقدِرْ على سَعَةٍ لم يَظهَرِ الجُودُ
ولِلْبَخيلِ على أموالِهِ عِلَلٌ ... زُرْقُ العُيونِ عليها أوجُهٌ سُودُ
أَورِقْ بخَيرٍ تُرَجَّى لِلنَّوالِ فمَا ... تُرجَى الثِّمارُ إذا لم يُورِقِ العُودُ
بُثَّ النَّوالَ ولا تَمْنَعْكَ قِلَّتُهُ ... فكُلُّ ما سَدَّ فَقْرًا فهْوَ مَحمودُ

* أوصى عُمير بن حَبيب بَنيه، فقال: يا بَنيَّ؛ إيَّاكم ومُخالطةَ السُّفهاء؛ فإنَّ مجالستَهم داء، وإنَّه مَن يَحلُم عن السَّفيه يُسرَّ بحِلمه، ومَن يُجِبه يندَم، ومن لا يُقرَّ بقليل ما يأتي به السفيهُ يُقرَّ بالكثير، وإذا أراد أحدُكم أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر فليوطِّن قبلَ ذلك نفسَه على الأذى، وليُوقِن بالثواب من الله ﷻ؛ إنَّه مَن يوقِنْ بالثواب من الله ﷻ لا يجِد مَسَّ الأذى.

* قال سالم بن وابِصَة الأسَدي:

أُحِبُّ الفَتَى يَنفي الفَواحِشَ سَمعُهُ ... كأنَّ بِهِ عَن كُلِّ فاحِشَةٍ وَقْرَا
سَلِيمَ دَواعِي الصَّدرِ لا باسِطًا أَذًى ... ولا مانِعًا خَيرًا ولا ناطِقًا هُجْرَا
إذا ما أَتَتْ من صاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ ... فكُن أنتَ مُحتالًا لِزَلَّتِهِ عُذْرَا
غِنَى النَّفسِ مَا يَكفيكَ من سَدِّ خَلَّةٍ ... وإن زادَ شَيئًا عادَ ذاكَ الغِنَى فَقْرَا

## حِلمٌ عن السَّفاهة

شَتَم رجلٌ الوليدَ بن أبي خَيرة، فقال الوليد: هي صحيفتُك فأَمْلِ فيها ما شِئت.

* قال سليمان بن عبد الملك:

قد ركِبْنا الفارِهَ، وتبطَّنَّا الحسناء، ولبِسْنا الليِّن حتى استَخشنَّاه، وأكلْنا الطيِّب حتى أَجِمْناه، فما أنا اليومَ إلى شيء أحوجُ منِّي إلى جليس يضَعُ عنِّي مُؤنةَ التحفُّظ.

* قال أبو الحسن المدائني: كانت بنو أُميَّةَ لا تَقبل الراويةَ إلَّا أن يكون راويةً للمَراثي.

قيل: ولِمَ ذاك؟!

قيل: لأنَّها تدلُّ على مكارِمِ الأخلاق.

* قال عُتْبَةُ بن هارون: قُلت لرُؤبَةَ بن العَجَّاج: كيف خلَّفتَ ما وراءك؟

قال: الترابُ يابِس، والمرعى عابِس.

* قال الجاحظ: رأيتُ رجلًا يروح ويغدو في حوائجِ الناس، فقلت له: قد أتعبتَ بذلك بدَنَك، وأخلَقتَ ثِيابك، وأعجَفتَ بِرْذَونَك، وقتلتَ غُلامَك؛ فما لكَ راحةٌ ولا قَرار، فلو اقتصَدتَّ بعضَ الاقتصاد!

فقال: سمعتُ تغريدَ الأطيار، فما طَرِبتُ طَرَبي لنَغْمةِ شاكر أولَيتُه معروفًا، أو سعيتُ له في حاجة.

* قال عمر بن عبد العزيز: ما قومٌ أشبهُ بالسَّلَفِ منَ الأعراب، لولا جَفاءٌ فيهم.

* قال الأصمعي: أبرعُ بيتٍ قالَتْه العربُ بيت أبي ذُؤيبٍ الهُذَلي:

والـنَّـفْـسُ راغِـبَـةٌ إذا رَغَّـبـتَـهَـا    وإذا تُـرَدُّ إلـى قَـلِـيـلٍ تَـقْـنَـعُ

* قال سليمان بن عبد الملك بن مَرْوان لأبي حازم الواعظ: سَلْ حوائِجَك.

فقال: قد رفعتُها إلى مَن لا تُختَزَلُ الحوائجُ دونَه.

* قال أَعْشَى هَمْدانَ في خالد بن عَتَّاب بن وَرْقاء:

فـإنْ يَـكُ عَـتَّـابٌ مَـضَـى لِـسَـبـيـلِـهِ    فما ماتَ مَن يَبقَى لَهُ مِثلُ خالدِ

* يقال: القَرابةُ مُحتاجةٌ إلى المودَّة، والمودَّة أقربُ الأنساب.

* كتب عمر بن الخطَّاب إلى أبي موسى رضي الله عنه: مُرْ ذوي القَرابات أن يتزاوَروا، ولا يتجاوَروا.

* ومن الآداب الجميلة في المُماشاة والمُسايرة هذه الحِكاية:

وجَّه هشام بن عبد الملك ابنَه في غزوة، ووجَّه معه ابنَ أخيه، وأوصى كلَّ واحدٍ منهما بصاحبه، فلمَّا قدِمَا عليه، قال لابن أخيه: كيف رأيتَ ابنَ عمِّك؟

فقال: إن شئتَ أجمَلْت، وإن شئتَ فسَّرْت!

قال: بل أجمِل.

قال: عرضَتْ بيننا جادَّة، فتركَها كلٌّ واحدٍ منَّا لصاحبه، فما رَكِبناها حتى رَجَعنا إليك.

* قال تأبَّطَ شَرًّا:

إذا المَرْءُ لم يَحتَلْ وقَدْ جَدَّ جِدُّهُ أَضاعَ وقاسَى أَمرَهُ وهْوَ مُدبِرُ
ولَكِنْ أَخُو الحَزْمِ الذي ليسَ نازِلًا بهِ الأَمرُ إلَّا وهْوَ لِلْقَصْدِ مُبصِرُ

* وقال كُثَيِّر:

تَرَى القَومَ يُخْفونَ التَّبسُّمَ عِندَهُ ويُنذِرُهُمْ عُورَ الكَلامِ نَذِيرُهَا
فَلا هاجِراتُ القَولِ يُؤثَرْنَ عِندَهُ ولا كَلِماتُ النُّصْحِ مُقصًى مُشِيرُهَا

## السَّعي والحِرص

السعيُ محمود، والحِرصُ مذموم، والقناعةُ حَسَنَة، والطمعُ ممقُوت، وبَينَ الكسلِ والجَشَع، والجُبن والتهوُّر، والشُّحِّ والتبذير، والتردُّد والمجازَفة، والصَّرْم والتبَذُّل، والجَفاء والمُداهَنة، والتفريط والإفراط - منزلةٌ قويمة، وخُطَّةٌ حكيمة، لا يكبو سالكُها، ولا ينبو ضاربُها، ولا يَتيه مُتطرِّقها.

## ذمُّ الحِرص

قال عمرو بن مالك الحارثي:

فمَن كانَ مِنهُ الحِرصُ يومًا لِحَظِّهِ ... يُؤمِّلُ أَن يأتِيهِ مِنهُ رَغائِبُهْ
فإنِّي رأَيتُ الحِرصَ أَنكَدَ سُدِّدَتْ ... عَنِ النُّجْحِ في كُلِّ الأُمورِ مَذاهِبُهْ
مَوارِدُهُ فيها الرَّدَى وحِياضُهُ ... وإن أُترِعَتْ لم يَحْظَ بالرِّيِّ شارِبُهْ
وإن هَيَّجَتْهُ المُطعِماتُ يَجِدْنَهُ ... إلى الغَيِّ تُحدَى كُلَّ يَومٍ رَكائِبُهْ
فَلم أَرَ حَظًّا لِامْرِئٍ كقَناعَةٍ ... ولا مِثلَ هذا الحِرصِ أَفلَحَ صاحِبُهْ

* قال الشاعر:

لا يَمنَعنَّكَ خَفْضَ العَيشِ في دَعَةٍ ... من أن تُبدِّلَ أَوطانًا بِأَوطانِ
تَلقَى بِكُلِّ بِلادٍ إن حَلَلْتَ بِهَا ... أهلًا بأهلٍ وإخوانًا بإخوانِ

* هل كلُّ ساعٍ يوفَّق في سَعيِه؟ وهل مَن رامَ المجدَ أو العلم، أو الجاهَ أو المالَ نالَه؟

كلَّا؛ فليس كلُّ مَن رامَ شيئًا حصَّله، ولكن:

عَلَى المَرءِ أن يَسعَى إلى الخَيرِ جَهْدَهُ ... ولَيسَ عَلَيهِ أن تَتِمَّ المَقاصِدُ

* قال أحد الشُّعراء البائسين:

وما زِلتُ أَقطَعُ عَرضَ البِلَادِ ... مِنَ المَشرِقَينِ إلى المَغرِبَينِ
وأَدَّرِعُ الخَوفَ تَحتَ الرَّجاءِ ... وأَستَصحِبُ الجَدْيَ والفَرْقَدَينِ
وأَطوِي وأَنشُرُ ثَوبَ الهُمُوم ... إلى أن رَجَعتُ بِخُفَّي حُنَينِ
إلى أن أَكُونَ عَلَى حالَةٍ ... مُقِلًّا مِنَ المالِ صِفْرَ اليَدَينِ
فَقِيرَ الصَّدِيقِ غَنِيَّ العَدُوِّ ... قَلِيلَ الجَداءِ عَنِ الوالِدَينِ

* وقال عمر بن الخطَّاب: لا يقعد أحدُكم عن طلب الرِّزق، ويقول: اللهمَّ

ارزقني، وقد علم أنَّ السماءَ لا تُمطر ذهبًا ولا فِضَّة، وإنَّ الله تعالى إنَّما يرزقُ الناس بعضَهم من بعض، وتلا قول الله جلَّ وعلا: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ١٠].

* وقال أبو المعافى:

وإنَّ التَّوانِي أَنكَحَ العَجْزَ بِنتَهُ ... وساقَ إليها حِينَ زَوَّجَها مَهْرَا
فِراشًا وَطِيئًا ثُمَّ قالَ لَها اتَّكِي ... قُصاراهُما لا بُدَّ أَنْ يَلِدا الفَقْرَا

* قال عليُّ بن الحسين لابنه: يا بُنيَّ؛ اصبِر على النائبة، ولا تعرِض للحُقوق، ولا تُجِب أخاك إلى شيء مضرَّتُه عليك أعظمُ من منفعتِه له.

## طلب الرِّزق

على المرء أن يسعى ويجتهد، وألَّا يركَنَ للكسل والخمول، ويكتسبَ المال الحلال؛ لينفقَه على نفسه وذويه، ويتصدَّق ويفعل المعروف، ويبذُل الندى.

فاليَدُ العُليا خيرٌ من اليدِ السُّفلى، ومَن عجزَ فلا يكلِّف الله نفسًا إلَّا وُسعَها.

## الجَدُّ في الجِدِّ

قال عُروةُ بن الوَرْد:

لَحَى اللهُ صُعْلُوكًا إذا جَنَّ لَيْلُهُ ... مُصافي المُشَاشِ آلِفًا كُلَّ مَجْزِرِ
يَعُدُّ الغِنَى مِنْ دَهْرِهِ كُلَّ لَيلَةٍ ... أَصابَ قِراهَا مِنْ صَدِيقٍ مُيَسِّرِ
يَنامُ عِشاءً ثُمَّ يُصبِحُ قاعِدًا ... يَحُتُّ الحَصَا مِنْ جَنْبِهِ المُتَعَفِّرِ
يُعِينُ نِساءَ الحَيِّ لا يَسْتَعِنَّهُ ... ويُمْسِي طَلِيحًا كالبَعِيرِ المُحَسَّرِ

وَللهِ صُعْلُوكٌ صَفيحَةُ وَجْهِهِ كضَوءِ شِهابِ القابِسِ المُتَنَوِّرِ
مُطِلٌّ عَلَى أَعدائِهِ يَزْجُرُونَهُ بِساحَتِهِمْ زَجْرَ المَنِيحِ المُشَهَّرِ

* كان عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه يقول: ما مِيتةٌ بعدَ القتل في سبيل الله أحبُّ إليَّ من أن أموتَ بين شُعبتَي رَحْلي أضربُ في أرض الله، وأبتَغي من فضلِ الله.

* قال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: أعلمتُم أنَّ الطمعَ فقر، وأنَّ اليأس غِنى، وأنَّ المرء إذا يَئِسَ من شيء استغنَى عنه.

* قال رجل لمعاوية: أقطِعني البحرَين.

قال: إنِّي لا أصِلُ إلى ذلك.

قال: فاستعملني على البَصْرة.

قال: ما أريد عَزلَ عاملِها.

قال: فتأمُر لي بألفَين.

قال: ذاك لك.

فقيل له: ويحَك! أرضيتَ بعد الأُولَيَيْن بهذا؟!

قال: اسكتوا، لولا الأُولَيان ما أُعطيتُ هذه.

* قال الحسن البصري: يا مَن يطلب من الدُّنيا ما لا يلحقُه، أترجو أن تلحقَ من الآخرةِ ما لا تطلُبه؟!

* قال رجلٌ لمعروف الكَرْخي: يا معروف؛ أَتحرَّك لطلب الرِّزق أم أجلس؟

قال: لا، بل تَحرَّك؛ فإنَّه أصلح.

فقال: تقول هذا؟!

قال: ما أنا قلتُه، ولكن الله ﷻ قال لمريم عليها السلام: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾ [مريم: ٢٥]، ولو شاء لأنزلَه عليها بدون مُؤنة وتَعَب.

* كان عُروة بن الزُّبَير يحثُّ على الزراعة، ويقول: أما لكَ أرض؟ أما سمعتَ قولَ القائل:

أَقُولُ لِعَبدِ اللهِ لَمَّا لَقِيتُهُ    يَسِيرُ بِأَعلَى الرَّقْمَتَينِ مُشَرِّقَا
تَتَبَّعْ خَبايَا الأرضِ وادْعُ مَلِيكَهَا    لَعَلَّكَ يَومًا أَنْ تُجابَ وتُرزَقَا

* وقال بعضُ السَّلف: مَن أراد أن يتوسَّع في الرِّزق، فليَقتَنِ مع تجارة له ضَيْعَة؛ ألا ترى أنَّ الله تعالى قد قَرَنَ بينهما في كتابه، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [البقرة: ٢٦٧]؟!

* وقيل لسُفيان بن عُيَيْنَة: ما بالُ الرجل يبيعُ الضَّيعةَ، فلا يُبارَكُ له في ثمنها؟!

فقال: أمَا سمعتم قولَه تعالى في وصفِ الأرض: ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾ [فصلت: ١٠]، فكيف يبارَكُ في ثمنٍ يُزيل عن مِلكه شيئًا قد بارَك الله فيه؟!

* ومرَّ كِسْرى بشيخ كبير يغرِس فَسِيلةً، فقال: أترى أن تأكلَ من ثمرها؟

فقال: لا، ولكنِّي وجدتُّ أرض الله عامرةً، فأحببت ألَّا تخرَبَ على يدي.

* سُئل أحدهم: أيُّ المال أفضل؟

فقال: عَيْنٌ خَرَّارة، في أرضٍ خَوَّارة.

قيل: ثم ماذا؟

قال: الرَّاسخاتُ في الوَحْل، المطعِماتُ في المَحْل، الملقَحاتُ بالفَحْل.

يعني: النخل.

* قال الخليلُ بن أحمد السِّجْزِيُّ:

إذا ضاقَ بابُ الرِّزقِ عَنكَ بِبَلْدَةٍ فَثَمَّ بِلادٌ رِزقُها غيرُ ضَيِّقِ
وإيَّاكَ والسُّكْنَى بِدارِ مَذَلَّةٍ فَتُسقَى بِكَأسِ الذِّلَّةِ المُتَدَفِّقِ
فَما ضاقَتِ الدُّنيا عَلَيكَ بِرَحْبِهَا ولا بابُ رِزقِ اللهِ عَنكَ بِمُغْلَقِ

* وقال الحُسينُ بن عليِّ بن محمَّد الزَّبيديُّ اليمانيُّ:

يُقِيمُ الرِّجالُ المُوسِرُونَ بأَرضِهِمْ وتَرْمِي النَّوَى بِالمُقْتِرِينَ المَرامِيَا
وما تَرَكُوا أَوطانَهُمْ عَنْ مَلالَةٍ وَلَكِنْ حَذارًا مِنْ شَمَاتِ الأَعادِيَا

* وقال رَزِينٌ العَروضيُّ الشاعر:

كَأَنَّ بِلادَ اللهِ وَهْيَ عَرِيضَةٌ عَلَى الخائِفِ المَطْلُوبِ كِفَّةُ حابِلِ
تُؤَدَّى إِلَيْهِ أَنَّ كُلَّ ثَنِيَّةٍ تَيَمَّمَها تَرمِي إِلَيهِ بِقاتِلِ

* قال أحدُ الشُّعراء:

سُبُلُ المَذاهِبِ في البِلادِ كَثِيرَةٌ والعَجْزُ شُؤمٌ والقُعُودُ وَبالُ
يا مَن يُعَلِّلُ نَفْسَهُ بِرَجائِهِ ما بِالتَّعَلُّلِ تُدرَكُ الآمالُ

## الكلمة الطيِّبة

كم كلمةٍ لطيفة، ولَفظَةٍ جميلة، كانت ذاتَ نفع كبير، وعاقبةٍ حسنة، ونتائجَ طيِّبة! وكم من كلمة سيِّئة، أعقبَت شرًّا طويلًا، وألَمًا كثيرًا، ومشاكلَ مُعقَّدة!

ولقد جاء الحثُّ على القول الكريم، والكلمة الطيِّبة، والنُّطق الحَسَنِ، في القرآن الكريم، والسُّنَّة المطهَّرة، وفي الحِكم المأثورة، والأمثال المضروبة، كما أنَّ التحذير من الكلمة الخبيثة، والقول السيِّئ، والألفاظ البذيئة شيءٌ لا يُستطاع حصرُه، ولا يمكن إحصاؤه.

وكلُّ عاقل يُدرِك ذلك ويفهمُه، ومِن الناس مَن ركن إلى الألفاظ القبيحة، والقول الفاحش، ومرذول الكلام، يُقدِّمه لصديقه مُزاحًا، ويَرميهِ تحيَّة، ويظنُّ أنَّ ذلك من التظرُّف، ورَفع الكُلْفَة، فما ذاك إلَّا من إغواء الشيطان ودسائسه؛ لِمَا يجرُّه هذا من إيقاع العداوة، وبثِّ الحَزازات، واشتمال القلوب على الضغائن، وللشيطان نَزَغاتٌ وطرائقُ وحبائل.

* قَدِم رجل من أهل الشام على أبي جعفر المنصور، فتكلَّم معه كلامًا حسنًا، فقال له أبو جعفر: حاجتَك.

فقال: يُبقيك الله يا أميرَ المؤمنين!

قال: حاجتَك؛ فإنَّه ليس كلَّ ساعة يمكنك هذا، ولا تؤمَر به.

* أتى رجلٌ خالدَ بن عبد الله في حاجة، فقال له: أتكلَّمُ بجُرأة اليأس، أم بِهَيْبة الأمل؟

قال: بل بهَيبة الأمَل.

فسألَه حاجتَه فقضاها.

• قال أحدُ الشُّعراء:

أبا مالِكٍ لا تَسألِ النَّاسَ والتَمِسْ ... بِكَفَّيكَ سَيْبَ اللهِ فَاللهُ أَوسَعُ
فَلَوْ تَسألِ النَّاسَ التُّرابَ لَأَوشَكُوا ... إذا قُلتَ: هاتُوا، أَنْ يَمَلُّوا فَيَمنَعُوا

* وقال آخر:

أَإنْ سُمتَنِي ذُلًّا فَعِفتُ حِياضَهُ سَخِطتَ ومَن يأبَ المذَلَّةَ يُعذَرِ
فَها أَنا مُسترضِيكَ لا مِنْ جِنايَةٍ جَنَيتُ ولَكِنْ مِنْ تَجَنِّيكَ فَاغفِرِ

* قال بعضُ الشُّعراء:

عَلَيكَ بِإغْبابِ الزِّيارَةِ إنَّهَا إذا كَثُرَت كانَتْ إلى الهَجْرِ مَسْلَكَا
ألم تَرَ أنَّ القَطْرَ يُسأمُ دائِمًا ويُسألُ بالأَيدِي إذا هَوَ أَمْسَكَا

## إحسانٌ بلا كُلفة

أشياءُ لا تُكلِّف عناءً، ولا تُحمِّل مشقَّة، ولا يَضير الإتيانُ بها، ولكنَّها ذات مفعول جيِّد، وأثَرٍ حسن، وعاقبة طيِّبة؛ كالبشاشة، وطَلاقة الوجه، والبَدء بالسلام، وردِّ التحيَّة بأحسنَ منها، وتشميتِ العاطس، وزيارةِ المريض، وإكرام الجار، وإماطةِ الأذى عن الطريق، والدُّعاءِ بظَهر الغَيبِ لمسلم أهدَى إليك هديَّة، أو أَسدى إليكَ معروفًا، وذَبِّكَ عن عِرض أخيك. . .

وأشباه هذه الأمور التي جاء الإسلامُ مرغِّبًا فيها، وحاثًّا على المبادرة إليها؛ تمتينًا للروابط بين المسلمين والتعاون بينهم، إنَّ ذلك من مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب؛ فما أحرى بالمسلِم أن يَتخلَّق بالأخلاق الفاضلة؛ ليكونَ أُسوةً حسنة، وقُدوةً نبيلة!

## كلمة مختصرة

إذا حاولتَ إرضاءَ جميع الناس، فقد رُمتَ المستحيل، ولكنِ ابذُلِ الجُهدَ في معرفة الحقِّ والدِّفاع عنه، وإبداء النُّصح، وإن كان البعضُ لا يعجبه ذلك، فلا تيئس، ولا تركَن للانطواء والانزواء، وكُنْ متفائلًا على كلِّ حال.

## مدنيَّة الغرب

ما بالُ بعض الشباب وهُم القوَّة في الأمَّة، والسواعِد النشيطة، وعليهم تُعلَّق آمال جِسام، وقد بَذلت لهم الدولةُ الكثيرَ من أجل أن يتعلَّموا ويتثقَّفوا، وآباؤهم يتطلَّعون بلهفةٍ إلى اليوم الذي يَرَونهم فيه ناضجين، مساهمين في خدمة دِينهم وبلادهم - ما بالُ بعض الشباب يتغافَل عن ذلك، ويحسَب المدنيةَ والرُّقيَّ هما في تقليد السخافات، واتِّباع العادات السيِّئة والانحطاط والسفالة، ويُعجب بالنَّزوات البذيئة، التي رَوَّج لها اليهودُ في المجتمعات الغربيَّة؛ لتحطيم تلك المجتمعات، وتَسعى لنشرِها في بلاد المسلمين لتدميرها - كما هي أحلام الصهاينة في القضاء على الأديان، والمعتقدات والدول، حتى يتسنَّى لهم السيطرةُ على العالَم، وتسود الدِّيانة اليهوديَّة المحرَّفة وَحدَها - حسبما يؤمِّلون؟!

إنَّ بعض الشباب يتجاهَل وسائلَ المخترعات، والقوَّة الصناعيَّة والعسكريَّة، والطبِّية والزراعيَّة، ويُقلِّد في التوافِه والمباذِل، ويدَّعي أنَّه متطوِّرٌ وعصري، وأنَّه قد خَرَج عن نِطاق الرجعيَّة والتخلُّف، وما هذا إلَّا من الوهم والوساوس، وقَلب الحقائق.

فمهلًا أيُّها الغافلون، وعَودًا إلى الصواب قبلَ فوات الأوان!

## قولُ الحقِّ

ما أجملَ كلمةَ الحقِّ، تُقال انتصارًا لدِين الله، ودعوةً إلى العفو والرِّفق، ونصيحةً لأئمَّة المسلمين وعامَّتهم!

والساكتون على الباطل، الخُرس عن الحقِّ، يَزعمون ذلك حَذقًا ودَهاءً،

وطريقًا سهلًا لجرِّ المغانم، هم فِئة يَهدِمون ويُخرِّبون، ويؤيِّدون الباطل ويُزيِّنونه، ويسكتون عن الحقِّ ويُقبِّحونه إذا لزمَ الأمر.

وبمثل هذه الزُّمَر تُطمس الحقائقُ، وتعالج الأمورُ بعكس طبيعتها وواجبها، وتَحدُث شرور وفتن، وعَواقِبُ وخيمة، أمَّا قائل الحقِّ ناصحًا ومشفقًا، منبِّهًا ومحذِّرًا - قبل أن يفوت الأوان، وحتى لا تظلَّ الحقائق في طيِّ النِّسيان، وخلفَ الضَّباب والدُّخَان - فهذا جديرٌ بأن يُشدَّ على يدِه، وأن يُتقبَّل منه نُصحُه، وأن يُنظر إليه على أنَّه مريدٌ للحقِّ، غيور على البلاد، وعلى الأمَّة، هدفه سام، وغرضه نبيل، وإن لقي صدودًا وأذًى، أو فاتَته مصالِحُ ومنافع، فإنَّه قد أدَّى واجبَه، وأراح ضميرَه، وقام بما يلزمُه.

* قال المبارَكُ بن فَضالة:

كنتُ عند أبي جعفر جالسًا في السِّماط، إذ أمر برجل أن يُقتل، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، قال رسولُ الله ﷺ: «إذا كان يومُ القيامة نادَى منادٍ بين يدي الله: ألا مَن كانت له عندَ الله يدٌ فليتقدَّم، فلا يتقدَّم إلَّا مَن عفَا عن ذنب»، فأَمَر بإطلاقه.

* كلَّم الشَّعْبيُّ ابنَ هُبَيرةَ في قوم حَبسَهم، فقال: إن كنتَ حبستَهم بباطل، فالحقُّ يُطلقهم، وإن كنتَ حبستَهم بحقٍّ، فالعفو يسعُهم.

## آدابٌ رفيعة

الكلمة الطيِّبة كم لها مِن وَقع حسن، وأثَرٍ جميل! والكلمة الخبيثة كم تُورِث من عداوة، وتُثير من شَحناءَ، وتُمزِّق من أواصِر! ولو أنَّ الكلمة الطيِّبة كانت هي السائدةَ في المجتمعات الإسلاميَّة - عملًا بأمر الله تعالى وإرشاده - لوفَّروا كثيرًا من العَناء والشِّقاق، وتفرُّقِ الكلمة، وتوتُّر الأعصاب.

لقد ضَرَب الله مثلًا للكلمة الطيِّبة بالشجرة الطيِّبة المثمِرة، الراسخة الجذور، السامِقة الفروع، البهيَّة المنظر، التي تجودُ بأُكُلِها في كلِّ حين، وبعكسها الكلمة الخبيثة، فهي كشجرة خبيثة، مُجتَثَّة الأصول، لا يُرجَى منها نَفع، وليس بها ثَمر، ولكنَّها قد تؤذي بشَوكها، وربَّما سدَّتِ الطريق، وعرقَلت المارَّةَ في سيرهم، وكانت ضارَّةً مؤذِية.

لقد أَمَر الإسلام أن يُسلِّم المسلِمون بعضُهم على بعض عندَ اللِّقاء، وأن يردُّوا التحيَّة بأحسنَ منها، أو مثلها.

إنَّ في تعاليم الإسلام وإرشاداته الحِكيمة كلَّ خير وسعادة، إنَّ البعض قد أعرَض عن هذه الآداب العظيمة، وصار يستعمل ألفاظًا غَربيَّة عند اللِّقاء، تاركًا سُنَّة السلام وآدابه، وربَّما استعاض بعضُ الناس عن السلام بكلماتٍ غير لائقة من باب المُزاح والتظرُّف، ولا شكَّ أن هذه طريقة سيِّئة، وقد يكون من جرَّائها الاختلافُ، وتنافرُ القلوب، والخِصام.

## الشَّجاعة

الشجاعة خَصلةٌ محمودة، وصِفَةٌ شريفة، يتطلَّع إليها كلُّ شَهم، ويتحلَّى بها مَن وُهِبوا عقولًا صامدة، وأفئدةً صابرة، وجأشًا رابطًا، وفي الجاهليَّة والإسلام كانتِ الشجاعة رمزَ فَخار، ودليلَ مَضاء، وعنوانَ الهَيبة والاحتِماء.

والأمَّة التي تَفقِد الشهامة، وتركَنُ إلى الدَّعَة والخُمول، وتجبُن عن الجِهاد في سبيل الله مرخِصةً الأنفسَ والأموال، هي أمَّة بائِسة ذليلة، يطؤها الأعداءُ بأقدامهم، ويستبيحُها الأشرار، ويُسام أفرادها وجماعاتها سوءَ العذاب، وهم في أسوأ حال، وأتعَسِ رَزيَّة.

وإذا نفضَت غُبار المهانة، وشمَّرَت عن سواعد الجِدِّ، وأقدمَت غيرَ

جَبانة، ولا رِعديدَة، متوكِّلةً على الله، ناصرةً لدينه، ذائدةً عن حِمَى الإسلام وحُرماته، فإنَّها منصورةٌ بإذن الله، لا يستطيع الأعداءُ - مهما بلغوا من القوَّة المادية - أن يقهروهم، أو يمزِّقوهم؛ فسلاحُ الإيمان أمضى سلاحٍ وأفتكه، والله ناصرٌ مَن نصره.

* قال أحد الشُّعراء:

وَهُمُ إذا كَسَرُوا الجُفُونَ أَكارِمٌ ... صُبُرٌ وحِينَ تُحَلَّلُ الأَزْرَارُ
يَغشَونَ حَوْماتِ المَنُونِ وإنَّهَا ... في اللهِ عِندَ نُفوسِهِمْ لَصِغارُ
يَمشُونَ في الخَطِّيِّ لا يَثنِيهِمُ ... والقَومُ إذ رَكِبُوا الرِّماحَ تِجارُ

* وقال المتنبِّي:

إذا غامَرتَ في شَرَفٍ مَرُومِ ... فَلا تَقنَعْ بِما دُونَ النُّجُومِ
فطَعمُ المَوتِ في أَمرٍ صَغِيرٍ ... كطَعمِ المَوتِ في أَمرٍ عَظِيمِ
يَرَى الجُبَناءُ أنَّ العَجزَ عَقلٌ ... وتِلكَ خَدِيعَةُ الطَّبعِ اللَّئِيمِ
وَكُلُّ شَجاعَةٍ في المَرءِ تُغْنِي ... ولا مِثلُ الشَّجاعَةِ في الحَكِيمِ
وكَم من عائِبٍ قَولًا صَحِيحًا ... وآفَتُهُ مِنَ الفَهمِ السَّقِيمِ

* قال أبو بكر لخالِد بن الوليد رضي الله عنه حين وجَّهه: احرِص على الموت، توهَبْ لكَ الحياة.

* كان حبيب بن مَسْلمة الفِهْريُّ رجلًا غزَّاءً للتُّرك، فخرج ذاتَ مرَّة إلى بعض غزواته، فقالَت له امرأتُه: أين موعدُك؟

قال: سُرادق الطاغية، أو الجَنَّة إن شاء الله تعالى!

قالت: إنِّي لأرجو أن أسبِقَك إلى أيِّ الموضعَين كنتَ به.

فجاء فوجدَها في سُرادق الطاغية تُقاتل التُّرك!

* وقال كعب بن مالك:

نَصِلُ السُّيُوفَ إذا قَصُرنَ بِخَطْوِنَا يَـومًـا ونُـلْـحِـقُـهـا إذا لَـم تَـلـحَـقِ

* وقال أيضًا:

قَـضَـيـنَـا مـن تِـهـامَـةَ كُـلَّ وَتْـرٍ وخَـيـبَـرَ ثُـمَّ أَغـمَـدنَـا الـسُّـيـوفَـا
تُـخـبِّـرُنـا ولَـوْ نَـطَـقَـت لَـقـالَـتْ: قَـواطِـعُـهُـنَّ دَوْسًـا أَوْ ثَـقِـيـفَـا

* من الوصايا النافعة: وصيةُ أبي بكر لخالِد رضي الله عنه حين وجَّهه لقِتال أهل الرِّدَّة:

سِر على بركة الله، فإذا دخلتَ أرضَ العدوِّ، فكن بعيدًا من الحَمْلة، فإنِّي لا آمَن عليك الجَوْلة، واستظهِر بالزاد، وسِر بالأدلَّاء، ولا تُقاتل بمجروح؛ فإنَّ بعضَه ليس منه، واحترِسْ من البَيَات؛ فإنَّ في العرب غِرَّة، وأقلِل من الكلام، فإنَّما لكَ ما وُعِي عنك، واقبَل من الناس علانِيتَهم، وكِلهُم إلى الله في سرائرهم، وأستودِعُك الله الذي لا تَضيع ودائِعُه.

• لَمَّا أُتيَ يزيدُ بن عبد الملك برأس يزيدَ بن المهلَّب، نال منه بعضُ جُلسائه، فقال له: مَهْ! إنَّ يزيد بن المهلَّب طَلَب جَسِيمًا، ورَكِب عَظيمًا، وماتَ كَريمًا.

* ومن وصيَّة لأبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

«لا تَخونوا ولا تَغُلُّوا، ولا تُمثِّلوا، ولا تقتلوا طِفلًا صغيرًا، ولا شيخًا كبيرًا، ولا امرأة، ولا تَعقِروا نخلًا ولا تحرقوه، ولا تَذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيرًا إلَّا لمأكَلة، وسوف تمرُّون بأقوام قد فَرَّغوا أنفسَهم في الصوامع، فدَعُوهم وما فرَّغوا أنفسَهم له».

* قال خالد بن الوليد رضي الله عنه:

لقد لقيتُ كذا وكذا زحفًا، وما في جِسْمي موضِعُ شِبر إلَّا وفيه ضَرْبة، أو طَعْنة، أو رَمْيَة، ثم ها أنا ذا أموتُ حَتفَ نفسي كما يموت العير، فلا نامَتْ أعينُ الجُبناء!

* كان زياد يقول لقوَّاده: تجنَّبوا اثنين لا تُقاتلوا فيهما العدوَّ: الشِّتاءَ، وبطونَ الأودية.

## ومن أخبار الحمقى والمغفَّلين

نادرة:

كتب بعض الناس: كتبتُ من طِيس، يريد (طُوس)، فقيل له في ذلك؛ فقال: لأنَّ (مِن) تخفِض مَن بعدَها!

فقيل له: إنَّما تخفض حرفًا واحدًا، لا بلدًا له خَمسُمئة قرية.



* قيل لعبد الله بن عمر: إنَّ المختار يزعُم أنه يوحَى إليه؟

قال: صَدَق؛ ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾.

* عضَّ ثعلبٌ أعرابيًّا فأتى راقيًا، فقال الراقي: ما عضَّك؟

فقال: كلب.

واستحى أن يقولَ ثعلب، فلمَّا ابتدأ بالرُّقية، قال: واخلِطْ بها شيئًا من رُقيةِ الثعالِب!

* قال محمَّد بن وُهَيب:

لَئِن كُنتُ مُحتاجًا إلى الحِلم إنَّنِي إلَى الجَهلِ في بَعضِ الأَحايِينِ أَحوَجُ
ولِي فَرَسٌ لِلحِلم بِالحِلم مُلجَمٌ ولِي فَرَسٌ لِلجَهلِ بِالجَهلِ مُسرَجُ
فمَن شاءَ تَقويمِي فَإنِّي مُقوَّمٌ ومَن رامَ تَعْوِيجِي فَإنِّي مُعوَّجُ
وما كُنتُ أَرضَى الجَهلَ خِدنًا وصاحِبًا ولكِنَّني أَرضَى بهِ حِينَ أُحرَجُ
ألا رُبَّما ضاقَ الفَضاءُ بأَهلِهِ وأَمكَنَ مِن بَينِ الأَسِنَّةِ مَخرَجُ
وإن قالَ بَعضُ النَّاسِ فيهِ سَماجَةٌ فقَد صَدَقُوا، والذُّلُّ بِالحُرِّ أَسمَجُ

* وقال عامر بن الطُّفَيل:

وإنِّي وإن كُنتُ ابنَ سَيِّدِ عامِرٍ وفارِسِها المَشهُورِ في كُلِّ مَوكِبِ
فَما سَوَّدَتنِي عامِرٌ عَنْ وِراثَةٍ أَبَى اللهُ أَنْ أَسمُو بِأُمٍّ ولا أَبِ
ولكِنَّنِي أَحْمِي حِماهَا وأَتَّقِي أَذاهَا وأَرْمِي مَن رَماها بِمَنكِبِ

* قيل لأعرابي: كيف تقول: استَخذَأتُ أو استَخذَيتُ؟

قال: لا أقوله.

قيل: ولِمَ؟!

قال: لأنَّ العربَ لا تستَخْذي.

## لكلِّ مقام مَقال

لكلِّ مقام مقال، ولكلِّ حالة لَبوسُها؛ فللحرب رجالُها، وللدواوين كتَّابها وحُسَّابها، واللِّين في موضعه حسن، والقَسوةُ في محلِّها مناسبة، وقد وصفَ الله المؤمنين بأنَّهم: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، فلا يضيع القياس، ولا يختلُّ الميزان، فتنقلبَ الأمورُ رأسًا على عَقِب.

* قال أبو دُلَف:

لَقَد عَلِمَت وائِلٌ أنَّنَا نَخوضُ الحُتوفَ غَداةَ الحُتوفْ
ولا نَتَّقِيها بِزَحفِ الفِرارِ إذا ما الصُّفوفُ انْبَرَتْ للصُّفوفْ
ويَومَ أَفاءَتْ لَنا خَيلُنَا لَدَى جَبَلِ الدَّيلَمِيِّ المُنِيفْ
طِوالُ الفَتَى بِطِوالِ القَنَا وَبِيضَ الوُجُوهِ بِبِيضِ السُّيُوفْ
وكُلَّ حَصانٍ بِكُلِّ حِصانٍ أَمِينٍ شَظاهُ سَلِيمِ الوَظِيفْ
ألا نَعِّمانِي فَما نِعمَتِي بِرادِعَتِي عَن رُكُوبِ المَخُوفْ
لِيَ الصَّبرُ عِندَ حُلولِ البَلا إذا نَزَلَت بِيَ إحدَى الصُّرُوفْ
وإن تَسأَلِي تُخبَرِي أَنَّنِي أَقِي حَسَبِي بِأُلُوفِ الأُلُوفْ
وأَحلُمُ حتَّى يَقُولوا: ضَعِيفٌ وما أَنا - قَد عَلِمُوا - بالضَّعِيفْ
خَفيفٌ عَلَى فَرَسِي ما رَكِبتُ ولَستُ عَلَى ظالِمِي بالخَفيفْ

* حاصَر مَسْلَمَةُ حصنًا، فندَب الناسَ إلى نَقْبٍ منه، فما دخلَه أحد، فجاء رجل من عُرض الجَيش فدخلَه؛ ففتَحه اللهُ عليهم، فنادَى مَسْلَمة: أين صاحبُ النَّقْب؟

فما جاءَه أحد، فنادَى: إنِّي قد أمرتُ الآذِنَ بإدخاله ساعةَ يأتي، فعزمتُ عليه إلَّا جاء!

فجاء رجل، فقال: استأذِن لي على الأمير.

فقال له: أنتَ صاحِب النَّقْب؟

قال: أنا أُخْبركم عنه.

فأتى مَسْلمة، فأخبرَه عنه، فأذِن له، فقال له: إنَّ صاحِب النَّقْب يأخُذ عليكم ثلاثًا: ألَّا تُسوِّدوا اسمَه في صحيفةٍ إلى الخليفة، ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه ممَّن هو.

قال: فذَاك له.

قال: أنا هو.

فكان مَسْلَمَةُ لا يُصلِّي بعدَها صلاةً إلَّا قال: اللهمَّ اجعَلني مع صاحِب النَّقْب!

## أماتَ مُشاتَمَةَ الرِّجال

شَتَم رجلٌ عمر بن ذرٍّ، فقال له: يا هذا، لا تُغرِق في شَتمِنا، ودَعْ للصُّلح موضعًا؛ فإنِّي أمَتُّ مُشاتمةَ الرِّجال صغيرًا، ولن أُحييَها كبيرًا، وإنِّي لا أُكافئ مَن عصى الله فيَّ بأكثرَ من أن أُطيع الله فيه.

* قال عمر رضي الله عنه:

إنَّ الشجاعة والجُبن غرائزُ في الرِّجال؛ تجدُ الرجل يقاتلُ عمرَه لا يُبالي ألَّا يؤوبَ إلى أهله، وتجدُ الرجل يفرُّ عن أبيه وأمِّه، وتجدُ الرجل يقاتِل ابتغاءَ وجه الله، فذلك هو الشهيد.

* قال أبو الطيِّب المتنبِّي:

أَرَى كُلَّنَا يَبغِي الحَياةَ لِنَفسهِ ... حَرِيصًا عَلَيها مُستَهامًا بِها صَبَّا
فحُبُّ الجَبانِ النَّفْسَ أَورَدَهُ التُّقَى ... وحُبُّ الشُّجاعِ النَّفْسَ أَورَدَهُ الحَرْبَا
ويَختَلِفُ الرِّزقانِ والفِعْلُ واحِدٌ ... إلى أَنْ يُرَى إحسانُ هذا لِذا ذَنْبَا

## نُكتة

حدَّث جارٌ لأبي حَيَّةَ النُّمَيْري، قال: كان لأبي حيَّة سيفٌ ليس بينه وبين الخشبةِ فَرْق، وكان يُسمِّيه (لُعابَ المنيَّة)، قال: فأشرفتُ عليه ليلةً وقد

انتَضاه، وهو واقفٌ على بابِ بيتٍ في داره، وقد سمع حِسًّا، وهو يقول: أيُّها المغترُّ بنا، والمجترئُ علينا؛ بِئسَ واللهِ ما اخترتَ لنفسك؛ خيرٌ قليل، وسَيفٌ صَقيل، (لُعاب المنيَّة) الذي سمعتَ به؛ مشهورةٌ ضربتُه، لا تُخاف نَبْوَتُه، اخرج بالعفو عنك، لا أدخلُ بالعقوبة عليك، إنِّي واللهِ إن أدعُ قَيْسًا تملأِ الفَضاءَ خيلًا ورَجِلًا، يا سبحان الله، ما أكثرَها وأطيبَها!

ثم فتح الباب، فإذا كلبٌ قد خَرَج، فقال: الحمدُ لله الذي مَسَخَك كَلْبًا، وكفاني حَرْبًا!

* وقعَ رجُلانِ على قافلة بها سِتُّون رجلًا؛ فأخذوا مالَهم وثيابهم، فقيل لبعضهم: كيف غلَبَكم رجُلان وأنتم سِتُّون؟!

فقال: أحاط بنا واحد، وسَلَبنا الآخر، فكيف نعمل؟!

• ليس من شِيمَةِ المسلِم الذلُّ والخُنوع، والجُبن والخَوَر، ولكنَّه عزيزُ النَّفس، كريمُ الفِعال، شجاعٌ مِقدام؛ فإيمانُه بالله واعتمادُه عليه، وعِلمُه بأنَّ كلَّ شيء بقضاء الله وقَدَرِه، وإدراكُه لفضل الجهاد في سبيل الله، وما يُفضي إليه من نتائجَ حميدة، وأجر عظيم - يدفعه لأن يكونَ قويَّ القلب، ثابتَ الفؤاد، يُدافع عن دِينه، وعن أمَّته، ويسعى لإعلاء كلمة الله في مشارِق الأرض ومغاربها.

## القَناعة

قال سعدُ بن أبي وقَّاص لابنه عمر: يا بُنيَّ؛ إذا طلبتَ الغِنى، فاطلُبه بالقَناعة؛ فإن لم تكن لك قَناعة، فليس يُغنيكَ مالٌ.

* استأذن أبو دُلامَةَ الشاعرُ المهديَّ في تقبيل يدِه، فقال: أمَّا هذه

فَدَعْها، فقال: ما منعتَ عيالي شيئًا أيسرَ فقدًا عليهم مِن هذه.

* استأذن رجل المأمونَ في تقبيل يده، فقال له: إنَّ قُبلة اليد من المسلِم ذِلَّة، ومن الذِّميِّ خديعة، ولا حاجةَ بك أن تَذِلَّ، ولا بنا أن نُخدَع.

* قال الوليد بن عبد الملك لوالده: يا أَبَت؛ ما السياسة؟

قال: هيبةُ الخاصَّة، مع صِدق مودَّتها، واقتياد قلوب العامَّة بالإنصاف لها، واحتمال هفوات الصنائع.

* وقال المتنبِّي:

واحْتِمالُ الأَذَى ورُؤيَةُ جانِيـ ـهِ غِذاءٌ تَضْوَى بهِ الأَجْسامُ
ذَلَّ مَن يَغبِطُ الذَّلِيلَ بِعَيشٍ رُبَّ عَيشٍ أَخَفُّ مِنهُ الحِمامُ
كُلُّ حِلمٍ أَتَى بغَيرِ اقْتِدارٍ حُجَّةٌ لاجِئٌ إلَيها اللِّئامُ
مَن يَهُن يَسهُلِ الهَوانُ عَلَيهِ ما لِجُرحٍ بِمَيِّتٍ إيلامُ

* صلَّى الأعمشُ في مسجد قوم، فأطالَ بهم الإمام، فلمَّا فَرَغ قال له: يا هَذا لا تُطِلْ صلاتَك؛ فإنَّه يكون خلفَك ذو الحاجة، والكبيرُ والضعيف.

قال الإمام: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾.

فقال له الأعمش: أنَا رسولُ الخاشعين إليك أنَّهم لا يحتاجون إلى هذا منك!

• قالوا: الأدب يَزيد العاقلَ فضلًا ونَباهَة، ويُفيده رِقَّة وظَرْفًا.

وقالوا: حُسْن الخُلق خيرُ قَرين، والأدبُ خيرُ مِيراث، والتوفيقُ خيرُ قائد.

* قال الحسن البصريُّ: أفضلُ الجِهاد جهادُ الهوى.

* قيل في منثور الحِكَم: كلُّ شيء إذا كثُر رَخُص، إلَّا العقلَ فإنَّه إذا كثُر غَلا.

* وقال بعض البُلغاء: إنَّ العاقل مِن عقله في إرشاد، ومِن رأيه في إمداد؛ فقولُه سديد، وفعلُه حَميد، والجاهلَ من جهله في إغواء، ومِن هَواه في إغراء؛ فقولُه سَقيم، وفعلُه ذَمِيم.

## فعلُ المكارم

فِعلُ المعروف مكرُمةٌ يَنال صاحبُها الثناءَ من الناس، وإن أحسنَ النيَّة فيه أثابَه الله الجزاءَ الأوفى.

* وقد قيل:

ازْرَعْ جَمِيلًا ولَوْ في غَيرِ مَوضعِهِ ... فَلا يَضِيعُ جَمِيلٌ أينَما زُرِعَا

ولكنَّ المتشائِم له رأيٌ آخرُ؛ فهو يَعدُّ ما بذرَه من معروف ضائعًا هباءً، وذاهبًا سُدًى - وما أحسبُه مُحقًّا في تخوُّفه، ولا مصيبًا كبدَ الحقيقة في تعميمه - ومن هؤلاء أبو العتاهيةِ في قوله:

فَيا رَبِّ إنَّ النَّاسَ لا يُنصِفُونَنِي ... فكَيفَ وإن أَنصَفتُهُمْ ظَلمُونِي

فإن كانَ لِي شيءٌ تَصَدَّوا لأَخذِهِ ... وإن جِئتُ أَبغِي شَيئَهُم مَنعُونِي

وإن نالَهُم بَذلِي فَلا شُكرَ عِندَهُمْ ... وإن أَنا لَم أَبذُل لَهُم شَتمُونِي

وإن طَرَقَتنِي نَكْبَةٌ فَكِهُوا بِهَا ... وإن صَحِبَتنِي نِعمَةٌ حَسَدُونِي

سأَمنَعُ قَلبي أن يَحِنَّ إلَيهِمُ ... وأُغمِضُ عَنهُم ناظِري وجُفونِي

وأَقطَعُ أَيَّامِي بِيَوم سُهولَةٍ ... أُقَضِّي بِها عُمرِي ويَوم حُزُونِ

ألا إنَّ أَصْفَى العَيشِ ما طابَ غِبُّهُ ... وما نِلتُهُ في لَذَّةٍ وسُكُونِ

* قال رجلٌ لأبي الدَّرداء: فلانٌ يقرِئُك السلام.

فقال: هديَّة حَسَنَة، وحِملٌ خَفيف.

* كان خالد بن عبد الله يقول على المِنبر:

أيُّها الناس؛ عليكم بالمعروف؛ فإنَّ فاعِلَ المعروف لا يعدَم جَوازِيَه، وما ضعُف الناس عن أدائه، قَوِي الله على جَوازِيه.

* وقال الحُطَيْئَة:

مَن يَفعِلِ الخَيرَ لا يَعْدَمْ جَوازِيَهُ    لا يَذهَبُ العُرْفُ بينَ اللهِ والنَّاسِ

* قال المُغِيرةُ بن شُعْبَة: إنَّ المعرفةَ لتنفعُ عند الكلبِ العَقور، والجملِ الصَّؤول، فكيف بالرجُّل الكريم؟!

* قال الشاعر:

إنَّ لِلمَعرُوفِ أَهلًا    وقَلِيلٌ فاعِلُوهُ
أَهنَأُ المَعرُوفِ ما لم    تُبتَذَلْ فيهِ الوُجوهُ
أنتَ ما استَغنَيتَ عَنْ صا    حِبِكَ الدَّهرَ أَخُوهُ

* كان ابن عبَّاس رضي الله عنه يقول:

ما رأيت رجلًا أولَيتُه معروفًا إلَّا أضاء ما بيني وبينَه، ولا رأيتُ رجلًا أوليتُه سوءًا إلَّا أظْلمَ ما بيني وبينَه.

* وقال ابن عُيَيْنَة: ليس أقول لكم إلَّا ما سمعتُ؛ قيل لابن المُنْكَدِر: أيُّ الأعمال أفضل؟

قال: إدخالُ السُّرور على المؤمِن.

وقيل: أيُّ الدنيا أحبُّ إليك؟

قال: الإفضال على الإخوان.

* وقال الحسن البصريُّ: لأن أقضيَ حاجةً لأخ أحبُّ إليَّ من أن أعتكف سَنَة.

* وقال ابن عبَّاس: لا يتمُّ المعروف إلَّا بثلاث: تعجيلُه، وتصغيرُه، وسَترُه؛ فإنَّه إذا عجَّله هَنَّأه، وإذا صغَّره عظَّمه، وإذا ستَره تمَّمَه.

* قال حكيم: يا بُنيَّ؛ عزُّ السُّلطان يومٌ لك ويومٌ عليك، وعزُّ المال وَشيكٌ ذَهابُه، جديرٌ انقطاعُه وانقلابُه، وعزُّ الحَسَب إلى خُمول، ودُثُور وذُبول، وعزُّ الأدبِ راتبٌ واصِب، لا يزول بزوال المال، ولا يتحوَّل بتحوُّل السُّلطان.

* قال بعض الحُكماء:

الصبر صبران: صبرٌ عمَّا تحبُّ؛ وصبر على ما تكره، والرجل مَن جمع بينهما.

* وقال عمر بن عبد العزيز: ما أنعمَ الله على عبدٍ نِعمة فنزَعها عنه فصَبَر، إلَّا كان ما أعاضَه أفضلَ ممَّا انتزعَه عنه.

* وممَّا قيل في التسامُح قول الحسين بن الضحَّاك المعروف بالخَليع:

أَتانِي مِنكَ ما لَيسَ ... عَلَى مَكرُوهِهِ صَبرُ
فأَغضَيتُ عَلَى عَمدٍ ... وقَد يُغضِي الفَتَى الحُرُّ
وأَدَّبتُكَ بالهَجرِ ... فَما أَدَّبَكَ الهَجْرُ
ولا رَدَّكَ عَمَّا كَا ... نَ مِنكَ الصَّفْحُ والزَّجْرُ
فَلَمَّا اضْطَرَّنِي المَكرُو ... هُ واشتَدَّ بِي الأَمْرُ
تَناوَلتُكَ مِن سِرِّي ... بِما لَيسَ لَهُ قَدْرُ
فَحَرَّكْتُ جَناحَ الذُّلْـ ... ـلِ لَمَّا مَسَّكَ الضُّرُّ

* قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: لو لم تبقَ مِن عُمري إلَّا ليلةٌ واحدة، لأحببتُ أن تكون لي فيها زوجة؛ خوفَ الفِتنة.

## النصيحة

رِضا الناس غايةٌ لا تُدرك، هذا صحيح، ولو أنصَف الناس لاستراح القاضي، والنَّقدُ النزيه ضروريٌّ بشرط أن يكون بعيدًا عن الغايات السيِّئة والتشهير، وتعمُّد الإساءة، وتحميل الكلام ما لا يحتمل، واتباع العَوْرات، وتتبُّع العَثَرات، ولكنَّه النقد الباني، الذي يهدف إلى الإصلاح والتنبيه، وتعديل المعوجِّ، واجتناب الخطأ.

والنصيحة لها شأنٌ في الدِّين معروف، حتى ورد في الحديث: «الدِّينُ النصيحةُ»، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شعائر الإسلام وشاراته، وقد لُعِنَت أمَّةٌ تركتِ الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر.

وإذًا فإنَّ التنبيهَ والتعاون والتناصُح، وبيان الحقِّ في غير استعلاء أو عُدوان، أو إشاعة للفاحشة، أو قصدِ الانتقام - هي من الأمور الدالَّةِ على سلوك الطريق الصحيح، والمحجَّة البيضاء.

أمَّا الذي يَكيل المديحَ، ويُسرِف في الإطراء، ويغفُل عن الأخطاء؛ طمعًا في نَيل مَغنَم، أو سلامة من مَغرَم، فذلك مزوِّر للحقائق، مشجِّع على التمادي في الخطأ، يزيِّن الباطل، ويتجاهل الحقَّ، ويُعين على الترdِّي في الهاوية، فلا ينبغي الشطط، والعنف والتهوُّر، ولا يَحسُن الغلو والإطراء والتزييف، وخيرُ الأمور أوساطُها.

## رجالُ الحِسبَة

منذ سنوات اجتمعتُ بصحفيٍّ من أحد الأقطار العربيَّة، وكان معنا بعضُ الأصدقاء، واستغرب وجودَ النوَّاب (رجال الحِسبَة)، وتصوَّر أنَّ مثل ذلك يُعدُّ مظهرًا من مظاهر التخلُّف في هذا العصر، وقلتُ له: إنَّ هؤلاء يأمرون بالمعروف، وينهَون عن المنكر، ويحثُّون الناسَ على الصلاة وفعل الخير، وينصحون، ويذكِّرون بالطيِّب من القَول والعمل، فأيُّ ضَيرٍ في وجودهم؟ ثم إنَّهم يأتون للناس علانيةً، فالمقصودُ من وجودهم التعاون؛ لإزالة المنكرات، ودَفع الشرِّ، أمَّا في البُلدان الأخرى، فقد أهملوا الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر، فتفاقمتِ الشرور عندَهم.

ثم إنَّهم يجعلون شُرَطة للآداب تعتمد على التنكُّر، والتجسُّس على الناس وملاحقتهم؛ فوجودهم يُسبِّب الفضائح، وتتبُّع عَوْرات الناس؛ وذلك ممَّا جاء الشَّرع بإنكاره وعَيبِه، وكأنَّ هدف شُرَطة الآداب الاطِّلاعُ على أحوال الناس، والتجسُّس عليهم، وليس إزالةَ المنكر، والحثَّ على المعروف، فأيُّهما أجدى؟! ولستُ أدري هل اقتنع الصحفيُّ الموَمى إليه، أم أنَّه ظلَّ على رأيه؟!

## طريقةٌ متباينة

كانَا من ذوي الغَيرَة الدِّينيَّة، ولكنَّ طريقتَهما في معاملة الناس مختلفة؛ فواحدٌ منهما كان يتكلَّم بألفاظ قاسية، وأسلوبٍ خَشِن، ويتهدَّد ويتوعَّد من غير أن يكون لذلك داعٍ، فتكون النتيجةُ العِنادَ والنُّفور، وكراهيةَ هذا النَّوع من الناس، وتصبح الهُوَّة سحيقة.

أمَّا الآخَرُ فكان يَعِظ برِفق، ويدعو بالتي هي أحسن، ويُرشِد رغبةً في الخير، وحَضًّا عليه، ومع أنَّه قد يلجأ للقسوةِ إذا لم يُجدِ اللِّين، فإنَّه يبدأ بالحسنى، وهمُّه أن يصلُح الناس، ويتَّقوا الله، على عكس الأوَّل الذي يُشنِّع ويُرجف، ويَكيل التُّهم بلا حساب.

فكان الناس يَقبلون من صاحب اللِّين والرِّفق، ويأنَسون به، ويُصغون لإرشاداته بنفسٍ راضية، وقلوب متعطِّشة للحِكمة والموعظة الحسنة، والرُّجوعِ إلى الحقِّ.

أمَّا الثاني فكان كلامُه كالصَّخر، وهو مُبغَّضٌ لا يجد سامعًا ولا محبًّا، ولا يُنتفع بكلامه.

وهكذا كان الفارق عظيمًا، والنتيجة مُتغايِرة.

## الصبرُ مِفتاحُ الفرَج

الصبر مِفتاحُ الفَرَج، وقد حثَّ الله على الصَّبر ومدَحه، ونَدَب إليه، وأثنَى على الصابرين، ووعدَهم بتوفية أجرهم؛ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وما فَتِئ الناسُ في كلِّ جيل وبلد يَروُون قصصَ الصبر، معجَبِين بها، مُثنِين على مَن كان صابرًا حازمًا، ذامِّين الجَزُوعَ الهَلُوع، والجبانَ الخائر، والذليلَ المحتقَر.

وأحقُّ الناس بعدَ الأنبياء بالصبر والتجلُّد والعَزم، وأولاهُم هم المؤمِنون، وما قدَّر الله فهو واقع لا محالة، ومَن الذي يَقوى على ردِّ ما كتبه الله وقضاه؟!

وقد دار المثلُ على ألسِنَة الناس: «الصبرُ مِفتاحُ الفرَج»، وتناقلوه جيلًا

بعدَ جيل.

وقد جاءتِ الكتب السماويَّة والأحاديث النبويَّة داعيةً للصبر، مُرغِّبةً فيه، وردَّد العلماء والحُكماء كثيرًا من الإعجاب بالصَّبر والصابرين، فالحياةُ فيها الصَّفاء والكَدَر، وفيها الحَسَن والقبيح، وفيها الهُدوءُ والزعازع، وفيها السارُّ والمحزِن، وفيها المضحِك والمبكي، قال بعضُ العلماء: الصبر جُنَّة المؤمن، وعزيمةُ المتوكِّل، وسبب دَرَكِ النُّجح في الحوائج.

## الصبرُ والشُّكر

فالصَّبر على الضرَّاء، والشُّكر عندَ الرخاء، والاتِّكال على الله، والرِّضا بقضائه وقَدَرِه، وفعل الأسباب، مع الإيمان بأنَّ الله هو الخالِق الرازق، المعبود وحدَه دونَ ما سواه، وأنَّه لن يحصل للإنسان إلَّا ما قُدِّر له.

تلك وغيرها مِن صفات المؤمنين الموقِنين، الذين هداهم الله ووفَّقهم لطاعته، وثبَّت يقينَهم، فكانوا معالِمَ في الهدى، ومنارًا في الظلماء، وكانوا أهلَ الاطمئنان، والراحة النفسيَّة، وهدوء البال، وفي الآخِرة يُوفَّون أجرَهم بغير حساب.

* قال بعض العلماء يعزِّي مصابًا بفادحة:

لو كان ما يَمسُّك من أذًى يُشتَرَى أو يُفتدى، رجوتُ أن أكونَ غير باخل بما تضِنُّ به النفوس، وأن أكون سترًا بينك وبين كلِّ مُلِمٍّ ومحذور، فأعظمَ الله أجرَك، وأجزَل ذُخرَك، ولا خَذَل صبرَك، ولا فَتَنك، ولا جعلَ للشيطان حظًّا فيك، ولا سبيلًا عليك!

* لَمَّا سقطت ثَنِيَّتَا معاوية لفَّ وجهَه بعمامة، ثم خرج إلى الناس، فقال:

لئن ابتُليتُ، لقد ابتُليَ الصالحون قَبلي، وإنِّي لأرجو أن أكونَ منهم، ولئن عوقِبتُ لقد عوقِب الخاطئون قبلي، وما آمنُ أن أكون منهم، ولقد سَقَط عُضوان منِّي، ولو أنِّي على نفسي لَمَا كان لي عليه خيارٌ تبارك وتعالى، فرحمَ الله عبدًا دعَا بالعافية، فوالله لئن عَتَبَ عليَّ بعضُ خاصَّتكم، لقد كنتُ حَدِبًا على عامَّتِكم.

## دعاء

يا ربِّ إنَّا فقراء إليك، محتاجون لعَونك، فسدِّد خُطانا، وثبِّتنا على الحقِّ، ولا تجعلنا من القانطين.

وقال أبو الأسود الدُّؤلي:

تَعَوَّدتُّ مَسَّ الضُّرِّ حتَّى أَلِفتُهُ وأَسلَمَني طُولُ البَلاءِ إلى الصَّبْرِ
ووَسَّعَ صَدرِي لِلأذى كَثرَةُ الأذى وكانَ قَدِيمًا قَدْ يَضِيقُ بهِ صَدْرِي
وصَيَّرَنِي يَأسِي مِنَ النَّاسِ راجِيًا لِسُرعَةِ لُطْفِ اللهِ مِن حَيثُ لا أَدْرِي

## التفاؤل

هل أنتَ متفائِلٌ تنظر للأشياء بمِنظار أبيض؟ وهل أنت ممَّن يشكرون الله على نِعَمه الجَمَّة، وآلائه الكثيرة؟

وهل أنت ممَّن يتمتَّع بما رُزِق، مقدِّرًا لما وُهِب، مستفيدًا ممَّا يملك؟

هل أصغيتَ للعصافير تُزَقزِق في الصباح؟

وهل تطلَّعتَ للشمس حين غروبها، وتأمَّلتَ الفجر عند طلوعه؟

وأيَّ جمال وروعة تشهدُها عندَ ذاك؟

ألم تُبصرِ المطرَ وهو يتساقط كحبَّات اللؤلؤ، وتُبصرِ الحدائقَ الغنَّاء، يتضوَّع أريجُها، ويفوح رِيحُها، وتبسَم ورودُها وأزاهيرُها؟

ألم تُفكِّر فيما أعطاك الله مِن صحَّة ومال وولد، وأمن وهدوء؟

ألم تتبصَّر فيما وفَّقك الله من عبادةٍ وعِلم، وعقل وفَهْم؟

إنَّها أمورٌ يتعذَّر حصرُها، ويصعُب استيفاؤها، لو تأمَّلها المرء لوجَدَ أنَّه يتقلَّب في نِعَم عظيمة، ويرفُل في ثياب من الهَناء والمسرَّات قد لا يشعر بها! فلماذا لا يتفكَّر الإنسان في ذلك، ويحمد الله ليزيدَه، ويَذْكُره ليُثيبَه، وليَنعَم بما أُوتي، بعيدًا عن القلق والتصوُّرات الخاطئة، التي تُكدِّر عَيشَه، وتنغِّص حياتَه، وتُفوِّت عليه أوقاتًا هنيئة، وسعادةً رائعة؟!

## الفرَجُ بعد الشِّدَّة

كانتِ الأرض مُجدِبة، والمَحْلُ قد عمَّ، وتحوَّلت الأراضي الخضراء إلى أراضٍ جرداءَ قاحِلة، وهلكتِ المواشي، وكاد اليأس يستولي على النفوس، والقُنوطُ من نزول الأمطار، وارتواء الأراضي، وإنباتها من كلِّ زَوج بَهيج - أن يغلِبَ الأمل، ولكنَّ رحمة الله أوسعُ، ولُطفه أعظمُ؛ فنزلت الأمطارُ بغزارة، وكثُرتِ السُّيول، وارتوتِ النخيل والزُّروع، وحَيَتِ الأرض، واخضرَّ شِيحُها وقَيصُومها، وأزهرَ حَوْذانُها وأُقحُوانُها، وفاحَ رَوضُها وعَبَقَ خُزامها، واكتسَت بوِشاح أخضرَ، تلمع أزاهيرُه، فإذا هو مُنْيَة المتمنِّي، وسَلوةُ المُعنَّى، وبهجةُ المتعَب، وهكذا يأتي الفرَج بعدَ الشِّدَّة، والرخاءُ بعد العَناء، ولله حِكمٌ تَبهَر العقول، وتعجِز الخلائقُ عن الإحاطة بها، فسبحان الله، ما أعظَمَ شأنَه، وأعزَّ سُلطانَه!

## الظبي

قال صاحب "المُستطرَف، في كلِّ فنٍّ مُستظرَف" :

(ظبي) واحد الغِزلان، **وهو ثلاثةُ أصناف**:

**الأوَّل**: الآرام، وهو ظِباء الرَّمْل، ولونُها رَماديٌّ، وهي سمينة العُنق.

**والثاني**: العُفْر، ولونُها أحمر، وهي قصيرة العُنق.

**والثالث**: الأُدْم، وهي طويلة العُنق، وتُوصَف بحدَّة البَصَر.

وقيل: إنَّ الظبي يقضَم الحَنظَلَ قَضمًا، ويمضَغه مَضغًا، وماؤه يسيل مِن شِدقَيه، ويردُ الماءَ المِلح، فيشرب الماء الأُجاج، ويغمِسُ خُرطومَه فيه كما تغمِسُ الشاةُ لَحيَيها في الماء العَذب، فأيُّ شيء أعجب من حيوان يستعذِب مُلوحةَ البحر، ويستحلي مرارةَ الحَنظَل؟!

## الأمل

الأمل فيه النِّعْمة والنِّقْمة، والمسرَّة والمضرَّة، والاستعداد والهلاك، فمِن الآمال ما يرتفع بصاحبه إلى أوجِ العُلى، ويشمَخُ به إلى ذُرى العِزِّ، ومن الأماني ما يُصيب صاحبَه بالجَشَع والغُرور، ويُورِده مواردَ العَطَبِ والمتاهات، وكم في الأمل مِن مُتنفَّس للمكروب، وفُسحَةٍ للمُعسِر، ومجال يتوخَّى فيه إبعادَ الضائقة، وانفراج الأزمة!

أُعَلِّلُ النَّفسَ بِالآمالِ أَرقُبُهَا    ما أَضَيقَ العَيشَ لَولا فُسحَةُ الأَمَلِ

ومن الآمال الكاذبة سرابٌ خادِع، ووهمٌ قاتل، وطلاءٌ زائِف، ينقادُ مُتَّبِعُه

إلى حَتفه، ويُردِيه في أسوأ المهالِك، يَعِدُهم ويُمنِّيهم، وما يعدُهم الشيطانُ إلَّا غرورًا.

* قال الحسن: ما أطال عبدٌ الأمل، إلَّا أساءَ العمل.

* وقال الشاعر:

يـا راقِـدَ الـلَّـيـلِ مَـسـرُورًا بِـأَوَّلِـهِ    إنَّ الـحَـوادِثَ قَـدْ يَـطـرُقْـنَ أَسْـحـارَا

* قال شيخ من أهل المسجد: ما كنتُ أريد أن أجلسَ إلى قوم إلَّا وفيهم من يُحدِّث عن الحسن، ويُنشِد عن الفَرَزْدَق.

## يومٌ لكَ ويومٌ عليك

عتَبَ عليَّ عاتبٌ ذات مرَّة، عندما قدَّمتُ في بعض الفقرات شيئًا من الخواطر الحزينة، والذِّكريات المريرة لواقِعنا القريب، ورأى أن يكونَ الحديث - وهو في استقبال يوم جديد - مَرِحًا بهيجًا متفائلًا.

ومع تقديري لوجهة نظرِه، فقد قلت له: إنَّ الحياة ليسَت بهيجةً دائمًا، وليسَت كلُّها مَرَحًا وفَرَحًا، وليسَت هزلًا ولهوًا، ولكنَّها خليطٌ من الجِدِّ والمَزح، والمسرَّة والحُزن، ومن القَسوة واللِّين.

فماذا يمنع أن يكون الحديثُ مُنوَّعًا، وأن يكون موجَّهًا معبِّرًا، فلا ينزوي في ناحية معيَّنة، ولا يتهرَّب من معالجة المشكلات، وهل يجدر بنا أن نغفُل عن واقعنا، ونصُدَّ عن مشكلاتنا ونحن نعيش في أدقِّ مرحلة، ونُجابِه أشرسَ عدوٍّ وأغدرَه، وبلادنا مُصوَّبة نحوَها السِّهام، وهي في موقع هامٍّ، وثرْواتُها كثيرة، وخيراتُها وافرة، والصَّدِيق يتطلَّع لها، متمنِّيًا لها الهَناء والسعادة والتطوُّر، والعدوُّ ينظر لها نظرةَ طمع، وحقد وعَداء؟!

وروابطها بالعالَم الإسلامي متينة، ومسؤوليَّاتها عظيمة، وقادتُها وعلماؤها وجندُها، وسائرُ الفِئات الصالحة تعضُد عنايتَها بأمور المسلمين في شتَّى أقطارهم، وعلى اختلاف أجناسهم.

ومشاكلهم في فلسطين وأريتريا، وكشمير وقبرص، وتشاد والتركستان، وزَنْجِبار وتركيا، ويوغسلافيا والهند - عويصةٌ، والعدوان عليهم مِن قِبل أعداء الإسلام في ضَراوةٍ وحَنَقٍ ولُؤم، يَزداد قساوةً وشراسة، فلا يليق أن تُغفل هذه المواضيع المهمَّة، وتترك جانبًا.

* خَطَب قُتَيبة بن مسلِم على مِنبر خُراسان، فسقط القضيبُ من يَدِه؛ فتفاءل له عدوُّه بالشرِّ، واغتمَّ له صديقُه، فعرف ذلك قُتَيبة، فقال: ليس الأمرُ على ما ظنَّ العدوُّ، وخاف الصَّدِيق، ولكن كما قال الشاعر:

فَأَلقَتْ عَصاهَا واستَقَرَّ بِها النَّوَى    كَما قَرَّ عَينًا بالإيابِ المُسافِرُ

* قال عِكْرِمَة: كنَّا جلوسًا عندَ ابن عمر وابن عبَّاس رضي الله عنهم فمرَّ طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير!

فقال ابن عبَّاس: لا خيرَ، ولا شرَّ!

* قال كعب لابن عبَّاس: ما تقول في الطِّيَرَة؟

قال: وما عسيتُ أن أقول فيها؛ لا طيرَ إلَّا طيرُ الله، ولا خيرَ إلَّا خيرُ الله، ولا إله إلا الله، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله.

فقال كعب: إنَّ هذه الكلمات في كتاب الله المنزَّل.

يعني: التوراة.



## العفو عند المقدرة

العفو عندَ المقدِرة من الخِصال الحميدة التي تستهوي النفوسَ، وتستجلِبُ الثناء، وتبعَث على الإشادة بها، والتنويه بها، وهي خَصلةٌ صَعبةُ المرتقَى، جميلةُ النِّهاية؛ ذلك أنَّ الذي يستطيع التغلُّبَ على عاطفة الانتقام، ومجاهدة النفس في موطِنٍ يشرئبُّ فيه الإنسانُ إلى إرواء ظَمَئِه المتعطِّش للتشفي - هم قلَّة من كثرة، ونُدرةٌ بينَ جمهرة، فلا عجبَ أن حازوا الثناء، واستحقُّوا التقدير والإعزاز، ورُوِيَت قصصُهم مثلًا حريًّا بالاقتداء.

* قيل: أَسَر مُصعَب بن الزُّبير رجلًا من أصحاب المختار، فأمر بضَرْب عنقه، فقال: أيُّها الأمير، ما أقبحَ بك أن أقوم يومَ القِيامة إلى صورتك هذه الحسنة، فأتعلَّق بأطرافك، وأقول: ربِّ؛ سَلْ مُصعبًا فيما قتلني؟

فقال: أطلقوه.

فقال: أيُّها الأمير؛ اجعل ما وهبتَ لي من عمري في خَفْض عَيْش!

فقال: أعطوه مئةَ ألف درهم.

قال: بأبي أنت وأمِّي، أُشهِدك أنَّ لابن قَيسِ الرُّقَيَّات منها خمسين ألفًا!

قال: لِم؟!

قال: لقوله فيك:

إنَّما مُصعَبٌ شِهابٌ مِنَ اللَّـ ... ـهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجهِهِ الظَّلماءُ

مُلكُهُ مُلْكُ رَأفَةٍ لَيسَ فيهِ ... جَبَرُوتٌ ولا لَهُ كِبرِياءُ

فضَحِك مُصعَب، وقال: لقد تلطَّفتَ، وإنَّ فيك لموضعًا للصَّنيعة.

وأمر له بمئة الألف، ولابن قَيسِ الرُّقيَّات بخمسين ألفَ درهم.

* كان محمَّد بن حُمَيد الطُّوسي على غَدائه يومًا مع جُلسائه، وإذا بضجَّة على باب داره، فرَفَع رأسَه، وقال لبعض غِلمانه: ما هذه الضجَّة؟ من كان على الباب فليدخل.

فخرج الغلام ثم عاد إليه، وقال: إنَّ فلانًا أُخذ، وقد أُوثق بالحديد، والغِلمان ينتظرون أمرَك فيه!

فرفع يدَه عن الطعام، فقال رجل من جُلسائه: الحمدُ لله الذي أمكنَك من عدوِّك، فسبيلُه أن تسقي الأرضَ من دَمِه.

وأشار كلٌّ من جُلسائه عليه بقَتله على صِفَةٍ اختارها، وهو ساكت، ثم قال: يا غُلام؛ فُكَّ عنه وَثاقَه، ويدخل إلينا مكرَّمًا.

فأدخل عليه رجلٌ لا دمَ فيه، فلمَّا رآه هشَّ إليه، ورفعَ مجلسه، وأمر بتجديد الطعام، وبسَطَه بالكلام ولقَّمه، حتى انتهى الطعام، ثم أمَر له بكُسوة حَسَنة وصِلَة، وأمر بردِّه إلى أهله مكرَّمًا، ولم يُعاتبه على جُرْم ولا جِناية.

ثم التفَتَ إلى جُلسائه، وقال لهم: إنَّ أفضل الأصحاب مَن حضَّ الصاحبَ على المكارِم، ونهاه عن ارتكابِ المآثِم، وحسَّن لصاحبه أن يجازيَ الإحسان بضِعْفه، والإساءةَ بصَفْحِه، إنَّا إذا جازينا مَن أساء إلينا بمِثل ما أساء، فأين موقِعُ الشكر على النِّعمة فيما أُتيح مِن الظَّفر؟!

إنَّه ينبغي لِمَن حضر مجالس الملوك أن يُمسك إلَّا عن قولٍ سَديد، وأمرٍ رَشيد؛ فإنَّ ذلك أدومُ للنِّعمة، وأجمع للأُلْفَة، إنَّ الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

## الكلمةُ الحسَنة

الكلمة الطيِّبة تَجلِب الودَّ، وتُزيل الجَفاء، وتَغرس الصَّفاء والوئام، فكم سكَّنت مِن ثورة الغاضب، وقرَّبت من ودِّ الحانق، وهدَّأت مِن فِتنَة! وللاعتذار في الأدب العربي شأنٌ كبير.

وقصائد النابغة الذُّبْياني، وأبي سُفيان بن الحارث، وكَعْبِ ابن زُهَير، والمتنبِّي وغيرهم تُردِّد أصداءها الأجيال، ويتناشدها الرُّواة كفَنٍّ سامِق في دَوْحَة الأدب، وذِروة شامخة في استجلاب الودِّ، وإبعاد الكَدَرِ من النفوس.

* كان المنصورُ غاضبًا على الشاعر إبراهيم بن هَرْمَة لشِعر قاله، ثم إنَّه وفَد على المنصور في وَفْد أهل المدينة، فجلسوا إلى سِتر دونَ المنصور، يرى الناسَ من ورائه ولا يرونَه، وأبو الخصيب الحاجب واقفٌ يقول: يا أميرَ المؤمنين، هذا فُلان الخطيب، فيأمُره فيخطُب، ويقول: هذا فلان الشاعر، فيأمره فيُنشد، حتى كان من آخرهم ابن هَرْمة، فحين قدَّمه أبو الخصيب، قال المنصور: لا مرحبًا ولا أهلًا، ولا أنعمَ الله بك عينًا!

فسمعها ابن هَرْمَةَ وأُسْقِط في يده، وقال في نفسه: هلكت!

ثم استنشدَه قصيدتَه التي يقول فيها:

سَرَى ثَوبَهُ عَنكَ الصِّبَا المُتَخايلُ    وَقَرَّبَ لِلبَينِ الخَلِيطُ المُزايِلُ

حتى انتهى إلى قوله:

فَأَمَّا الذي أَمَّنتَهُ يَأمَنُ الرَّدَى    وَأَمَّا الذي حَاوَلتَ بالثُّكْلِ ثاكِلُ

فأمَر برفْع الحِجاب، فإذا وجهُه كأنَّه فَلقَةُ قمر، فاستنشده بقيَّة القصيدة، وأمره بالقُرْب بين يديه، والجلوس إليه، ثم قال: ويحَك يا إبراهيم! لولا

ذنوبٌ بلغَتني عنك لفضَّلتُك على أصحابك!

فقلت: يا أميرَ المؤمنين، كلُّ ذنب بلغكَ عنِّي لم تعفُ عنه فأنا مقرٌّ به!

قال: فتناول المِخصَرةَ فضرَبَني بها ضربتَين، وأمر لي بعشرة آلاف وخِلعَة، وعفا عنِّي، وألحقَني بنُظرائي، وكان من جُملة ما نَقَم عليه المنصورُ قولُه:

ومَـهـمـا أُلامُ عَـلَـى حُـبِّـهِـمْ    فـإِنِّـي أُحِـبُّ بَـنِـي فـاطِـمَـهْ
بَنِي بِنتِ مَن جاءَ بِالمُحْكَماتِ    وبِـالـدِّيـنِ والـسُّـنَّـةِ الـقـائِـمَـهْ
فـلَـسـتُ أُبـالِـي بِـحُـبِّـي لَـهُـمْ    سِـواهُـمْ مِـنَ الـنَّـعَـمِ الـسَّـائِـمَـهْ

## العفو أولى

عَزَم عبد الله بن عليٍّ على قتْل بني أميَّة بالحجاز، فقال له عبد الله بن حسن بن حسن بن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنهم: إذا أسرعتَ بالقتل في أكفائك، فمَن تُباهي بسُلطانك؟! فاعفُ يَعفُ الله عنك.

* ودخل ابن خزيم على المهديِّ - وقد عَتَب على بعض أهل الشام، وأراد أن يُغزِيَهم جيشًا، فقال: يا أمير المؤمنين، عليك بالعفو عن المذنب، والتجاوز عن المسيء؛ فلَأنْ تُطيعَك العربُ طاعةَ محبَّة، خيرٌ لك من أن تطيعَك طاعةَ خَوف.

* كان مَعْنُ بن زائدةَ قد أمر بقتل جماعةٍ من الأسرى، فقام إليه أصغرُ القوم فقال: يا مَعْنُ؛ أتقتُل الأسرى عِطاشًا؟!

فأمر لهم بالماء، فلمَّا سُقُوا، قال: يا مَعن؛ أتقتلُ ضِيفانَك؟!

فأمر مَعْنٌ بإطلاقهم.

* أمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل، فقال له رَجاءُ بن حَيْوَة: يا أمير المؤمنين؛ إنَّ الله قد فَعَل ما تحبُّ من الظَّفَر، فافعَل ما يحبُّ من العفو.

وقال رجاء بن حَيْوة لعبد الملك بن مَرْوان في أُسارى ابن الأَشْعَث: إنَّ الله قد أعطاك ما تُحبُّ من الظَّفَر، فأعطِ اللهَ ما يحبُّ من العفو.

* قال المأمون لإسحاق بن العبَّاس: لا تحسبنِّي أغفلتُ إجلابَكَ مع ابن المهلَّب، وتأييدَكَ لرأيه، وإيقادَكَ لناره!

قال: يا أمير المؤمنين؛ واللهِ لإجرامُ قريشٍ إلى رسول الله ﷺ أعظمُ من جُرْمي إليك؛ ولرَحِمي أَمَسُّ من أرحامِهم؛ وقد قال كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]، وأنت يا أميرَ المؤمنين، أحقُّ وارثٍ لهذه المنَّة، وممتثِلٍ بها.

قال: هيهات، تلك أجرامُ جاهليَّةٍ عفَا عنها الإسلام، وجُرْمكَ جُرمٌ في إسلامك، وفي دار خِلافَتِك!

قال: يا أمير المؤمنين؛ فوالله لَلمُسلمُ أحقُّ بإقالة العَثْرة، وغُفرانِ الزلَّة من الكافر، هذا كتاب الله بيني وبينك، يقول الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤]، فهي للناس يا أميرَ المؤمنين سُنَّة دخل فيها المسلِمُ والكافر، والشَّريفُ والمشروف.

قال: صدقتَ، اجلس وَرِيَت بك زِنادي، فلا قَدَحَ زِنادي من العابرين من أهلك أمثالُك.

* قَتَل رجلٌ من العرب ابنَ أخيه، فدُفع إلى أخيه لِيُقِيدَه، فلمَّا أهوى

بالسيف أُرعِدَت يداه، فألقى السيفَ من يدِه وعفا عنه، وقال:

أقُولُ لِلنَّفسِ تَأْساءً وتَعزِيَةً  إحدَى يَدَيَّ أَصابَتنِي ولَم تُرِدِ
كِلاهُما خَلَفٌ مِن فَقْدِ صاحِبِهِ  هَذا أَخِي حِينَ أَدعُوهُ وذا وَلَدِي

* دخل محمَّد بن واسِع على قُتَيْبَةَ بن مُسلِم والي خُراسان، وعليه مِدْرَعَةُ صوف، فقال له قُتيبة: ما يدعوك إلى لُبسِ هذه؟

فسكَتَ، فقال قُتَيبة: أُكلِّمك فلا تُجيبُني؟!

قال: أكره أن أقول: (زُهدًا) فأُزكِّي نفسي، أو أقول: (فقرًا) فأشكو ربِّي.

## التواضع

التواضُع صِفة محبوبة، وخَلَّة محمودة، يَلقَى صاحبه التقدير والحبَّ، ويُقابَل بالترحيب والوُدِّ، أمَّا المتكبِّر فعلى النقيض من ذلك؛ فهو مُزدرًى محتقَر، والناس له كارهون، وعن وُدِّه نافرون، لا يألَف ولا يُؤلَف، وبقدر ما يعلو في نفسه ويتعاظَم في غُروره، فإنَّه يهبط دَرَكات، ويمقُتُه الأباعِد والأقارب، فهو في شَقاء وعَناء، ولأمرٍ ما يكون المتكبِّرون يومَ القيامة عندَ حشرهم في صوَر الذَّرِّ، يطؤهم الناس بأقدامهم؛ معاملةً لهم بعكس ما أمَّلوا، وجزاء ما غمَطوا وتجبَّروا.

* وقال أحمد بن عبد ربِّه الأندلسي:

وَجهٌ عَلَيهِ مِنَ الحَياءِ سَكِينَةٌ  ومَحبَّةٌ تَجرِي مَعَ الأنفاسِ
وإذا أَحَبَّ اللهُ يَومًا عَبدَهُ  أَلقَى عَلَيهِ مَحبَّةً لِلنَّاسِ

* قال رَجاء بن حَيْوَةَ لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز: ما رأيتُ أكرمَ أدبًا، ولا أكرمَ عِشرةً من أبيك؛ سمَرتُ عندَه ليلةً فبينا نحن كذلك إذ عشَى

المصباح، ونام الغلام، فقلتُ: فلو أذِنتَ لي أصلحتُه.

فقال: إنَّه ليس من مروءة الرجل أن يستخدِمَ ضيفَه.

ثم حطَّ رِداءَه عن مَنكِبه، وقام إلى الدَّبَّةِ فصَبَّ من الزَّيت في المصباح، وأشخَصَ الفَتِيلة، ثم رجع، وأخذ رداءَه، وقال: قمتُ وأنا عمر، ورجعتُ وأنا عمر.

* وقال الفضل بن سهل: من كانت وِلايتُه فوقَ قَدرِه تكبَّر لها، ومن كانت وِلايتُه دونَ قَدرِه تواضع لها.

## الوفاء

يُعرَف الحليم عندَ الغضب، ويتبيَّن السخيُّ عند الإقلال، ويبرُز الشُّجاع في ساعات الحَرَج، ويتجلَّى الوفاء ساعةَ يُسلِم الخليلُ خليلَه، والصاحبُ قَرينَه، ويسطِّر التاريخ صورًا وضَّاءة للخِلال الكريمة، ترويها الأجيال، ويتناقلُها الناس، معجَبين بها، مؤمِّلين أن يقوَوا على الاقتداء بها.

## وفاء عبد الحميد الكاتب

كان عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامري الكاتب على صِلَةٍ بمَرْوان بن محمَّد - آخر خُلفاء بني أُميَّة - وكتب له، فلمَّا بلغَ مَرْوانَ مبايعةُ أهل الشام له سجدَ شكرًا لله، وسجَد مَن كان معه، إلَّا عبدَ الحميد، واستغربَ مَرْوان منه ذلك، وسأله عن سبب تأخُّره عن السجود!

فقال: ولِمَ أسجد؟ أعلى أن كنتَ معنا فطِرتَ عنَّا؟

فقال مَرْوان: إذًا تطيرُ معي.

قال: الآن طاب السُّجود!

واتَّخذه مَرْوان كاتبَ دولَته؛ ولمَّا قامتِ الدولة العبَّاسيَّة بتضييق الخِناق على مَرْوان ومطاردته، وإلحاق الهزائم المتكرِّرة به، كان عبد الحميد يُشاطِره الشدائد، فقال له مرْوان: قد احتجتَ أن تصيرَ مع عدوِّي، وتُظهر الغدرَ بي؛ فإنَّ إعجابَهم بأدبك، وحاجتَهم إلى كتابتك يُحوجهم إلى حُسْن الظنِّ بك، فإن استطعتَ أن تنفعني في حياتي، وإلَّا لم تعجِز عن حِفظ حُرَمي بعدَ وَفاتي! فقال عبد الحميد: إنَّ الذي أشرتَ به عليَّ أنفعُ الأمرين لك، وأقبحُهما بي، وما عندي إلَّا الصبرُ، حتى يفتحَ الله عليك، أو أُقتل معك.

وأنشد:

أُسِــرُّ وَفــاءً ثُــمَّ أُظــهِــرُ غَــدرَةً ... فَمَنْ لِي بعُذرٍ يُوسِعُ النَّاسَ ظَاهِرُهْ

وبقي حتى قُتِل مَرْوان، ثم أُخِذ إلى السفَّاح فقتلَه.

* وقال القُطامي:

وَالنَّاسُ مَنْ يَلقَ خَيرًا قَائِلُونَ لَهُ ... ما يَشتَهِي ولِأُمِّ المُخطِئِ الهَبَلُ

قَدْ يُدْرِكُ المُتأَنِّي بَعضَ حاجَتِهِ ... وقَدْ يَكُونُ مَعَ المُستَعجِلِ الزَّلَلُ

ورُبَّما فاتَ قَومًا بَعضُ أَمرِهِمُ ... مِنَ التَّأَنِّي وَكانَ الحَزْمُ لَوْ عَجِلُوا

والعَيشُ لا عَيشَ إلَّا ما تَقَرُّ بِهِ ... عَينٌ، وَلا حَالَ إلَّا سَوفَ تَنتَقِلُ

## لا تغضَب

قال رجل للنبيِّ ﷺ: أوصِني!

قال: «لا تَغضَب».

فردَّد الرجل طلبَه، وكان الرسول يردُّ عليه بنفس الكلمة: «لا تَغضَب».

إنَّها وصيَّة جامعة، وقد أُعطي النبيُّ ﷺ جوامعَ الكَلِم؛ فكانت كلماته على قلَّتها شاملةً لمعانٍ كثيرة، وفوائدَ عظيمة، وهذه واحدةٌ منها، فالغضب قد يكون لأسباب تافهة، وأمور سهلة لا تستدعي الغضب، ولا تحتاج إلى المخاصَمة، ولو فكَّر الغاضِب في نتائج غضبه، وما قد يجرُّ إليه من مضارَّ ومفاسدَ، لَأَقلعَ عن غضبه، ولاستبدلَ عن الكلمة الخَشِنة البذيئة الكلمةَ الحلوةَ الهادئةَ الرقيقة، ولأدرك أنَّ الغضب إنَّما يُسبِّب الشرور والفِتَن، وأنَّ الكلمة الصائبة الواعية المقنِعة هي المثمرِة، وذات النتائج الحسنة والفائدة المرجُوَّة.

إنَّ الذي ينقادُ لغضبه يصبح مكروهًا مبغَّضًا؛ ينفر الناس منه، ويبتعدون عنه، ويُحذِّر بعضُهم بعضًا من التعرُّف عليه، أو الاقتراب منه، ولو أنَّه تطلَّع إلى وجهه في المِرآة في إبَّان غضبِه، ورأى الصورةَ البشِعة التي تحوَّل إليها وجهُه، والحركات المضطربة بعضلاته ويديه، والارتعاش لجسده كله، لَسَخِر من نفسه، ومِن حاله السيِّئة.

أجَل؛ فليس الجدير بالمدح لقوَّته الجسديَّة مَن كان يصرَعُ الناس، ولكن مَن يملِك نفسَه عند الغضب.

* قال أبو الدَّرْدَاء:

أقربُ ما يكون العبدُ من غضبِ الله إذا غَضِب.

* ويقال: خمس خِصال تكون في الجاهل: الغضبُ في غير مَغضَب، والكلامُ في غير نَفع، والعَطيَّة في غير موضع، والثِّقةُ بكلِّ أحد، وأنَّه لا يعرف صديقَه من عدوِّه.

* قال الشاعر:

صَبَرتُ عَلَى الأيَّام حَتَّى تَوَلَّتِ ... وأَلزَمتُ نَفسِي صَبرَها فاستَمَرَّتِ
وما النَّفسُ إلَّا حَيثُ يَجعَلُها الفَتَى ... فإنْ أُطمِعَتْ تاقَتْ وإلَّا تَسَلَّتِ

* أسمع رجلٌ عمر بن عبد العزيز كلامًا، فقال: أردتَّ أن يستفزَّني الشيطان، فأنالَ منك اليومَ ما تنالُه منِّي غدًا؟! انصرِف رحمكَ الله.

* قال الحسن: إنَّما تَعرِف الحليمَ عند الغضب. فإذا لم تغضَب لم تكن حليمًا.

* ويقال: ثلاث مَن كنَّ فيه استكمل الإيمان: مَن إذا غضب لم يُخرِجْه الغضبُ عن الحقِّ، ومَن إذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الظُّلم والباطل، ومَن إذا قَدَر لم يتناول ما ليس له.

* ويقال: حِلمك عمَّن دونَك ساترٌ عليك عيبَ الذلِّ لمَن هو فوقَك.

* وقال الشاعر:

ألم تَرَ أنَّ سَيرَ الخَيرِ رَيْثٌ ... وأنَّ الشَّرَّ راكِبُهُ يَطِيرُ

* وقف رجلٌ على عامرٍ الشَّعبيِّ فلم يَدَعْ قبيحًا إلَّا رماه به، فقال له عامر: إن كنتَ كاذبًا فغَفَر الله لك، وإن كنتَ صادقًا فغفر الله لي!

* قال عبد الله بن المقفَّع: إنَّك إن تلتَمِس رِضاءَ جميع الناس، تلتَمِس ما لا يُدرك، وكيف يتَّفق لك رأيُ المختلفين؟!

وما حاجتك إلى مَن رضاه الجَور، وإلى مُوافقة مَن موافقتُه الضلالةُ والجهالة؟! فعليكَ بالتِماسِ رِضاءِ الأخيار منهم، وذَوي العقل؛ فإنَّك متى تُصِب ذلك تَضَع عنكَ مَؤونةَ ما سواه.

* أسمعَ رجلٌ ابنَ هُبَيْرَةَ كلامًا يكرهُه، فأعرض عنه، فقال الرجل: إيَّاكَ أعني!

فقال ابن هُبيرَة: وعنكَ أُعرِض!

* شتم رجلٌ أبا ذَرٍّ، فقال أبو ذرٍّ: يا هذا، لا تُغرِق في شَتمِنا، ودَع للصُّلح موضعًا؛ فإنَّا لا نكافئ مَن عصى الله فينا بأكثرَ من أن نُطيع الله فيه.

## المعاريض

في المعاريض مَنْدوحُة عن الكذب، وقد يلجأ الإنسانُ إلى مقام يُحرَج فيه، فيتردَّد بين الكَذِب وقولِ الحقيقة، فالكَذِب حرام، وعاقبته سيِّئة، وهو إن قال الصِّدق فقد يجرُّ عليه متاعبَ ومشاكل، فيفضِّل سُلوك خُطَّة وُسطى، ويجد في المعاريض ما يُغنيه عن ركوب المركَب الصَّعب.

* قال الشيخ أحمد بن قُدامةَ في "مختصر منهاج القاصدين":

وتُباح المعاريض؛ لقوله ﷺ: «إنَّ في المعاريضِ مَندُوحةً عن الكذب»، وإنَّما تصلح المعاريض عندَ الحاجة إليها، فأمَّا مع غير الحاجة فمكروهة؛ لأنَّها تُشبه الكذب.

فمِن المعاريض ما رُوِّينا عن عبد الله بن رَواحة رضي الله عنه أنَّه أصاب جاريةً له، فعلمتِ امرأتُه، فأخذَت شَفْرَةً، ثم أتَت فوافقَته قد قام عنها، فقالت: أفعلتَها؟

فقال: ما فعلتُ شيئًا!

قالت: لتَقرأنَّ القرآن، أو لأبعجَنَّك بها!

فقال رضي الله عنه:

وفينا رَسُولُ اللهِ يَتلُو كِتابَهُ ... إذا انشَقَّ مَعرُوفٌ مِنَ الفَجْرِ ساطِعُ
يَبِيتُ يُجافي جَنبَهُ عَنْ فِراشِهِ ... إذا استُثقِلَت بالمُشرِكِينَ المَضاجِعُ

أَرانا الـهُـدَى بعـدَ الـعَـمَـى فَقُـلوبُـنَا ... بِـهِ مُـوقِـنـاتٌ أَنَّ مـا قـالَ واقِـعُ

فقالت: آمنتُ بالله، وكذَّبتُ بصري.

* وكان النَّخَعي إذا طُلِب، قال للجارية: قولي لهم: اطلُبوه في المسجد.

## التسامُح

الصفحُ والتسامُح من الأخلاق الراقية، والآداب الفاضِلة، والخِصال الكريمة، ولو لم يتسامحِ الناس، وآثَرَ كلُّ امرئ أن يردَّ على الإساءة بمثلها أو أقبح، وأن يأخذَ كلُّ إنسان لنفسه ما يحسَبه له، وإن كان غيرَ محقٍّ، ولم يغُضَّ الطَّرْفَ عن هَفوة، ولم يعفُ عن زَلَّة، ولم يسامح أخًا وصديقًا، وربَّما قال شيئًا وهو يريد سواه، وقصدَ معنًى حسنًا، ففُسِّر بغير ما يروم.

إنَّ الناس لو لم يتسامحوا لانقلبتِ الحياةُ إلى معركة دامية، وساحةِ حرب مستعِرَة، لا يهدأ أُوارُها، ولا يخمُدُ لَهبُها، ولا ينعَم فيها الناس براحة بال، أو سلامة طويَّة، أو هدوء خاطر، ولكنَّ التسامحَ والصفحَ يُحيلان المشكلاتِ إلى أشياءَ لا أهميَّة لها، ويحبِّبان الناسَ بعضَهم إلى بعض، وكفى بها صفةً عظيمة؛ كظمِ الغيظ والعفوِ عن الناس.

* قال أبو مسعود كاتِب الشريف الرَّضي: كنَّا في مجلس الرَّضي، فشكا رجل من أخيه؛ فأنشد الرَّضي:

اعـذِر أَخـاكَ عَـلَـى ذُنُـوبِـهْ ... واسـتُـر وغُـضَّ عَـلَـى عُـيـوبِـهْ

واصـبِـر عَـلـى بُـهْـتِ الـسَّـفـيـ ... ـهِ ولـلـزَّمـانِ عَـلـى خُـطـوبِـهْ

وَدَعِ الـجَـوابَ تَـفُـضُّـلًا ... وَكِـلِ الـظَّـلُـومَ إلـى حَـسِـيـبِـهْ

واعـلَـم بـأَنَّ الـحِـلـمَ عِـنْـ ... ـدَ الـغَـيـظِ أَحـسَـنُ مِـن رُكُـوبِـهْ

## كلمات نافعات

قال خالد بن صَفْوان: احذروا مَجانِيقَ الضُّعفاء؛ يعني: الدعاء.

وقال: لا يُستجاب إلَّا لمخلِص أو مظلوم.

* قال أعرابيٌّ في دُعائه: اللهمَّ لا تخيِّبني وأنا أرجوك، ولا تعذِّبني وأنا أدعوك، اللهمَّ فقد دعوتُك كما أمرتَني، فأجِبني كما وعدتَّني.

* قال يونس بن عُبيد: سمعتُ ثلاث كلمات لم أسمَعْ بأعجبَ منهنَّ؛ قول حسَّان بن أبي سِنان: ما شيء أهونُ مِن وَرَع؛ إذا رابَكَ أمرٌ فدَعْه.

وقول ابن سِيرِين: ما حسدتُّ أحدًا على شيءٍ قطُّ.

وقول مُوَرِّق العِجْلي: لقد سألتُ الله حاجةً منذ أربعين سَنة ما قضاها، ولا يئِستُ منها. فقيل لمُوَرِّق: ما هي؟ قال: تَركُ ما لا يَعنيني.

* قال الحسنُ البصري:

أمَا إنَّه والله، لا أمَّة بعدَ أمَّتكم، ولا نبيَّ بعد نبيِّكم، ولا كتابَ بعدَ كتابِكم، أنتم تسوقون الناس، والناس تسوقُكم، وإنَّما يُنتظَر بأوَّلكم أن يلحقَه آخرُكم.

* قال عمر بن عبد العزيز: ما قُرِن شيءٌ بشيء أفضلَ مِن عِلم إلى حِلم.

* قيل لإبراهيم النَّخَعي: أيُّ رجل أنت، لولا حِدَّة فيك!

قال: أستغفرُ الله ممَّا أملك، وأستصلِحه ما لا أملك.

* قال عمرُو بن العاص لعبد الله بن عبَّاس ﵄: إنَّ هذا الأمرَ الذي نحن وأنتم فيه ليس بأوَّل أمرٍ قادَه البلاء، وقد بلغ الأمرُ منَّا ومنكم ما ترى،

وما أبقَت لنا هذه الحربُ حياءً ولا صبرًا، ولسنا نقول: ليتَ الحربَ عادَت، ولكن نقول: ليتَها لم تكن كانت!

فانظر فيما بَقِي بغير ما مضى؛ فإنَّك رأسُ هذا الأمر بعدَ عليٍّ، وإنَّما هو أميرٌ مُطاع، ومأمورٌ مُطيع، ومُشاوِرٌ مأمون، وأنت هو.

* في كتاب "كَلِيلَة ودِمْنَة":

لا فقرَ ولا بلاءَ كالحِرصِ والشَّرَه، ولا غنى كالرِّضا والقَناعة، ولا عقلَ كالتدبير، ولا وَرَع كالكفِّ، ولا حَسَبَ كحُسن الخُلق.

## ما هي السَّعادة؟

البحث عن السَّعادة مطلبٌ قديم، عُني به الأوائل والأواخر، وتحدَّثوا فيه وأسهَبوا، وحاولوا الوصولَ إلى معرفة كُنهِه، وتصوَّره بعضُهم في المال، وآخرون في الصِّحَّة، وبعضٌ خالَه في العِلم، وقيل: بل هو في الجاه، وقيل: إنَّه في سعادة النفس وراحتِها.

وأحسب أنَّ السعادة هي في تقوى الله، والقيامِ بأمره، وتأدِيَة الحقوق، وفعل الطاعات، واجتناب الآثام.

وأنَّها في راحةِ النَّفس، وهدوءِ البال، والرِّضا بقضاءِ الله وقَدَرِه، مع فعل الأسباب وعدم الاعتماد عليها، وإنَّما يسعى الإنسانُ في حدودِ قُدرته، ويتوكَّل على الله، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

## بينَ الإفراط والتفريط

بينَ الإفراط والتفريط منزلةٌ محبوبةٌ معتدِلَة:

فبين الجُبن والتهوُّر: الشجاعة، وبين البُخل والتبذير: الإنفاق بحِكمَة، وبين الغُلوِّ في الدِّين والجَفاء فيه: الاستقامة، وبين الإعراض عن مباهج الحِياة والإغراق فيها: التمتُّع بالطيِّبات، وبين الحُزن الدائم والاستهتار المستمِرِّ: الجِدُّ مع الترويح عن النفس أحيانًا، وبين الشدَّة الصارمة وعدم المبالاة: الحَزْم في رِفق؛ لئلا تتحوَّل الشدَّة إلى ضغطٍ يورثُ الانفجار، ولا تصبحَ قلَّة المبالاة مدعاةً للفوضى والإفلات والتعدِّي.

وهذه الأمَّة خيارٌ وسَط بين طوائف الضلال، ودِينُها خيرُ الأديان وأعدلُها؛ فليس فيه غلوُّ النصارى، ولا جَفاءُ اليهود؛ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

فما أحسنَ أن نتدبَّر دينَنا، وأن نُعالج مشكلاتِنا على ضوء شريعتنا السَّمحاء العادلة الشاملة! وما أجملَ أن نكون معتدلين في كلِّ شؤوننا! حتى تستقيمَ أمورنا، ونسعدَ - أفرادًا وجماعات - ونردِّد مع المؤمنين: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].



## نادرة

حُكِي أنَّ بعض المغفَّلين أمسكَ كلبًا وعضَّه؛ فقال: هذا عَضَّني منذ أيَّام، وأنا أُريد أن أُخالِف قولَ القائل:

شاتَمَنِي عَبدُ بَنِي مِسمَعٍ فَصُنتُ عَنهُ النَّفسَ والعِرضَا
ولم أُجِبهُ لاحْتِقارِي لَهُ ومَن يَعَضُّ الكَلبَ إن عَضَّا

## نُكتة

كان أعرابيٌّ يفلِي كساءَه، فيأخذُ البَراغيث، ثم يدعَ القَمْل؛ فقيل له؟ فقال: أبدأُ بالفُرسان، وأكِرُّ على الرَّجَّالة!

## حقُّ الجار

للجار حقُّ التكريم، ومُراعاة التقدير، والاهتمام به، والشعور نحوَه بمشاعرِ الودِّ والإخاء، والبُعد عمَّا يُكدِّره ويُؤذِيه، وقد حثَّ الإسلامُ على حقوق الجار على جارِه، وما زال جبريلُ يُوصي سيِّدَ المرسلين - عليهما الصلاة والتسليم - بالجار حتى ظنَّ أنَّه سيورِّثه منه، وقد عُني ذَوُو المروءات بالحَفاوة بالجار، ورأوا له حقوقًا واجبةَ الأداء، لو لم يُوجِبها الدِّين لكان العقلُ السليمُ يرغِّب فيها، ويدعو لها.

* أتى رجلٌ الوليدَ بن عبد الملك وهو على دمشقَ لأبيه؛ فقال: للأمير عندي نصيحة!

فقال: إن كانَت لنا فأظهِرها، وإن كانت لغيرنا فلا حاجةَ لنا فيها.

قال: جارٌ لي عصَى وفرَّ مِن بَعثِه.

قال: أمَّا أنتَ فتخبرُ أنَّك جارُ سُوء، فإن شئتَ أرسلنا معك؛ فإن كنتَ صادقًا أقصيناك، وإن كنت كاذبًا عاقَبناك، وإن شئتَ تاركناك.

قال: بل تارِكني!

* قال أبو الأسود الدُّؤلي:

فَلا تُشعِرَنَّ النَّفسَ يَأسًا فإنَّما ... يَعِيشُ بِجِدٍّ حازِمٌ وبَلِيدُ
ولا تَطمَعَنْ في مالِ جارٍ لقُرْبِهِ ... فكُلُّ قَرِيبٍ لا يُنالُ بَعِيدُ

* وقال مِسكينٌ الدَّارِمي:

نارِي ونارُ الجارِ واحِدَةٌ ... وإلَيهِ قَبلِي تُنزَلُ القِدْرُ
ما ضَرَّ جارًا لي أُجاوِرُهُ ... ألَّا يكونَ لِبَيتِهِ سِتْرُ
أُغضِي إذا ما جارَتِي بَرَزَتْ ... حتَّى يُوارِيَ جارَتِي الخِدْرُ
ويَصَمُّ عَمَّا كانَ بَينَهُما ... سَمعِي وما بِي غَيرُهُ وَقْرُ

## نُكتة

قال أبو أحمد التَّمَّار في قَصصِه: لقد عظَّم رسولُ الله ﷺ حقَّ الجار، حتى قال فيه قولًا أستحي واللهِ أن أذكرَه!

* سُئِل رجل عن كُنيتِه، فقال: أبو الحسن، وأبو الغمر.

فقيل: ألم تكفِ واحدة؟

فقال: لا؛ إن ضاعت واحدةٌ بقِيَتِ الأخرى.

* وقال أحدُ الشُّعراء في التسامُح مع الجِيران:

أَقُولُ لِجارِي إذ أَتانِي مُخاصِمًا يُدِلُّ بِحَقٍّ أَو يُدِلُّ بِباطِلِ
إذا لم يَصِلْ خَيري وأَنتَ مُجاوِرِي إليكَ فَما شَرِّي إليكَ بِواصِلِ

* ممَّا قِيلَ في مُختالٍ سامِج قولُ أبي تمَّام:

يا مَن تَبرَّمَتِ الدُّنيا بِطَلعَتِهِ كما تَبرَّمَتِ الأَجفانُ بِالرَّمَدِ
يَمشِي عَلى الأرضِ مُختالًا فأَحسَبُهُ لبُغضِ طَلعَتِهِ يَمشِي عَلى كَبِدِي
لَوْ أنَّ في الأَرضِ جُزءًا مِن سَماجَتِهِ لم يَقدَمِ الموتُ إشفاقًا عَلى أَحَدِ

* سُئِل الحسنُ البصريُّ عن التواضُع، فقال: هو أن تَخرجَ من بيتك فلا تَلْقى أحدًا إلَّا رأيتَ له الفضلَ عليك.

* كان الحارث بن عبد الله بن أبي رَبِيعَةَ يجلس هو وعمرو ابن عبيد الله بن صَفْوان ما يكادانِ يفترقان، وكان عمرٌو يبعث إلى الحارث في كلِّ يوم بقِرْبةٍ من ألبانِ إبلِه، فاختلفَ ما بينَهما، فأتى عمرٌو أهله، فقال: لا تبعثوا اللَّبَن؛ فإنَّا لا نأمنُ أن يرُدَّه علينا.

وانقلبَ الحارث إلى أهلِه، فقال: هل أتاكم اللَّبَن؟

قالوا: لا.

فلمَّا راح الحارث لعمرٍو قال: يا هذا؛ لا تجمَع علينا الهجرَ وحَبْسَ اللَّبن!

فقال: أما إذا قلتَ هذا، فلا يحمِلُها إليكَ غيري!

فحَمَلها من رَدْم بني جُمَحٍ إلى أَجْياد.

* بلغ ابنَ المُقَفَّع أنَّ جارًا له يبيع دارًا له؛ لِدَين رَكِبه، وكان ابنُ المُقفَّع يجلس في ظلِّ هذه الدار، فقال: ما قُمتُ إذًا بحُرمةِ ظلِّ داره إن باعها مُعدِمًا وبتُّ واجدًا!

فحمل إليه ثمنَ الدار، وقال: لا تَبع.

* قال الشاعر:

وإنَّ أَولَى الـمَـوالِـي أن تُـواسِـيَـهُ    عِندَ السُّرورِ لَمَن واساكَ في الحَزَنِ
إنَّ الـكِـرامَ إذا مـا أَيـسَـرُوا ذَكَـرُوا    مَن كانَ يَألَفُهُمْ في المَنزِلِ الخَشِنِ

## مَشاغِلُ الحياة

شغلَتنا هذه الحياة، وجرَّت علينا الحضارةُ الحاضرةُ مشكلاتٍ كبيرة؛ وغفَلنا عن حقوقٍ كثيرة، وواجباتٍ عديدة، ومستحبَّاتٍ مأثورة، وحياةُ المدن العاجَّة بالناس، والمتطلَّبات والمشاغل تكادُ تَحرِم الإنسانَ من قيامه بمسؤوليَّات عِدَّة، إن لم تكن حَرمَته منها فعلًا؛ ومن ذلك: حقوقُ الجيران بعضِهم على بعض في التعارُف والتزاوُر، والصِّلات والمشاعِر والتفاهُم؛ فقد كان الناس يهتمُّون بالجار، ويحرصون عليه، ويسألون عنه إذا غاب، ويَدْعُونه ويدْعُوهم، ويزورُهم ويزورُونه، ويعرف بعضُهم أحوالَ بعض، ويتفقَّد بعضُهم بعضًا، ويتألَّم المرءُ منهم لألَم الآخر، ويحسُّ كأنَّه قريب له، أو أشدُّ.

ولكنَّ تلك الخِلالَ الحَسَنَة قد أوشكَت على الاختفاء، فترى بعضَ الجيران تمضي عليهم الشُّهور والأعوام، وهم لا يتعارفون ولا يتزاوَرون، ولا يهتمُّ بعضُهم ببعض.

لقد حثَّ الإسلام على إكرام الجار، والقيام بحقِّه، وأوصى جبريلُ به النبيَّ ﷺ حتى ظنَّ أنَّه سيورِّثه منه، وجعل إكرامَه من مستلزمات الإيمان بالله واليوم الآخر.

## الطُّموح

الطُّمُوح مستحسَن؛ لِمَا يدلُّ عليه من علوِّ الهِمَّة، وقوَّة العزيمة، واستسهال الصِّعاب، ولكنَّ الطُّموح لا بدَّ له من الحِكمة والتدبُّر، وإلَّا صار نَزَقًا وتهوُّرًا، وإذا كان الخُنوع وضعفُ الهِمَّة وفُتور العزيمة مَذَمَّةً ونُقصانًا، فإنَّ التهوُّر وعدم التبصُّر والتفكُّر مجلبةٌ للمشكلات، وسببٌ للتَّهلُكات، وقد يندمُ صاحبُها، ولاتَ ساعةَ مَندَم.

* قال بعض الحكماء:

تجنَّبوا المُنَى؛ فإنَّها تذهب ببهجة ما خُوِّلتُم، وتستصغرون بها نِعمةَ الله عليكم.

* قال بعض الشعراء:

إذا أنتَ لم تَعرِفْ لنَفسِكَ حَقَّهَا ... هَوانًا بها كانَت على النَّاسِ أَهوَنَا

فنفسَكَ أكرِمْها وإن ضاقَ مَسكَنٌ ... عليكَ لها فَاطلُب لنَفسِكَ مَسكَنَا

وإيَّاكَ والسُّكنَى بِمَنزِلِ ذِلَّةٍ ... يُعدُّ مُسِيئًا فيهِ مَن كانَ مُحسِنَا

* وقال الحُصَينُ بن المنذِر الرَّقَاشي:

إنَّ المُرُوءةَ ليسَ يُدرِكُها امرُؤٌ ... وَرِثَ المَكارِمَ عَن أَبٍ فأَضاعَهَا

أَمرَتهُ نَفْسٌ بالدَّناءَةِ والخَنَا ... ونَهَتهُ عَن سُبُلِ العُلا فَأطاعَهَا

فإذا أَصابَ مِنَ المَكارِمِ خَلَّةً ... يَبنِي الكَرِيمُ بِها المَكارِمَ باعَهَا

## البرُّ والعُقوق

الوفاء والبرُّ من أجمل الخِلال وأكرمها، وما أكثرَ ما جاء فيها مدحًا وتنويهًا! وما أعظمَ ما قيل في ذمِّ الخائن، وناكِر الجميل والعاقِّ، وأشباههم!

وللوالدَين من سموِّ المنزلة وحقِّ الإكرام، ما لا يحتاج إلى تطويل الإيضاح، وللمعلِّم والجار والصديق حقوقٌ يراعيها الكريمُ، ويُعنَى بها.

## أبٌ يهجو ابنَه العاقَّ

كان لفُرْعان بن الأعرَف أبي المُنازِل السَّعْديِّ ابنٌ قاسٍ، يُسيء إلى والده؛ فقال فيه:

جَزَت رَحِمٌ بَيني وبينَ مُنازِلٍ ... جَزاءً كَما يَستَنزِلُ الدَّينَ طالِبُهْ
وما كنتُ أَخشَى أن يكونَ مُنازِلٌ ... عَدُوِّي وأدنى شانِئٍ أنا راهِبُهْ
حَمَلتُ على ظَهرِي وقَرَّبتُ شَخصَهُ ... صَغِيرًا إلى أن أمكَنَ الطَّرَّ شارِبُه
وأَطعَمتُهُ حتَّى إذا صارَ شَيْظَمًا ... يَكادُ يُساوِي غارِبَ الفَحْلِ غارِبُهْ
تَخوَّنَ مالِي ظالِمًا ولَوَى يَدِي ... لَوَى يَدَهُ اللهُ الذي هُوَ غالِبُهْ
وكانَ لَهُ عندِي إذا جاعَ أو بَكَى ... مِنَ الزَّادِ أَحلَى زادِنا وأَطايِبُهْ
ورَبَّيتُهُ حتَّى إذا ما تَرَكتُهُ ... أخا القَومِ واستَغنَى عَنِ المَسْحِ شارِبُهْ
وجَمَّعتُها دُهْمًا جِلادًا كأَنَّها ... أَشَاءُ نَخِيلٍ لَم تُقَطَّع جَوانِبُهْ
فأخرَجَنِي مِنها سَلِيبًا كأَنَّنِي ... حُسامُ يَمانٍ فارَقَتهُ مَضارِبُهْ
أإن أُرعِشَتْ كَفَّا أَبِيكَ وأَصبَحَتْ ... يَداكَ يَدَيْ لَيْثٍ فإنَّكَ ضارِبُهْ؟!

* قيل لعمرَ بن ذَرٍّ: كيف كان بِرُّ ابنِكَ بك؟

قال: ما مشَيتُ نهارًا قطُّ إلَّا مشى خلفي، ولا ليلًا إلَّا مشى أمامي، ولا رَقَى سطحًا وأنا تحتَه.

## يأمره بمُلازمةِ والدَيه

قال عثمان بن أبي العاص: كنتُ عند عمرَ فأتاه رجلٌ فأنشدَه:

تَــرَكــتَ أبــاكَ مُــرْعَــشَــةً يَــداهُ وأُمَّــكَ مــا تُــسِــيــغُ لَــهــا شَــرابَــا
إذا غَــنَّــت حَــمــامَــةُ بَــطْــنِ وَجٍّ عَــلــى بَــيْــضــاتِــهــا ذَكَــرَت كِــلابَــا

فقال عمر: ممَّ ذاك؟

قال: هاجر إلى الشام، وتَرَك أبوَين كبيرَين!

فبكى عمر وكتب إلى يزيدَ بن أبي سفيان في أن يُرحِّله، فقَدِمَ عليه، فقال: برَّ بأبوَيك، وكن معهما حتى يموتَا.

* قال المأمون: لم أرَ أحدًا أبرَّ من الفضل بن يحيى بأبيه؛ قد بلغ من برِّه به أنَّ يحيى كان لا يتوضَّأ إلَّا بماء مُسخَّن وهما في السِّجن، فمنعهما السجَّان من إدخال الحَطَب في ليلةٍ باردة، فقام الفضلُ حين أخذ يحيى مضجعَه إلى قُمْقُم كان يسخِّن فيه الماء، فملأه، ثم أدناه من نار المِصباح، فلم يزَلْ قائمًا وهو في يدِه حتى أصبح!

* وقال الشَّعْبي: ما أدركتُ أمِّي فأبرَّها، ولكن لا أسبُّ أحدًا فيسبَّها.

## عواقبُ الأمور

رُبَّ أمر كرهتَه فكان في عُقباه الخير، وربَّ فشل أدَّى إلى نجاح، وربَّ ضعفٍ جرَّ إلى قوَّة، ووهَن كان سببَ عزم وحزم، فلا ينبغي للإنسان أن يركَن لليأس، وأن يُخلِدَ للمثبِّطات، ولا أن يجبُن أو يخور؛ فالحياةُ كِفاح وعمل، وعقيدة وجهاد، وعليه أن يسعى بقَدَر، فلا يشتطَّ ولا يكسَل، ولا يطمع ولا يُعرض، بل يكون وَسَطًا بين طَرَفَين، وعدلًا بين جَورَين، وخيارًا بين شرَّين، فلا إفراطَ ولا تفريط.



## المشاورة

لا بدَّ للمرء من مُشاورة الآخرين، والاستئناس بآرائهم، والاستفادة من تَجارِبهم، وليس من الحِكمة استشارةُ كلِّ أحد؛ لأنَّ من الناس من تكون مشورتُه ضارَّة، وآراؤه فاسدة؛ نتيجةَ هوى أو تغفيل أو جهل، وعلى الإنسان أن يتخيَّر مَن يستشيره، وأن يحرص أن يكون تقيًّا، أمينًا صادقًا، ليس له غرضٌ أو هوى، وليس أحمقَ أو مغفَّلًا.

وقد كان الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى يَستشير أصحابَه في أمور كثيرة، وكذا الخُلفاء بعدَه، وغيرهم من السَّلف الصالح.

* قال الأصمعي: قلتُ لبشَّار: رأيتُ رجال الرأي يتعجَّبون من أبياتك في المشورة!

فقال: أوَما علمتَ أنَّ المشاور بين إحدى الحُسنيَين؛ صوابٍ يفوز بثمرته، أو خطأٍ يشارك في مكروهه؟!

فقلت له: أنت واللهِ في هذا الكلام أشعرُ منك في شعرِك.

* وقيل: لا تُشاورِ الجائعَ حتى يشبَع، ولا الغضبانَ حتى يهجَع، ولا الأسيرَ حتى يُطلَق، ولا المُضِلَّ حتى يَجِد، ولا الراغبَ حتى يُنجِح.

* وقال ابن المُعتَز: مَن أكثر المشورة لم يعدَم عندَ الصواب مادحًا، وعند الخطأ عاذرًا.

* وقال عبد الله بن أحمد أبو محمَّد بن الخشَّاب:

إذا عَنَّ أَمْرٌ فاستَشِر فيهِ صاحِبًا ... وإن كُنتَ ذا رَأيٍ تُشِيرُ على الصَّحْبِ
فإنِّي رأَيتُ العَينَ تَجهَلُ نَفسَهَا ... وتُدرِكُ ما قَدْ حَلَّ في مَوضِعِ الشُّهْبِ

* وقال ظالِم بن عمرو بن سفيان أبو الأسود الدُّؤلي:

وما طَلَبُ المَعِيشَةِ بالتَّمَنِّي ... ولكِنْ أَلْقِ دَلْوَكَ في الدِّلاءِ
تَجِئكَ بِمِلئِها يومًا ويومًا ... تَجِيءُ بِحَمْأَةٍ وقليلِ ماءِ
ولا تَقعُد على كَسَلِ التَّمَنِّي ... تُحِيلُ على المَقادِرِ والقَضاءِ
فإنَّ مَقادِرَ الرَّحمنِ تَجرِي ... بأَرزاقِ الرِّجالِ مِنَ السَّماءِ
مُقَدَّرةً بِقَبضٍ أو بِبَسطٍ ... وعَجزُ المَرءِ أسبابُ البَلاءِ

* قال الشاعر:

عَقلُ الفَتَى ليسَ يُغنِي عن مُشاوَرَةٍ ... كحِدَّةِ السَّيفِ لا تُغنِي عَنِ البَطَلِ
إنَّ المُشاوِرَ إمَّا صائِبٌ غَرَضًا ... أو مُخطِئٌ غيرُ مَنسُوبٍ إلى الخَطَلِ
لا تَحقِرِ الرَّأيَ يَأتِيكَ الحَقِيرُ بهِ ... فالنَّحْلُ وَهْوَ ذُبابٌ طائِرُ العَسِلِ

* قال الحسن البصريُّ في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]: أمرَه بمشاوَرتِهم ليَستنَّ به المسلمون، ويتَّبعه فيها المؤمنون، وإن كان عن مشورَتِهم غنيًّا.

## العدل

«العدل أساس المُلك»، هذا مَثَلٌ يتفوَّه به الناس، ويردِّدونه بكثرة، ولكن هل فكَّر كلٌّ واحد في معنى هذا المثل، وهل عدَلنا في أنفُسنا وذَوينا، وأعدائنا وأصدقائنا؟ وهل راعَينا العدلَ في البيت والمدرسة، والمكتب والشارع، والمدينة والقرية؟

إنَّ العدل أساسُ المُلك، وأساس التماسُك في المجتمع، وأساس الحبِّ والتعاون والتفاهُم، فما أحوجَنا أن نعيَ هذا المثل، وأن نطبِّقه في أوسع المجالات، ولا نحصر مدلولَه في ناحية ضيِّقة، أو أن نردِّده بدون أن يظهر أثرُه على واقعنا، مقتنعين بأهميَّته، وعظيم جَدواه!

* قال الحسنُ للمُغيرةِ بن مُخارِشٍ التَّميمي: إنَّ مَن خوَّفك حتى تلقى الأمنَ، خيرٌ لك ممَّن أمَّنك حتى تلقى الخوف.

* قيل لمحمَّد بن عليٍّ الباقر: مَن أشدُّ الناس زهدًا؟

قال: مَن لا يُبالي الدُّنيا في يدِ مَن كانت.

* أعجبتني هذه الفقرات من كتاب "مُشاكلَة الناس لزَمانهم" تأليف: أحمد بن إسحاق اليعقوبي:

«كان أبو بكر رضي الله عنه لا يحمل أحدًا من الأشراف على التجاوُز، حتى إنَّه بلغَه عن أبي سُفيانَ بن حَرْبٍ أمرٌ يكرهه، فدعَا به، فجعل يصيحُ عليه، وأبو سفيانَ يتذلَّل له ويتواضعُ بين يديه، وأقبل أبو قُحافةَ يقودُه قائِدُه - وكان قد عَمِي - فسمع صِياح أبي بكر، فقال لقائده: على مَن يصيحُ أبو بكر؟

قال: على أبي سُفيان بن حَرْب.

قال أبو عَتيق: أعلى أبي سُفيانَ تَرْفع صوتَك؟! لقد تعدَّيتَ طَورَك!

فقال: يا أبتِ، إنَّ الله قد رَفَع بالإسلام قومًا، ووضعَ به آخرين».

* قال القُطامي أبياتًا شائقة:

ليسَ الجَدِيدُ مُقِيمًا في بَشاشَتِهِ ... إلَّا قَلِيلًا ولا ذُو خَلَّةٍ يَصِلُ
والعَيشُ لا عَيشَ إلَّا ما تَقَرُّ بِهِ ... عَينٌ ولا حالَ إلَّا سَوفَ تَنتَقِلُ
والنَّاسُ مَن يَلقَ خَيرًا قائِلُونَ لَهُ ... ما يَشتَهِي ولِأُمِّ المُخطِئِ الهَبَلُ
قَد يُدرِكُ المُتأنِّي بعضَ حاجَتِهِ ... وقَد يكونُ مَعَ المُستَعجِلِ الزَّلَلُ

## المال وسيلة

المال وديعةٌ عند الإنسان، يُنفقه في المباحات والمستحبَّات والواجبات،

ويستعينُ به على قضاء الحقوق، وعلى نوائبَ تحدُث، وطوارقَ تطرُق، ومَن وفَّقه الله عَرَف كيف يتصرَّف فيه بلا بُخل ولا تبذير، ولا شُحٍّ ولا إسراف، بل بعدل خيار، يبعُد عن الإجحاف، وينأى عن الهَوَس.

* قَدِمَ عَقيلُ بن أبي طالب على أخيه عليٍّ وهو بالكوفة يسأله مالًا؛ فقال للحسن: اكْسُ عمَّك. فكساه قميصًا من قُمصانه، ورداءً من أردِيَته، فلمَّا حضر العَشاء دعا عليٌّ بالعَشاء، فإذا كِسرٌ تقَعْقَعُ يُبوسة، فقال عَقيل: أوَليس عندكَ إلَّا ما أرى؟

قال عليٌّ: أوَليس هذا من نعمة الله؟! فله الحمد والشكر.

فقال عَقيل: يا أمير المؤمنين؛ لا ضَيرَ، إذا كان هذا أعطني ما أقضي دَيني، وعجِّل سَراحي لأرحل عنك!

فقال عليٌّ: فكم دَينُك؟

فقال: أربعمئة ألف درهم.

فقال علي: فما هي عندي ولا أملكُها، ولكن تصبر حتى يخرج عَطائي فأُقاسِمْك.

فقال عَقيل: بيت المال في يدِك وأنتَ تُسوِّفني؟!

قال: واللهِ يا أخي، ما أنا وأنت في هذا المال إلَّا بمنزلة رجل من المسلمين.

وجعلا يتكالَمانِ في هذا وهما فوقَ قصر الإمارة مشرفَين على صناديق أهل السُّوق، فقال علي: إذا أبيتَ ما أقول، فانزِل إلى بعض هذه الصناديق فاكسِرها، وخُذ ما فيها!

قال عَقيل: أتأمرُني أن أكسِر صناديق قوم قد توكَّلوا على الله، وجعلوا

أموالهم فيها، واتَّكلوا عليها؟!

قال: أفتأمُرني أن أفتحَ بيت مال المسلمين، وقد توكَّلوا على الله، وهم يرجون قبضَها، وأنا متقلِّدٌ أخذَها من وجوهها، ووضعَها في حُقوقها؟!

فإن أبيتَ ما أقول أخذتَ سيفًا، ثم أخذتُ سيفًا، ثم انطلقنا إلى الجير، فإنَّ فيها تجَّارًا مَياسِير، فدخلنا على بعضهم وأخَذنا أموالَهم؟

قال عقيل: أسارقًا جئت؟!

قال عليٌّ: ولأن تَسرِقَ من واحد خيرٌ من أن تسرقَ من كافَّة المسلمين.

قال عقيل: فائذَن لي أن آتيَ هذا الرجل - يعني: معاوية - غير متَّهِم لي أنِّي إليه هجرت، ولا عنكَ صدَرت، ولا به انتصَرت!

قال: قد أذِنتُ لك.

قال: فأعنِّي على سَفَري إليه.

قال: يا حسنُ؛ أعطِ عمَّك أربعمئة درهم.

فأعطاه إيَّاها، فخرج من عنده وهو يقول:

سيُغنِيني الذي أَغنَى عَلِيًّا ... فَيُدرِكُهُ إلى الرَّحِمِ الطَّلُوبُ

وَيُغنِيني الذي أَغْناهُ عنِّي ... وَيُغنِي، رَبُّنا رَبٌّ قَرِيبُ

ثم وصل إلى معاوية، فوصَلَه بأربعمئة ألف لقضاء دَينِه، ثم وصلَه بمثلها.

* حضر بابَ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه جماعةٌ، منهم سُهَيل ابن عمرو، وعُيَيْنَةُ بن حِصن، والأَقْرَعُ بن حابِس، فخرج الآذن فقال: أين صُهيب؟ أين عمَّار؟ أين سَلمان؟

فتمعَّرَت وجوهُ القوم، فقال واحد منهم: لِمَ تتمعَّر وجوهُكم؟! دُعوا

ودُعينا، فأسرعوا وأبطأنا، ولئن حسدتُّموهم على بابِ عمر، لَمَا أعدَّ الله لهم في الجنَّة أكثر!

* كتب عمر بن الخطَّاب إلى أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه:

أمَّا بعد:

فإنَّ القضاءَ فريضةٌ مُحكَمة، وسُنَّة متَّبَعَة؛ فافهَم إذ أُدليَ إليك، فإنَّه لا ينفعُ تكلُّم بحقٍّ لا نفاذَ له.

آسِ بين الناسِ في مجلسِك ووَجهِك؛ حتى لا يطمعَ شريفٌ في حَيفِك، ولا يخافَ ضعيفٌ من جَورِك، البيِّنةُ على المدَّعي واليمينُ على مَن أنكر، والصلحُ جائزٌ بين المسلمين، إلَّا صلحًا حرَّم حلالًا، أو أحلَّ حرامًا، ولا يمنعنَّك قضاءٌ قضيتَه بالأمس، فراجعتَ فيه نفسَك، وهُديتَ فيه لرُشدِك أن ترجعَ عنه إلى الحقِّ؛ فإنَّ الحقَّ قديم، ومراجعة الحقِّ خيرٌ من التمادي في الباطل.

* قال الشاعر:

كَرِيمٌ يَغُضُّ الطَّرْفَ عندَ حَيائِهِ ويَدْنُو وأَطْرافُ الرِّماحِ دَوانِ
وكَالسَّيفِ إن لايَنتَهُ لانَ مَتنُهُ وحَدَّاهُ إن خاشَنتَهُ خَشِنانِ

## نادرةٌ

* خَطَب أحدُ الولاة فَقَال: إنَّ الله لا يُقارُّ عبادَه على المعاصي، وقد أهلك اللهُ أمَّةً عظيمة في ناقة ما كانت تساوي مئتي درهم!

فسمِّي (مُقوِّمَ الناقة).

* قال عامر الشَّعْبِي: كتب عمر إلى معاوية:

أمَّا بعد:

فإني كتبتُ إليكَ بكتاب في القضاء لم آلُكَ ونفسي فيه خيرًا: الزَمْ خمسَ خصال، يسلَم لك دِينُك، وتأخُذ فيه بأفضلِ حَظِّك:

إذا تقدَّم إليك خَصْمان، فعليك بالبيِّنة العادلة، واليمين القاطعة، وأدْنِ الضعيفَ حتى يشتدَّ قلبُه، ويتبسَّط لسانُه، وتعهَّدِ الغريب؛ فإنَّك إن لم تتعهَّدْه تَرَك حقَّه، ورجعَ إلى أهله، وإنَّما ضَيَّع حقَّه مَن لم يرفُق به، وآسِ بينَهم في لَحْظِك وطَرْفك، وعليك بالصُّلح بين الناس ما لم يستَبِن لكَ فصلُ القضاء، والسلامُ عليك.

* قال رَجاءُ بن حَيْوَةَ عن ابن مَخْرَمَة: إنِّي لتحتَ مِنبرِ عمر ابن الخطَّاب رضي الله عنه بالجابِيَة حين قام في الناس، فحمِدَ الله وأثنى عليه، ثم قال: أيُّها الناس، اقرؤوا القرآن تُعرفوا به، واعملوا به تكونوا مِن أهله، إنَّه لن يبلُغَ ذو حقٍّ في حقِّه أن يُطاع في معصية الله، ألا إنَّه لن يُبعِد مِن رزق الله ولن يُقرِّب من أَجَلٍ أن يقول المرءُ حقًّا، وأن يُذكِّر بعظيم.

ألا وإنِّي ما وجدتُّ صلاحَ ما ولَّاني الله إلَّا بثلاث: أداء الأمانة، والأخذ بالقوَّة، والحُكم بما أنزلَ الله، ألا وإنِّي ما وجدتُّ صلاح هذا المال إلَّا بثلاث: أن يُؤخَذ من حقٍّ، ويُعطى في حقٍّ، ويُمنع من باطل.

ألا وإنَّما أنا في مالِكم هذا كوالي اليتيم؛ إنِ استغنَيتُ استعففَت، وإنِ افتقرتُ أكلتُ بالمعروف، تَقَرُّمَ البَهْمَة.

* قال عبد الملك بن مَرْوان لأخيه عبد العزيز حين وجَّهه إلى مصر:

تفقَّد كاتبَكَ وحاجبَك وجليسَك؛ فإنَّ الغائبَ يُخبرُه عنكَ كاتبُك، والمتوسِّمَ يعرِفُك بحاجبك، والداخل عليك يعرِفُك بجليسِك.

* أوصى عمرُ بن عبد العزيز واليًا، فقال:

عليك بتقوى الله؛ فإنَّها جِماع الدُّنيا والآخرة، واجعَل رعيَّتَك الكبيرَ منهم كالوالد، والوَسَطَ كالأخ، والصغيرَ كالولد؛ فبَرَّ والدَك، وصِلْ أخاك، وتلطَّفْ بولدِك.

* كتب عمر بن عبد العزيز إلى الجرَّاح بن عبد الملك الحَكمي:

إنِ استطعتَ أن تدعَ ممَّا أحلَّ الله لكَ ما يكون حاجزًا بينك وبين ما حرَّم الله عليكَ فافعَل؛ فإنَّه مَن استوعبَ الحلالَ كلَّه تاقَتْ نفسُه إلى الحرام.

* قال عمرُ بن عبد العزيز: إذا كان في القاضي خمسُ خِصال فقد كَمَل: عِلم ما كان قبلَه، ونَزاهةٌ عن الطَّمَع، وحِلمٌ عن الخَصْم، واقتداءٌ بالأئمَّة، ومشاورةُ أهل الرأي.

* قال ابن أبي الزِّناد: كنت كاتبًا لعمر بن عبد العزيز، وكان يكتُب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطَّاب في المظالِم، فيُراجعه، فكتب إليه:

إنَّه ليخيَّل إليَّ أنَّه لو كتبتُ إليكَ أن تعطي رجلًا شاةً لكتبتَ إلي: أذكرٌ أم أنثى؟! فإذا أتاكَ كتابي في مظلمة، فلا تُراجعني، والسلام.

* قال زياد في خُطبته:

أيُّها الناس؛ إنَّا قد أصبَحنا لكم ساسةً، وعنكم ذادَة، نسوسُكم بسُلطان الله الذي أعطانا، ونذودُ عنكم بفَيء الله الذي خَوَّلَنا، فلنا عليكم السمعُ والطاعةُ فيما أحبَبنا، ولكم علينا العدلُ فيما وَلِينا، فاستوجبوا عدلَنا وفَيئَنا بمُناصَحَتِكم لنا.

* ومن كتاب عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه للأشتَرِ النَّخَعيِّ لمَّا ولَّاه مصر

وأعمالها:

ولا يكوننَّ المحسنُ والمسيءُ عندكَ بمنزلةٍ سواء؛ فإنَّ في ذلك تزهيدًا لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريبًا لأهل الإساءة على الإساءة، ولا تَنقُض سُنَّةً صالحةً عَمِل بها صدورُ هذه الأمَّة، واجتمعت بها الأُلفة، وجُبلت عليها الرعيَّة، ولا تُحدِثنَّ سُنَّةً تضرُّ بشيء من ماضي تلك السُّنن، فيكونَ الأجرُ لِمَن سنَّها، والوِزرُ لك بما نقضتَ منها، وأكثِر مُدارسة العلماء، ومُناقشةَ الحكماء، في تثبيت ما صلَح عليه أمرُ بلادِك، وإقامةِ ما استقامَ به الناسُ قبلَك.

* قال الحسن بن أبي الحسن: واللهِ لولا ما ذَكَره الله من أمر هذَين الرجلين - يعني: داود وسليمان - لرأيتُ أنَّ القضاةَ قد هلكوا؛ فإنَّه أثنى على هذا بعلمِه، وعذرَ هذا باجتهادِه.

* وقال الحسين بن أحمد المعروف بابن الحجَّاج:

قد وَقَعَ الصُّلحُ على غَلَّتِي واقتَسَمُوها كَارَةً كَارَهْ
لا يُفلِسُ البَقَّالُ إلَّا إذا تَصالَحَ السِّنَّورُ والفَارَهْ

* تظلَّم أهلُ الكوفة مِن عاملها إلى المأمون، فقال: ما علمتُ في عمَّالي أعدلَ منه، فقال رجل مِن القوم: يا أمير المؤمنين، فقد لزَمِك أن تجعلَ لسائر البُلدان نصيبًا من عدلِه؛ حتى تكون قد ساوَيتَ رعاياكَ في حُسن النَّظر، فأمَّا نحن فلا تخُصَّنا منه بأكثرَ من ثلاث سنين!

فضحِك المأمون، وأمرَ بصرفه.

* قال أبو دُهْمان لسعيدِ بن مسلِم - وكان وقفَ إلى بابه فحَجَبه حينًا، ثم أذِنَ له، فمثُل بين يديه - فقال: إنَّ هذا الأمرَ الذي صار إليك وفي يديك قد كان في يدي غيرِك، فأمسى واللهِ حديثًا؛ إنْ خيرًا فخير، وإنْ شرًّا فشر؛

فتحبَّب إلى عباد الله بحُسن البِشر، وتسهيل الحجاب، ولِين الجانب؛ فإنَّ حُبَّ عِباد الله موصولٌ بحبِّ الله، وبُغضَهم موصولٌ ببُغض الله؛ لأنَّهم شهداء الله على خلقه، ورُقباؤه على مَن اعوَجَّ عن سبيله.

* كان عمر بن الخطَّاب ﷺ إذا بعث عاملًا يشترط عليه أربعًا: ألَّا يركبَ البَراذِين، ولا يلبسَ الرَّقيق، ولا يأكُلَ النَّقِي، ولا يتَّخذ بَوَّابًا.

* أحضر هارون الرشيد رجلًا ليولِّيه القضاء، فقال: إنِّي لا أُحسن القضاء، ولا أنا فقيه!

فقال الرشيد: فيكَ ثلاث خِلال: لك شَرَف؛ والشَّرَفُ يمنع صاحبَه من الدَّناءة، ولكَ حِلمٌ يمنعُكَ من العَجَلَة؛ ومَن لم يعجَل قلَّ خطؤه، وأنت رجلٌ تشاور؛ ومَن شاورَ كثُر صوابُه، وأمَّا الفِقه، فسينضمُّ إليكَ مَن تتفقَّه به.

* خطبَ سعيد بن سُوَيد بحمص، فحمِدَ الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيُّها الناس؛ إنَّ للإسلام حائطًا منيعًا، وبابًا وثيقًا، فحائط الإسلام الحقُّ، وبابُه العدل، ولا يزال الإسلام منيعًا ما اشتدَّ السُّلطان، وليسَت شدَّة السُّلطان قتلًا بالسَّيف، ولا ضربًا بالسَّوط، ولكن قضاءٌ بالحقِّ، وأخذٌ بالعدل.

## التحلِّي بالإنصاف

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في كتابه "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام":

«الإنصاف مِن النفس من أجلِّ مظاهر الخُلُق الكريم، وأدلِّها على محبَّة العدل في الضمير.

واسم الإنصاف أشهر ما يُطلق على إعطاء حقِّ الغير طوعًا؛ يُقال: (أنصف) إذا أعطى حقًّا عليه طوعًا.

وهو خَصلةٌ رفيعة، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥]، فقوله: ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ يتنازعُه وصفَا قوَّامين بالقِسط شُهداء لله، وهو داخلٌ في عموم قول النبيِّ ﷺ: «لا يؤمِن أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه»؛ فإنَّ المؤمن يحبُّ لنفسه أن يُعطَى حقَّه.

وقد تكرَّر في آداب القرآن الترويضُ على قياس المرءِ حقَّ غيره على حقِّ نفسه؛ قال تعالى في معرِض التحذير من أكل مال اليتيم: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ [النساء: ٩٤]، وقال النبيُّ ﷺ: «الكَيِّس مَن دان نفسَه»؛ أي: حكمَ عليها وحدَه، وحاسبَها وبيَّن لنفسِه تقصيرَها».

## نادرة

سمع أبو يعقوب الخُرَيميُّ منصورَ بن عمَّار صاحبَ المجالس يقول في دُعائه: اللهمَّ اغفِر لأعظمنا ذنبًا، وأقسانا قلبًا، وأقربنا بالخطيئة عهدًا، وأشدِّنا على الدُّنيا حرصًا!

فقال له: امرأتي طالقٌ إن كنتَ دعوتَ إلَّا لإبليس.

* قال محمود الورَّاق:

إذا اعتَصَمَ الوالِي بإغلاقِ بابِهِ ورَدَّ ذَوِي الحاجاتِ دُونَ حِجابِهِ

ظَـنَـنـتُ بـهِ إحـدى ثَـلاثٍ ورُبَّـمَـا    نَـزَعـتُ بِـظَـنٍّ واقِـعٍ بِـصَـوابِـهِ
فـقُـلـتُ: بـهِ مَـسٌّ مِـنَ الـعِـيِّ ظـاهِـرٌ    فـفـي إذنِـهِ لـلـنَّـاسِ إظـهـارُ مـا بِـهِ
فإن لَـم يَـكُـن عِـيُّ الـلِّـسـانِ فَـغـالِـبٌ    مِـنَ الـبُـخـلِ يَـحـمِـي مـالَـهُ عَـن طِـلابِـهِ
فـإن لَـم يَـكُـن هَـذا ولا ذَا فَـرِيـبَـةٌ    يُـصِـرُّ عَـلَـيـهـا عـنـدَ إغـلاقِ بـابِـهِ

* ذُكِر الظُّلم في مجلس ابن عبَّاس، فقال كعب: إنِّي لأجد في كتاب الله المنزَّل أن الظُّلم يُخرب الدِّيار.

فقال ابن عبَّاس: أنا وجدتُّه في القرآن؛ قال الله ﷻ: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ [النمل: ٥٢].

* قال بعضهم: دعوتانِ أرجو إحداهما، وأخاف الأخرى: دعوةُ مظلوم أعنتُه، ودعوةُ ضعيف ظلمتُه.

## إنصاف

ما أحسنَ الإنصاف، وما أقلَّ فاعلَه! ولقد ندبَ الله له، وحثَّ على العدل، وأمرَ به في آيات كثيرة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]، وأمر الله بالعدل في حقِّ مَن بين الإنسان وبينَه عداوة؛ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨].

* سأل هشامُ بن عبد الملك أسدَ بن عبد الله القَسْرِيَّ عن نَصْر بن سَيَّار - وكان عدوَّه - فقال: ذلك رجلٌ محاسِنُه أكثرُ من مساويه، لا يضربُ طبقةً إلَّا انتصفَ منها، لا يأتي أمرًا يعتذر منه، قسمَ أخلاقَه بين أيَّام الفضل؛ فجعل لكلِّ خُلُق نَوبَة، لا يُدرى أيُّ أحواله أحسن: ما هداه إليه عقلُه، أو ما

كسَبَه إيَّاه أدبُه؟!

فقال هشام: لقد مدحتَه على سوء رأيك فيه!

فقال: نعم؛ لأنِّي فيما يسألني أميرُ المؤمنين عنه كما قال الشاعر:

كَفَى ثَمَنًا لما أَسدَيتَ أنِّي صَدَقتُكَ في الصَّدِيقِ وفي عِدايَ
وأَنِّي حينَ تَندُبُني لأَمْرٍ يكونُ هَواكَ أَغلَبَ من هَوَايَ

* يقال: الوِلاية حُلوة الرَّضاع، مُرَّة الفِطام.

* وقال حكيم: ينبغي للوالي أن يتثبَّتَ فيما أُنهي إليه ولا يتعجَّل، ويتأنَّى ويتمهَّل، حتى ينظرَ ويستكشف الحال، ويأخذ بأدَب سليمان؛ حيث قال: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧].

* كتَب الحسنُ البصريُّ إلى عمرَ بن عبد العزيز يصفُ الإمامَ العادل؛ جوابًا لسؤال عمرَ له عن ذلك:

اعلم يا أميرَ المؤمنين، أنَّ الله جعل الإمام العادل قِوامَ كلِّ مائل، وقصْدَ كلِّ جائر، وصلاحَ كلِّ فاسد، وقوَّةَ كلِّ ضعيف، ونَصَفَةَ كلِّ مظلوم، ومَفْزَعَ كلِّ ملهوف.

والإمام العادل يا أميرَ المؤمنين، كالراعي الشفيق على إبلِه، الرفيقِ بها، الذي يرتادُ لها أطيبَ المرعى، ويذودُها عن مراتع الهَلَكَة، ويحميها مِنَ السِّباع، ويكُنُّها من أذى الحَرِّ والقَرِّ.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين، كالأبِ الحاني على ولده؛ يسعى لهم صِغارًا، ويُعلِّمهم كِبارًا، يكتسب لهم في حياته، ويدَّخر لهم بعدَ مماته.

والإمام العَدلُ يا أمير المؤمنين، كالأمِّ الشفيقة البرَّة، الرفيقةِ بولدها، حملَته كُرهًا، ووضعَته كُرهًا، وربَّته طفلًا، تسهرُ بسَهرِه، وتسكُن بسُكونه،

تُرضِعه تارة، وتفطِمه أخرى، وتفرحُ بعافيته، وتغتمُّ بشِكايَته.

والإمام العدلُ يا أمير المؤمنين، وَصِيُّ اليتامى، وخازِنُ المساكين، يربِّي صغيرَهم، ويَمُون كبيرَهم.

والإمام العدلُ يا أمير المؤمنين، كالقلبِ بين الجوارح، تصلحُ الجوارحُ بصلاحه، وتفسُد بفساده.

* دخل إياسُ بن معاوية الشام وهو غلامٌ فتقدَّم خَصمًا له - وكان الخَصمُ كبيرَ السِّنِّ - إلى بعض القُضاة؛ فقال له القاضي: أتتقدَّم شيخًا كبيرًا؟

قال: الحقُّ أكبرُ منه.

قال: اسكت.

قال: فمَن ينطِقُ بحُجَّتي؟

قال: لا أظنُّك تقول حقًّا حتى تقوم؟

قال: لا إله إلا الله، أحقًّا هذا أم باطلًا؟

فقام القاضي فدخَل على عبد الملك من ساعتِه، فخبَّره بالخبر، فقال عبد الملك: اقضِ حاجتَه الساعة، وأخرِجه من الشام، لا يُفسد عليَّ الناس.

## دعاء

اللهمَّ ارزُقنا علمًا نافعًا، وعملًا صالحًا، واجعَلنا هداةً مهتدين، بالحقِّ ناطقين، وإليه داعين، وعلى الله متوكِّلين؛ فإنَّه نِعمَ المولى، ونِعمَ النَّصير.

* دخَل عَدِيُّ بن أرطَأةِ على شُرَيحٍ القاضي، فقال له: أين أنت أصلحك الله؟

قال: بينك وبين الحائط.

قال: اسمَع منِّي!

قال: قُل نسمَع.

قال: إنِّي رجلٌ من أهل الشام.

قال: مكانٌ سَحيق.

قال: وتزوَّجتُ عندَكم.

قال: بالرِّفاء والبَنين.

قال: ووُلِد لي غُلام.

قال: ليَهْنِكَ الفارس.

قال: وأردتُّ أن أُرحِّلها.

قال: الرجل أحقُّ بأهله.

قال: وشرطتُ لها دارَها.

قال: الشرطُ أملَك.

قال: فاحكُم الآن بينَنا.

قال: قد فعلتُ.

قال: فعلى مَن حكمتَ؟

قال: على ابنِ أُمِّك.

قال: بشهادةِ مَن؟

قال: بشهادةِ ابن أُختِ خالَتك.

## عَرَجٌ بالجُملة

كان الحَكم بن عَبْدَل أعرجَ، فدخل على عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطَّاب وهو أعرج أيضًا، وكان صاحِبُ شُرَطته أعرجَ كذلك، فقال:

أَلقِ العَصَا ودَعِ التَّخادُعَ والتَمِسْ عَمَلًا؛ فهَذِي دَولَةُ العُرْجانِ
لأَمِيرِنا وأَمِيرِ شُرطَتِنا مَعًا لِكِلَيهِما يا قَومَنا رِجلانِ
فَإذا يكونُ أَمِيرُنا ووَزِيرُنَا وأنا فَجِئ بالرَّابعِ الشَّيطانِ

## حجَّ قبل أن تُحفر زَمزَم!

شَهِد رجل عند بعض القُضاة على رجل، فقال المشهود عليه: أيُّها القاضي؛ تَقبَل شهادتَه ومعه عِشرون ألفَ دينار ولم يحجَّ إلى بيت الله الحرام؟!

فقال: بلى حَججتُ.

قال: فاسأله عن زمزم!

فقال: حججتُ قبلَ أن تُحفر زمزم، فلم أرَها!

* وقال حَمْدُ بن إبراهيمَ الخطَّابيُّ:

تَسامَحْ ولا تَستَوفِ حَقَّكَ كُلَّهُ وأَبقِ؛ فلم يَستَقصِ قَطُّ كَرِيمُ
ولا تَغْلُ في شيءٍ مِنَ الأَمرِ واقتَصِدْ كِلا طَرَفَي قَصْدِ الأُمورِ ذَمِيمُ

## مَوهِبَةُ الذَّكاء

الذكاء موهِبة يهبُها الله لِمَن يشاء، والناس متفاوتون في ذكائهم، ومنهم

مَن طبَّقت شهرتُه الآفاق في ذكائه، وصِدق فِراسَته، وعُمقِ حَدْسِه.

وكان إياسُ بن معاويةَ القاضي ممَّن يُضرَب به المَثَل في فِراسته، فدِقَّة الملاحظة، والتنبُّه والقياس، ممَّا يصقُل هذه الموهبة ويُنمِّيها.

وطريقة بعض القُضاة في التوصُّل إلى معرفة المحقِّ من المبطِل، وتمييز الخطوط، وإظهار المزيَّف منها، ومعرفة الشُّبه، وآثار الأقدام بالقِيافَة، كلُّ هذا وغيره ممَّا يُبرِهن على هذه الموهبة، وعلى تفاوت الناس فيها.

## العينُ تُبدي ما في النفس

قال ابن أبي حازم:

خُذ مِنَ العَيشِ ما كَفَى ... ومِنَ الدَّهرِ ما صَفَا
عَينُ مَن لا يُحِبُّ وَصْـ ... ـلَكَ تُبدِي لَكَ الجَفَا

* قال بعض الحُكماء:

العين بابُ القلب، فما كان في القلبِ ظهرَ في العين.

* وقال الشاعر:

شَكَوتُ وما الشَّكوَى لِمِثلِيَ عادَةٌ ... ولَكِنْ تَفيضُ النَّفسُ عِندَ امتِلائِهَا

## الجُود والبُخل

بين الكَرَم والبُخل فاصِل يتجاوزه المبذِّر، ويقصِّر دونَه البخيل، ويراه الجَوَاد فضيلةً إن تجاوز فيه الحدَّ إلى الأسمى والأطيَب، وإن وقفَ عندَه فقد تُسوِّل له نفسُه التراجعَ والسيرَ في قافلة البُخلاء، وهو لا يهتمُّ للثراء واكتناز المال، ولكنَّه يريد أن يؤدِّيَ واجب الضِّيافة، وإعطاء الراغب، وكسب الثناءِ

الحسن، والمجدِ الشامخ، ويقول: إنَّ الكرم والسماحةَ والجودَ ممَّا دعَت إليها الأديان، ورغَّبت فيها الشرائع، وأثنى عليها ذَوُو العقول الحصيفة، وأهلُ الندى والمكرُمات، الذين كانوا أعلامًا في فضائل السخاء، والمروءة والنَّخوة.

والجُبن عارٌ ومذمَّة، وصاحبه مستهجَن ممقوت، مالُه وبالٌ عليه، يتعبُ ويُضني جسمَه في تحصيله، ثم يُحرَم من الانتفاع به، وينال بسببه القدحَ والعيبَ والاستهزاء، أمَّا البخيل فهو يُعلِّل بسَفْسَطاتٍ وتَمويهات، وادِّعاءات فارغة، فهو يردِّد: «احفظِ القِرشَ الأبيض لليَوم الأسود»؛ كردٍّ على قول السخي: «أنفِق ما في الجَيب يأتِكَ ما في الغَيب»، والصواب الاعتدالُ بين التبذير والبخل، وبين الإسراف والشُّحِّ، فذلك سبيل الرَّشَاد، وطريق النجاح.

والجُود صِفة كريمة، تعتزُّ بها القبيلة، وتشرُف بها الجماعة، وتسمو البُلدان؛ فكم من كريم رَفَع رأس قومِه عاليًا بجُوده وسخائه! وما فَتِئ حاتمٌ الطائيُّ مضرِبَ المثل في الكَرم، وأنشودةً على فَم الزمان، وما بَرِح من المسلمين مَن عُرِفوا بالكرم والسخاء، تروي أخبارَهم كتبُ التاريخ، وتعطِّر أمجادُهم المجالس، وتعبَقُ بأريج ذِكرهم المنتديات، وكلُّ أمَّة تُباهي بكرمائها وأجوادها، وتعدُّ من مفاخرها أنَّ بها أسخياءَ كُرماء.

* قال أحد الشُّعراء:

إنَّ الكَرِيمَ الذي لا مالَ في يَدِهِ مِثلُ الشُّجاعِ الذي في كَفِّهِ شَلَلُ
والمَالُ مِثلُ الحَصَى ما دامَ في يَدِنَا فلَيسَ يَنفَعُ إلَّا حينَ يَنتَقِلُ

* قال أبو بكر الطُّرْطُوشيُّ في كتابه "سراج الملوك":

* ومِن عجائب ما رُوي في الإيثار: ما ذَكَره أبو محمَّد الأَزْدِيُّ، قال: لَمَّا احترقَ المسجد بمِصر، وظنَّ المسلمون أنَّ النصارى أحرَقوه؛ فأحرقوا

خانًا لهم، فقَبَض السُّلطانُ جماعةً مِن الذين أحرقوا الخان، وكتب رِقاعًا فيها القَتل، وفيها القَطع، وفيها الجَلد، ونَثَرها عليهم؛ فمَن وقعَت عليه رُقعةٌ فُعِل به ما فيها، فوقعَت رُقعةٌ فيها القتل بِيَدِ رجل، فقال: ما كنتُ أُبالي لولا أمٌّ لي! وكان بجانبه بعضُ الفِتيان، فقال له: في رُقعَتي الجَلد، وليسَت لي أمٌّ؛ فادفَع إليَّ رُقعتَك، وخُذ رُقعَتي، ففعلَا فقُتِل ذاك، وتخلَّص هذا!!

* وحُكِي أنَّ أبا العبَّاس الأنطاكيَّ اجتمع عندَه نَيِّف وثمانون رجلًا بقرية بقُرب الرَّيِّ، ولهم أرغفة لَم تَسَع جميعَهم، فكسروا الرُّغفان، وأطفؤوا السِّراج، وجلسوا للطعام إلى أن كفُّوا، فلمَّا رُفِع إذا الطعامُ بحاله لم يأكُل منه واحدٌ منهم؛ إيثارًا لصاحبه على نفسه!

## لولا المشقَّة

لَولا المَشَقَّةُ سادَ النَّاسُ كُلُّهُمُ ... الجُودُ يُفقِرُ والإقدَامُ قَتَّالُ

ومَن يروم المعالي، وينشُد المكارم، فلا بدَّ له من الصبر والتجمُّل واحتمال الأذى، والجود؛ فإذا ادَّان أو قلَّ مالُه، فإنَّه بما بذلَه لدَرءِ خَلَّة، أو إصلاح ذاتِ بَين، أو تَحمَّل حَمَالةً قد كسب الأجر، أو الثناء الطيِّب، أو هما معًا.

* قال المُقَنَّعُ الكِنْدِيُّ - الذي لقِّب بهذا اللَّقب للزومِه القِناع؛ خوفًا من العَين تُصيبه لجماله - واسمُّه محمَّد بن ظفر ابن عمير:

يُعاتِبُنِي في الدَّينِ قَومِي وإنَّمَا ... دُيُونِيَ في أشياءَ تُكسِبُهُم حَمْدَا
أَسُدُّ بهِ ما قَد أَخَلُّوا وضَيَّعُوا ... ثُغُورَ حُقُوقٍ ما أَطاقُوا لَها سَدَّا
وفي جَفْنَةٍ ما يُغلَقُ البَابُ دُونَها ... مُكَلَّلَةٍ لَحمًا مُدَفَّقَةٍ ثَرْدَا
وفي فَرَسٍ نَهْدٍ عَتِيقٍ جَعَلتُهُ ... حِجابًا لِبَيتِي ثُمَّ أَخدَمتُهُ عَبْدَا

وإنَّ الذي بَيني وبَينَ بَني أَبي ... وبَينَ بَنِي عَمِّي لَمُختَلِفٌ جِدًّا
فإنْ يَأكُلُوا لَحمِي وَفَرتُ لُحومَهُمْ ... وإن هَدَمُوا مَجدِي بَنَيتُ لَهُمْ مَجْدَا
وإن زَجَرُوا طَيرًا بِنَحْسٍ تَمُرُّ بِي ... زَجَرتُ لهُم طَيرًا تَمُرُّ بِهِمْ سَعْدَا
ولا أَحمِلُ الحِقدَ القَدِيمَ عَلَيهِمُ ... ولَيسَ رَئِيسُ القَومِ مَن يَحمِلُ الحِقدَا
لَهُم جُلُّ مالِي إن تَتابَعَ لي غِنًى ... وإن قَلَّ مالي لَم أُكَلِّفهُمُ رِفدَا

* أخذ عُبيدُ الله بن زياد عروة بن أُدَيَّة أخَا أبي بلال وقطعَ يدَه ورِجله، وصلبَه على باب داره، فقال لأهله وهو مصلوب: انظروا إلى هؤلاء الموكَّلين بنا، فأحسِنوا إليهم؛ فإنَّهم أضيافُكم!

* قال أسامة بن مُرشِد المعروف بمؤيَّد الدولة مجدِ الدِّين؛ جوابًا عن أبيات كتبَها أبوه:

ومـا أَشكُـو تَلَـوُّنَ أَهلِ وُدِّي ... ولو أَجدَت شَكِيَّتهُمْ شَكَوتُ
مَلِلتُ عِتابَهُمْ ويَئِستُ مِنهُم ... فَما أَرجُوهُمُ فيمَن رَجَوتُ
إذا أَدمَتْ قَوارِصُهُمْ فُؤادِي ... كَظَمتُ عَلَى أَذاهُمْ وَانطَوَيتُ
ورُحتُ عَلَيهِمُ طَلْقَ المُحَيَّا ... كأَنِّي مَا سَمِعتُ ولا رَأَيتُ
تَجَنَّوا لِي ذُنُوبًا ما جَنَتهَا ... يَدايَ ولا أَمَرتُ ولا نَهَيتُ
ولا وَاللهِ ما أَضْمَرتُ غَدْرًا ... كما قَد أَظهَرُوهُ ولا نَوَيتُ
ويَومُ الحَشْرِ مَوعِدُنا وتَبدُو ... صَحِيفَةُ ما جَنَوهُ وما جَنَيتُ

* خَرَج عبد الله بن جعفر إلى ضَيْعَةٍ له فنَزَل على نخل لقوم فيها غلامٌ أسودُ يعمل فيها، إذ أتى الغلامُ بقُوتِه فدخل الحائطَ كلبٌ فَدَنا من الغُلام، فرمَى إليه قُرصًا فأكلَه، ثم رمى إليه قُرصًا آخَرَ فأكلَه، ثم رمى إليه الثالث فأكله؛ وعبد الله ينظر، فقال: يا غلامُ؛ كم قُوتُك كلَّ يوم؟

قال: ما رأيتَ.

قال: فلِمَ آثرتَ به هذا الكلب؟!

قال: ما هي بأرض كلاب؛ جاء من مسافةٍ بعيدةٍ جائعًا، فكرهتُ ردَّه.

قال: فما أنت صانع؟

قال: أطوي يومي هذا.

فقال عبد الله بن جعفر: أُلامُ على السَّخاء، وهذا أسخى منِّي!

فاشترَى الحائطَ وما فيه منَ الآلات، واشترى الغُلام، وأعتقَه ووهبَه له.

* قال سِراجُ بن عبد الملك بن سِراج:

بُثَّ الصَّنائِعَ لا تَحفَلْ بمَوقِعِهَا ... في آمِلٍ شَكَرَ المعرُوفَ أو كَفَرَا
كالغَيثِ ليسَ يُبالِي حَيثُما انسَكَبَتْ ... مِنهُ الغَمائِمُ تُرْبًا كانَ أو حَجَرَا

* وقال سماكُ بن خالد الطائي:

إنِّي إذا كانَ ابنُ عَمِّيَ غائِبًا ... لَمُقاذِفٌ مِن دُونِهِ ووَرائِهِ
وأَعُدُّهُ نَصرِي وإن كانَ امرَءًا ... مُتَرَجرِجًا في أَرضِهِ وسَمائِهِ
ومَتَى أَجِدهُ في الشَّدائِدِ مُرمِلًا ... أُلقِ الذي في مِزوَدِي بوِعائِهِ
وإذا تَتَبَّعَتِ الجَلائِفُ مالَهُ ... خُلِطَت صَحِيحَتُنا إلى جَرْبائِهِ
وإذا أَتَى مِن وِجهَةٍ بطَرِيفَةٍ ... لم أَطَّلِع مِمَّا وَراءَ خِبائِهِ
وإذا اكتَسَى لَونًا جَمِيلًا لم أَقُل: ... يا لَيتَ أنَّ عَلَيَّ حُسنَ رِدائِهِ
وإذا غَدَا يَومًا لِيَركَبَ مَركَبًا ... صَعبًا قَعَدتُّ لَهُ على سِيسَائِهِ
وإذا استَراشَ وَفَرتُهُ وحَمَدتُّهُ ... وإذا تَصَعلَكَ كُنتُ مِن قُرَبائِهِ

* عن حُذَيفَةَ العدويِّ، قال: انطلقتُ يوم اليرموك أطلب ابنَ عمٍّ لي في القتلى، ومعي شيء من الماء، وأنا أقول: إن كان به رَمَقٌ سقَيتُه، فإذا أنا به بين القتلى، فقلت له: أسقِيك؟ فأشار إليَّ أن نعم.

فإذا برجل يقول: آه! فأشار إليَّ ابنُ عمِّي أنِ انطلق إليه واسقِه، فإذا هو هِشام بن العاص، فقلت: أسقِيك؟ فأشار إليَّ أن نعم.

فسمع آخَرَ يقول: آه! فأشار إليَّ أنِ انطلق إليه، فجئتُه فإذا هو قد مات، فرجعتُ إلى هشام، فإذا هو قد مات، فرجعتُ إلى ابن عمِّي، فإذا هو قد مات!

* ومن أخبار الحمقى: سقَط رجل في بئر، فقال أخوه: أنت في البِئر؟

قال: أما تراني؟

قال: لا تذهب حتى أجِيئَك بمَن يخرجك.

* أراد أحدُ المغفَّلين السَّفَر، فوضع سُلَّمًا وجعل يصعدُ وينزل، فقيل له: ما تصنع؟

قال: أتعلَّم السَّفَر.

* قال ابن عمر: أهدِيْتُ لرجل من أصحاب النبيِّ ﷺ شاةٌ؛ فقال: أخي فلان أحوجُ إليها! وبعث بها إليه، فلم يزَل يَبعث بها واحدٌ بعد واحد حتى تداولَها تسعةُ أبيات، ورجعَت إلى الأوَّل؛ فنزلت: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

* قال ابن الرُّومي:

عَرَفتُ مَقادِيرَ الرِّجالِ بِنَكبَةٍ ... أَفَدتُّ بِها غُنْمًا وإن عُدَّ مَغرَمَا
كَفانِي لَعَمْرِي أيُّها النَّاسُ خِبرَتِي ... بِكُمْ بعدَ جَهلِي واغتِرارِيَ مَغْنمَا
ألا طالَ ما حَمَّلتُ قَلبِيَ ظالِمًا ... تَكالِيفَ مِنْ إعظامِ مَن ليسَ مُعظِمَا
فَقَد حَطَّها عنِّي الإلَهُ بِمِحنَةٍ ... أرانِي بِها رُشدِي وما زالَ مُنعِمَا

* قال الشاعر:

ومـا ضـاعَ مـالٌ وَرَّثَ الـحَـمـدَ أَهـلَـهُ ولَـكِـنَّ أَمـوالَ الـبَـخِـيـلِ تَـضِـيـعُ

* قال جعفر الصادق: لا تستحِ من إعطاء القليل؛ فكلُّ فوائد الدُّنيا قليل، والحِرمانُ أقلُّ منه.

* كان سعيد بن العاص إذا أتاه سائِل فلَم يكُ عندَه ما سأل، قال: اكتب عليَّ بمسألتك إلى أيَّام يُسري.

* أعطَى عبد الله بن جعفر امرأةً سألته مالًا عظيمًا؛ فلاموه وقالوا: إنَّها لا تَعرِفك، وإنَّما كان يُرضيها اليسير!

فقال: إن كانت ترضَى باليسير، فإنِّي لا أرضى إلَّا بالكثير، وإن كانت لا تعرفني فإنِّي أَعرِفُ نفسي.

* أراد عبد الله وعبيد الله بن العباس أن يقتسمَا ميراثهما من أبيهما بمكَّة، فدُعي القاسمُ ليقسم، فلمَّا مدَّ الحبلَ قال له عبد الله: أقِم المِطْمَر (يعني: الحبل الذي يُمدُّ).

فقال له عبيد الله: يا أخي؛ الدار دارُك لا يُمدُّ - واللهِ - فيها اليوم مِطْمَر.

* روى أبو تمَّام قال: حدَّثَني شيخ من الحيِّ؛ قال: كان فينا رجلٌ شريف، فأتلَف مالَه في الجُود، فصار يَعِد ولا يَفي؛ فقيل له: أصرتَ كذَّابًا؟

فقال: نصرةُ الصِّدق أفضَت بي إلى الكذب.

* قال الأصمعي: سُئِل أقرى أهل اليَمامة للضَّيف: كيف ضبطتُم القِرى؟

قال: بألَّا نتكلَّف ما ليسَ عندَنا.

* كان ابن أبي بَكْرَةَ يُنفِق على جيرانه أربعين دارًا سوى سائر نَفَقاتِه، وكان يبعثُ إليهم الأضاحيَ والكُسوةَ في الأعياد، وكان يُعتق في كلِّ يوم عيد مئةَ مملوك.

* قال القاضي أبو بكر بن عبد الرحمن بن خُزَيْمَة: كنت مع الوزير المُهَلَّبيِّ بالأهواز، فاتَّفق أن حضرتُ عنده في يوم من شهر رمضان، والزمانُ صائف، والحرُّ شديد، ونحن في خَيشٍ بارِد، فسمع صوتَ رجل يُنادي على الناطف، فقال: أمَا تسمع أيُّها القاضي صوتَ هذا البائس في مثل هذا الوقت، والشمسُ على رأسه، وحرُّها تحتَ قدمَيه، ونحن نُقاسي في مكاننا هذا البارِدِ ما نُقاسيه من الحرِّ!

وأمر بإحضاره؛ فأُحضر، فرآه شيخًا ضعيفًا، عليه قميصٌ رَثٌّ، وهو بغَيرِ سَراويل، وفي رِجلِه تاسومةٌ مُخلِقَة، وعلى رأسِه مِئزَر، ومعه نبيخة فيها ناطِف لا تساوي خمسةَ دراهم، فقال له: ألم يكن لك أيُّها الشيخ في طَرَفي النهار مندوحةٌ عن مِثل هذا الوقت؟

فتنفس، وقال: ما أهونَ على الراقد سَهَرَ الساهد! وقال:

ما كُنتُ بائِعَ ناطِفٍ فيما مَضَى ... لَكِنْ قَضَت لِيَ ذاكَ أسبابُ القَضَا
وإذا المُعِيلُ تَعَذَّرَت طَلِباتُهُ ... رامَ المَعاشَ وَلَو عَلَى جَمْرِ الغَضَا

فقال له الوزير: أراكَ متأدِّبًا، فمِن أين لكَ ذلك؟

فقال: إنِّي أيُّها الوزير، من أهل بيت لم يكن فيهم مَن صناعتُه ما ترى، وأسرَّ إليه أنَّه من وَلَدِ مَعْنِ بن زائدة، فأعطاه مئةَ دينار وخمسةَ أثواب، وجعل ذلك رسمًا له في كلِّ سَنَة.

* وقال كُلثُومُ بن عمرٍو العَتَّابي:

تَلُومُ على تَركِ الغِنَى باهِلِيَّةٌ ... زَوَى الفَقرُ عنها كُلَّ طِرْفٍ وتالِدِ
رَأَت حَولَها النِّسوانَ يَرفُلنَ في الثَّرَى ... مُقَلَّدَةً أعناقُها بالقَلائِدِ
أَسَرَّكِ أَنِّي نِلتُ ما نالَ جَعْفَرٌ ... مِنَ العَيشِ أَوْ ما نالَ يَحيَى بنُ خالِدِ
وأنَّ أميرَ المُؤمنينَ أَغَصَّنِي ... مَغَصَّهُما بالمُرهَفاتِ البَوارِدِ؟!

دَعِينِي تَجِئْني مُنيَتِي مُطمَئِنَّةً ولم أَتَجَشَّم هَولَ تِلكَ المَوارِدِ
رأيتُ رَفيعاتِ الأُمورِ مَشُوبَةً بِمُستَودَعاتٍ في بُطونِ الأَساوِدِ

* وعد رجلٌ رجلًا، فلم يقدِر على الوفاء لِمَا وَعَدَه؛ فقال له: كذبتني!

قال: لا؛ ولكن كذَبَكَ مالي.

* قال أعرابي:

تُبصِّرُنِي بِالعَيشِ عِرْسِي كأَنَّمَا تُبصِّرُنِي الأمرَ الذي أنا جاهِلُهْ
يَعِيشُ الفَتَى بِالفَقرِ يَومًا وَبِالغِنَى وكُلًّا كأنْ لم يَلْقَ حينَ يُزايِلُهْ

* كانت حال الحسن بن محمَّد المُهَلَّبي قبلَ الاتِّصال بالسُّلطان حالَ ضعفٍ وقِلَّة، وكان يُقاسي منها قَذَا عَينِه، وشَجَا صَدرِه، فبينما هو ذات يوم في بعض أسفارِه مع رفيقٍ له من أهل الأدب إذ لقي مِن سَفَرِه نَصَبًا، واشتهى اللحمَ فلم يَقدِر على ثمنِه؛ فقال ارتجالًا:

أَلَا مَوتٌ يُباعُ فَأشتَرِيهِ فهذا العَيشُ ما لا خيرَ فيهِ؟!
إذا أبصَرتُ قَبرًا مِن بَعِيدٍ وَدِدتُّ لَوَ انَّنِي فيمَا يَلِيهِ
أَلَا رَحِمَ المُهَيمِنُ نفسَ حُرٍّ تَصدَّقَ بالوَفاةِ على أَخِيهِ

فاشترى له رفيقُه بدرهم واحدٍ ما سكَّن قَرَمَه، وتحفَّظ الأبياتَ وتفارقَا، وضربَ الدهر ضرَباتِه، حتى ترقَّت حالُ المُهَلَّبي إلى أعظمِ درجة من الوزارة، فقال:

رَقَّ الزَّمانُ لِحاجَتِي ورَثَى لِطُولِ تَحَرُّقِي
فأَنالَنِي ما أَرتَجِي وأَفاتَنِي ما أَتَّقِي
فلَأَصفَحَنْ عَمَّا أَتا هُ مِنَ الذُّنوبِ السُّبَّقِ
حتَّى جِنايَتِهُ لِمَا فَعَلَ المَشِيبُ بِمَفْرِقِي

وحصل الرفيق تحتَ كَلْكَلٍ من كَلاكِلِ الدَّهر؛ ثَقُلَ عليه بَرْكُه، وهاضَه

عَرْكُه؛ فقصَد حضرتَه، وتوَصَّل إلى إيصال رُقعةٍ تتضمَّن أبياتًا؛ منها:

أَلَا قُل لِلوَزِيرِ فَدَتكَ نَفسِي مَقالَةَ مُذْكِرٍ ما قد نَسِيهِ
أَتَذكُرُ إذ تَقُولُ لِضَنكِ عَيشٍ: أَلَا مَوتٌ يُباعُ فَأَشتَرِيهِ؟!

فلمَّا نظر فيها تذكَّره، وهزَّته أَريَحِيَّةُ الكرم للحنين إليه، ورعي حقِّ الصُّحبة فيه، والجري على حُكم مَن قال:

إنَّ الكِرامَ إذا ما أَيسَرُوا ذَكَرُوا مَن كانَ يَألَفُهُم في المَوطِنِ الخَشِنِ

فأمرَ له في العاجل بسبعمئة درهم، ووقَّع في رُقعته: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة: ٢٦١].

* كان ابن عبَّاس يقول: صاحبُ المعروف لا يقَع، فإن وقَعَ وجدَ مُتَّكَأً.

* قال أَرْطَاةُ بن سُهَيَّة:

وإنِّي لقَوَّامٌ إلى الضَّيفِ مُوهِنًا إذا أَغدَقَ السِّترَ البَخِيلُ المُواكِلُ
دَعا فَأجابَتهُ كِلابٌ كَثِيرَةٌ على ثِقَةٍ مِنِّي بِما أَنا فاعِلُ
وما دُونَ ضَيفي مِن تِلادٍ تَحُوزُهُ لِيَ النَّفسُ إلَّا أَنْ تُصانَ الحَلائِلُ

* قال القُطامي:

والنَّاسُ مَنْ يَلْقَ خَيرًا قائِلُونَ لَهُ ما يَشتَهِي ولِأُمِّ المُخطِئِ الهَبَلُ

* وقد أخذ هذا مِن قول امرئِ القَيس:

ومَن يَلقَ خَيرًا يَحمَدِ النَّاسُ أَمرَهُ ومَن يَغْوِ لا يَعْدَمْ عَلَى الغَيِّ لائِمَا

* وجاء في الأثر: «حصِّنوا أموالَكم بالزكاة، وادفَعوا أمواجَ البلاءِ بالدُّعاء».

* قال الحسن: مَن أيقن بالخَلَف جادَ بالعَطيَّة.

* قال العتَّابي: ثواب الجُود ثلاثة: خَلَفٌ ومحبَّةٌ ومُكافأة، وثواب البُخل مثلُها: تَلَفٌ ومذمَّةٌ وحِرمان.

* قال الأوزاعيُّ: كان للزُّبير ألف مملوك يؤدُّون الضريبة، لا يدخل بيتَ ماله منها درهم، بل كان يتصدَّق بها، وباع دارًا له بستِّمئة ألف درهم، فقيل له: يا أبا عبد الله غُبِنت!

قال: كلَّا والله، إنِّي لم أُغبَن، أُشهِدكم أنَّها في سبيل الله تعالى.

* قال الأعمش: أدركتُ أقوامًا كان الرجل منهم لا يَلقَى أخاه شهرًا وشهرَين، فإذا لَقِيَه لم يَزِدْه على «كيف أنت؟ وكيف الحال؟»، ولو سألَه شطرَ ماله لأعطاه، ثم أدركتُ أقوامًا لو كان لا يَلقى أخاه يومًا سأله عن الدجاجةِ في البيت، ولو سأله حبَّةً من ماله لمَنَعَه.

* كان حمَّاد بن أبي سليمان يُفطِّر كلَّ ليلة من شهر رمضان خمسين إنسانًا، وإذا كان يومُ الفطر كساهم ثوبًا، وأعطاهم مئةً مئةً.

* وقالت أمُّ البنين أخت عمر بن عبد العزيز: أفٍّ للبخل! لو كان طريقًا ما سلكتُه، ولو كان ثوبًا ما لبِستُه، ولو كان سِراجًا ما استضأتُ به.

* قال أبو حازم المدني: أسعدُ الناس بالخُلُق الحسن صاحبُه؛ نفسُه منه في راحة، ثم زوجتُه، ثم ولده، حتى إنَّ فرسَه ليصهِل إذا سَمِع صوتَه، وكلبَه يُشَرشِرُ بِذَنَبِه إذا رآه، وقِطَّه يدخل تحتَ مائدته.

وإنَّ السيِّئ الخُلُق لأشقى الناس؛ نفسُه منه في بلاء، ثم زوجتُه، ثم ولدُه، ثم خَدَمُه، وإنَّه ليدخل وهم في سُرور فيتفرَّقون فَرَقًا منه، وإنَّ دابَّتَه لتحيدُ عنه إذا رأتهُ ممَّا ترى منه، وكلبَه ينزو على الجِدار، وقِطَّه يفرُّ منه.

* قال إبراهيم بن السِّندِي: قلتُ لرجل من أهل الكوفة مِن وجوه أهلها،

كان لا يَجِفُّ لِبْدُه، ولا يستريح قلبُه، ولا تسكُن حركتُه في طلب حوائج الرِّجال، وإدخال المرافقِ على الضُّعفاء، وكان رجلًا مفوَّهًا، فقلت له: أخبرني عن الحالة التي خفَّفَت عنكَ النَّصَب، وهوَّنَت عليك التَّعَب في القيام بحوائجِ الناس، ما هي؟

قال: قد واللهِ سمعتُ تغريدَ الطير بالأسحار، في فروع الأشجار، وسمعتُ خَفْقَ أوتار العِيدان، وترجيعَ أصوات القِيان، فما طَرِبتُ من صوت قطُّ طَرَبي من ثناءٍ حَسَن، بلسانٍ حَسَن، على رجل قد أحسَن، ومن شُكر حُر، لمنعِمٍ حُر، ومِن شفاعة محتسِبٍ لطالبٍ شاكر!

قال إبراهيم: فقلت له: للهِ أبوك! لقد حُشِيتَ كَرَمًا.

## لا يغتابُ إبليس!

قيل لبعض البُله، وكان يتورَّع من الغِيبة: ما تقول في إبليس؟

فقال: أسمع الكلام عليه كثيرًا، واللهُ أعلمُ بسريرته.

## إكرام الضَّيف

كرم الضيافة من صِفات العرب التي اشتهروا بها قبل الإسلام، ثم جاء الإسلامُ مؤكِّدًا لها، حاثًّا عليها، مُشيدًا بفضلها، وكم من قصصٍ تُروَى أشبهَ بالأساطير، بَيْدَ أنَّها عينُ الواقع! فقد يبيت أحدهم طاويًا بعد أن يقدِّم عَشاءه لضَيفه، راضيًا مسرورًا، وربَّما ذَبَح شاتَه أو عنَزَه التي لا يملك سِواها لتكونَ قِرًى للضَّيف، ومنهم من كان يشُبُّ النار في قمَّة جبل أو مرتفِع من الأرض؛ ليهتديَ إليها الجائعُ والمَقْرُور.

* قال العَرَنْدَس أحد بني بكر بن كِلاب:

هَـيْـنُـونَ لَـيْـنُـونَ أَيـسَـارٌ ذَوُو كَـرَم ... سُـوَّاسُ مَـكْـرُمَـةٍ أَبـنـاءُ أَيْـسَـارِ
إن يُسألُوا الخَيرَ يُعطُوهُ وإن خُبِرُوا ... في الجَهْدِ أُدرِكَ مِنهُمْ طِيبُ أَخبارِ
وإن تَـوَدَّدتَّـهُـمْ لانُـوا وإن شُـتِـمُـوا ... كَـشَـفْـتَ أَذْمـارَ شَـرٍّ غَـيـرَ أَشْـرارِ
فيـهِـمْ ومِـنـهُـمْ يُعَدُّ الخَيـرُ مُتَّلِدًا ... ولا يُـعَـدُّ نَـثَـا خِـزْيٍ ولا عـارِ
مَن تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ: لاقَيتُ سَيِّدَهُمْ ... مِثلُ النُّجُوم التي يَسرِي بِها السَّارِي
لا يَنطِقُونَ عَلَى الفَحشاءِ إن نَطَقُوا ... ولا يُـمـارُونَ إن مـارَوا بِـإِكْـثـارِ

* وقال حاتمٌ الطائي:

أُضاحِكُ ضَيفي قبلَ إنزالِ رَحْلِهِ ... ويُخصِبُ عِندِي والمَحَلُّ جَدِيبُ
وما الخَصْبُ للأَضيافِ مِن كَثرَةِ القِرَى ... ولَكِنَّما وَجْهُ الكَرِيمِ خَصِيبُ

* وقال أيضًا:

أيـا ابـنَـةَ عـبـدِ اللهِ وابـنَـةَ مـالِـكٍ ... ويا ابنَةَ ذِي البُرْدَينِ والفَرَسِ الوَرْدِ
إذا ما عَمِلْتِ الزَّادَ فَالتَمِسي لَهُ ... أَكِيلًا فَإنِّي لَستُ آكُلُهُ وَحدِي
كَرِيمًا قَصِيًّا أَوْ قَرِيبًا فإنَّني ... أَخافُ مَذَمَّاتِ الأَحادِيثِ مِنْ بَعدِي
وكيفَ يُسِيغُ المَرءُ زادًا وجارُهُ ... خَفيفُ المِعَى بادِي الخَصاصةِ والجَهْدِ
ولَلمَوتُ خَيرٌ مِنْ زِيارَةِ باخِلٍ ... يُلاحِظُ أَطرَافَ الأَكِيلِ عَلَى عَمْدِ
وإنِّي لعَبدُ الضَّيفِ ما دامَ ثاوِيًا ... وما فيَّ إلَّا تِلكَ مِن شِيمَةِ العَبْدِ

* ممَّا قيل في هَجْوِ مَن لا يُكرمون الضَّيف:

لا أَشتُمُ الضَّيفَ إلَّا أن أقولَ لَهُ: ... أَباتَكَ اللهُ في أبياتِ عَمَّارِ
أَباتَكَ اللهُ في أبياتِ مُعتَنِزٍ ... عَنِ المَكارِمِ لا عَفٍّ وَلا قَارِي
جَلْدِ النَّدَى زاهِدٍ في كُلِّ مَكرُمَةٍ ... كأَنَّما ضَيفُهُ في مَلَّةِ النَّارِ

* وممَّا قيل في مدح الجُود:

وَلَيسَ لَنا عَيبٌ سِوَى أنَّ جُودَنَا أَضَرَّ بِنا، والبَأسَ مِن كُلِّ جانِبِ
فأَفنَى النَّدَى أَموَالَنَا غَيرَ ظالِمٍ وأَفنَى الرَّدَى أَعمارَنا غَيرَ عائِبِ
أبُونا أَبٌ لَوْ كانَ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ أَبٌ مِثلُهُ أَغناهُمُ بالمَناقِبِ

* قيل لأعرابي: ما اسمُ المَرَق عندَكم؟

قال: السَّخين.

قيل: فإذا بَرَد.

قال: لا ندعُه حتى يبرُد.

* كان مُنادي سعد بن عُبادة يقول على أُطُمِه: مَن أراد خبزًا ولحمًا فليأتِ أُطُمَ سعد!

وخلفَه قيس بن سعد ابنُه، وكان يفعلُ كفِعله، فإذا أكل الناس رفع يدَه إلى السماء، وقال: اللهمَّ إنِّي لا أصلُح على القليل، ولا يصلُح القليل لي، اللهمَّ هَب لي حمدًا ومجدًا؛ لأنَّه لا حمدَ إلَّا بفِعال، ولا مجدَ إلَّا بمال.

* ممَّا قيل في ذمِّ البُخل:

وَهَبْنِي جَمَعتُ المالَ ثُمَّ خَزَنتُهُ وحَانَت وَفاتِي هَل أُزادُ بِهِ عُمْرَا؟!
إذا خَزَنَ المالَ البَخِيلُ فإنَّهُ سَيُورِثُهُ غَمًّا وَيُعقِبُهُ وِزرَا

* ومن أخبار الأَكَلَة والمُزَّاح على الطعام هذه الحكاية:

دخل الحمدونيُّ على رجل وعندَه أقوامٌ بين أيديهم أطباق الحلوى، ولا يمدُّون أيديهم؛ فقال: لقد ذكَّرتموني ضيفَ إبراهيم، وقولَ الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٧٠]، ثم قال: كلُوا

رَحِمكم الله!

فضحِكوا وأكلوا.

## البُخل والسَّخاء

البخيل شخصٌ بغيضٌ إلى الناس؛ يتحاشَون قُربَه، ويبتعدون عنه، ويملُّه أقربُ الناس إليه، ويزهد فيه عارفوه؛ فهو كَلٌّ وعالة، وعامل عائِق عن التعاون المثمِر، والمكارم الحميدة، ولقد ذمَّ الله البخل، وشدَّد في إنكاره، والتنفير عنه، وعاب مَن يبخل ويأمر الناس بالبخل، وتوعَّدهم بعذاب مهين، وعقاب أليم.

والسخاء يعطف القلوب، ويُكسِب المودَّة، ويُقوِّي الأواصر، ويستر العيوب، ويجعل للمرء أنصارًا من غير قبيلِه وبني وطنه، وذِكرُه يفوح شذًى عَبِقًا، تعطَر به المجالس، وتتأرَّج به المنتديات.

أمَّا الشحيح فمذمومٌ ممقوت، ومكروه مبغَّض، إن ذُكِر انهال الحاضرون ذامِّين له، ساخطين من لؤمه وبُخله، وإن رأوه احتقروه، وأسمعوه قارِصَ القول، وقارِعَ الكَلِم، فمالُه وبالٌ عليه، وثراؤه نكبةٌ تحلُّ به حيًّا وميتًا، أعاذنا الله من حاله.

* قال دِعْبِل: أقمْنا يومًا عندَ سهل بن هارون، فأطَلنا الحديث، حتى اضطرَّه الجوعُ إلى أن دعا بغدائه، فأتى بصَحْفَة عُدْمُليَّة، فيها مَرَق لحم ديكٍ عاسٍ هَرِم، ليس قبلَها ولا بعدَها غيرُها، لا تَحُزُّ فيه السكِّين، ولا تؤثِّر فيه الأضراس، فاطَّلع في القَصعة، وقلَّب بصرَه فيها، فأخذَ قطعةَ خبز يابس فقلَّب بها جميعَ ما في الصَّحفة، ففقد الرأس فبَقِي مُطرِقًا ساعة، ثم رفع رأسَه إلى الغلام، وقال: أين الرأس؟

قال: رميتُ به.

قال: ولِم؟

قال: ما ظننتُ أنَّك تأكلُه، ولا تسألُ عنه.

قال: ولأيِّ شيءٍ ظننتَ ذلك؟ فوالله إنِّي لأمقُتُ مَن يرمي برِجلِه، فكيف مَن يرمي برأسه؟! والرأس رئيسٌ، وفيه الحواسُّ الخمس، ومنه يصيح الدِّيك، ولولا صوتُه ما أُرِيدَ، وفيه عُرْفُه، وفيه عينُه التي يُضرَب بها المثل؛ فيقال: شرابٌ كعَينِ الدِّيك، ودِماغُه عجبٌ لوجع الكُلية، ولن ترى عظمًا قطُّ أهشَّ من عظم رأسه، فإن كان مِن نُبلٍ أنَّك لا تأكلُه، فإنَّ عندَنا من يأكلُه، أوما علمتَ أنَّه خيرٌ من طَرَفِ الجَناح، ومن الساق، ومن العُنق، انظر أين هو؟

قال: لا واللهِ لا أدري أين هو! رميتُ به.

قال: لكنِّي أدري أنَّك رميتَ به في بطنِك، والله حسبُك!

## نادرة

قيل لطُفيلي: ما تحفظ من القرآن؟

قال: قولَه تعالى: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢].

* وقال رجل لبعض الكِبار: لِمَ لا تدعوني لوَليمَتِك؟

فقال: لأنَّك جيِّد المَضْغ، شديدُ البَلْع، إذا أكلتَ لُقمةً هيَّأتَ أخرى.

فقال: أتريدني إذا أكلتُ لقمةً أن أصلِّيَ ركعتين بين كلِّ لُقمتَين؟!

* وقال الحُسين بن عبد الرحيم بن الوليد الكِلابي المعروف بأبي الزلازل:

فَتًى لِرَغِيفِهِ قُرْطٌ وشِنْفٌ    وإكلِيلانِ مِنْ خَرَزٍ وشَزْرِ
إذا كُسِرَ الرَّغِيفُ بَكَى عَلَيهِ    بُكا الخَنْساءِ إذْ فُجِعَت بِصَخْرِ

* روي أنَّ شخصًا كانت له بقرةٌ، وكان يشوب لبنَها بالماء ويبيعُه، فجاء السَّيل في بعض الأودية وهي واقفةٌ، فمرَّ عليها فغرَّقَها، فجلس صاحبُها يندُبها.

فقال له بعضُ بنيه: يا أبتِ لا تندُبها، فإنَّ المياه التي كنَّا نخلِطُها بلَبَنِها اجتمعَت فغرَّقتها.

* ومن نوادر البُخلاء:

قال رجل من البُخلاء لأولاده: اشتروا لي لحمًا.

فاشتروه، فأمَرَ بطبخه، فلمَّا استوى أكلَه جميعَه، حتى لم يبقَ في يدِه إلَّا عَظمة، وعيونُ أولاده ترمُقه، فقال: ما أُعطي أحدًا منكم هذه العظمةَ حتى يُحسِنَ وصفَ أكلِها!

فقال ولدُه الأكبر: أمشُشها يا أبتِ، وأمصُّها حتى لا أدعَ للذَّرِّ فيها مَقِيلًا.

قال: لستَ بصاحبها.

فقال الأوسط: ألوكُها يا أبتِ، وألحسُها حتى لا يدريَ أحدٌ لعام هي أم لعامَين.

قال: لستَ بصاحبها.

فقال الأصغر: يا أبتِ أَدقُّها وأسُفُّها سَفًّا.

قال: أنتَ صاحبُها وهي لك، زادك الله معرفةً وحزمًا!

* حُكِي عن بعض البخلاء: أنَّه استأذن عليه ضيفٌ وبين يديه خبزٌ، وزبديَّة فيها عسلُ نحل، فرفع الخبز، وأراد أن يرفع العسل فدَخَل الضيفُ من قبلِ أن يرفعَه، فظنَّ البخيل أنَّ ضيفَه لا يأكل العسلَ بلا خبز، فقال له: ترى أن تأكل عسلًا بلا خبز؟

قال: نعم.

وجعل يلعقُ العسل لعقةً بعد لعقة، فقال له البخيل: مهلًا يا أخي، والله إنَّه يحرِق القلب.

قال: نعم صدقتَ، ولكنَّه قلبُك!

* سأل رجلٌ أشعبَ أن يُسلِفه ويؤخِّره، فقال: هاتانِ حاجتان، فإذا قضيتُ لك إحداهما فقد أنصفتُ.

قال الرجل: رَضِيتُ.

قال: فأنا أؤخِّرك ما شئتَ، ولا أُسلِفُك.

* قال الشاعر:

ولَيسَت أَيادِي النَّاسِ عِندِي غَنِيمَةً    ورُبَّ يَدٍ عِندِي أَشَدُّ مِنَ الأَسْرِ

* وقف أعرابيٌّ على أبي الأسود الدؤليِّ وهو يأكل، فقال الأعرابي: أدخُل؟

قال: وراءَك أوسعُ لك.

قال: الرمضاءُ أحرقَت رِجلي!

قال: بل عليهما تبردان.

قال: أتأذن لي أن آكُل معك؟

قال: سيأتيكَ ما قُدِّر لك.

قال: تالله ما رأيتُ رجلًا ألأمَ منك!

قال: بلى؛ قد رأيتَ إلَّا أنَّكَ نَسِيت.

ثم أقبل أبو الأسود يأكل حتى إذا لم يَبقَ في الطبق إلَّا تُميرات يسيرةٌ نبذَها له، فوقعَت تمرةٌ منها فأخذَها الأعرابي، ومسحَها بكسائِه، فقال أبو الأسود: يا هذا؛ إنَّ الذي تمسحُها به أقذرُ مِن الذي تمسحُها له.

قال: كرهتُ أن أدعَها للشيطان.

قال: لا والله، ولا لجبريل وميكائيل، ما كنتَ لتدعَها!!

* قيل لبعض البخلاء: ما الفرجُ بعدَ الشدَّة؟

قال: أن يعتذرَ الضيف بالصَّوم.

* قال الجاحظُ للحزامي: أترضَى أن يُقال لكَ: بخيل؟

قال: لا أعدمني الله هذا الاسم؛ لأنَّه لا يُقال لي: بخيل إلَّا وأنا ذو مال، فسلِّم ليَ المال، وسمِّني بأيِّ اسمٍ شئت.

* قيل لأعرابي: ما حدُّ الشِّبَع؟

قال: أما عندَ الحاضرة فلا أدري، وأمَّا عندنا في البادية فما وجدتِ العين، وامتدَّت إليه اليد، ودار عليه الضِّرس، وأساغَه الحَلق، وانتفَخَ به البَطن، واستدارَت عليه الحَوايا، واستغاثَت منه المَعِدَة، وتقوَّسَت منه الأضلاع، والتَوَت عليه المصارِين، وخِيفَ منه الموت.

* قال محمَّد بن بشير:

لَقَلَّ عارًا إذا ضَيفٌ تَضَيَّفَني ... ما كانَ عِندِي إذا أَعطَيتُ مَجهُودِي

فَضْلُ المُقِلِّ إذا أَعطاهُ مُصطَبِرًا ومُكثِرٍ في الغِنَى سِيَّانِ في الجُودِ
لا يَعدَمُ السَّائِلُونَ الخيرَ أَفعَلُهُ إمَّا نَوالِي وإمَّا حُسْنَ مَرْدُودِي

* كان لزياد بن عبد الله الحارثيِّ جَديٌ لا يمسُّه أحد، فَعشَّى في شهر رمضان قومًا فيهم أَشْعَبُ، فعرَض أشعبُ يومًا للجدي من بين القوم؛ فقال زيادٌ حين رُفِعَت المائدة: أما لأهل السِّجن إمامٌ يصلِّي بهم؟

قالوا: لا.

قال: فليُصلِّ بهم أشعَب.

قال أشعَب: أو غيرُ ذلك أيُّها الأمير!

قال: وما هو؟

قال: لا آكل لحمَ جَديٍ أبدًا.

* قال الشاعر:

يا ذاهِبًا في دارِهِ جائِيًا بغَيرِ مَعنًى بَلْ وَلا فائِدَهْ
قَدْ جُنَّ أَضيافُكَ مِنْ جُوعِهِمْ فَاقرَأ عَلَيهِمْ (سُورَةَ المَائِدَهْ)

* ذكر الأصمعيُّ أنَّ أعرابيًّا خرج في سفرٍ ومعه جماعةٌ، فعَدِمَ بعضُهم الزاد، وحضر وقتُ الغَداء، وجعل بعضهم ينتظر بعضًا بالغَداء، فلمَّا أبطأ ذلك عليهم عَمَد بعضُهم إلى زاده فألقاه بين يدي القوم، فأقبلوا يأكلون وجلس صاحبُ الزاد بعيدًا؛ للتوفير عليهم، فصاح به أعرابي: يا سُؤدداه! وهل شرفٌ أفضلُ من إطعام الطعام، والإيثار به في وقت الحاجة إليه؟! لقد آثرتَ في مَخْمَصةٍ ومَسْغَبة، وتفرَّدتَّ بمكرُمةٍ قعد عنها مَن أرى من نُظرائك، فلا زالت نِعمُ الله عليك غاديةً ورائحة.

* كان أبو هريرة إذا استثقل رجلًا، قال: اللهمَّ اغفر له، وأرِحنا منه.

## آداب الأكل

للأكل آداب، وللموائد قواعد:

فمن آدابه: غَسلُ اليدين قبلَ الأكل وبعدَه، والتسميةُ عند الأكل، وأن يأكُلَ بيمينه، ويأكُل بثلاث أصابع، ويحمدَ الله بعدَ انتهائه من الأكل، ويُستحسنُ أن يدعوَ لصاحب الأكل إذا كان قد أكلَ عند أحد.

وينبغي أن يجتنب الأكل متّكئًا، ولا ينفخَ في الإناء ولا يتنفَّسَ فيه، سواء كان إناءَ أكلٍ أو شُرب، ولا يقوم من المائدة مسرعًا لِمَا يسبِّبه من إزعاج الآكلين، ولا يأكل بِنَهَمٍ، ولا يخبِطَ في الإناء خبطًا، بل يأكل ممَّا يليه، ولا يأكل بشَراهة حتى يمتلئَ بطنُه، بل الأولى أن يأكل ويشرب بمقدار الثُّلُثَين، ويدع ثلثًا للنَّفَس، حتى لا يُصاب بالتُّخمة؛ فُربَّ أَكلةٍ منعَت أكَلات.

هذه آدابٌ شرعيَّة، وفضائلُ إسلاميَّة، تتَّفق مع الطبائع السليمة، والعادات الرفيعة، وتتقبَّلها النفوس الصافية بحُبور وترحيب.

* كان أبو عبد الرحمن الثوريُّ يُقعد ابنَه معه على خِوانه يومَ الرأس، ثم يقول: إيَّاك ونَهَمَ الصِّبيان، وأخلاقَ النوائح، ودَع عنك خبطَ الملَّاحين والفَعَلَة، ونَهْشَ الأعراب والمَهَنَة، وكُل ما بين يديك؛ فإنَّ حظَّك الذي وقعَ وصار إليك.

واعلم أنَّه إذا كان في الطعام شيءٌ طريف، أو لُقمةٌ كريمة، أو بَضعَةٌ شهيَّة، فإنَّما ذلك للشيخ المعظَّم، والصبيِّ المدلَّل، ولستَ واحدًا منهما، وأنت قد تأتي الدعوات، وتُجيب الولائم، وتدخلُ منازل الإخوان وعهدُكَ باللحم قريب، وإخوانُك أشدُّ قَرَمًا إليه منك، وإنَّما هو رأسٌ واحد، فلا

عليكَ أن تتجافى عن بعض وتُصيب بعضًا، وأنا بعدُ أكره لك الموالاةَ بين اللحم، فإنَّ الله يبغض أهلَ البيت اللحميِّين، وكان يُقال: مُدمِنُ اللحم؛ كمُدمِن الخَمر.

ورأى رجل رجلًا يأكل لحمًا، فقال: لحمٌ يأكل لحمًا، أفٍّ لهذا عملًا!

وكان عمر يقول: إيَّاكم وهذه المجازرَ؛ فإنَّ لها ضَراوةً كضَراوة الخَمر.

يا بُنيَّ؛ عوِّد نفسَك الأَثَرَة، ومجاهدةَ الهوى والشَّهوة، ولا تنهَش نهشَ السِّباع، ولا تخضِم خَضمَ البراذين، ولا تُدمنِ الأكلَ إدمانَ النِّعاج، ولا تَلقَم لَقَمَ الجِمال؛ فإنَّ الله تعالى جعلَك إنسانًا وفضَّلك، فلا تجعل نفسَك بهيمةً ولا سَبُعًا، واحذَر سرعةَ الكِظَّة (الامتلاء من الطعام)، وسَرَفَ البِطنة.

* قال أبو بكر الهُذَلي: إذا جمع الطعام أربعًا، فقد كَمَل وطاب: إذا كان حلالًا، وكثُرتِ الأيدي عليه، وسُمِّي الله تعالى في أوَّله، وحُمِد في آخره.

## نادرة

وقف قوم إلى طبَّاخ، فأخذ أحدُهم قطعةَ لحم فأكلها، وقال: يحتاج القِدر إلى أَبْزار.

وأخذَ آخرُ قطعةَ لحم، فقال: يحتاج القِدر إلى مِلح.

فأخذ الطبَّاخ قطعة لحم، وقال: تحتاج القِدر إلى لحم!

فتضاحكوا منه وانصرفوا.

* قال معاوية: ما رأيتُ سَرَفًا قطُّ إلَّا وإلى جَنبِه حقٌّ مضيَّع.

## منتهى الكسل

ضمَّ عثمانَ بن رَواحٍ السفرُ ورفيقًا له، فقال له الرفيق: امضِ إلى السوق فاشترِ لنا لحمًا.

قال: واللهِ ما أقدر.

قال: فمضى الرفيق واشترى اللحم، ثم قال لعثمان: قُمِ الآن فاطبُخ القِدر.

قال: واللهِ ما أقدِر، فطبخَها الرفيق.

ثم قال: قُم الآنِ فاثرُد.

قال: والله إنِّي لأعجِز عن ذلك.

فثرد الرفيق، ثم قال: قُم الآن فكُل.

فقال: والله لقد استحييتُ من كثرة خِلافي عليك، ولولا ذلك ما فعلت.

* قال نصر بن سيَّار لأعرابي: هل اتَّخمتَ قطُّ؟

قال: أمَّا مِن طعامك وطعام أبيكَ فلا.

ويقال: إنَّ نصرًا حُمَّ من هذا الجواب أيَّامًا، وقال: ليتني خَرِستُ ولم أَفُه بسؤال هذا الشيطان.

* كان هلال بن الأسعَر التميمي أكولًا، فيزعمون أنه أَكَلَ فصيلًا، وأكلتِ امرأتُه فصيلًا، فلمَّا أراد أن يجامِعَها لم يصِل إليها، فقالت له: وكيف تصِلُ إليَّ وبيني وبينكَ بعيران؟!

* قال بكر بن عُبيد الله: أحقُّ الناس بلطمةٍ مَن أتى طعامًا لم يُدعَ إليه، وأحقُّ الناس بلَطمتَين مَن يقول له صاحب البيت: اجلِس ها هنا، فيقول: لا؛ ها هنا، وأحقُّ الناس بثلاث لطَمات مَن دُعِي إلى طعام، فقال لصاحب المنزل: ادع ربَّةَ البيت تأكُل معنا.

## نهايةُ البُخل

كان مَرْوان بن أبي حفصةَ من أبخلِ الناس، فخرج يُريد المهدي، فقالت له امرأته: ما لي عليك إن رجعتَ بالجائزة؟

قال: إن أُعطيتُ مئة ألف درهم أعطيتُك درهمًا!

فأُعطي ستِّين ألف درهم، فأعطاها أربعة دَوانِق.

* كان بعض البُخلاء موسِرًا كثيرَ الأموال، وكان ينظر في دقائق الأشياء، فاشترى شيئًا من الحوائج، ودعا حمَّالًا، وقال: بكَم تحمِل هذه الحوائج؟

قال: بحَبَّة.

قال: أبخِس!

قال: ما أقلُّ من حبَّة؟ لا أدري ما أقول!

قال: نشتري بالحَبَّة جَزَرًا، فنجلسُ جميعًا فنأكلُه.

* مرَّ طُفيليٌّ بقوم يتغذَّون، فقال: سلامٌ عليكم معشرَ اللِّئام.

فقالوا: لا والله؛ بل كرام.

فثنى رِجلَه وجلس، وقال: اللهمَّ اجعلهم من الصادقين، واجعلني من الكاذبِين!

* وقال ربيعةُ بن ثابت بن لَجَأ الأسَدي الرَّقِّي:

لَشَتَّانَ ما بينَ اليَزِيدَينِ في النَّدَى    يَزَيدِ سُلَيمٍ والأَغَرِّ بنِ حاتِمِ
يَزِيدُ سُلَيمٍ سالِمُ المَالِ والفَتَى    أَخُو الأَزْدِ لِلأَموالِ غَيرُ مُسالِمِ
فَهَمُّ الفَتَى الأَزْدِيِّ إتلافُ مالِهِ    وهَمُّ الفَتَى القَيسِيِّ جَمعُ الدَّراهِمِ

* كان أحدُ البُخلاء إذا وضعَ الدرهم بيده طنَّه بظُفره، وقال: أيا درهمُ؛ كم من مدينة دخلتَها، وأيدٍ دوَّختَها، فالآن استقرَّ بكَ القَرار، واطمأنَّت بك الدار.

ثم رمَى به في الصُّندوق.

* سأل رجلٌ من الأعراب رجلًا فلم يعطِه شيئًا، فقال:

كَدَحتُ بأَظْفارِي وأَعْمَلتُ مِعوَلِي    فَصادَفتُ جُلْمُودًا مِنَ الصَّخرِ أَمْلَسَا
تَشاغَلَ لمَّا جِئتُ في وَجهِ حاجَتِي    وأَطرَقَ حتَّى قُلتُ: قَد ماتَ أَوْ عَسَى
وأَجمَعتُ أَنْ أَنْعاهُ حِينَ رَأيتُهُ    يَفُوقُ فُواقَ الموتِ ثُمَّ تَنَفَّسَا
فقُلتُ لَهُ: لا بَأسَ لَستُ بِعائِدٍ    فَأَفْرَخَ تَعلُوهُ الكَآبَةُ مُبْلِسَا

## دعاء

اللهمَّ إنِّي أعوذ بك مِن بَطَر الغِنى، وذِلَّة الفقر.

* قال الشَّعبي: ما أفلحَ بخيلٌ قطُّ؛ أما سمعتَ قولَ الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]؟!

* ذكر أعرابيٌّ رجلًا، فقال: كان واللهِ إذا نزلَتْ به الحوائج، قام إليها، ثم قَدِم بها، ولم تقعُد به عِلَّاتُ النفوس.

* وقال حمزة بن عليٍّ أبو يَعْلَى:

المالُ يَرفَعُ ما لا يَرفَعُ الحَسَبُ    والوُدُّ يَعطِفُ ما لا يَعطِفُ النَّسَبُ

والحِلمُ آفَتُهُ الجهلُ المُضِرُّ بِهِ ... والعَقلُ آفَتُهُ الإعجابُ والغَضَبُ

* قال أبو هريرةَ رضي الله عنه:

تهادَوا عِبادَ الله؛ يتجدَّد في قلوبكم الودُّ، وتذهبِ السَّخِيمَة.

* وقال سُفيان الثَّوري: إنِّي لألقى الرجل، فيقول لي: مرحبًا؛ فيَلينُ له قلبي، فكيف بمَن أطأ بِساطَه، وآكُل ثَريدَه، وأزدَرِدُ عَصِيدَه؟!

* أنشد أحمد بن يحيى:

أتيتُ بَنِي عَمِّي ورَهْطِي فلَم أَجِدْ ... علَيهِم إذا اشتَدَّ الزَّمانُ مُعَوَّلَا
ومَن يَفتَقِرْ في قَومِهِ يَحمَدِ الغِنَى ... وإن كانَ فيهِم ماجِدَ العَمِّ مُخْوِلَا
يَمُنُّونَ أَنْ أَعطَوا ويَبخَلُ بَعضُهُمْ ... ويُحسَبُ عَجزًا سَمْتُه إنْ تَجمَّلَا
ويُزرِي بعَقلِ المَرءِ قِلَّةُ مالِهِ ... وإنْ كانَ أقوَى مِنْ رِجالٍ وأَحْوَلَا
فَإنَّ الفَتَى ذا الحَزْمِ رامَ بِنَفْسِهِ ... حَواشِيَ هَذا اللَّيلِ كَيْ يَتَموَّلَا

* دخل على ابنٍ لرجلٍ من الأشراف داخلٌ وبينَ يديه فَرارِيج، فغطَّى الطبقَ بمِندِيلِه، وأدخل رأسَه في جَيبِه، وقال للداخل عليه: كُن في الحُجرة الأخرى حتى أفرُغ من بُخوري.

* قيل لأعرابي: مَن أحقُّ الناس بالرحمة؟

قال: الكريم يُسلَّط عليه اللئيم، والعاقلُ يُسلَّط عليه الجاهل.

وقيل له: أيُّ الداعين أحقُّ بالإجابة؟

قال: المظلوم.

* قال سُفيان الثَّوري: لأن أُخلِّف عشرةَ آلاف درهم يحاسبني الله عليها، أحبُّ إليَّ من أن أحتاج إلى لئيم.

* قال حسَّان بن ثابت رضي الله عنه:

وفيهِمْ مَقاماتٌ حِسانٌ وُجوهُهُمْ    وأَندِيَةٌ يَنتابُها القَولُ والفِعلُ
عَلَى مُكثِريهِمْ رِزقُ مَن يَعتَريهِمُ    وعِندَ المُقِلِّينَ السَّماحَةُ والبَذْلُ
فَما كانَ مِنْ خَيرٍ أَتَوهُ فَإِنَّمَا    تَوارَثَهُ آباءُ آبائِهِمْ قَبلُ
وهَل يُنبِتُ الخَطِّيَّ إلَّا وَشِيجُهُ    وتُغرَسُ إلَّا في مَنابِتِها النَّخلُ؟!

* قال بعض الشُّعراء:

إذا كُنتَ جَمَّاعًا لِمالِكَ مُمسِكًا    فأَنتَ عَلَيهِ خازِنٌ وأَمِينُ
تُؤَدِّيهِ مَذمُومًا إلى غَيرِ حامِدٍ    فَيَأكُلُهُ عَفْوًا وأَنتَ دَفِينُ

* كَتَب الحسنُ بن عليٍّ إلى أخيه يعتِبُ عليه في إعطاءِ الشُّعراء، فأجابه: خيرُ المال ما وُقِي به العِرْض.

* قال عمر بن الخطَّاب ﵁: أخوَفُ ما أخاف عليكم: شُحٌّ مُطاع، وهوًى متَّبع، وإعجابُ المرءِ بنفسِه.

* قال عبد الرحمن بن عَوف: يا حبَّذا المال؛ أصونُ به عِرضي، وأتقرَّب به إلى ربِّي!

* قال بعض الشُّعراء:

ألمَرءُ بَعدَ المَوتِ أُحدُوثَةٌ    يَفنَى وتَبقَى مِنهُ آثارُهُ
يَطويهِ مِنْ أَيَّامِهِ ما طَوَى    لَكِنَّهُ تُنشَرُ أَسْرارُهُ
وأَحسَنُ الحالاتِ حالُ امرِئٍ    تَطِيبُ بعدَ المَوتِ أَخبارُهُ
يَفنَى ويَبقَى ذِكرُهُ بعدَهُ    إذا خَلَت مِنْ شَخصِهِ دارُهُ

* قال بعضُهم: إنَّما الناس أحاديث؛ فإنِ استطعتَ أن تكونَ أحسنَهم حديثًا فافعَل.

* وقف معاويةُ على امرأةٍ مِن بني كِنانَة، فقال لها: هل مِن قِرًى؟

قالت: نعم.

قال: وما قِراكِ؟

قالت: عندي خُبزٌ خَمير، ولَبَنٌ فَطِير، وماءٌ نَمِير.

* باع طلحة من عثمان رضي الله عنهما أرضًا بسبعمئة ألف درهم، فلمَّا جاءه المال قال: إنَّ رجلًا يَبيت هذا عندَه لا يدري ما يطرُقه لغَرِيرٌ بالله تعالى!

ثم قسمَه في المسلمين.

## المالُ وسيلةٌ لا غاية

المالُ وسيلةٌ إلى الإنفاق في وجوه البَذل المحمودةِ عقلًا وشرعًا، أمَّا مَن يشُحُّ ويبخَل، ويكون مِسِّيكًا، لا تنضِح يدُه، ولا يعطي في موضع الإعطاء، ويحرِم الفقيرَ والمسكين، وذوي القُربى، فالمال في حقِّه عقوبةٌ، يأثم فيه، ويُذَمُّ بسببه، ويكون وَبالًا عليه ونِقمَة.

* دخل فُراتُ بن زيد اللَّيثيُّ على عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه وكان ذا مال كثير - وكان يُبخَّل - وكان من أبناء العرب، وذوي التعليم والرأي، فوجدَ عمرَ يُعطي المهاجرين والأنصار، فقال له: يا فُراتُ؛ مَن الذي يقول:

أَلـفَـقـرُ يُـزرِي بـالـفَـتَـى فـي قَـومِـهِ     والعَينُ يُغضِيها الكَرِيمُ عَلَى القَذَى
والـمـالُ يَـبـسُـطُ لِـلَّـئِـيـم لِـسـانَـهُ     حَـتَّـى يَـصِـيـرَ كَـأَنَّـهُ شَـيءٌ يُـرَى
والـمـالُ جُـدْ بـفُـضُـولِـهِ ولَـتَـعْـلَـمَـنْ     أنَّ الـبـخِـيـلَ يَـصِـيـرُ يَـومًـا لـلـثَّـرَى

قال: لا أدري يا أمير المؤمنين، غيرَ أنِّي عرفتُ أنَّ أخا بني ضُبَيْعَة أشعرُ الناس حيث يقول:

وإصـلاحُ الـقَـلِـيـلِ يَـزِيـدُ فـيـهِ     ولا يَـبـقَـى الـكَـثِـيـرُ مَـعَ الـفَـسـادِ

فقال عمر: قولُ الله ﷻ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] أفضلُ.

قال: يا أمير المؤمنين؛ إنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾ [الإسراء: ٢٧]!

قال عمر: فبينَ ذلك قَوامٌ، يا فُرات؛ اتَّق الله! وإنَّما لك من مالك ما أنفقت، يا فُراتُ؛ أطعِم السائل، وكن سريعًا إلى داعي الله، إنَّ الله جوَادٌ يحبُّ الجُودَ وأهلَه، وإنَّ البُخل بئس شِعارُ المسلم، يا فُرات؛ أتدري مَن الذي يقول:

سأَبذُلُ مالِي للعُفاةِ فإنَّني ... رَأَيتُ الغِنَى والفَقرَ سِيَّانِ في القَبرِ
يَمُوتُ أَخُو الفَقرِ القَلِيلُ مَتاعُهُ ... ولا تَترُكُ الأَيَّامُ مَن كانَ ذا وَفْرِ
وليسَ الذي جَمَّعتُ عِندِي بِنافِعٍ ... إذا حَلَّ بِي يَومًا جَلِيلٌ مِنَ الأَمرِ

قال: لا أدري يا أمير المؤمنين.

قال: هذا شعر أخيكَ قَسَامَةَ بن زيد.

قال: ما علمتُه!

قال: بلى؛ هو أنشدَنيه، وعنه أخذتُه، وإنَّ فيه لعِبرة.

قال: يا أمير المؤمنين؛ وفَّقك الله وسدَّدك، أمرتَ بخير، وحضضتَ عليه.

وتَرَك فُراتٌ كثيرًا ممَّا كان عليه.

## الحرصُ على جمع المال

مِن الناس مَن يُهلِك نفسَه في طلب المال، وهو محرومٌ من الانتفاع به،

والاستفادة منه؛ فيكون وَبالًا عليه، وتعبًا وهمًّا، وعَناءً وشقاءً؛ فهو يكسِبه من طُرق حرام، ويمنع حقَّ الله فيه، ولا يؤدِّي ما للقريب والفقير، والمسكين وابن السبيل، ولا يوسِّع على نفسه وولده وذَويه، ولا ينفقُه في المكارِم والمحامد، فلا ينال ثناءً في الدُّنيا، ولا حسناتٍ في الأخرى، وإنَّما نصيبُه الذمُّ والعقاب.

ومِن الناس مَن يمقُت المال بخيره وشرِّه، ويحسَب أنَّ في القعود عن الكسب شرفًا ومجدًا، وفضلًا وفخرًا، وقد يكون يعيش على الصَّدقات والسؤال، وإراقة ماء الوجه، وهو بهذا يُناقِض ما جاء به الشرع، وما يدعو له العقل السليم، والفِطَرُ المستقيمة.

وكلا الاثنين على خَطَل وبُعد من الصواب، أمَّا التوسُّط والاعتدال، فذلك هو الأعدل والأسلم.

## مدحٌ وذمٌّ

وقال رَبيعةُ بن ثابت بن لَجَأٍ الأَسَديُّ يمدَحُ العبَّاس بن محمَّد بن عليِّ بن عبد الله بن العبَّاس:

لَوْ قِيلَ للعَبَّاسِ: يا ابنَ مُحَمَّدٍ ... قُلْ: (لا) وأَنتَ مُخَلَّدٌ ما قالَها
ما إنْ أَعُدُّ منَ المَكارِمِ خَصْلَةً ... إلَّا وَجَدتُّكَ عَمَّها أَوْ خالَهَا
وإذا المُلُوكُ تَسايَرُوا في بَلدَةٍ ... كانُوا كَواكِبَها وكُنتَ هِلالَهَا
إنَّ المَكارِمَ لَم تَزَلْ مَعقُولَةً ... حتَّى حَلَلتَ بِراحَتَيكَ عِقالَهَا

فبعث إليه العبَّاس بدينارين، فقال يهجوه:

مَدَحتُكَ مِدحَةَ السَّيفِ المُحَلَّى ... لِتَجرِيَ في الكِرامِ كَما جَرَيتُ
فَهَبها مَدْحَةً ذَهَبَت ضَياعًا ... كَذَبتُ عَلَيكَ فيها وَافتَرَيتُ

فـأَنــتَ الــمَــرءُ لــيــسَ لَــهُ وَفــاءٌ    كَــأَنِّــي إذ مَــدَحــتُــكَ قَــد رَثَــيــتُ

فلمَّا بلغتِ العبَّاسَ غضب، وتوجَّه إلى الرشيد، وهمَّ بقَتله، فقال: يا أمير المؤمنين؛ مُرْه بإحضار القصيدة.

فأحضرها، فلمَّا سمعها استحسنها، وقال: والله ما قال أحدٌ في الخلفاء مثلَها، فكم أثابَك؟

قال: دينارَين!

فغضب الرشيد، وقال: يا غلام؛ أعطِ ربيعةَ ثلاثين ألف درهم وخِلعَة، واحمله على بغلة.

وقال له: لا تذكُرْه في شِعرك، لا تعريضًا ولا تصريحًا.

وكان الرشيدُ قد همَّ بأن يزوِّج العبَّاسَ ابنته ففَتَر عنه لذلك.

• مدح بعضُهم رجلًا فقال: ما كان أفسحَ صدرَه، وأبعدَ ذِكْره، وأعظمَ قدرَه، وأنفذَ أمرَه، وأعلى شرَفَه، وأربحَ صفقةَ مَن عرفَه، مع سَعَةِ الفِناء، وعِظَم الإناء، وكَرَم الآباء!

## أعمارُ الأُمَم

تُقاس أعمارُ الأُمم والشُّعوب والأفراد بما قدَّمَته من جلائل الأعمال، وما أنتجَته مِن كلِّ نافع مفيد، وما أسدَته للبشريَّة من أيادٍ بيضاء، وليس بكثرة السِّنين أو قلَّتِها يكون التفاضُل والتفاخُر؛ فكم مِن شباب قدَّموا للناس ما انتفعوا به فكريًّا وجسديًّا وحضاريًّا! وكم مِن معمَّرين كانوا عبئًا ثقيلًا، وكابوسًا جاثمًا لم تنتفعِ الأُمم من حياتهم، وإن استبشرَ أُناسٌ بزوالهم!

أمَّا مَن طال عمرُه، وحَسُن عمله، فذلك فضلُ الله يؤتيهِ من يشاء.

## المجدُ والمَجال

قال أبو الطيِّب المتنبِّي:

وأَتعَبُ خَلقِ اللهِ مَن زادَ هَمُّهُ ... وقَصَّرَ عَمَّا تَشتَهِي النَّفسُ وُجْدُهُ
فَلا يَنحَلِلْ في المَجدِ مالُكَ كُلُّهُ ... فَيَنْحَلَّ مَجدٌ كانَ بالمالِ عَقْدُهُ
ودَبِّرْهُ تَدبِيرَ الذي المَجدُ كَفُّهُ ... إذا حارَبَ الأَعداءَ وَالمالُ زَنْدُهُ
فَلا مَجدَ في الدُّنيا لِمَنْ قَلَّ مالُهُ ... ولا مالَ في الدُّنيا لِمَنْ قَلَّ مَجدُهُ
وفي النَّاسِ مَنْ يَرضَى بِمَيسُورِ عَيشِهِ ... ومَركُوبُهُ رِجلاهُ والثَّوبُ جِلدُهُ
ولَكِنَّ قَلبًا بَينَ جَنْبَيَّ ما لَهُ ... مَدًى يَنتَهي بِي في مُرادٍ أَحُدُّهُ
يَرَى جِسْمَهُ يُكسَى شُفُوفًا تَرُبُّهُ ... فَيَخْتارُ أَنْ يُكْسَى دُرُوعًا تَهُدُّهُ
يُكلِّفُنِي التَّهجِيرَ في كُلِّ مَهْمَهٍ ... عَلِيقِي مَراعِيهِ وَزادِيَ رُبْدُهُ

* وقال غيرُه:

مِثلُ الحُسامِ إذا انتَضَا ... هُ أَخُو الحَفيظَةِ لَم يَخُنْهُ
يَسْعَى لِما تَسعَى لَهُ ... كَرَمًا وإن لَم تَستَعِنْهُ

* قال ابن المقفَّع: إذا أكرمَك الناس لمال أو سُلطان، فلا يُعجِبْكَ ذلك؛ فإنَّ الكرامةَ تزول بزوالهما، ولكن ليُعجِبْكَ إذا أكرموك لدِينٍ أو أدب.

* سُئل البُحْتُرِي: أيُّما أشعر؛ أنتَ أو أبو تمَّام؟

فقال: جيِّده خيرٌ من جيِّدي، ورَدِيئي خيرٌ من رَدِيئه.

• قال الإمامُ الشافعي:

إقْبَل مَعاذِيرَ مَن يَأتِيكَ مُعتَذِرًا ... إن بَرَّ عِندَكَ فيما قالَ أَوْ فَجَرَا
فَقَد أَضاعَكَ مَن أَرْضاكَ ظاهِرُهُ ... وَقَد أَجَلَّكَ مَن يَعصِيكَ مُستَتِرَا
خَيرُ الخَلِيطَينِ مَن أَغْضَى لِصاحِبِهِ ... ولَو أَرادَ انتِصارًا مِنهُ لانتَصَرَا

## الوالدُ والولَد

كلُّ إنسان ينظر لولدِه نظرةَ عطفٍ وشَفَقَة، ويُعجب فيه بخلالٍ وتصرُّفات قد لا تُعجب غيرَه، وقد يكون هو نفسُه لو أبصَرها في ولدٍ غيرِ ولدِه لَعَابَها واستبشعَها، وكلُّ إنسان قد يتصوَّر خطأ ولده خفيفًا محتمِلًا للتجاوز والصفح، ولكنَّه غالبًا لا يرى مثل ذلك في غير ولده.

وكلُّ إنسان عندَه عاطفةٌ في إرضاء ولده ومساعدته على أن يعيش في هَناءٍ وراحة، ولكنَّ العاقل يكبَح هذه العاطفةَ إذا ما أحسَّ أنَّها تجرُّ إلى عواقبَ سيِّئة، أو إذا كان في إطلاق العِنان لها أضرارٌ على ولده، أو على الآخرين.

ولو أنَّ كلَّ إنسان أعطى لنفسه هواها، وسار على طريقة إرضاء الولَد والتجاوز عن خطيئاته، واعتبار الآخرين هم المستحقِّين للَّوم والعِقاب والمؤاخذة، وولدِه هو الطاهرَ النبيل، الجديرَ بكلِّ ما يطلب وما يتمنَّى - لأصبحتِ الحياةُ لا تُطاق، ولأضحَت شريعةُ الغاب والوحشيَّة هي المتحكِّمة في الناس، ولكن الله بعدله وحِكمته أنزل على الناس قرآنًا فيه هدايتُهم وسعادتُهم، ووهبهم عقولًا يُفكِّرون بها، ويعرفون بها الحَسَن والقبيح، والنافع والضارَّ.

## الأنانيَّة

إنَّني ألمح بوادرَ أنانيَّة تكاد تشتعل وتحرِق الفضائل التي عرفناها منذ سنوات قريبة، إنَّني أكاد أُبصرِها فِتنةً قاتلة، وداءً مستحكِمًا، وبليَّة فظيعة.

إنَّ استحكام الأنانيَّة معناه ارتكابُ المحرَّمات، وإنكارُ الحقوق، والتعدِّي

على الناس طمعًا وجشعًا.

إنَّ الأنانيَّة الطاغية تدعو للقطيعة والإثم والشُّرور، وتُنفِّر من الحقِّ والإنصاف والقناعة.

اللهمَّ نجِّنا من عُدوان الأنانيَّة، وجنِّبنا سبيلَ الأنانيِّين الجَشِعين.

## يبيعون بناتِهم بسببِ الفقر!

هل تُصدِّق أنَّه في الوقت الذي تُنفِق فيه بعضُ الدول المليارات من الدولارات والجنيهات والرُّوبلات على الأسلحة النوويَّة المهلِكة، والجرثوميَّة المدمِّرة، وعلى سفن الفضاء، والحروب الطاحنة، التي لا هدفَ لها ولا غاية، يقوم أناسٌ ببيع بناتِهم بسبب الفقر والحاجة؟!

نشرتِ الصحف نقلًا عن إحدى الوكالات الأجنبيَّة (ا - ب)، بتاريخ **٢** يونية **١٩٧١**م، ونشرته "جريدة الرياض" في عددها الصادر بتاريخ **١٠/ ٥/ ١٣٩١**هـ وهذا نصُّه:

«قام آباء **٤٠٠٠** فتاة من إقليم فقير في شمال تايلاند ببَيع بناتِهم بدافع مِن فقرهم؛ قالت ذلك منظَّمةُ المرأة التايلانديَّة التي تخطِّط لاستعادة الفتيات.

وقد شكَّلتِ المنظمة النسائيَّة لجنةَ استقصاء للحقائق؛ لزيارة إقليم شيينجراي هذا الشهر لهذا الغرض، وستعمل المنظمة على شِراء الفتيات من جديد، واستعادتهنَّ من المشترين المحتكِرين، وتشغيلهنَّ في غَزلِ ونَسج الحرير».



## تبذير: ماسَة بثلاثة ملايين دولار!

نشرَت "جريدة البلاد" في عددها (٣٧٣٦) بتاريخ ٨/ ٤/ ١٣٩١هـ هذا الخبر:

بِيعَت ماسَةٌ واحدة في مزاد علنيٍّ أُقيم في جنيف مؤخَّرًا بثلاثة ملايين ومئة ألف دولار؛ فكان ذلك أعلى سِعر يُدفع في قِطعة واحدة من الأحجار الكريمة في أوربَّا، وقد اشترى الماسةَ أحدُ الأفراد، لكن هُويَّته أُبقِيَت سرًّا؛ احتراسًا من اللصوص، وكانت الماسَةُ من عيار ٤٧ قيراطًا، ولَونُها أبيض مائل إلى الزُّرقة، وقد نظَّمت المزاد محلَّاتُ كرستي البريطانيَّة المشهورة، التي تتعامل في الأدوات والتُّحف الفنيَّة، وأحيانًا المجوهرات.

## بُطولات

قد نقرأ من بطولات المتقدِّمين وشجاعتهم، وكرمهم وتسامُحهم قصصًا، فنحسَبُها لأوَّل وَهْلَة ضربًا من الأساطير، تَصوَّرها قاصٌّ فصاغها - موهمًا أنَّها واقعةٌ فعلًا - ليحفِّزَ على الاقتداء، ويُغرِي بالمكارِم، ويُرغِّب في الفضائل.

ولكنَّا قد نشهد في الأوقات الراهنة، والأحداث الحاضرة ما يؤكِّد أنَّ كثيرًا مما يُروَى صحيح لا لَبْسَ فيه، ولا غُبارَ عليه، ولا سيَّما إذا ثبت سندُه، وانتفى ما يضعِّفه ويُوهِّنه.

## جلائلُ الأعمال

فكرَّتُ في جلائل الأعمال، واستعرضتُ حالاتٍ منها عبرَ التاريخ الطويل، ورأيتُ أنَّ كثيرًا منها كان يُقال لِمَن فكَّر فيه: إنَّه هازل وعابث، وإنَّه

يحاول المستحيل، أو يُرمَى بالجنون والحُمق، وبعدَ وقت يصبح ذاك الشخص محَلَّ إعجاب وتقدير، وإشادة بجهوده وما قدَّمه من جليل الأعمال.

ترى ماذا يحدث لو أَدخل عاملَ الإعجاب أو التخذيل في حسابه باديَ ذِي بَدء، هل يقوم بمحاولاته، ويُخاطر في مجازفاته، ويصلُ إلى ما وَصَل إليه؟

إنَّ كثيرين مِن العظماء لقُوا من الصُّدود، ومن التثبيط في أوَّل أمرهم شيئًا هائلًا، ولكنَّهم لم يَأْبَهوا لذلك، وتغلَّبوا على المصاعب، وكانوا مقتنعين بجَدوَى ما هم ماضون في تحقيقه، وهكذا نرى جلائل الأعمال قد تحقَّقت على رغم المثبِّطين والخائفين والجُبناء.

## تفاوتُ الناس

أصناف الناس كثيرة، وطباعُهم مختلفة، وأفهامُهم متغايرة، وأذواقُهم متناقضة؛ فمنهم الجادُّ الصارِم، والعابثُ المُستَهْتَر، ومنهم العنيفُ الطاغي، واللَيِّنُ المستضعَف، ومنهم المنقبِضُ العَبوس، والضاحكُ اللاهي، ومنهم الكريمُ الشَّهم، واللئيمُ الغَدَّار، ومنهم مَن يفخر بالنَّذالة والفُجور، ومَن ينأى وينعزِلُ ساخِطًا على الدُّنيا وأهلها، ومنهم مَن تطمئنُّ له النفس، وتبتهجُ لرؤياه الخواطر، ومَن يكون كابوسًا أينما حلَّ، وحيثما وُجِد، واللهُ على كلِّ شيء قدير.

## الكِبر

أبصرتُه متكبِّرًا متعجرِفًا، كأنَّما ينظر للناس نظرتَه لحشرات، وكأنَّه يحاول الصعودَ إلى السماء، والشُّموخَ فوق العالَم، وسلَّمتُ عليه فلم يردَّ السلام،

وقلت: لعلِّي لم أرفع الصوت، ومرَّة أخرى تقابَلنا فسلَّمتُ، فلم يردَّ! واستغربتُ من هذا النَّزَقِ والطَّيش والتكبُّر، فما أقبحَ التكبُّرَ، وما أتفَه المتكبِّرين!

* قال عمر رضي الله عنه: ما وَجَد أحدٌ في نفسه كِبرًا إلَّا من مَهانة يجدُها في نفسِه.

* قال عبد الله بن المُعتزِّ: لَمَّا عَرَف أهلُ النقصِ حالَهم عند ذوي الكمال، استعانوا بالكِبر ليعظِّمَ صغيرًا، ويرفعَ حقيرًا، وليس بفاعل.

* قيل لبعضهم: ما الكِبر؟

قال: حُمقٌ لم يَدرِ صاحبُه أين يضعُه.

* وقال آخر: عُجب المرء بنفسه أحدُ حُسَّاد عقلِه، وليس إلى ما يُكسِبه الكبرُ من المَقْتِ حَدٌّ، ولا إلى ما يَنتهي إليه العُجبُ من الجهل غاية، حتى إنَّه ليُطفِئ من المحاسن ما انتشَر، ويسلُبُ من الفضائل ما اشتهَر، وناهِيكَ بسيِّئة تُحبِطُ كلَّ حسنَة، وبمذمَّة تهدِمُ كلَّ فضيلَة، مع ما يُثيره مِن حَنَق، ويُكسِبه من حِقْد.

* قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: أدركتُ في هذا المسجد مئةً وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدٌ يُسأل عن حديث أو فتوى إلَّا ودَّ أنَّ أخاه كفَاه ذلك، ثم قد آل الأمرُ إلى إقدام أقوام يدَّعون العلم، يُقدِمون على الجواب في مسائلَ لو عَرَضَت لعمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لجَمَع لها أهلَ بدرٍ واستشارهم.



## النمَّام

كان يتظاهر بالتُّقى، والزُّهد والوَرَع، والعادة أنَّ من يكون على تلك الخِلال يحظَى بالمحبَّة، ويأنسُ الناس بقُربه، ويرغبون في صداقته، ولكنَّه لم يكن محظوظًا في هذه المسألة، وكنت واحدًا ممَّن جمعني به عملٌ في وقت ليس بالقريب، والتقَيتُ به في سفري في بعض البُلدان العربيَّة، وقد اتَّضح لي من خلال معرفتي لطبعه أنَّ الناس كانوا ينفرون منه لسبب واحد، هو النميمة.

فقد كانت هذه الخَصلة الذميمة على ما يبدو متأصِّلةً فيه، وقد رضعَ لِبانَها منذ الصغر، وصعُب عليه الفَكاكُ منها، وهكذا جنى من ثمارها النُّفرةَ والكراهية، حتى أصبح منطويًا على نفسه، حاقدًا على المجتمع الذي لا يألفُه.

ترى هل يرعوي عن غيِّه، ويدع الغِيبة، والغَمزَ واللَّمز، والقيلَ والقال، ولا يكون همُّه إيذاءَ مَن أنعم الله عليهم مِن فضله، ورزقَهم من خزائنه، وأن يسعى لتصحيح خطئه، والعُدول عن طريق الإيذاء والغِيبة والنميمة، والطعن والحَسَد؛ ليستريحَ ويُريح؟!

إنَّه لو فعل لوجدَ الراحةَ النفسيَّة، والمحبَّة عند الناس، وسَلِم من آثام تلك الأخلاق المرذولة، فهل يكون لديه من قوَّة الإرادة والتصميم على سلوك الصراط السويِّ ما يجعله يُغيِّر نهجَه، ويُحسِّن طريقته؟!

## الغِيبةُ والنَّميمة

إنَّ مِن أمراض المجتمع وعوامل إضعافه الغِيبةَ والنميمة؛ فهُمَا يَزرعانِ الضغائن، ويُورثان الأحقاد، ويُثيران الفِتن، ويُسبِّبان الشَّحناء، وكيف تقوى على النهوض أمَّةٌ قد فقدَت ثقتَها بنفسها، ووقع الشكُّ بين بَنِيها موقعَ الإخاء،

وحلَّتِ الكراهية فيها محلَّ الحبِّ والصَّفاء؟!

لقد حذَّر الإسلام من هاتين الخَصلتَين الذميمتَين، وتوعَّد عليهما بعقوبات شديدة، ونهى عن قُربانهما، وأمرَ بالابتعاد عنهما، فرَحِم الله عبدًا سمع قولًا فاتَّبع أحسنَه، واجتنبَ الغِيبةَ والنميمة.

* جاء رجل إلى حاتم الزاهد بنميمة، فقال: يا هذا؛ أبطأتَ عنِّي وجئتَ بثلاث جنايات: بغَّضتَ إليَّ الحبيب، وشغلتَ قلبي الفارغ، وأعلقتَ نفسكَ التُّهمةَ وأنتَ آمِن!!

* وكان خالد بن صفوان يقول: قَبولُ قول النمَّام شرٌّ مِن النميمة؛ لأنَّ النميمة دَلالة، والقَبول إجازة، وليس مَن دلَّ على شيءٍ كمَن قَبِل وأجاز.

* قال الشاعر:

إيَّاكَ مِن كَذِبِ الكَذُوبِ وإفكِهِ ... فلَرُبَّما مَزَجَ اليَقِينَ بِشَكِّهِ
ولَرُبَّما كَذَبَ امرُؤٌ بكَلامِهِ ... وبِصَمتِهِ وبُكائِهِ وبِضِحْكِهِ

* قال بعضُ السَّلف: مَن استقصى عيوبَ الناس بَقِي بلا أصدقاء.

* وقال ابن السمَّاك الواعظ: يُدرِك النمَّامُ بنميمته ما لا يُدرِك الساحرُ بسِحره.

* قال بعض البُلغاء: النميمةُ دَناءة، والسِّعاية رَداءَة، وهما رأسُ الغدر، وأساس الشَّر؛ فتجنَّب سُبلَهما، واجتنِب أهلَهما.

* قال سعيد بن أبي عَرُوبة: لَأَن يكون لي نصفُ وجه، ونصفُ لسان على ما فيهما مِن قُبح المنظر، وعجز المخْبَر، أَحَبُّ إليَّ من أن أكون ذا وجهين، وذا لسانين، وذا قولَين مختلفَين.

## الحَسَد

إذا رأيت إنسانًا في نعمةٍ فتمنَّيتَ أن يكون لك مِثلُه، وأن تدومَ النِّعمة عليه، فهذه غِبطةٌ لا لومَ فيها، ولا إثم.

أمَّا إذا تمنَّيتَ زوالَ النِّعمة عن أخيك المسلم، فهذا حسدٌ مذموم، جاء القرآن والحديث وكلام السلف بذمِّه، وتأنيبِ صاحبه، ودلَّتِ النصوص على إثم مرتكبه.

والحسد داءُ الأُمم، ومخرِّب الدِّيار، ومُثير الشحناء، ومسبِّب العداوات، وقاطِع الأرحام، وبه عَصَى إبليس، فأُخرِج من الجنَّة، وأغوى آدمَ وحوَّاء، وكان أوَّلُ قتيل في العالم ضحيَّةَ الحسد؛ حين تُقبِّل عملُه الصالح، ولم يُتقبَّل من أخيه.

وقد جحد اليهودُ نبوَّةَ الرسول محمَّد ﷺ حسدًا وبغيًا، كما استكبروا على أنبياء الله ورسله؛ فريقًا كذبوا، وفريقًا يقتلون، وكم مِن آلاف الأحداث الفظيعة، والأعمال المنكرة، كان الدافعُ لها هو الحسدَ - نعوذ بالله من ذلك.

والحسدُ داء وَبيل، ومَرَض عُضَال، وآفةٌ مهلِكة، يُمزِّق الجماعات، ويُثير الإحَن، ويُشعل الفِتن، فكم جرَت بسببه قلاقل، وانتُهِكَت حُرمات، واعتُدي على الأموال والأعراض! ذاقَ الناسُ منه قديمًا وحديثًا المرائرَ والمصائب، وتجرَّعوا كؤوس الصَّابِ والعَلْقَم، فهو آفةٌ وأيُّ آفة، وهو مِن أشدِّ أعداء البشريَّة، وأكثرها ضررًا.

* قال رمضان بن رُستُم بن الساعاتي:

يَحسُدُنِي قَومِي عَلَى صَنعَتِي ... لأنَّنِي بَينَهُمُ فارِسُ
سَهِرتُ في لَيلِيَ واستَنعَسُوا ... لَنْ يَستَوي الدَّارِسُ والنَّاعِسُ

* قال سليمانُ التَّيمي: الحسد يُضعِف اليقين، ويُسهِر العَين، ويُكثِر الهمَّ.

* ويُقال: لا يوجد الحُرُّ حريصًا، ولا الكريمُ حسودًا.

* قال ابن المقفَّع: الحِرصُ والحَسدُ بِكرَا الذنوب، وأصلُ المهالك، أمَّا الحسدُ فأهلَك إبليس، وأمَّا الحِرصُ فأخرج آدمَ من الجنَّة.

* قال المنصور لسُفيان بن معاوية المهلَّبي: ما أسرعَ الناسَ إلى قومك!

قال سفيان:

إنَّ العَرانِينَ تَلْقاها مُحَسَّدَةً ... ولَنْ تَرَى لِلِئامِ النَّاسِ حُسَّادَا

* قال أبو المعمَّر يحيى بن طَبَاطَبا في الحثِّ على طلب العلم:

حَسُودٌ مَرِيضُ القَلبِ يُخفي أَنِينَهُ ... ويُضحِي كَئِيبَ القَلبِ عِندِي حَزِينَهُ
يَلُومُ عَلَى أَن رُحتُ للعِلم راغِبًا ... أُجَمِّعُ مِنْ عندِ الرُّواةِ فُنُونَهُ
فأَعرِفُ أَبْكارَ الكَلامِ وعُونَهُ ... وأَحفَظُ مِمَّا أَستَفيدُ عُيُونَهُ
ويَزعُمُ أنَّ العِلمَ لا يَجلِبُ الغِنَى ... ويُحسِنُ بالجهلِ الذَّمِيمِ ظُنُونَهُ

* وكان عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه إذا استعملَ رجلًا قال له: إنَّ العمل كِبْر، فانظُر كيف تخرجُ منه.

* قال الجاحظُ في وصف الحَسَد:

الحسدُ - أبقاك الله - داءٌ يَنهَكُ الجَسَد، علاجُه عسير، وصاحبُه ضَجِر، وهو بابٌ غامِض، وما ظهر منه فلا يُداوَى، وما بَطَن منه فمُداويه في عَناء؛ ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «دَبَّ إليكم داءُ الأُمم من قبلكم؛ الحسدُ والبغضاء».

الحسدُ عَقيدُ الكُفر، وحَليفُ الباطل، وضدُّ الحق، منه تتولَّدُ العَداوة، وهو سببُ كلِّ قطيعة، ومفرِّق كلِّ جماعة، وقاطِعُ كلِّ رَحِم من الأقرباء،

ومحدِثُ التفرُّق بين القُرناء، وملقِّح الشرِّ بين الحُلفاء.

## دعاء

اللهمَّ نقِّنا من الذنوب والخطايا، ونجِّنا من الحَسَد والبَطَر، وجنِّبنا الغُرورَ والخُيلاءَ والأَشَر، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا، ربَّنا إنَّك رؤوفٌ رحيم.

* وقال الشاعر:

لِكُلِّ كَرِيمٍ مِن أَلائِمِ قَومِهِ ... عَلَى كُلِّ حالٍ حاسِدُونَ وكُشَّحُ

* وقال البُحْتُرِي:

ولَن تَستَبِينَ الدَّهرَ مَوضِعَ نِعمَةٍ ... إذا أنتَ لم تُدلَلْ عَليها بِحاسِدِ

* قال عبد الله بن المُعتزِّ:

إصبِرْ عَلى كَيدِ الحَسُو ... دِ فَإنَّ صَبرَكَ قاتِلُهْ
فالنَّارُ تَأكُلُ بَعضَهَا ... إن لم تَجِد ما تَأكُلُهْ

* قال معاويةُ رضي الله عنه: ليس في خِصال الشرِّ أعدلُ من الحَسد؛ يقتُل الحاسدَ قبل أن يصل إلى المحسود.

* وقال رجل لشُرَيحٍ القاضي: إنِّي لأحسُدك على ما أرى مِن صبركَ على الخُصوم، ووقوفكَ على غامضِ الحُكم!

فقال: ما نفَعَك الله بذلك ولا ضرَّني.

* وأنشد أبو منصور البُوشَنْجِي:

قالوا: يَقُودُ سَعِيدُ ... جَيشًا لَهُمْ ويَسُودُ
وكَيفَ ذاكَ وأنَّى ... وهْوَ الحَقُودُ الحَسُودُ

ولا يَسُودُ حَسُودٌ ولا يَقُودُ حَقُودُ

* قال أبو الأسود الدُّؤلي، وقيل لغيره:

حَسَدُوا الفَتَى إذ لم يَنالُوا سَعيَهُ فالقَومُ أَعْداءٌ لَهُ وخُصُومُ
كضَرائِرِ الحَسناءِ قُلنَ لِوَجهِهَا حَسَدًا وبَغيًا: إنَّهُ لَدَمِيمُ

قال الشاعر:

مُحَسَّدُونَ وشَرُّ النَّاسِ مَنزِلَةً مَن عاشَ في النَّاسِ يَومًا غَيرَ مَحسُودِ

## نادرة

باع نخَّاس من أعرابيٍّ غلامًا، فأراد أن يتبرَّأ من عيبه، قال: اعلَم أنَّه يبول في الفِراش.

قال: إن وجدَ فِراشًا فليبُل فيه.

* قال بعضُ السلف: الحسد أوَّل ذنب عُصِي اللهُ به في السماء (يعني: حسدَ إبليسَ لآدم عليه السلام) وأوَّل ذنب عُصِي اللهُ به في الأرض (يعني: حسدَ ابنِ آدم لأخيه حتى قتلَه).

## الخَمر

الخَمر أمُّ الخبائث، وهي مُذهِبةٌ للعقل، مقلِّلة للمروءة، محطِّمة للأُسر، مَجلَبةٌ للشُّرور، مثيرةٌ للفِتن.

والخمر ملعونة، ملعونٌ حاملُها والمحمولةُ إليه، وبائعُها ومُبتاعُها، وشاربُها، وقد ترفَّع عنها بعضُ أهل الجاهليَّة، وقال: لا أُريد أن أُصبح سيِّد قومي، وأُمسي سَفيهَهم.

ومنهم مَن كان يتركها لئلَّا يُفشِي الأسرار التي ربَّما كان في إفشائها ذَهابُ عزِّ القبيلة أو الدولة، أو اطِّلاع الأعداء على أسرار حربيَّة، فيعرفون ضعفَ عدوِّهم وقوَّته، ويَلِجُون من نقاط الضعف، التي لولا هَذَيانُ السكِّير ما علموا بها.

وقد حَرَّم الله الخمرَ تحريمًا قاطعًا في نهاية الأمر بعد أن تدرَّج في تحريمها من الأدنى إلى الأعلى.

ومِن المحزن أنَّ بعض مَن يذهب إلى بلاد الغرب يقتبسون من العاداتِ الذميمة، فيتعاطَى بعضُ ضِعاف النفوس وخَوَّاري العزائم الخمرَ؛ يظنُّ أنَّ ذلك رُقِيٌّ ومُجاراة لأهل المدنيَّة والتقدُّم، والغريب أنَّ هذا البعض - غالبًا - يُقلِّد في الضار، أمَّا النافع من الحضارة والمدنيَّة فهو يُعرِض عنه، وهكذا ينقلب الأملُ فيه ألمًا، وتتحوَّل الفرحة به تَرْحَة، ويكون وَبالُه على قومِه كبيرًا.

* قيل لعثمان بن عفَّان رضي الله عنه: ما منعكَ من شُرب الخَمر في الجاهليَّة، ولا جُرمَ عليكَ فيها؟ قال: إنِّي رأيتُها تُذهِب العقلَ جُملة، وما رأيتُ شيئًا يذهبُ جُملة، ويعودُ جُملة.

* قال ابن عبد ربِّه في "العقد الفريد":

وقد شُهِر أصحابُ الشراب بسُوءِ العَهد، وقلَّة الحِفاظ، وأنَّهم أصحابُك ما استغنيتَ حتى تفتقِر، وما عُوفيتَ حتى تُنكَب، وما غَلَت دِنانُك حتى تُنزَف، وما رأوك بعيونهم حتى يفقدوك، قال الشاعر:

أَرَى كُلَّ قَومٍ يَحفَظُونَ حَرِيمَهُمْ ... وليسَ لأَصحابِ النَّبِيذِ حَرِيمُ
إخاؤُهُمُ ما دارَتِ الكَأسُ بَينَهُمْ ... وكُلُّهُمُ رَثُّ الحِبالِ سَؤُومُ
إذا جِئتَهُمْ حَيَّوكَ أَلفًا ورَحَّبُوا ... وإن غِبتَ عَنهُمْ ساعَةً فَذَمِيمُ
فَهَذا بَيانِي لم أَقُل بِجَهالَةٍ ... ولَكِنَّنِي بِالفاسِقِينَ عَلِيمُ

* وقال أحد الشُّعراء:

تَـرَكـتُ الـنَّـبِـيـذَ وأَصـحـابَـهُ　　وصِـرتُ خَـدِيـنًـا لِـمَـن عـابَـهُ
شَـرابٌ يُـضِـلُّ سَـبِـيـلَ الـرَّشـادِ　　ويَـفـتَـحُ لـلـشَّـرِّ أَبـوابَـهُ

## الأمريكيُّون مرضى

نشرَت "مجلَّة الشِّهاب" التي تصدر في لبنان في عددها الصادر بتاريخ ٧/ ٤/ ١٣٨١هـ ترجمةً لِمَا ذكره أحدُ الكتَّاب الأمريكيِّين عن الأمريكيِّين:

«نحن أغنياءُ لدرجة الدَّنَس، ونحن أيضًا مرضَى؛ مرضى بتُراثنا، بالجريمة، بالأدبِ المنحطِّ، بالأمراض السارية، بالبَطالة، بالتضخُّم المالي، بالطلاق - نسبة الطلاق في أمريكا واحد إلى كلِّ ثلاث زِيجات - بمشاكل المُدن، بالتفرِقة العُنصريَّة، فرصيدُنا الوطني الثمين - الشباب - أيضًا مريض».

ونقلَ قولَ الرئيس الأمريكي "نيكسون" في خطاب تنصيبه رئيسًا للولايات المتَّحدة: «إنَّنا أغنياءُ بالحاجيَّات، فُقراءُ في الرُّوح»، وقال: «أزمتُنا أزمةٌ رُوحيَّة، وإنَّنا كي نحُلَّ أزمةً روحيَّة نحتاج جوًّا رُوحيًّا».

* قيل للعبَّاس بن مِرْدَاس: لو شربتَ النبيذَ لازددتَّ جُرأة.

فقال: ما كنتُ لأُصبِحَ سيِّدَ قومي، وأُمسي سفيهَهم، وأُدخلَ في جَوفي ما يحولُ بيني وبين عقلي.

## تدهور الحضارة الغربيَّة

في كلِّ يوم نقرأ عن ضحايا المخدِّرات في العالَم، وتنشر الصحف

قصصًا تبعث على الإشفاق والرِّثاء، والاستنكار.

فالمخدِّرات هي داءٌ يحطِّم الأعصاب، وعادةٌ مرذولةٌ يَفقد معها مدمنُها الإحساسَ بالمسؤوليَّة، والشعورَ بالواجب، ويفقد الغَيرةَ والنَّخوةَ والشَّهامة، ويصبح له شكلُ الإنسان ظاهريًّا، أمَّا معنويًّا فهو محطَّم خائر، واهِن القُوى، أو قُل: إنَّه بقايا إنسان يدُبُّ على الأرض دونَ أن يتحلَّى بالصِّفات الإنسانيَّة التي تُميِّز صاحبَها عن سائر الحيوانات، وتُرشده لأقوم الطُّرُق.

وتذيع الإذاعات، وتسردُ الصُّحف إحصاءاتٍ وبيانات، وتحذيراتٍ من انتشار المخدِّرات في العالَم الغربيِّ وغيره.

إنَّ هذه السمومَ القاتلة التي يتعاطاها أصحابُها في غير وعيٍ سليم، ولا إدراكٍ حكيم لأخطارها ونتائجها، وما تُفضِي بصاحبها إليه من سوء الحال، ومن ازدراء المجتمع، ومن العقوبات العاجِلة والآجلة، وما تُسبِّبه من تحطيم البيوت، وانهيار الأُسر، وتخلخُل المجتمع - هي داءٌ عضال.

أمَّا المجتمع المعافَى، فإنَّه في نعمة، وأيُّ نعمة؛ ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

## احتراقُ مستشفى المجانين

في (زيورخ) بسويسرا شبَّ حريقٌ لم تُعرَف أسبابُه، ويُظنُّ أنَّه بسبب تماسٍّ كهربائي، وقد دمَّر مستشفًى للمجانين، وانتُشِلَت ٩٨ جثَّة، وهذا المستشفى تابع لكلية الطبِّ في (جامعة زيورخ).

## ٦٠٠٠ إصابة بالسَّيَلان

أعلن خبيرٌ بشؤون الأمراض التناسليَّة: أنَّ مرض السَّيَلان في الولايات

المتَّحدة وَصَل إلى أعلى حدٍّ له هناك منذ عام **١٩١٩**م، وهو في طريقه ليصل إلى حدود الوَباء؛ إذ إنَّ **٦** آلاف إصابة تقع يوميًّا.

وقال الدكتور ثورستاين غوثه السويسري؛ وهو رئيس برنامج الأمراض التناسليَّة في منظمة الصحَّة العالميَّة: إنَّ إصاباتِ السَّيَلان في ازدياد كذلك في أوربَّا، وجنوب شرق آسيا، والشرق الأقصى، وأميركا اللاتينيَّة، وأشار إلى أنَّ عددَ الأشخاص الذين يقعون فريسةَ هذا المرض ممَّن هم دون العشرين، فاقَ أيَّة فترة سابقة مِن الزمن، وقال: إنَّه ثبت أنَّ واحدًا من بين كلِّ عشرة شبَّان يدخلون السَّنَة الأولى في الجامعة يلتقطُ مرض السيلان في السَّنة الأولى من سِني الجامعة، وكان الدكتور غوثه يخاطِب **٢٠٠** طبيب من الولايات المتَّحدة وأوربَّا في خِتام حلقةٍ دراسيَّة حولَ الأمراض التناسليَّة.

هذا خبرٌ نشرَته بعضُ الصحف، وهو معبِّر عن نفسه بنفسه، ومُنذِر بتدهور الحضارة الأوربيَّة وإفلاسها.

## تدهور الحضارة الغربيّة

بقدر ما ازدهرتِ الحضارةُ الغربيَّة صناعيًّا، فقد تخلَّفت دينيًّا وأخلاقيًّا.

إنَّ عدد الجرائم يرتفع في أوربَّا وأمريكا بصورة مخيفة؛ جرائم مِن أنواع شتَّى: القتل والسرقة، والمخدِّرات، والخَطف والاعتداء.

والمجتمعات هناك مفكَّكة الروابط، منحلَّة الأواصر، يَتَمزَّقون داخليًّا، وإن حَسِبَ الرائي للوَهلة الأولى بريقًا خادعًا، وسَرابًا زائلًا، فما يراه ليس إلَّا الطِّلاءَ الممَوَّه، أمَّا الحقيقة فهي قاسية، وها هم يَصرخون بأعلى أصواتهم مشفِقين محذِّرين لمجتمعاتهم مِن هذه الهُوَّة السحيقة التي انحدروا إليها.

وتأتي الصيحاتُ على لسان رؤسائهم، وعلماء دِينهم، ومفكِّريهم، فهل

نُدرك ما أنعم الله به علينا من دِين كامل، وشريعة سمحاء، وما لذلك من أثَرٍ عظيم في رُقيِّ المجتمع وسلامته من الآفات؟! وهل سَعينا للتمسُّك بديننا، وحَرَصنا على تطبيقه، والاستغناءِ بشرعنا المطهَّر عن القوانين الوضعيَّة، والآراء التي يشوبها الجهلُ والهوى والغرور؟!

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

## نكتة

قال منجِّمٌ لرجل من أهل طَرَسُوس: ما نجمُك؟

قال: التَّيس.

فضحِك الحاضرون، وقالوا: ليس في النجوم والكواكب تَيْس!

قال: بلى؛ قد قيل لي وأنا صبيٌّ منذ عشرين سنة: نجمُك الجَدْي؛ فلا شكَّ أنَّه قد صار تيسًا منذ ذلك الوقت.

## خصائصُ المجتمع

لهذا المجتمع خصائصُ ومِيزات، من واجبه أن يحمد الله عليها، وأن يتمسَّك بها، ولا يذهبنَّ به إغراءُ الحضارة وبهارِجُها، وتنميقُ الألفاظ وتهويلُها في صَرْفه عنها.

فالرِّضا بشَرع الله وحُكمه، والحياءُ والأمانةُ والأمن، والروابطُ الأُسريَّة والأخويَّة، كلُّها تبرُزُ جَلِيَّة، ويشهدها الوافدون ويُشيدون بها، وتبهَرُهم عند الاطِّلاع عليها، ويأخذون في التعليل والتحليل، ومعرفة الأسباب المؤدِّية

لهذه الحال التي يفتقدونها في مجتمعاتهم، التي تضجُّ بالجرائم والعُدوان، وتقطُّع الأواصر، وتفكُّك الأُسَر، وانتشار الخَلاعة والمُجون والإلحاد؛ ممَّا أفقدَها الأمنَ والاستقرار.

وعند التمعُّن والتفكُّر ببصيرة واعية، يتَّضح أنَّ تحكيم الشرع، والإيمان بالله، والرِّضا بقضائه وقدَرِه، والسعي للكَسب الحلال، والإنفاق فيما يصون ويرفع - هي أسباب هذه النِّعم.

إنَّ مجتمعنا يقِف على مفترَق الطُّرق، والصيحات المنكَرة تُنادِيه لِمَا يضرُّه ويؤذيه ويدمِّره، ولكنَّ الأصوات الخَيِّرة تدعوه لرفضِ الباطل وقَمعِه، والتمسُّك بأسباب العِزَّة، والسعادة والفَلاح.

* قالتِ العرب في أمثالها: «أنَجزَ حُرٌّ ما وَعَد»، وقالت: «وَعْدُ الحرِّ دَين»، وقد يكون إخلاف الوعد اختياريًّا، فيكون صاحبُه مذمومًا ملومًا، وربَّما كان لأسباب قهريَّة، ولم يكن قاصدًا الخُلفَ في الوعد، فيُلتمسُ له بعضُ العُذر، ولكنَّه على كلِّ حال يجب أن يحرِص على الوفاء بقدر المستطاع، ولا يُكلِّف الله نفسًا إلَّا وُسعها.

## حسَناتُ الحضارة ومساوئُها

تعيش بلادُنا عصرًا ازدهرَت فيه الحضارة الصناعيَّة، وبلغتِ الاختراعاتُ فيه حدًّا هائلًا من التطوُّر، والسرعة والتفنُّن.

فالطائرات النفَّاثة والصواريخ، والقنابل الذريَّة والهيدروجينيَّة، والسُّفن الفضائيَّة، وأنواع السيَّارات والطائرات، كلَّ يوم في تطوُّر وتقدُّم، والحضارة التي كان مِن ثمارها ناطحاتُ السَّحاب - كما يسمُّونها - والأشعة السِّينيَّة، والآلات الدقيقة، ازدهرَت في مجتمعات يكادُ التحلُّل الخُلقي، والنظرة

المادِّيَّة البَحْتَة، وإنكارُ ما وراء المحسوسات - يكون الصِّفةَ المميِّزة لها.

ونحن نقف على مفترَق طُرق؛ فهل نرفضُ الحضارةَ بخَيرِها وشرِّها، بصناعتها ومادِّيَّتها؟ أم نتقبَّلها على عِلَّاتها، ونأخذُها بشُرورها ورذائلها؟

إنَّ النظرتين خاطئتان، والواجب أن نُميِّز بين ما نأخذ وما نَذَر، وأن نستفيدَ من الحضارة بالقَدر الذي لا يَمسُّ دِينَنا وآدابَنا وتاريخَنا، فلا جُمودَ ولا تحلُّل، ولا انزواءَ ولا هَوَس، بل استفادةٌ مع دِين، وقَبول بتعقُّل، بين الإفراط والتفريط.

إذا طلبتَ النَّدْبَ المهذَّب الذي لا عَيبَ فيه ولا نقصَ يشوبه، وتصوَّرتَ شروطًا تحسَبها لا بدَّ أن تتوفَّر في الصديق، وفسَّرتَ كلَّ كلمة يقولُها على أسوأ التفسير، ولم تَجِد لها من الخير محملًا، فإنَّك تُكلِّف نفسَك عَناءً طويلًا، وستُضطرُّ إلى أن تَقِف بمفردك بلا صديقٍ يُواسيك أو يُسلِّيك، أو يتوجَّع، ولن تَلْقى صاحبًا يحزنُ لحُزنك، ويُسرُّ لمسرَّتك، وعلى نفسِك جَنَيت، وفي أصدقائك فرَّطت، وإذا كنتَ عادلًا تحمَّلتَ زلَّةَ الصديق، وتسامحتَ عن خطأ الصاحب، وصفحتَ عن أذى الإخوان؛ وبِذَا تنالُ المكرُمة، وتنالُ الثِّقة والمودَّة.

## الثَّناءُ يُضاعَف

كان يُقال: الثناء يُضاعَف كما تُضاعَف الحسنات، يكون الرجل سَخيًّا، فيزيد الله في سخائه، ويكون شجاعًا فيَزيد الله في شجاعته.

## تعليلٌ معقول

قال زيادُ بن ظِبيانَ التَّيمي لابنه عُبيد الله بن زياد؛ وزيادٌ يومئذٍ يجودُ بنفسه

وعُبيد الله غُلام: ألا أُوصي بكَ الأميرَ زيادًا؟

قال: لا.

قال: ولِمَ؟

قال: إذا لم تكن للحيِّ إلَّا وصيَّة الميِّت، فالحيُّ هو الميِّت.

## في حجَّةِ الوَداع

في خُطبة الرسول ﷺ في حجَّة الوداع:

«أيُّها الناس؛ إنَّما المؤمنون إخوة، ولا يَحِلُّ لامرئٍ مسلم مالُ أخيه إلَّا عن طِيب نَفْس منه، ألا هل بلَّغت؟ اللهمَّ فاشهَد!

فلا ترجعوا بعدي كُفَّارًا يضرب بعضُكم رِقابَ بعض؛ فإنِّي قد تركتُ فيكم ما إن أخذتُم به لن تضلُّوا بعدي: كتاب الله، ألا هل بلَّغت؟ اللهمَّ فاشهَد!

أيُّها الناس؛ إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد؛ كلُّكم لآدم، وآدمُ من تُراب، أكرمُكم عندَ الله أتقاكُم، إنَّ الله عليم خبير، وليس لعربيٍّ على عجميٍّ فضلٌ إلَّا بالتقوى، ألا هل بلَّغت؟ اللهمَّ فاشهد!».

قالوا: نعم.

قال: «فليُبلغِ الشاهدُ الغائب».

## يكرهُ أن يسألَ غيرَ الله

قال هشام بن عبد الملك لسالم بن عبد الله ودخَلا الكعبة: سَلني حاجتَك.

قال: أكره أن أسألَ في بيت الله غيرَ الله.

ورأى رجلًا يسألُ في المَوقِف؛ فقال: أفي مثل هذا الموضع تسألُ غيرَ الله ﷻ؟!

## ما مات!

قال أعْشَى هَمْدانَ في خالد بن عَتَّاب بن وَرْقاء:

فإن يَكُ عَتَّابٌ مَضَى لِسَبيلِهِ   فَما ماتَ مَن يَبقَى لَهُ مِثلُ خالِدِ

## متى يُعرفُ الصديق؟

يُعرف الصدِيق عندَ الشدَّة، ويُكشف الزَّيفُ بالامتِحان، ويستبينُ الشُّجاع في ساحة الوغَى.

وقد أكثرَ الشُّعراءُ والأُدباء في هذا المَيدان، وصالوا فيه وجالوا، وأكثروا من النُّعوت، ومن المدح والذَّم، ورغَّبوا في الوفاء وحسَّنوه، ونفَّروا من الجُحود ومقَّتوه.

* قال سَلَمَةُ بن زيدٍ الطائي:

فَتًى كانَ يُدنِيهِ الغِنَى من صَدِيقِهِ   إذا ما هُوَ استَغنَى ويُبعِدُهُ الفَقرُ
فَتًى لا يَعُدُّ المالَ رَبًّا ولا تُرَى   لَهُ جَفْوَةٌ إنْ نالَ مالًا ولا كِبْرُ

* وقال الشَّمَرْدَلُ بن شَرِيكٍ اليَرْبُوعِي:

وإنِّي لَيَزْدادُ الخَلِيلُ كَرامَةً   عَلَيَّ إذا لاقَيتُهُ وَهْوَ مُصْرَمُ
وأَنأى إذا ما كانَ بِي أَنا حَاجَةٌ   إلَيهِ فَيَكفِينِي فِراشٌ ومَطعَمُ
وأَدنُو إذا ما كُنتُ ذا الفَضلِ نَحوَهُ   بِخالِصِ ما أَحوِيهِ إذ هُوَ مُعدِمُ

مِنَ النَّاسِ أَقوامٌ إذا صادَفُوا الغِنَى تَعالَوا عَلَى إخوانِهِمْ وتَعَظَّمُوا
وإنْ نالَهُمْ فَقرٌ غَدَوا وكأنَّهُمْ مِنَ الذُّلِّ قِنٌّ في الأَنامِ يُقَسَّمُ

## سببٌ وَجيه

سمع عمرُ بن الخطَّاب ﷺ أعرابيًّا يقول: اللهمَّ اغفِر لأمٍّ أَوْفَى!

قيل له: ومَن أمُّ أَوْفى؟

قال: زوجتي، وإنَّها لحمقاء.

## لو كُنت

قال رجل لحُذَيْفَة: أخشى أن أكون منافِقًا!

فقال: لو كنتَ منافقًا لم تخشَ ذلك.

• قال الحجَّاج في خُطبته:

اللهمَّ أرِني الهُدى هدًى فأتبِعْه، وأرِني الغَيَّ غَيًّا فأجتَنِبْه، ولا تَكِلني إلى نفسي فأضِلَّ ضلالًا بعيدًا!

واللهِ ما أحبُّ أنَّ ما مضى من الدُّنيا بعِمامتي هذه، ولَمَا بَقِيَ أشبهُ بما مضى من الماء بالماء.

* قال عبد الله بن وَهْبٍ الرَّاسِبي:

ازدحام الجواب مَضِلَّةٌ للصواب، وليس الرأيُ بالارتِجال، ولا الحَزمُ بالاقتِضاب، فلا تدعُونَّك السلامةُ من خطأٍ مُوبِق، أو غنيمةٌ نلتَها من صوابٍ نادِر - إلى مُعاوَدتِه والتِماسِ الأرباح من قِبَله.

إنَّ الرأي ليس بنُهبى، وخمير الرأي خيرٌ من فَطِيره، ورُبَّ شيءٍ غابُّه خيرٌ من طَرِيِّه، وتأخيرُه خيرٌ من تقديمه.

## تجارِب

تجارِب الحياة كثيرة، ودُروسها لا تُحصَى عدًّا، ولا تُحصر حسابًا، وكلَّ يوم تمرُّ بالإنسان تجارِبُ ودروس، وما يزال هذا شأنَه حتى يُفارقَ الحياة طائعًا أو كارهًا.

وقد كنتُ - كواحد من الناس - مررتُ بتجارِب، بعضها سارٌّ مفرِح، وبعضها محزِن مؤلِم، والتقيتُ بأُناس كان منهم المخلِص الصادق الوفي، الذي يحبُّ الخير لكلِّ الناس، ويحثُّ على كلِّ نافع، ويُشجِّع على ما يُفيد، ورأيتُ مَن يألم لألَمِ صديقه، ويستاءُ لاستيائه، وإن لم يُعبِّر بكلماته، فإنَّ قَسَماتِ وجهه ونظراتِه وحزنَ نفسه يُنبئ عمَّا في خاطره.

ورأيتُ مَن يدَّعي الصداقة، ويُظهر الأخوَّة، وهو يُضمِر العكس، ويتمنَّى إيصالَ الضرر بكلِّ وسيلة لِمَن يَدَّعي صداقتَه، وإن لم يكن قد ناله منه أيُّ أذًى، بل وإن كان قد جاءه منه خير كثير!

وقابلتُ مَن يُثبِّط عن العمل المثمِر، ويفتُّ في عضُدِ المُجِدِّ، ويحسُد مَن رُزِق مالًا أو علمًا، أو منصبًا أو ولدًا، ويودُّ أن تزول النِّعمة في لمحة عين.

واجتمعتُ بأنماطٍ من الناس مختلفة المشارِب، متباينةِ المصادر والموارد، ولقد استفدتُّ من التجارِب كثيرًا، ومع ذلك فإنَّ التجارِب لا تنقطعُ ما دامت الحياة.

* قال الحَرِيرِي:

سـامِـحْ أَخـاكَ إذا خَـلَـطْ   مِـنْـهُ الإصـابَـةَ بِـالـغَـلَـطْ
وتَـجـافَ عَـن تَـعْـنِـيـفِـهِ   إن زاغَ يَـومًـا أَوْ قَـسَـطْ
واحـفَـظْ صَـنِـيـعَـكَ عِـنـدَهُ   شَـكَـرَ الـصَّـنِـيـعَـةَ أَوْ غَـمَـطْ
وأَطِـعْـهُ إن عـاصَـى وهُـنْ   إن عَـزَّ وادْنُ إذا شَـحَـطْ
واقْـنِ الـوَفـاءَ ولـو أَخَـلْـ   ـلَ بِـمـا اشـتَـرَطـتَ ومـا اشـتَـرَطْ
واعـلـم بـأَنَّـكَ إن طَـلَـبْـ   ـتَ مُـهَـذَّبًـا رُمْـتَ الـشَّـطَـطْ
مَـن ذا الـذي مـا سـاءَ قَـطْ   ومَـن لَـهُ الـحُـسْـنَـى فَـقَـطْ

* قال أبو تمَّام:

مَـن لِـي بِـإنـسـانٍ إذا أَغـضَـبـتُـهُ   وجَـهِـلـتُ كـانَ الـحِـلـمُ رَدَّ جَـوابِـهِ
وإذا طَرِبتُ إلى المُدامِ شَرِبتُ من   أَخـلاقِـهِ وسَـكِـرتُ مـن آدابِـهِ
وتَـراهُ يُـصغِـي لِـلـحَـدِيـثِ بِـقَـلـبِـهِ   وبِـسَـمـعِـهِ ولَـعـلَّـهُ أَدرَى بِـهِ

* قال مُوَرِّقٌ العِجْلي: ما تكلَّمتُ بكلمة في الغضب أندمُ عليها في الرِّضا، ولا أتكلَّم إلَّا فيما يعنيني.

## الناسُ أنماط

الناسُ أنماط؛ بينهم الذكي والغبي، والوفي والناكر، والصديق والعدو، والمتسامح واللَّجوج، وهم متفاوتون تفاوتًا هائلًا، وعلى الإنسان أن يراعيَ هذه الاعتباراتِ؛ لئلَّا يقعَ في سوء التقدير، ووخيم العاقبة، وليكن كريمًا متسامحًا، صافحًا عن الزلَّات التي تبدر مِن صديق مجتهد، أو صاحب لم يُحسِن القول.

وإن أكثَرَ المَلامَ، وأطال الخِصام، ولَجَّ في العِناد، بقي وحيدًا، يتحاماه

الناس ويجتنبونه، ويكرهون رؤياه، بلا صاحِب يَبثُّه أشجانَه، أو صديق يُشاطِره أفراحَه.

* قال الشاعر:

دَعــنِــي مِــنَ الــمَــرْءِ وأَعْــراقِــهِ ... ومــــالِـــــهِ الــــجَــــمِّ وأَوْراقِـــــهِ
فَـما الـفَـتَـى كُـلُّ الـفَـتَـى غَـيـرُ مَـنْ ... يَـسـتَـعـبِـدُ الـنَّـاسَ بِـأَخـلاقِـهِ
أَخُـوكَ مَـن إن خِـفـتَ مِـن حـادِثٍ ... حَـلَـلْـتَ مِـنـهُ بَـيـنَ آمـاقِـهِ
لــيــسَ بِــغَــدَّارٍ ولا خــائِــنٍ ... ولا كَــذُوبِ الــوَعــدِ مَــذَّاقِــهِ
ولا الــذِي يُــخــبِــرُ عَــن وُدِّهِ ... والـفِـعـلُ لا يَـأتِـي بِـمِـصـداقِـهِ
طَـوعُـكَ مـا دامَـتْ لَـهُ سُـوقُـهُ ... حـتَّـى إذا ارْتـابَ بِـأَسْـواقِـهِ
وأَبـصَـرَ الـشَّـرَّ بَـدا مُـقـبِـلًا ... شَـمَّـرَ لِـلـمَـكـرُوهِ عَـن سـاقِـهِ
يَـذُمُّ عِـنـدَ الـنَّـاسِ إخـوانَـهُ ... ويَـمـدَحُ الـذَّمَّ بِـإشـفـاقِـهِ
يـا لَـيـتَـهُ أَعـفـاكَ مـن لَـسْـعَـةٍ ... ومِـن أَيـادِيـهِ وأَرْفـاقِـهِ
لا خَـيـرُهُ قـامَ بِـهِ شَـرُّهُ ... ولا أَفـاعِـيـهِ بِـدِريـاقِـهِ

• قيل لبعضهم: كم لك مِن صديق؟

قال: لا أعلم؛ لأنَّ الدُّنيا مقبِلة عَلَي، والأموال موجودةٌ لَدَي، وإنَّما أعرف ذلك لو زالتِ الدُّنيا؛ ألم تسمع قولَ الشاعر:

الـنَّـاسُ أَعـداءٌ لِـكُـلِّ مُـدْقِـعٍ ... صِـفْـرِ الـيَـدَيـنِ إخـوَةٌ لِـلـمُـكْـثِـرِ

* قيل في السَّخي: هو مَن كان بماله مُتبرِّعًا، وعن مال غيره مُتورِّعًا.

* قيل لحكيم: هل شيءٌ خيرٌ من الدراهم والدنانير؟

قال: مُعطِيهما.

* عاتب رجل صديقًا له: فقال: لو علمتُ أنَّ يوميَ أهنأُ من يومك

لاخترتُ أن أُوثِرِكَ به.

* قال أبو جعفر المنصور: لا تُبرِمْ أمرًا حتى تفكِّر فيه؛ فإنَّ فِكرَ العاقل مرآتُه، تُريه حَسَنه وسيِّئَه.

* ذَكرتِ الصحف الصادرة هذه الأيام: أنَّ امرأةً في إيطاليا تنتظر مولودَها السابعَ والعشرين! والله على كلِّ شيء قدير.

* كان بين حاتم طيِّئ وبينَ أَوْسِ بن حارِثَة ألطفُ ما بين اثنين، فقال النُّعمانُ لجُلسائه: لأُفسِدنَّ ما بينَهما، فدخل عليه أَوس، فقال: إنَّ حاتمًا يزعم أنَّه أفضل منك!

فقال: أبيتَ اللَّعن! صَدَق، ولو كنتُ أنا وأهلي وولدي لحاتمٍ لوَهَبَنا في يوم واحد، وخَرَج.

فدخل حاتم، فقال له مثلَ ذلك.

فقال: صَدَق، وأين أقعُ من أوس، وله عشرة ذُكور أدناهُم أفضلُ منِّي؟!

فقال النُّعمان: ما رأيتُ أفضلَ منكما.

* قال المهلَّبُ بن أبي صُفْرَة: العَيشُ كلُّه في الجليس الممتِع.

* قال عليٌّ رضي الله عنه: احمِل نفسَك من أخيكَ عندَ صُرْمِه على الصِّلة، وعندَ صُدودِه على اللُّطْفِ والمُقارَبة، وعند جُرْمِه على العُذر، حتى كأنَّك له عبد، وكأنَّه ذو نِعمةٍ عليك، وإيَّاك أن تضعَ ذلك في غير موضعه، أو أن تصنعَه مع غير أهله.

* وقال الشافعي - رحمة الله عليه -:

أُحِبُّ مِنَ الإخوانِ كُلَّ مُواتِي وكُلَّ غَضِيضِ الطَّرْفِ عن عَثَراتِي

يُـوافِـقُـنِـي فـي كُـلِّ أَمـرٍ أُرِيـدُهُ ... ويَـحْـفَـظُـنِي حَيًّا وبعـدَ مَـمـاتِـي
فـمَـن لِـي بِـهَـذا لَـيتَ أَنِّي أَصَبتُـهُ ... لَقاسَمتُهُ ما لـي مِنَ الحَسَناتِ
تَـصَفَّحتُ إخـوانِـي فَكـانَ أَقلَّـهُـمْ ... عـلـى كَثـرةِ الإخوانِ أهـلُ ثِقـاتِـي

## اختيارُ الصديق

اختيارُ الصَّدِيق مِن أولى ما ينبغي الاعتناءُ به؛ فالصَّدِيق الذي يستحقُّ عن جدارةٍ أن يُلقَّب بهذا اللَّقب هو الذي يُسرُّ بسرور صديقه، ويحزنُ لحُزنه، ويحرِص على توفير الراحة له، وإبعاد ما يُزعجه، وهو مُشير ناصِح، يعامل صديقَه بتبسُّط، ورَفع الكُلفَة مع بقاء المودَّة، وعدم التطاول عليه بما يُسيء إليه، أو يوغِر صدرَه، أو يُسبِّب له آلامًا، وفي الغَيب يذُبُّ عنه، وينشرُ محاسنَه.

## من هو الصديق؟

يقول أحمد بن مشرَّف:

حَـقِـيـقَـةُ الـصَّـدِيـقِ ... تُـعـرَفُ عِـنـدَ الـضِّـيـقِ
وتَـخَـبُّـرُ الإخـوانْ ... إذا جَـفـا الـزَّمـانْ
لا خَـيـرَ فـي إخـاءِ ... يـكـونُ فـي الـرَّخـاءِ
وإنَّـمـا الـصَّـداقَـهْ ... فـي الـعُـسْـرِ والإضـاقَـهْ
لا تَـدَّخِـرْ مَـوَدَّهْ ... إلَّا لِـيَـوم الـشِّـدَّهْ
ولا تَـعُـدَّ الـخُـلَّـهْ ... إلَّا لِـسَـدِّ الـخَـلَّـهْ
أَعِـن أَخـاكَ وَاعـضُـدِ ... وكُـنْ لَـهُ كـالـعَـضُـدِ
لا سِـيَّـمـا إن قَـعَـدَا ... بِـهِ زَمـانٌ أو عَـدَا

بِـئـسَ الـخَـلِـيـلُ مَـن نَـكَـلْ ... عَـن خِـلِّـهِ إذا اتَّـكَـلْ
لا تَـجْـفُ عَـن حـالِ أَخَـا ... ضَـنَّ الـزَّمـانُ أَوْ سَـخَـا

* قال عبد الملك بن مَرْوان: إيَّاك ومصاحبةَ الأحمق؛ فإنَّه ربَّما أراد أن ينفعكَ فضرَّك.

* وقال أبو الأسود الدُّؤلي:

أَلَم تَرَ ما بَينِي وبَينِ ابنِ عامِرٍ ... مِنَ الوُدِّ قد بالَتْ عَليهِ الثَّعالِبُ
فَأَصبَحَ باقِي الوُدِّ بَينِي وبَينَهُ ... كأن لم يَكُنْ، والدَّهرُ فيهِ عَجائِبُ
فَما أَنا بِالباكِي عَليهِ صَبابَةً ... ولا بالذِي مَلَّتْكَ مِنهُ المَثالِبُ
إذا المَرءُ لم يُحبِبكَ إلَّا تَكَرُّهًا ... بَدا لكَ مِن أَخلاقِهِ ما يُغالِبُ
فَدَعهُ فصُرْمُ المَوتِ أَهوَنُ حادِثٍ ... وفي الأَرضِ لِلمَرءِ الكَرِيمِ مَذاهِبُ

* وقال الإمامُ الشافعي:

نَعِيبُ زَمانَنا والعَيبُ فِينَا ... وما لِزَمانِنا عَيبٌ سِوانَا
ونَهجُو ذا الزَّمانَ بغَيرِ ذَنْبٍ ... ولو نَطَقَ الزَّمانُ لَنا هَجانَا
وليسَ الذِّئبُ يَأكُلُ لَحمَ ذِئبٍ ... ويأكُلُ بَعضُنا بَعضًا عَيانَا

* قال أبو فَرْوَة:

إنِّي مَدَحتُكَ كاذِبًا فأَثَبتَنِي ... لمَّا مَدَحتُكَ ما يُثابُ الكاذِبُ

* أثنى رجلٌ على عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه فأفرَط، فقال عليٌّ - وكان يتَّهمه -: أنا دونَ ما تقول، وفوقَ ما في نفسِك.

* قال كَعْبُ بن مالك:

ولمَّا رأَيتُ الوُدَّ ليسَ بنافِعِي ... لَدَيهِ ولا راثٍ لِحالَةِ مُوجَعِ
زَجَرتُ الهَوَى؛ إنِّي امرُؤٌ لا يَقُودُنِي ... هَوايَ وَلا رَأيِي إلى غَيرِ مَطمَعِ

* وقال أبو تمَّام:

ذُو الوُدِّ مِنِّي وذُو القُرْبَى بِمَنزِلَةٍ وإخوَتِي أُسْوَةٌ عِندي وإخوانِي
عِصابَةٌ جاوَرَت آدابُهُمْ أَدَبِي فَهُم وإن فُرِّقُوا في الأرضِ جِيرانِي
أرواحُنا في مكانٍ واحِدٍ وغَدَتْ أَجسامُنا لِشآمٍ أو خُرَاسانِ

* قال هشام بن عبد الملك: قد أكلتُ الحلوَ والحامضَ، حتى ما أجدُ لواحدٍ منهما طعمًا، وشَمِمتُ الطِّيب، حتى ما أجدُ له رائحة، وأتيتُ النِّساء، حتى ما أُبالي امرأةً أتيتُ أم حائطًا، فما وجدتُّ شيئًا ألذَّ من جليسٍ تسقطُ بيني وبينَه مؤونةُ التحفُّظ.

* وأنشد أحمد بن يحيى:

فَأُقسِمُ ما تَركِي عِتابَكَ عَن قِلًى ولَكِن لعِلمِي أنَّهُ غَيرُ نافِعِ
وإنِّي إذا لم أَلزَمِ الصَّمتَ طائِعًا فَلا بُدَّ مِنهُ مُكرَهًا غيرَ طائِعِ
ولو أنَّ ما يُرضِيكَ عِندِي مُمَثَّلٌ لكُنتُ لما يُرضِيكَ أوَّلَ تابِعِ
إذا أنتَ لم تَنفَعْكَ إلَّا شَفاعَةٌ فَلا خَيرَ في وُدٍّ يكونُ بِشافِعِ

* وقال الشاعر:

وليسَ الغِنَى والفَقرُ من شِيمَةِ الفَتَى ولَكِن أَحاظٍ قُسِّمَت وجُدُودُ
إذا المَرءُ أَعيَتْهُ المُرُوءَةُ ناشِئًا فَمَطلَبُها كَهلًا عَلَيهِ شَدِيدُ
وكائِنْ رَأينا مِن غَنِيٍّ مُذَمَّمٍ وصُعلُوكِ قَومٍ ماتَ وهْوَ حَمِيدُ
وإنَّ امرأً يُمسِي ويُصبِحُ سالِمًا مِنَ النَّاسِ إلَّا ما جَنَى لَسَعِيدُ

* وقال النَّابِغَةُ الذُّبْيَاني:

إنَّ أَخاكَ الصِّدقَ مَن كانَ مَعَكْ ومَنْ يَضُرُّ نَفسَهُ لِيَنفَعَكْ
ومَنْ إذا رَيْبُ الزَّمانِ صَدَّعَكْ شَتَّتَ فيكَ شَمْلَهُ ليَجمَعَكْ

وقال أبو الأسودِ الدُّؤلي:

فَلا تُشْعِرَنَّ النَّفسَ يأسًا فإنَّمَا ... يَعِيشُ بِجِدٍّ حازِمٌ وبَلِيدُ
ولا تَطمَعَنْ في مالِ جارٍ لقُرْبِهِ ... فكُلُّ قَرِيبٍ لا يُنالُ بَعِيدُ

وقال أيضًا:

تَعَوَّدتُّ مَسَّ الضُّرِّ حتَّى أَلِفْتُهُ ... وأَسْلَمَنِي طُولُ البَلاءِ إلى الصَّبْرِ
وَوَسَّعَ صَدرِي لِلأَذَى كَثرَةُ الأَذَى ... وكانَ قَدِيمًا قد يَضِيقُ بِهِ صَدرِي
إذا أَنا لم أَقبَلْ مِنَ الدَّهرِ كُلَّ مَا ... أُلاقِيهِ مِنهُ طالَ عَتْبِي عَلى الدَّهرِ

* وقال عبد الله بن معاويةَ بن عبد الله بن جعفر:

أَصُدُّ صُدُودَ امرِئٍ مُجْمِلٍ ... إذا حالَ ذُو الوُدِّ عَن حالِهِ
ولَستُ بِمُستَعتِبٍ صاحِبًا ... إذا جَعَلَ الصَّرْمَ مِن بالِهِ
ولٰكِنَّنِي صارِمٌ حَبْلَهُ ... وذلكَ فِعْلِي بأَمْثالِهِ
ومَهما أَدَلَّ بِحَقٍّ لَهُ ... عَرَفتُ لَهُ حَقَّ إدلالِهِ
وإنِّي عَلى كُلِّ حالٍ لَهُ ... مِنِ ادْبارِ وُدٍّ وإقبالِهِ
لَراعٍ لأَحْسَنِ ما بَينَنا ... بِحِفظِ الإخاءِ وإجلالِهِ

* وقال الشاعر:

فَلا تَصحَبْ أَخا الجَهلِ ... وإيَّاكَ وإيَّاهُ
فَكَمْ مِن جاهِلٍ أَرْدَى ... حَلِيمًا حِينَ آخاهُ
يُقاسُ المَرْءُ بِالمَرْءِ ... إذا ما هُوَ ماشاهُ
وَفي الشَّيءِ مِنَ الشَّيءِ ... مَقايِيسٌ وأَشْباهُ

* وقال الشاعر:

عَجِبتُ لإدلالِ العَيِيِّ بِنَفسِهِ ... وصَمتِ الذي قد كانَ بالحَقِّ أَعْلَما
وفي الصَّمتِ سِترٌ لِلعَيِيِّ وإنَّمَا ... صَحِيفَةُ لُبِّ المَرءِ أن يَتَكَلَّمَا

* وقال بعضُ الحكماء: أيسرُ شيءٍ الدُّخول في العَداوة، وأصعبُ شيءٍ الخروجُ منها.

* وقال أعرابيٌّ في ابن عمٍّ له يُسمَّى زيادًا:

مَن يُبادِلْني قَريبًا ... بِبَعيدٍ مِنْ إيادِ؟
مَن يُقادِرْ مَن يُطافِسْ ... مَن يُناذِلْ بِزيادِ؟

* وقال أحد الشُّعراء:

إذا خانَني خِلٌّ قَدِيمٌ وعَقَّنِي ... وفَوَّقتُ يَومًا في مَقاتِلِهِ سَهْمِي
تَعَرَّضَ طَيفُ الوُدِّ بَينِي وبَينَهُ ... فَكَسَّرتُ سَهْمِي فانثَنَيتُ ولم أَرْمِ

وقال الحسين بن عليِّ بن عبد الواحد النَّصِيبيُّ النَّديم:

تَبُوحُ بسِرِّكَ ضِيقًا بِهِ ... وتَبغِي لِسِرِّكَ مَن يَكتُمُ؟!
وكِتمانُكَ السِّرَّ مِمَّن تَخافُ ... ومَن لا تَخافُ هُوَ الأَحْزَمُ
وإن ذاعَ سِرُّكَ مِن صاحِبٍ ... فأَنتَ وإن لُمْتَهُ أَلوَمُ

* قال عليٌّ رضي الله عنه: لا تقطَع أخاك على ارتياب، ولا تهجُرْه دونَ استِعتاب.

* قال بعض البُلغاء: من خيرِ الاختيار صُحبةُ الأخيار، ومن سوءِ الاختيار مودَّة الأشرار.

* وقال النابغة:

ولَستَ بِمُستَبقٍ أَخًا لا تَلُمُّهُ ... عَلى شَعَثٍ، أَيُّ الرِّجالِ المُهَذَّبُ؟

* وقال غيرُه:

وحَظُّكَ زَوْرَةٌ في كُلِّ عامٍ ... مُوافَقَةً عَلى ظَهرِ الطَّرِيقِ
سَلامًا خالِيًا مِن كُلِّ شَيءٍ ... يَعُودُ بِهِ الصَّدِيقُ عَلى الصَّدِيقِ

* قال يونس النَّحْوي:

لا تُعادِيَنَّ أحدًا وإن ظننتَ أنَّه لا يضرُّك، ولا تزهدنَّ في صداقةِ أحدٍ وإن ظننتَ أنَّه لا ينفعُك؛ فإنَّك لا تدري متَى تخاف عدوَّك، وترجو صديقَك، ولا يعتذر أحدٌ إليكَ إلَّا قبِلتَ عُذرَه، وإن علمتَ أنَّه كاذب، وليقِلَّ عتبُ الناسِ على لسانك.

## أعوذُ بالله!

قال أعرابي: اللهمَّ إنِّي أعوذ بك مِن سُلطان جائِر، ونديم فاجِر، وصَدِيقٍ غادِر، وغريم ماكِر، وقريبٍ ناكِر، وشريكٍ خائِن، وحليفٍ مائِن، وولدٍ جافٍ، وخادِم هافٍ، وحاسدٍ مُحافِظ، وجارٍ مُلاحِظ، ورفيقٍ كسلان، وجليسٍ وَسْنان، ووكيلٍ ضعيف، ومركوبٍ قَطوف، وزوجةٍ مبذِّرة، ودارٍ ضيِّقة.

## الصديق الصدوق

الصديق الصدوق، والمجالِس المؤانِس، والناصح الشفيق، أولئك ممَّا يتمنَّى العُقلاء، ويسعى إلى الحُظوة بهم النُّبهاء، وإذا وجدوهم عدُّوا ذلك من أعظم المكاسِب، وأطيبِ الساعات؛ فالمرءُ مهما حَصُف عقلُه، واتَّسعَت معارفه، وكثُرت تجارِبُه، لا يستغني عن المشورة، ولا يستقلُّ برأيه في كلِّ شيء، وهو مضطرٌّ إلى أن يُفضيَ ببعض ما يجول في خاطره لصاحِبٍ يكتُم السِّرَّ، ويحفظ الودَّ، ويُعين على المشكلات.

فالصديق الصدوق نعمةٌ من النِّعم، ولكنَّ القليلِين من الناس يُقدِّرون الصداقة، ويحافظون على الوفاء، ويمحَضون النصيحة.

* قال عمرو بن العاص: ثلاثةٌ لا أملُّهم: جليسي ما فَهِم عنِّي، ودابَّتي

ما حملَت رَحْلي، وثوبي ما سترَني.

* ووصف سهل بن هارون رجلًا، فقال: لم أَرَ أحسن منه فَهمًا لجليل، ولا أحسنَ تفهُّمًا لدقيق.

* وقال أبو مِجْلَزٍ لاحِقُ بن حُميَد لقُتَيبةَ بن مسلم: أيُّها الأمير؛ تَثبَّت؛ فإنَّ التثبُّتَ نصفُ العفو.

* قال أحد الشُّعراء:

لا تَيئَسَنَّ مِن اللَّبِيبِ وإن جَفَا ... واقطَعْ حِبالَكَ مِن حِبالِ الأَحْمَقِ
فَعَداوَةٌ مِن عاقِلٍ مُتَجَهِّلٍ ... أَولَى وأَسلَمُ مِن صَداقَةِ أَخْرَقِ

## دعاء

اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من دَرَك الشَّقاء، وشَماتةِ الأعداء، وجَهْدِ البَلاء.

* وقال كُثَيِّر بن عبد الرحمن الخُزاعي:

إذا أَنتَ لَم تَغفِرْ ذُنُوبًا كَثِيرَةً ... تَرِيبُكَ لَم يَسلم لَكَ الدَّهرَ صاحِبُ
ومَن لا يُغَمِّضْ عَينَهُ عَن صَدِيقِهِ ... وعَن بَعضِ ما فيهِ يَمُتْ وهْوَ عاتِبُ
ومَن يَتَتَبَّعْ جاهِدًا كُلَّ عَثرَةٍ ... يَجِدْها ولا يَسلم لَهُ الدَّهْرَ صاحِبُ[(١)]

* وقال بعض الشُّعراء:

أُصْفُ ضَمِيرًا لِمَنْ تُعاشِرُهُ ... وَاسكُنْ إلى ناصِحٍ تُشاوِرُهُ
وَارْضَ مِنَ المَرءِ في مَوَدَّتِهِ ... بِما يُؤَدِّي إلَيكَ ظاهِرُهُ

(١) البيتان الأخيران لكثير عزة من قصيدة له في ديوانه، مطلعها:
أشاقكَ برقٌ آخرَ الليلِ واصِبُ ... تَضمَّنهُ فَرْشُ الجَبَا فالمَسَارِبُ
وأما البيت الأول مع الثاني فقد نسبهما ابن داود الأصبهاني في كتابه "الزهرة" للشاعر العرجي.

مَن يَكشِفِ النَّاسَ لا يَجِدْ أَحَدًا    تَنصَحُ مِنهُمْ لَهُ سَرائِرُهُ
أَوشَكَ أَلَّا يَدُومَ وَصْلُ أَخٍ    في كُلِّ زَلَّاتِهِ تُنافِرُهُ

* وقال حَمْدُ بن محمَّد بن إبراهيم الخطَّابي:

وما غُمَّةُ الإنسانِ مِنْ شُقَّةِ النَّوَى    ولكِنَّها واللهِ مِن عَدَمِ الشَّكْلِ
وإنِّي غَرِيبٌ بَينَ بُسْتٍ وأَهْلِهَا    وإن كانَ فيها أُسرَتِي وبِها أَهْلِي

* قيل لعبد الملك بن مَرْوان: ما أفدتَّ في مُلكِك هذا؟

قال: مودَّة الرِّجال.

* ووصَّى بعض الأدباء أخًا له، فقال: كُن للوُدِّ حافِظًا، وإن لم تَجِد محافِظًا، وللخِلِّ واصِلًا، وإن لم تَجِدُ مُواصِلًا.

* وقال أبو العَتاهِيَة:

ولِلقَلْبِ عَلَى القَلْبِ    دَلِيلٌ حِينَ يَلقَاهُ
ولِلنَّاسِ عَلَى النَّاسِ    مَقايِيسٌ وأَشْباهُ
يُقاسُ المَرْءُ بالمَرْءِ    إذا ما هُوَ ماشَاهُ

* قال صَعْصَعَةُ بن صُوحان لابن أخيه:

إذا لقيتَ المؤمن فخالِطْه، وإذا لقيتَ الفاجرَ فخالِفْه، ودِينَك فلا تكلِمَنَّه.

* وحكى الأصمعيُّ عن بعض الأعراب أنَّه قال: تناسَ مساوئ الإخوان، يَدُمْ لكَ ودُّهم.

* قال بعض الحُكماء:

لا تكثرنَّ معاتبةَ إخوانِك فيهونَ عليهم سَخَطُك.

* وقال ابن الرُّومي:

إذا أنتَ عاتَبتَ المَلُولَ فإنَّما    تَخُطُّ عَلى صُحْفٍ مِنَ الماءِ أَحْرُفَا

وهَبْهُ ارْعَوَى بعدَ العِتابِ أَلَم تَكُنْ مَـوَدَّتُـهُ طَـبْـعًـا فَـصـارَتْ تَـكَـلُّـفَـا

* قال شَبِيبُ بن شَيْبَة: إخوان الصَّفاء خيرٌ من مكاسِب الدنيا، هم زينةٌ في الرخاء، وعُدَّة في البلاء، ومعونةٌ على الأعداء.

* وقالوا: خيرُ الإخوان مَن أقبلَ عليك إذا أدبَر الزمانُ عنك.

* يُروى أنَّ داود قال لابنه سليمان: يا بنيَّ؛ لا تستقلَّ عدوًّا واحدًا، ولا تستكثِر ألفَ صديق، ولا تستبدِل بأخٍ قديم أخًا مستحدثًا ما استقامَ لك.

* وأنشد ابنُ الأعرابي:

لَـعَـمـرُكَ مـا مـالُ الـفَـتَـى بِـذَخِـيـرَةٍ ولَـكِـنَّ إخـوَانَ الـصَّـفـاءِ الـذَّخـائِـرُ

* أنشد العُتْبِي:

لـي صَـدِيـقٌ يَـرَى حُـقُـوقِـي عَـلَـيـهِ نـافِـلاتٍ وحَـقَّـهُ الـدَّهـرَ فَـرْضَـا
لَـو قَـطَـعـتُ الـبِـلادَ طُـولًا إلَـيـهِ ثُـمَّ مِـن بَـعـدِ طُـولِـها سِـرتُ عَـرْضَـا
لَـرَأَى مـا فَـعَـلـتُ غَـيـرَ كَـثِـيـرٍ واشتَهَى أَن يَزِيدَ في الأرضِ أَرضَا

* قال أبو جعفرٍ الشَّيبانيُّ: أتانا يومًا أبو العبَّاس الشاعر ونحن في جماعة، فقال: ما أنتم فيه، وما تتذاكرون؟

قُلنا: نذكر الزمانَ وفسادَه.

قال: كلَّا؛ إنَّما الزمانُ وِعاء، وما أُلقِي فيه من خير أو شرٍّ كان على حاله، ثم أنشأ يقول:

أَرَى حُـلَـلًا تُـصـانُ عَـلـى أُنـاسٍ وأَخـلاقًـا تُـداسُ فَـمـا تُـصـانُ
يَـقُـولُـونَ: الـزَّمـانُ بـهِ فَـسـادٌ وهُـمْ فَـسَـدُوا وَمـا فَـسَـدَ الـزَّمـانُ

* وقال عليُّ بن مُعاذ:

ثـالَـبَـنِـي عَـمـرٌو وثـالَـبْـتُـهُ فـأَثِـمَ الـمَـثـلُـوبُ والـثَّـالِـبُ

قُـلـتُ لَـهُ خَـيـرًا وقـالَ الـخَـنَـا    كُــلٌّ عَــلَــى صــاحِــبِــهِ كــاذِبُ

❋ قال كَعْبُ بن زُهَير:

إذا أَنتَ لَم تُعرِضْ عَنِ الجَهلِ والخَنَا    أَصَبتَ حَلِيمًا أَو أَصابَكَ جاهِلُ

❋ وقال الإمامُ الشافعي:

إذا الـمَـرْءُ لا يَـرعـاكَ إلَّا تَـكُـلُّـفَـا    فَـدَعْـهُ ولا تُـكـثِـرْ عَـلَـيـهِ الـتَّـأَسُّـفَـا
فَفي النَّاسِ أَبْدالٌ وفي التَّركِ راحَةٌ    وفي القَلبِ صَبرٌ لِلحَبِيبِ وَلَو جَفَا
فَـمـا كُـلُّ مَـن تَـهْـواهُ يَـهْـواكَ قَـلْـبُـهُ    ولا كُلُّ مَن صافَيتَهُ لَكَ قَدْ صَفَا
إذا لـم يَـكُـنْ صَـفـوُ الـوِدادِ طَـبِـيـعَـةً    فَـلا خـيـرَ فـي خِـلٍّ يَـجِـيءُ تَـكَـلُّـفَـا
ولا خـيـرَ فـي خِـلٍّ يَـخُـونُ خَـلِـيـلَـهُ    ويَـلـقـاهُ مِـن بَـعـدِ الـمَـوَدَّةِ بِـالـجَـفَـا
ويُـنـكِـرُ عَـيـشًـا قَـد تَـقـادَمُ عَـهْـدُهُ    ويُظهِرُ سِرًّا كانَ بالأَمسِ قَدْ خَفَا
سَلامٌ عَلى الدُّنيا إذا لَم يَكُن بِهَا    صَدِيقٌ صَدُوقٌ صادِقُ الوَعدِ مُنصِفَا

❋ قال الشاعر:

وكُـلُّ أَخٍ عِـنـدَ الـهُـوَيـنَـى مُـلاطِـفٌ    ولَـكِـنَّـمـا الإخـوَانُ عِـنـدَ الـشَّـدَائِـدِ

❋ وقال سهلُ بن هارون:

خِـلٌّ إذا جِـئـتَـهُ يَـومًـا لِـتَـسـأَلَـهُ    أَعـطـاكَ ما مَـلَـكَـت كَـفَّـاهُ وَاعـتَـذَرَا
يُـخـفـي صَـنـائِـعَـهُ واللهُ يُـظـهِـرُهَـا    إنَّ الـجَـمِـيـلَ إذا أَخـفَـيـتَـهُ ظَـهَـرَا

❋ قال رُؤْبَةُ بن العَجَّاج: أتيتُ النسَّابةَ البكريَّ، فقال لي: مَن أنت؟

فقلت: أنا ابنُ العَجَّاج.

قال: قصَّرتَ وعرَّفت! لعلَّك من قوم إن سكتُّ عنهم لم يسألوني، وإن تكلمتُ لم يعُوا عنِّي؟ قلت: أرجو ألَّا أكونَ كذلك.

قال: ما أعداءُ المروءة؟

قلت: تُخبرُني.

قال: بنو عمِّ السُّوء؛ إن رَأَوا حَسَنًا ستروه، وإن رأوا سيِّئًا أذاعوا.

ثم قال: إنَّ للعلم آفةً، وهُجْنَة، ونُكْدًا؛ فآفتُه نِسيانُه، ونُكدُه الكَذِب فيه، وهُجنَتُه نَشرُه عند غير أهله.

* قال أكثَمُ بن صَيْفي: الانقباضُ عن الناس مَكسَبةٌ للعَداوة، وإفراطُ الأُنسِ مَكسَبةٌ لقُرناء السُّوء.

* وقال الشاعر:

إذا أَنا لَم أَصبِرْ عَلى الذَّنبِ مِن أَخٍ ... وكُنتُ أُجازِيهِ فَأَينَ التَّفاضُلُ؟!
إذا مَا دَهانِي مَفْصِلٌ فَقَطَعتُهُ ... بَقِيتُ وَما لِي للنُّهُوضِ مَفاصِلُ
ولَكِن أُداوِيهِ فَإِنْ صَحَّ سَرَّنِي ... وَإِنْ هُوَ أَعْيا كانَ فيهِ تَحامُلُ

* كتب حكيم إلى حكيم: إذا أردتَّ معرفةَ ما لك عندي، فضَع يدَك على صدرِك؛ فكما تجدُني كذلك أجِدُك.

* قال يَمُوتُ بن مُزَرَّع: سمعتُ أبي يقول: قرأتُ خمسين ألفَ بيت، وما وقع لي مثلُ هذا البيت مِن قوله:

وما أَنا بالشَّيءِ الذي لَيسَ نافِعِي ... ويَغضَبُ مِنهُ صاحِبِي بِقَؤُولِ

* قال أحدُ الشُّعراء:

إذا رَأيتُ انحِرافًا مِن أَخِي ثِقَةٍ ... ضاقَت عَلَيَّ بِرَحْبِ الأرضِ أَوْطانِي
فإن صَدَدتُّ بوَجهِي كَي أُكافِئَهُ ... فَالعَينُ غَضبَى وقَلبِي غَيرُ غَضبانِ

* وكتب عبد الصَّمد بن المعذَّل إلى محمَّد بن بشَّار:

مَن لَم يُرِدكَ فَلا تُرِدْهُ ... لِتَكُن كَمَن لَم تَستَفِدْهُ
باعِدْ أَخاكَ لِبُعْدِهِ ... وإذا دَنا شِبْرًا فَزِدْهُ

كَم مِن أَخٍ لَكَ يا بنَ بَشْـ ـشَارٍ وأُمُّكَ لم تَلِدْهُ
وَأَخِي مُنَاسَبَةٍ يَسُو ؤكَ عَيبُهُ لم تَفتَقِدْهُ

فأجابَه محمَّد بن بشَّار:

غَلِطَ الفَتَى في قَولِهِ: مَن لم يُرِدْكَ فَلا تُرِدْهُ
مَن نَافَسَ الإخوانَ لم يُبدِ العِتابَ ولم يُعِدْهُ
عاتِبْ أَخاكَ إذا هَفَا واعْطِفْ بِوُدِّكَ واستَعِدْهُ
وإذا أَتاكَ بِعَيبِهِ واشٍ فَقُل: لَم يَعتَمِدْهُ

## تقديرٌ في محَلِّه

أقبلَ المنصورُ يومًا راكبًا، والفَرَجُ بن فَضالَةَ جالسٌ عند باب الذَّهَب، فقام الناس إليه، ولم يقُم؛ فاستشاط المنصورُ غيظًا وغضبًا، ودعا به، فقال: ما منعَك من القيام مع الناس حين رأيتَني؟ قال: خِفتُ أن يسألني الله تعالى: لم فعلتَ؟ ويسألكَ عنه: لم رَضِيتَ؟ وقد كَرِهه رسولُ الله ﷺ.

فسكَن غضبُه، وقرَّبه، وقضى حوائجَه.

* وقال الأستاذ محمَّد سعيد العامودي:

يا صَدِيقِي وما انتِفاعُ أَخِي الدُّنْـ ـيا بِحِلمٍ يَشِينُهُ استِعلاءُ
أوَلَيسَ الخَلِيقُ بالسَّامِقِ الأَخْـ ـلاقِ أَلَّا يَغُرَّهُ إغرَاءُ؟!
ما التَّعالِي؟ ما الاسْتِطالَةُ؟ مَا الإعْـ ـجابُ بِالنَّفسِ؟ كُلُّها إغوَاءُ
إنَّما يَرفَعُ العَظِيمَ - إذا كا نَ عَظِيمًا - سَماحَةٌ وَصَفاءُ

* وقال الشاعر:

ولَمَّا رَأيتُكَ لا فاسِقًا تُهابُ ولا أنتَ بِالزَّاهِدِ
ولَيسَ عَدُوُّكَ بِالمُتَّقِي ولَيسَ صَدِيقُكَ بالحامِدِ

أَتَيتُ بِكَ السُّوقَ سُوقَ الرَّقِيقِ فَنَادَيتُ هَل فِيكَ مِن زائِدِ؟
عَلى رَجُلٍ غادِرٍ بالصَّدِيقِ كَفُورٍ لِنَعْمائِهِ جاحِدِ
فَما جاءَنِي رَجُلٌ واحِدٌ يَزِيدُ عَلى دِرهَمٍ واحِدِ
سِوَى رَجُلٍ حانَ مِنهُ الشَّقاءُ وحَلَّت بِهِ دَعوَةُ الوالِدِ
فَبِعتُكَ مِنهُ بِلا شاهِدٍ مَخافَةَ رَدِّكَ بِالشَّاهِدِ
وأُبتُ إلى مَنزِلِي سالِمًا وحَلَّ البَلاءُ عَلى النَّاقِدِ

* وكان جعفرٌ الصادق يقول: لا تُفتِّش على عَيبِ الصديق؛ فتبقى بلا صديق.

* قال بعض الشُّعراء:

صَدِيقِي مَن يُقاسِمُني هُمُومِي ويَرمِي بالعَداوَةِ مَن رَمانِي
ويَحفَظُني إذا ما غِبتُ عَنهُ وأَرجُوهُ لِنائِبَةِ الزَّمانِ

* ويُقال: احتمِل لأخيكَ ثلاثًا: الغضب، والدَّالَّة، والهفوَة.

* قال أحد الشُّعراء:

ليسَ الصَّدِيقُ الذي إن زَلَّ صاحِبُهُ يَومًا رَأَى الذَّنبَ مِنهُ غيرَ مَغفُورِ
وإن أَضاعَ لَهُ حَقًّا فَعاتَبَهُ فيهِ أَتاهُ بِتَزوِيقِ المَعاذِيرِ
إنَّ الصَّدِيقَ الذي أَلفاهُ يَعذِرُ لِي ما ليسَ صاحِبُهُ فيهِ بِمَعذُورِ

* وكان حمَّاد بن سَلَمَةَ إذا رأى مَن يستثقِلُه قال: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ١٢﴾ [الدخان: ١٢].

* وقال حميد بن مالك بن مُغيث:

أَدنُو بِوُدِّي وحَظِّي مِنكَ يُبعِدُني هَذا لَعَمْرُكَ عَينُ الغَبْنِ والغَبَنِ
وإن تَوَخَّيتَنِي يَومًا بِلائِمَةٍ رَحَّبتُ باللَّوم إبقاءً عَلى الزَّمَنِ
وحُسنُ ظَنِّيَ مَوقُوفٌ عَلَيكَ فَهَل عَدَلتَ في الظَّنِّ بِي عَن رَأيِكَ الحَسَنِ؟!

* قال رجل لآخر: بلَغَني عنكَ أمرٌ قبيح!

فقال: يا هذا؛ إنَّ صُحبةَ الأشرار، ربَّما أورثَت سوءَ ظنٍّ بالأخيار.

* قال صالح بن عبد القدُّوس:

تَجَنَّب صَدِيقَ السُّوءِ واصرِمْ حِبالَهُ    وإن لم تَجِد عَنهُ مَحِيصًا فَدارِهِ
ومَن يَطلُبِ المَعرُوفَ من غَيرِ أَهلِهِ    يَجِدْهُ وَراءَ البَحرِ أَوْ في قَرارِهِ
وللهِ في عُرْضِ السَّمَواتِ جَنَّةٌ    ولكِنَّها مَحفُوفَةٌ بِالمَكارِهِ

* وقال أبو العَتاهِيَة:

إحذَرِ الأَحمَقَ أَن تَصْحَبَهُ    إنَّما الأَحمَقُ كالثَّوبِ الخَلِقْ
كُلَّما رَقَّعتَهُ مِن جانِبٍ    زَعزَعَتهُ الرِّيحُ يَومًا فانخَرَقْ
أَو كَصَدْعٍ في زُجاجٍ فاحِشٍ    هَل تَرَى صَدْعَ زُجاجٍ يَلتَصِقْ؟!
فإذا عاتَبتَهُ كَي يَرْعَوِي    زادَ شَرًّا وتَمادَى في الحُمُقْ

* قال الشاعر:

أُناسٌ كَما تَدرِي ودُنيَا بِحالِهَا    ودَهرٌ رَخِيٌّ تارَةً وعَسِيرُ
وأَحوالُ خَلقٍ غابِرٍ مُتَجِدِّدٍ    تَشابَهَ فِيها أَوَّلٌ وأَخِيرُ
تَمُرُّ تِباعًا في الحَياةِ كأَنَّهَا    مَلاعِبُ لا تُرخَى لَهُنَّ سُتُورُ
وحِرصٌ عَلَى الدُّنيَا ومَيلٌ مَعَ الهَوَى    وغِشٌّ وإفكٌ في الحَياةِ وزُورُ

* قيل: مَن طلب ثلاثةً لم يسلَم من ثلاثة: مَن طلب المال بالكيمياءِ لم يسلَم منَ الإفلاس، ومَن طلب الدِّين بالفلسفةِ لم يسلَم منَ الزَّنْدَقَة، ومَن طلبَ الفِقهَ بغرائب الحديث لم يسلَم من الكذب.

* وقالوا: إحسان المسيءِ أن يكُفَّ عنكَ أذاه، وإساءةُ المحسِن أن يمنعَك جَدواه.

* وقال المثقَّب العبدي؛ واسمه: عائذُ الله بن مِحصَن بن ثَعْلَبَة:

فإمَّا أن تكونَ أخي بِحَقٍّ فأَعرِفَ مِنكَ غَثِّي مِن سَمِينِي
وإلَّا فاطَّرِحْنِي واتَّخِذْنِي عَدُوًّا أَتَّقِيكَ وتَتَّقِينِي
فإنِّي لو تُخالِفُني شِمالِي خِلافَكَ ما وَصَلتُ بِها يَمِينِي
إذًا لَقَطَعتُها ولقُلتُ: بِينِي كَذلِكَ أَجتَوِي مَن يَجتَوِينِي

* قال حُجَيَّةُ بن المُضَرَّب:

أَخوكَ الذي إن قُمتَ بالسَّيفِ عامِدًا لِتَضرِبَهُ لم يَستَغِشَّكَ في الوُدِّ
ولو جِئتَ تَبغِي كَفَّهُ لِتُبِينَهَا لَبادَرَ إشفاقًا عَلَيكَ مِنَ الرَّدِّ
يَرَى أنَّهُ في الوُدِّ كانَ مُقَصِّرًا عَلى أنَّهُ قَد زادَ فيهِ عَلى الجَهْدِ

* وقال صالح بن عبد القدُّوس:

لا أَخُونُ الخَلِيلَ في السِّرِّ حتَّى يُنقَلَ البَحرُ في الغَرابِيلِ نَقلَا
أو تَمُورَ الجِبالُ مَوْرَ سَحابٍ مُثْقِلاتٍ وَعَت مِنَ الماءِ حَمْلَا

## صداقةٌ وَطيدة

كانَا صديقَين تجمعُ بينَهما صداقةٌ من أعزِّ الصداقات وأجملِها، فكانَا زميلَين في الدِّراسة وكأنَّهما أخوان أو أقرب، وكانَا يتَّصفان بالدِّين والشهامة، والاجتهاد في طلب العلم، وقد اختلف عملُهما الوظيفيُّ بعد الدِّراسة، ولكن صلاتِهما الأخويَّة وصداقتَهما المتينة لم تتزعزَع، وثقة كلٍّ منهما في صاحبه لم تتغيَّر، وقد عجِب كثيرون من زملائهما كيف استمرَّا على صداقتهما، وحاول بعضُ الوشاةِ إفسادَ الودِّ بينهما، فلم يُفلحوا.

وكان السِّرُّ في هذا الحفاظِ على الصداقة أنَّ محبَّتَهما كانت في الله، وأنَّهما كانَا على درجة من الوعي، وسلامةِ القلب؛ فلم يكن للدسائس

والوِشايات أثرٌ في تكدير وُدِّهما، بل كانت صداقتُهما تزداد متانةً ورسوخًا، وثقتُهما في بعضهما تقوَى وتشتدُّ، وهكذا ضربَا مثلًا في الوفاء والإخاء، والحفاظِ على الودِّ في عصرٍ كادتِ العَلاقاتُ المادِّية والمصالِحُ الشخصيَّة أن تَطغَى على الخِلال الكريمة، والروابط الحَسَنَة.

● قال أبو فِراسٍ الحَمْداني:

وهَل يَدفَعُ الإنسانُ ما هُوَ واقِعٌ     وهَل يَعلَمُ الإنسانُ ما هُوَ كاسِبُ

## تضخيمُ التوافِه

اثنان حَصَل بينهما سوءُ تفاهم قليل، واستشار أحدُهما صديقًا له، فهوَّل عليه وضخَّم، وجعل سوءَ التفاهم هذا كأنَّه كارثة من الكوارث، وكأنَّه أمرٌ لا يَقبل الوِفاق والتصافي، واستعادة الثقة، وصوَّر له الحادث كأنَّه (حرب البَسُوس)!

ولم يقنَع بمشورة صاحِبه، فاستشار صديقًا له آخرَ، فهوَّن عليه الأمر، واستغرب أن يحدُث سوء تفاهم بين صديقَين، وازداد غرابةً ودهشةً أن يكون لسوء التفاهم هذا أثرٌ لا يُمحَى في حينه، وحثَّه على المسارعة للصُّلح والمسامحة، وأنبأه أنَّ ما حَدَث لا يستحقُّ الجَفاءَ والتباغُض، وأنَّ الناس لو تباغضوا عند أقلِّ اختلافٍ لأصبحَت حياتُهم جحيمًا لا يُطاق، ولأضحَت معيشتُهم نَكَدًا وبؤسًا.

وقال: إنَّ الدِّين والفِطرة، والعاداتِ الكريمة، والخصالَ الحميدة، كلُّها تدعو للوِفاق والتعاون، والتفاهم بين المسلمين، وقد نهى الإسلامُ عن التقاطع والتدابُر، والشحناء والبغضاء، والهِجران، وهكذا زالت مِن نفس صاحبه المَوجِدَة التي وجَدَها على أخيه، وعاد الصفاءُ بينهما كأحسنِ ما يكون الصفاء.

## الرِّفق والتأنِّي

إنَّ في تعاليم الإسلام وآيات القرآن من الحِكَم والأسرار والمنافِع ما يعجِز الإنسانُ أن يحيطَ ببعضه، وإنَّ من الحِكم العظيمة التي دعا إليها الإسلام مقابلةَ المسيء بالإحسان والعفو والصفح، والإعراض عن الجاهلين.

أعرِف صديقًا بدَرَ لي منه إساءةٌ، وأتبعَها بإساءات، وفكَّرتُ في مقابلته بالمِثل وأكثر، وانشغل ذِهني وردَّدتُّ في نفسي: مَن الذي يقلب لصديقه ظهرَ المِجَنِّ، ويحاول الإضرارَ به، والوِشايةَ والتحريض؟! ووجدتُّ أنَّ نتيجة الخِصام لن تكون هي الطريقَ الأسلم، وتجاهلتُ إساءاته، فعاد يُكفِّر عن خطيئته، وبإشارات لطيفة أفهمتُه أنَّني علمتُ بما صدر منه نحوي.

وكان موقفي معه موقفًا أذهلَه، خاصَّة وأنَّه لم يقتصِر على الصفح، وإنَّما تجاوزَه إلى الحَفاوةِ به وتكريمه؛ عملًا بقول الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣]، لقد أصبح هذا الرجل يُثني، ويُنوِّه ويمدَح، ونَدِمَ على ما بدَرَ منه، وما برحتُ أتمنَّى أن أُعامِل أصدقائي بمثل معاملتي لهذا الصديق الذي كان الحِلمُ والصفحُ سببًا في اكتساب وُدِّه، وبقاء أواصِر الصداقةِ متينةً قويَّة، بل إنِّي أودُّ أن تكونَ هذه حالي مع مَن يبدُر منه إساءةٌ لي، وإن كنتُ في حالات لا أكون كذلك، ولكنِّي أعاتِب نفسي بعدَ ذلك وألومُها، وأعِدُ بأنِّي لن أكرِّر الغضبَ ومقابلةَ السيِّئة بالسيِّئة، وأرجو أن أستطيع.

## المهموم

لقيتُه مهمومًا كأنَّه يحمل على كتفَيه الضعيفتَين كلَّ أعباءِ الحياة، ومتاعِب

الدُّنيا، واستدرجتُه لأعرفَ مشكلته، ولم يكد ينتهي من سَرْدِها، حتى كنت أغالِبُ الضحك، وأتجلَّد حتى لا أُوذي مشاعرَه المرهَفة، وقَلبَه الرقيق.

وقلتُ له: هوِّن عليك، فهذه المشكلةُ كما تصوَّرتُها ليسَت بهذه الدرجة من الخُطورة، وعلى تلك الحالة التي ظننتُها، فهي أسهلُ ممَّا تتصوَّر، وأقلُّ ممَّا تتوهَّم، وبشيء من التفكير والمواجهة تنحلُّ هذه المشكلة - بإذن الله - وتُصبِح ذكرى تضحَكُ منها طويلًا عندما تعلم مقدارَ ما حلَّ بك من همٍّ، وما أصابكَ من تعب، مع أنَّها سهلةٌ إلى هذا الحدِّ، ويسيرة إلى ذلك الأمَد.

وهكذا نُنفق الأوقاتَ الثمينة في توهُّمات ومخاوف، قد تكون عندَ المواجهة شيئًا يسيرًا جدًّا، وعند ذاك نتحسَّر على أوقات ضاعَت هدَرًا، وتفكير شاغِل في أمور طفيفة.

## أسباب ومسبَّبات

قد يعارِض واحدٌ من الناس رأيًا لآخرَ، ويقسو في معارضته، ويردُّ الآخرُ الصاعَ صاعَين، وتحتدم المعركة، وتتحوَّل من موضوع يسير يمكن التفاهمُ عليه بسهولة إلى حالة حربٍ مستعِرة، لا يقتصر طعنُها وضربُها على البادئين بها، وإنَّما يتَّسع مَيدانها، ويكثُر جندُها، ويتساقط قَتلاها وجَرحاها، ويعلو شتمُها وغمزُها، والتحقير فيها إلى أشخاص آخرين.

وربَّما كانت من السُّهولة بحيث يبدو ما يجري فيها مُضحِكًا، وكان من اليسير جدًّا أن تعالَج بحِكمة وبرفق، وقد يكون الموضوع المختَلَف عليه مُتَّفَقًا عليه في الحقيقة بين المتنازعَين، ولكن سوء الفَهم حوَّل الوِفاق إلى خلاف.

ثم صوَّر الوهمُ المريض أو المتسرِّع ذلك الخلافَ الصغير إلى شيء لا يُحتمل ولا يُطاق، وحَسَمه بدرجة يصعُب معها التفاهم والمناقشة الهادئة،

فكانتِ الألفاظ الخشنة والكلمات القاسية سببًا لإثارة الشحناء، والتنابُز بالألقاب، والتقاطع والهِجران، والأمثلةُ على هذا كثيرة في قديم الزمان وحديثه!

فهل نَعتَبِر بالماضي، ونستفيد من الأحداث، ونعدل إلى الطريق الأسلَم، والنهج الأقوَم؟!

## حلُّ المشكلات

كثيرٌ من المشكلات الكبيرة سببُها أقلُّ شأنًا، وأسهل ممَّا يتصوَّر مَن تعنيهم، فرُبَّ أمر تافهٍ سبَّب سوءَ تفاهم ونزاع، لو عُولِج بحِكمة، ونُوقش بودٍّ ومفاهمة، ومُعاتبة غير جارحة ولا مؤذية، لزالت آثارُه، وحلَّ محلَّ الخصام فيه الحبُّ والأُلفة، ولكنَّه إذا تُرِك للوهم يُضخِّمه، وللتصوُّرات الخاطئة تَحكُمه، وللواشين والنمَّامين يُشعِلون أُوارَه، ويسعون لتفاقُمه، فإنَّه يستفحل، ويصعُب عِلاجُه، وتسوء نتائجه، وكثيرًا ما يتجاوز شرُّه مَن قَدَح زِنادَه وَأَورَى نارَه، إلى غيرهم مِن آلِهم وذَويهم، وأعوانِهم وأحفادِهم، وأصبحَ كما وصفَ أبو الطيِّب:

وجُرْمٍ جَرَّهُ سُفَهاءُ قَومٍ وحَلَّ بِغَيرِ جارِمِهِ العِقابُ

وقيل في الأمثال: الآباء يأكلونَ الحِصْرِم، والأبناء يَضرَسون، فلماذا لا تحُلُّ الحكمة محلَّ الطيش، وحسنُ الظن بدلَ سوئه، والودُّ مكانَ العَداء؛ وقد أمر الله المسلمين بالتسامح، والتوادِّ والوِفاق، وذلك من سعادة الأمَّة ونجاحها؟!



## الكمالُ لله وحدَه

الذي يطلب مِن الناس الكمال والسلامة مِن كلِّ عيبٍ ونَقص، فقد طَلَب المُحال، ورامَ المستحيل.

وإذا نظَرنا إلى الناس من خلال حسناتهم وفضائلهم، فإنَّا نجد خيرًا كثيرًا، وإذا أردنا أُناسًا مبرَّئين من العيوب - أيًّا كان نوعها - فذلك ممَّا لا يُمكن.

ولكنَّ الذي تغلِب عليه صفةُ الخيِّرين فهو فاضل، والذي تغلِب عليه صِفةُ الشرِّ، فهو سيِّئ.

وواجبُ الإنسان أن يحرِص على الدعوة للحقِّ، والتنفير من الشرِّ، والترغيب في الخير، وأن يسعى لهداية الناس بقدر استطاعته؛ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

ولو أنَّ المرء لم يتغاضَ عن زلَّات إخوانه، وهفَوات أصدقائه، ولم يبحَث عن مَخرَج حسنٍ لكلمات قد تكون محتمِلةً للإحسان والإساءة - ما دام يَجِدُ للظنِّ الحسن محملًا - فإنَّه سيجد نفسَه وحيدًا، لا صديقَ له ولا رفيق ولا صاحِب، ويرى أنَّه خَسِر في مجال الإرشاد والنصيحة، والموعظة الحسنة أضعافَ ما كان يحسَبه رِبحًا بالتشدُّد والقسوة، ورَوم الكمال.

## العُزلة

هناك مَن يُفضِّل العُزلة والانطواء، ويكاد يعيش في عالَم وحدَه، وهذا الصِّنف من الناس: إمَّا زاهد قد فَهِم الزُّهدَ على غير حقيقته، والنجاةَ على غير معناها، وإن زعمَ للعُزلةِ محاسن، فإنَّ في الخِلطَة من الفضائل أكثرَ إذا ما أُحسِن أمرُ الخِلطة، واستُفيد منها على وجهٍ صحيح.

وإمَّا إنسان مؤثِر للراحة على الإزعاج، وهارب من المجتمع، طالِب للسلامة، ولو أنَّه أمعن النظر لأدركَ أنَّ العُزلة لا تَحُلُّ المشاكل، ولا تحوي من المنافع ما تحويه الخِلطةُ ومشاركةُ الناس في آلامهم وآمالهم، والاهتمام بشؤونهم وإرشادهم، والتعاون معهم على الخير.

## والعُزلةُ أيضًا

مِن الناس مَن يُفضِّل العزلة، ويرتاح للانزِواء، ويبتعد عن مخالطةِ الناس، ويحسَب في ذلك النجاةَ والسلامة، ومنهم مَن يُضيِّع أوقاتَه سُدًى، ويُمضي أيَّامه ولياليَه فيما لا جدوى منه ولا فائدة، وقد يكون فيه الإثمُ والأوزار، كالقيل والقال، والغِيبة والنميمة، والوِشاية، وإفساد ذات البَين، وزرع الشُّكوك، والفُرقة والخِصام، وإثارة العصبيَّات الجاهليَّة، والأحقاد القديمة، وتفكيك الروابط الأخويَّة، والصِّلات السامية.

وخيرٌ للمرء أن يُخالِط الناس في الخير، وينأى عن الشرِّ، وأن يكون مُرشِدًا إلى الصالح، محذِّرًا عن الضارِّ، متعاونًا مع إخوانه على البرِّ والتقوى، وما يعود بالنفع والصلاح.

* قال المنصور: صحبتُ رجلًا ضريرًا إلى الشام وهو يريد مَرْوان بن محمَّد بشِعر مدَحَه به، فسألتُه أن يُنشِدَنيه فأنشد:

لَيتَ شِعْرِي أَفاحَ رَائِحَةُ الطِّيـ ـبِ وَما إنْ إخالُ بِالخَيْفِ إنْسِي
حِينَ غابَت بَنُو أُمَيَّةَ عَنهُ والبَهالِيلُ مِنْ بَنِي عَبدِ شَمْسِ
خُطَباءٌ عَلَى المَنابِرِ فُرْسَا نٌ عَلَيها وقَالَةٌ غَيرُ خُرْسِ
لا يُعابُونَ صامِتِينَ وإنْ قَا لُوا أَصابُوا ولم يُعابُوا بِلَبْسِ
بِحُلُومٍ إذا الحُلُومُ استُخِفَّتْ ووُجُوهٍ مِثلِ الدَّنانِيرِ مُلْسِ

قال: فوالله ما فَرَغ من إنشاده حتى ظننتُ أنَّ العمى قد أدركني! وحججتُ في سنة إحدى وأربعين ومئة وأنا خليفة، فنزلتُ عن الجُمَّازَة (الناقة المسرعة) أمشي في حَبْلَي زَرُود؛ لنذرٍ كان عليَّ، فإذا أنا بالضَّرير فأومأتُ إلى مَن معي أن تأخَّروا، وتقدَّمتُ إليه، فسلَّمتُ عليه وأخذتُ بيده، فقال: مَن أنت، جعلني الله فداك؟

قلت: رفيقُك إلى الشام وأنت تريدُ مَرْوان بن محمَّد.

فسلَّم عليَّ، وأنشأ يقول:

آمَتْ نِساءُ بَنِي أُمَيَّةَ بَعدَهُمْ ... وبَناتُهُمْ بِمَضِيعَةٍ أَيتامُ
نامَت جُدودُهُمُ وأُسقِطَ نَجمُهُمْ ... والنَّجْمُ يَسقُطُ والجُدُودُ تَنامُ
خَلَتِ المَنابِرُ والأَسِرَّةُ مِنهُمُ ... فَعَليهِمُ حَتَّى المَماتِ سَلامُ

قلت له: كم كان مَرْوان أعطاك؟

قال: أغناني؛ فلا أسألُ أحدًا بعدَه؛ أعطاني أربعة آلاف دينار، وملَّكني الجواريَ والغِلمان.

قلت: وأين ذاك؟

قال: بالبصرة.

قال المنصور: فهممتُ به، ثم ذكرتُ حُرمَة الصُّحبة، فقُلت له: أتعرفُني؟

قال: ما أُثبِتُكَ من معرفة، ولا أُنكِرُك مِن سوء.

قلت: أنا المنصور أميرُ المؤمنين!

فوقع عليه الرِّعْدة، ثم قال: يا أميرَ المؤمنين؛ أقِلْني عَثرتي؛ فإنَّ القلوب جُبِلت على حبِّ مَن أحسن إليها، وبُغض مَن أساء إليها!

فانصرفتُ عنه، فلمَّا نزلتُ المنزل بدَا لي مسامرةُ الضرير، فتقدَّمت بطلبه فلم يُرَ.

## السَّير في الأرض

أمَرَ الله عبادَه بالمسير في الأرض للتفكُّر والاعتبار، وأخذِ الموعظة، في الصَّيف والعُطلة الدِّراسيَّة يكون ازدحامُ المطارات بالمسافرين، وامتلاء القطارات والسيَّارات بالغادين والرائحين، فهل هذه الأسفارُ التي تُقطع فيها المسافاتُ الشاسعة والأماكن النائية للعِبرة والاتِّعاظ، والتفكُّر في مخلوقات الله؟! حتى يزدادَ المؤمن إيمانًا، وهو يرى البِحارَ العظيمة، والأنهارَ المنسابَة، والجِبالَ الشاهقة، والأشجارَ الخضراء، والألسُنَ المختلِفة، والألوانَ المتباينة، والطبائعَ المتضادَّة، وآثار الأُمَم الغابرة، والدِّيار الداثرة، والأقوام البائدة؟!

وهل يستفيد علمًا، وخِبرةً وفهمًا؟ وهل يأكل مِنَ الطيِّبات والمباحات، ويشرب من الحلال النقي، ويَحمَد الله على فَضله؟ وهل ينشرُ العِلم، ويدعو للحقِّ، ويؤدِّي الواجبَ عليه؟

إذا كانتِ الرِّحْلات لمثل هذه الأغراض، فأنعِم بها وأكرِم! أمَّا إذا كانت لأغراض غير حَسَنة، وأهداف غير كريمة، ففيها ضررٌ في الدِّين والدُّنيا، والآجل والعاجل.

## الاستفادةُ من الرِّحْلات

في كلِّ صَيْف يذهب مئاتٌ وألوف من بلادنا، ويذهب من بُلدان العالَم الإسلامي عشراتُ الألوف أو مئاتها للاصطياف والترفيه، ومِن هؤلاء الأديبُ

والعالِم، والصَّحفيُّ والمثقَّف، وكان حريًّا أن يُسمع بنشاط هؤلاء في النواحي العِلميَّة والثقافيَّة، ونشر دعوة الإسلام، وإلقاء المحاضرات والنَّدَوات، ومقابلات العلماء والأُدباء، ومباحثاتهم فيما يعود بالخير والنفع على أمَّة الإسلام.

ولكنَّ القليلين جدًّا الذين نسمع ونقرأ شيئًا من نشاطهم في هذه الميادين، ولستُ أعرف تعليلًا منطقيًّا لهذا التقصير، ومهما كانتِ المبرِّرات التي ستُقال، فإنَّها - بالتأكيد - غيرُ كافية للإقناع.

وهذه كلمةٌ للذِّكرى، وعسى أن نجدَ بين مَن يغادرون البلادَ إلى المصايف والنُّزهات مَن يُؤدُّون بعضًا من الواجب عليهم في هذا المِضمار، وإنَّا لمنتظرون!

## الشُّعور بالمسؤوليَّة

الشُّعور بالمسؤوليَّة والإحساس بالواجب عنوانُ رُقيِّ الأمَّة وعظمتها، فالفرد الذي يشعر بأنَّه مسؤول، وأنَّه لَبِنة في مجتمع يهمُّه إصلاحُه، ويُزعِجه فسادُه، ويتمنَّى أن يكون مجتمعًا راقيًا مزدهرًا، تسودُه المحبَّة والتآلُف، ويُوحِّده الدِّين والتقوى - هو شخص مدرِك لواجبه، مُقدِّر لِمَا يُراد منه.

أما مَن يُردِّد كلمة: (وما شأني؟) و(هذا ليس مِن اختصاصي)، و(كُل عيشًا واسلَم)، فذلك اتِّكاليٌّ مُهمِل، مقصِّر في واجبه.

ولنتصوَّر فداحةَ الخَطْب لو أنَّ خطرًا داهمًا يتهدَّد البلاد، سواء أكان فكريًّا أم عسكريًّا، وكلٌّ يقول مقالةَ هذا الهارِب الراكن إلى الدَّعَة والمذلَّة، ماذا تكون النتيجة؟!

فليتَ الناس يشعرون بمسؤوليَّاتهم، ولا يُصيخون للمتردِّدين المخذِّلين، الذين يُفضِّلون العجز على الحَزْم، والهَزلَ على الجِدِّ.

## أموالُ الدولة

يتساهل بعض الناس في أموال الدولة، ويستحلُّ أخذَها بكلِّ وسيلة، وربَّما يُفاخر بأنَّه كان منه الذكاء والمهارة، بحيث قدَرَ أن يختلِس، وينهَبَ ويحتال؛ ليأخذَ من أموال الدولة بغير حقٍّ، وما عَلِم أنَّه يَرمي نفسَه بالعار والشَّنار، والغَدر والخِيانة، والتعدِّي والظُّلم.

فمالُ الدولة هو بيتُ مال المسلمين، ولكلِّ مسلم حقٌّ فيه، وما الموظَّفون والقيِّمون على بيت المال وشؤون الدولة إلَّا خُزَّان وحُفَّاظ ورُعاة؛ يجب عليهم أن يؤدُّوا أمانتَهم التي ائتمنَهم الله عليها، ويجب عليهم ألَّا يتصرَّفوا في بيت المال إلَّا في ما يعود نفعُه للمسلمين، وفي مصلحة نافعة راجحة، فإذا أهملوا أو قصَّروا أو تهاونوا، فإنَّهم مَلومُون، وإذا اختلسوا ونهبوا وظلموا، فإنَّهم آثِمون؛ لأنَّهم قد خانوا الأمانة، وانتهكوا الوديعة، وتعدَّوا حدودَ الله في الأمانات، وظلموا أنفسَهم؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧﴾ [النساء: ١٠٧].

فليتَّقِ الله مَن تُسوِّل له نفسُه خيانةَ الأمانة، وليَتُب قبل أن يأتي يوم لا تنفعُ فيه خُلَّة ولا شفاعة، ولا حِيلةٌ ولا أعذار واهية.

* بعث زيادُ الحكمَ بن عمرو الغِفاريَّ واليًا على خُراسان، فأصاب مغنمًا، فكَتَب إليه زياد: إنَّ أمير المؤمنين معاوية كتب إليَّ ليأمرني أن أصطفيَ له كلَّ صفراء وبيضاء، فإذا أتاكَ كتابي هذا فانظُر ما كان من ذهب وفِضَّة،

فلا تَقسِمه، واقسِم ما سوى ذلك.

فكتب إليه الحكم:

إنِّي وجدتُّ كتاب الله قبلَ كتاب أمير المؤمنين، ووالله لو أنَّ السمواتِ والأرضَ كانتا رَتْقًا على عبد، فاتَّقى الله لجَعَل له منها مخرجًا، والسلام.

ثم أمر المناديَ فنادَى في الناس: أنِ اغدُوا على غنائمكم، فغَدَوا فقسمَها بينهم.

## إجابةٌ مُسهَبة!

قال طاهر بن الحسين لأبي عبد الله المَرْوَزِي: منذ كم صِرتَ إلى العراق يا أبا عبد الله؟

قال: دخلتُ العراق منذ عشرين سنة، وأنا أصوم الدهرَ منذ ثلاثين سَنَة!

قال: يا أبا عبد الله؛ سألناك عن مسألة، فأجبتَنا عن مسألتَين.

## المناصبُ العامَّة

مِن نجاح الأعمال وَضعُ الرجلِ المناسِب في المكان المناسب، وهذه قاعدةٌ معروفة سارَت مسارَ الأمثال، وليس لي عليها اعتراض، وإنَّما أتمنَّى أن أجَدِها حقيقةً واقعة.

بمثل هذه القاعدة - لو طُبِّقت - تُؤدَّى الأعمال بصورة مُرضِية، ويكثر الإنتاج ويجوَّد، ويُفسح المجالُ لذوي المواهب وأهل الاختصاص للتبريز، وإظهار ما لديهم، وعَرض آرائهم وأفكارهم وما يعتَمِل في خواطرهم، وإعطائهم الفرصةَ لإبراز ما يُؤمِّلون إلى عالَم التطبيق والتنفيذ، ما دام ذلك

ممكنًا.

أمَّا إذا وُضِع المرء في غير مكانه المناسب، فإنَّ نتيجةَ ذلك الإرباكُ، وإحداثُ القلاقل، وتعطيلُ المواهِب، وانتشارُ الفَوضى، وتفشِّي المحسوبيَّة، وتقديم مَن حقُّه التأخير، وتأخير مَن حقُّه التقديم، وذلك مؤذِن بقُرب قيام الساعة؛ فقد جاء في الحديث الصحيح: «إذا وُسِّد الأمرُ إلى غير أهله فانتَظرِ الساعة».

## عاملٌ مُثابِر

أعرِفه دؤوبًا على العمل، يأتي أوَّلَ الموظَّفين، ويخرج آخرَهم، هذه أغلب حالاته، وهذا دَيدَنه، وقد أمضى سنين كثيرةً دون أن يتمتَّع بإجازته، فهو يهوَى عملَه، ويحرص عليه، ويصبر على ما يجده مِنَ المراجعين، وما أكثرَهم!

وقد نصحتُه بأن يأخذ إجازاته، وأن يستجِمَّ من عناء العمل المتواصِل؛ رِفقًا بنفسه، وحتى يعودَ من الإجازة نشيطًا مرحًا، ويبدو أنَّه قد اقتنع بكلامي، وإن كنتُ لستُ متأكِّدًا من أنَّه سيُخلد للراحة بعض الوقت؛ لِمَا أعلمُه فيه من حبٍّ لعمله، وشعور بالمسؤوليَّة حيالَه.

وقد لا يجد مثلُ هذا الموظَّف التقديرَ الذي يستحقُّه، والجزاءَ اللائق به، ولكنَّه يشعر براحة بال، وهدوء خاطر، وهو يؤدِّي واجبَه في نزاهة، وحِرص على القيام به على أتمِّ الوجوه وأفضلِها، وأحسب أنَّ تقدير المجتهدين ومَن يُقدِّمون أعمالًا نافعة، وأفكارًا سديدة هو مِن أهمِّ ما ينبغي الاعتناءُ به؛ تشجيعًا للمُجدِّ، وحثًّا للمُقصِّر، وحفزًا للهِمَم، وترغيبًا على إحسان العمل وإتقانه.

## الناجح

الناجح هو مَن يقوم بواجباته خيرَ قيام، ناصحًا غيورًا مجتهدًا، والرجل الناجِحُ هو الذي يساعد على بناء المنهدِم، وإصلاح الفاسِد، والفاشلُ هو الذي يُخرِّب العامر، ويخبط خبطَ عَشواء في تصرُّفاته، والذي يأتي للعمل الجيِّد فلا يلبث أن يُحيلَه إلى بقايا متناثرة، وأشلاءٍ ممزَّقة، تتحكَّم فيه الفوضى، ويسودُه الارتباك.

الناجح يستخدم مواهبَه، ويُطوِّر عمله، ويُقدِّم الآراء الناضجة، من أجل تحسين عمله ورُقيِّه، ومن أجل إسعاد المجتمع، والفاشلُ لا يهمُّه تَطوَّر العملُ أو تأخَّر، تقدَّم أو تخلَّف، لا يفكِّر في مصلحة العمل وازدهاره، ولا يَقبل ممَّن يأتي برأي أو فكرة - وقد يُعاديه - وكلُّ همِّه مصالحه الذاتيَّة الجشعة؛ توهُّمًا منه أنَّه ينتقدُه، أو يعترضُ عليه.

وبين النجاح والفشل فُرْصةٌ لِمَن يستعملون الظروفَ، ويتحيَّنون الفُرَص، ويصطادون في الماء العَكِر، بالأساليب الملتوية.

ولكنَّ الناجحين كالشمس لا تحجبُها أعمدةُ الدُّخَان، ولا تُواريها الأغطية، أمَّا الفاشلون فمهما لعبَتِ المحسوبيَّة والطرق غير السليمة في عَرضهم في الواجهات، فإنَّهم فاشلون، وكفى.

## الوظيفةُ خِدمَة

مِن الناس مَن يتصوَّر الوظيفة عُلوًّا في الأرض، واعتداءً على الخَلق، ومفاخرةً بالجاه والمنصب، وسببًا للكِبر والبَطَر، وهذا من الجهل وسوء التقدير، والعاقِل مَن يعتبر الوظيفة وسيلةً للمساهمة في العمل المثمِر، والصالح العامِّ، وفي إيصال الحقِّ إلى أهله، ودَفع الشرِّ والأذى على قدر

طاقته، وفي تحكيم الشرع ونُصرة الإسلام، ويستعين بما يأخذه مِن راتب على طاعة الله، وفِعل المعروف، والنفقة المشروعة، ويعدُّها اختبارًا يرجو أن ينجح فيه، ويخشى من السقوط إذا قصَّر أو أهملَ أو أسرَف.

## أسعدُ الولاة

كتب أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه:

أمَّا بعدُ:

فإنَّ أسعدَ الولاة مَن سَعِدَت به رعيَّتُه، وإنَّ أشقى الولاة مَن شقِيَت به رعيَّتُه، فإيَّاك والتبسُّطَ، فإنَّ عمَّالك يقتدون بك، وإنَّما مثلُكَ كمَثَل دابَّة رأت مرعًى مخضرًّا؛ فأكلَت كثيرًا حتى سَمِنَت، فكان سِمَنُها سببَ هلاكها؛ لأنَّها بذلك السِّمَن تُذبَح وتُؤكَل.

## الموظَّفون

الموظَّفون درجاتٌ وأصناف؛ فمنهم المُجِدُّ البشوش الذي يَلقى مُراجعِيه بابتسامة تبعث على التفاؤل والانبساط، ويحرص على أن يؤدِّيَ واجبه على أتمِّ وجه، ويَخرج المراجِعُ من عنده مسرورًا، سواء كان قد حَصَل على مَرامِه، أو أنَّ الموظف لا يقدر على القيام بما طلب، ولكنَّه يُقدِّم له الاعتذار، ويبيِّن له الأسباب والموانع في لفظ لطيف، وقول جميل.

وهذا النَّوع من الموظَّفين هم الجديرون بإسناد الأعمال إليهم، والثِّقة فيهم، وهم الحريُّون بالتشجيع والتعضيد.

وهناك مِن الموظَّفين مَن يظنُّ التربُّعَ على كرسيِّ الوظيفة هو للاستعلاءِ

والخُيلاء، والغَطرَسَةِ وإذلال المراجعين، فتراه فَظًّا غليظًا، جافيًا مقطِّب الجبين، كأنَّ الناس يأكلون مِن كَدِّه وكَدِّ أبيه، حتى فيما هو حقٌّ لهم لا امتراءَ فيه.

ومِن هذا الصِّنف مَن يبخل بردِّ السلام، ومَن يترك جوابَ المتكلِّم صاحب المراجعة مستهينًا به، ومِنهم مَن يُوصِد بابَ مكتبه دونَ أصحاب الحوائج، وأرباب المعاملات، ويَدَعُهم وقتًا طويلًا لا يُكلِّمهم؛ فيخرج الناس مِن عنده وهم يتمنَّون لو أنَّ الأرض ابتلعَتهم ولم تُحوِجهم إلى لئيم مثلِه، ومن الموظَّفين مَن دَأبُه تعطيل المعاملات وعرقلتُها، ومنهم مَن لا أمانةَ عنده، وإنَّما يسير في عمله حسَبَ هواه وأغراضه، ومنهم مَن يحقِد ويُؤذي.

والموظَّف الكُفء هو ذلك المتواضِع، الجادُّ في عمله، الشاعرُ بمسؤوليَّته، المتَّقي الله فيما تولَّى مِن عمل، وما أُنيط به من وظيفة.

## الموظَّفُ المتغطرِس

مِن الناس مَن تخدعه المظاهر، ويطيش صوابُه عندما يتسلَّم وظيفة، أو يرتقي كرسيًّا مريحًا، فيُصاب بداء الغرور والتعاظُم، وينظر للناس باحتقار، ويتصوَّر نفسَه قد علا كثيرًا.

وقد يرى مِن الناس مَن يتملَّقه، ويُطري مواهبَه، ويكيل له المديحَ جُزافًا، فيتضاعفُ غرورُه وإعجابُه بنفسه، مع أنَّ أولئك المادحين هم من المطبِّلين الذين يريدون أن ينالوا رِبحًا من وراء ذلك المديح، أو يَسلموا من شرِّ المغرور.

وما إن يهوي مِن كرسيِّه، وتتخلَّى عنه وظيفتُه، حتى يجدَ نفسه منبوذًا محتقَرًا، يشمتُ به الناس، وينفر منه أقربُ مدَّعي صداقته، والملتفين حولَه

أيَّامَ عزِّه وسطوته.

أمَّا ذلك المتواضِع الذي يرى في الوظيفة أداءً لواجب، وإيصالًا لحقٍّ، مع لِينٍ في القول، وسلامة في الطويَّة، فإنَّه يَلقى الإعزازَ والتكريم والمحبَّة، سواء كان في العمل أو خارجَه، وإن تعرَّض له متعرِّضون هبَّ الكثيرون للدِّفاع عنه ومناصرته، حتى وإن كانوا لا يعرفونه معرفةً شخصيَّة، فقد سبقهم إلى معرفته ذِكرُه الطيِّب، والثناء الحسن عليه من عارفيه والمتعاملين معه، فليكُنِ التواضع رمزَ الموظَّف، وليكن الحِلمُ شعارَه، ولينبِذ الغرورَ والكِبر؛ لأنَّ ذلك أسلمُ وأقوَم.

## موظَّفٌ سيِّئ

والتقَيتُ به فرأيتُ فيه أسوأ صورة للموظَّف الشرس، السيِّئ الأخلاق، الذي لا يهنأ له بالٌ ولا يرتاح له خاطر، حتى يؤذيَ مُراجعيه، ويسيءَ إليهم، ويعرقل معاملاتِهم، إنَّه مَثَلٌ سيِّئ للموظَّف السيِّئ.

لقد التقيتُ في حياتي بموظَّفين كثيرين، وكنت أجد من الأغلبية لُطفًا وقيامًا بواجبهم، ومقابلةً حسنة، وشعورًا بالواجب، ولكنِّي اصطدمتُ اليوم بواحد ما كنتُ أحسَب أنِّي ألتقي بواحد مثله، ولم يسبق أن رأيتُ أحدًا على شاكلته، وإن كان الموظَّفون ليسوا جميعًا على ما يُرام؛ ففيهم مَن يعطِّل المعاملات، ومَن يُقابل المراجعين مقابلةً غير كريمة، ومن هو مقطِّب الجبين، يتململُ من المُراجع، ويضجَرُ منه، ولكنَّ هذا فاقَهُم جميعًا، وضرب رَقْمًا قياسيًّا في سوء المعاملة، وفي تحويل مكتبِه إلى فوضى وصُراخ، وجَلَبَة واستِياء، وقلَّ أن يدخل مكتبَه أحدٌ إلَّا خرج ساخطًا متذمِّرًا، لا يدري كيف وَقَع في قبضة هذا الموظَّف اللئيم.

لقد عرفتُه على حقيقته، وقلت له: إنَّ تصرُّفَك هذا مضرٌّ بك شخصيًّا، ومضرٌّ بالمصلحة العامَّة، وكأنِّي أنفخ في رماد، أو أضربُ في حديد بارد.

وقال حُسين سِرحان:

قُلْ لِلَّذِي جَعَلَ الوَظِيفَةَ هَمَّهُ ... وسَعَى إلَيها سَعيَ ضَيْغَم غابِ
ألعَيشُ بَينَ الجِنِّ آنَسُ مَوقِعًا ... مِن عِيشَةِ الكُتَّابِ والحُسَّابِ
هَذا يَجِيئُكَ باحِثًا عَنْ (نِمْرَةٍ) ... ويَحُومُ ذاكَ عَلى رِتَاجِ البابِ
ويَسُومُكَ الفَرَّاشُ شَرْحَ رِسالَةٍ ... ويَرُومُكَ السَّاقِي لِعَرْضِ كِتابِ
وتَظَلُّ تَحْفِرُ بِاليَراعِ جَداوِلًا ... ولَوائِحًا سُودًا بغَيرِ حِسابِ
مُتَبَرِّمًا مِمَّا يَشُقُّ عَلى النُّهَى ... مُتَلَوِّيًا مِن شِدَّةِ الإكْبابِ
وَتَرَى الرَّئِيسَ مُناوِحًا لَكَ قائِلًا: ... إشرَحْ وحَرِّرْ واحتَفِلْ بِجَوابِ
بِيَمِينِهِ التَّوقِيعُ يَحسَبُ أنَّهُ ... تَوقِيعُ قَيْصَرَ في وَغًى وغِلابِ

## إهدارُ الوقت

كانوا منكبِّين على لعبة (الورق)، منصرفين إليها بكلِّ حواسِّهم، يقضون الساعاتِ الطويلةَ، ويسهرون الليلَ وهم في سِباق للفوز، والحصول على نتيجة يُصبِح فيها كلٌّ منهم هو الغالبَ، وإذا غلب فإنَّه يحاول أن يكون كسبُه كبيرًا، وإن هُزِم فهو يحاول أن ينتصرَ ويُحرِز فخرًا عندَ نَدامَاه!

وتنقضي الساعاتُ تلوَ الساعات، والصَّخبُ والاهتمامُ والرغبة في الكَسب تنمو وتَفعُم، حتى وإن كان الانتصارُ وهميًّا، وليس هناك كسْبٌ، بل خسارة محقَّقة؛ في الصِّحَّة والوقت الذي يذهب سُدًى، والإضرار بالزَّوج والأهل والأولاد، والصدود عن القراءة المفيدة، أو الإنتاج المثمِر، والعمل المفيد.

ومع ذلك، فإنَّ هناك مَن هو مُولَع بهذه اللُّعبة التي أحسب أنَّ مَن اخترعها كان قد استخدم ذكاءَه في الشرِّ وإضاعة الوقت بلا فائدة، وعمِلها بطريقة ملتوية تجعل هَمَّ لاعبها منصرفًا بكُلِّيَّته نحوَها.

ولا أحسَبُ مَن بعثها إلى بلاد المسلمين كان يريد إسعادَهم والترفيهَ عنهم، ولكنَّه - فيما نظنُّ - يريد أن يلهيَهم فيما يعوق تقدُّمَهم، وما يبدِّد وقتَهم في غير طائل.

## الزواجُ والطَّلاق

الزواج مِن سُنن المرسَلِين، وقد جاءتِ الأديان مرغِّبةً فيه، داعيةً إليه، وقال الرسول الكريم ﷺ: «تزوَّجوا الوَدودَ الوَلود؛ فإنِّي مُكاثِرٌ بكم الأُممَ يومَ القيامة».

ومَن عزفَ عن الزواج بدَعوى حبِّ الحريَّة، أو خوفًا من الإنفاق، أو كراهيةً له فهو مناقِضٌ للشرائع والفِطَر.

وفي الزواج عمارةُ الكون، والاستقرار وبقاء النوع الإنساني، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، وقال الرسول ﷺ: «حُبِّب إليَّ مِن دُنياكم النِّساءُ والطِّيب، وجُعِلَت قُرَّةُ عيني في الصلاة»، وقال ﷺ: «إذا ماتَ ابنُ آدم انقطعَ عملُه إلَّا مِن ثلاث: مِن صدقةٍ جارية، أو عِلم يُنتفَعُ به مِن بَعدِه، أو ولدٍ صالِح يدعو له».

وإذا لم يحصل الوِفاقُ في الزواج، فقد أباح الله الطلاقَ؛ تيسيرًا للناس، حتى لا تكون حياةُ الزوجين في شِقاق وخِصام.

* قال خالد بن صَفْوان لدَلَّال: اطلُب لي امرأةً بِكرًا، أو كبِكر، حَصانًا

عند جارها، ماجِنةً عندَ زوجها، قد أدَّبها الغِنى، وذلَّلها الفقر، لا ضَرَعَة صغيرة، ولا عجوزًا كبيرة، قد عاشَت في نِعمَة، وأدركَتها حاجَة، لها عقلٌ وافِر، وخُلقٌ طاهر، وجمالٌ ظاهر، صَلْتَةُ الجَبين، سَهلَةُ العِرنِين، سوداءُ المُقْلتَين، خَدَلَّجَة الساقَين، لَفَّاءُ الفَخِذَين، نبيلةُ المقعد، كريمةُ المَحتِد، رَخِيمةُ المنطِق، لم يُداخلها صَلَف، ولم يَشِن وجهَها كَلَف، رِيحُها أَرِج، ووجهُها بَهِج، ليِّنةُ الأطراف، ثقيلةُ الأرداف، لونُها كالرِّق، وثديُها كالحُق، أعلاها عَسِيب، وأسفلُها كَثِيب، لها بطنٌ مُخطَف، وخَصرٌ مُرهَف، وجِيدٌ أتْلَع، ولُبٌّ مُشبَع، تتثنَّى تَثنِّي الخَيْزُران، وتميلُ مَيلَ السَّكران، حسنةُ المآق، في حُسْن البُراق، لا الطولُ أزرى بها ولا القِصَر.

قال الدلَّال: استفْتِح أبوابَ الجِنان، فإنَّك سوف تراها.

* وكان الحسن البصريُّ يقول في خُطْبة النِّكاح، بعدَ حمدِ الله، والثناء عليه:

أمَّا بعد:

فإنَّ الله جَمَع بهذا النِّكاح الأرحامَ المنقطِعة، والأنسابَ المتفرِّقة، وجعلَ ذلك في سُنَّة من دِينه، ومنهاج واضحٍ من أمره، وقد خَطَب إليكم فلان، وعليه مِن الله نِعمَة.

* جَزِعَ بكر بنُ عبد الله المُزَنيُّ على امرأته، فوعَظَه الحسنُ البصري، فجعل يصفُ فضلَها، فقال الحسن: عندَ الله خيرٌ منها، فتزوَّجَ أُختها!

فلَقِيَه الحسنُ بعد ذلك، فقال: يا أبا سعيد؛ هي خيرٌ منها، وأنشد:

أَلَم تَرَ حَوْشَبًا أَضحَى يُبَنِّي ... قُصُورًا نَفْعُها لِبَنِي بُجَيلَهْ
يُؤَمِّلُ أن يُعَمَّرَ عُمْرَ نُوحٍ ... وأَمرُ اللهِ يَطرُقُ كُلَّ لَيلَهْ

* خطبَ بلالُ بن رَباح لأخيه امرأةً من بني حِسْل من قريش؛ فقال: نحن

مَن قد عرفتُم؛ كنَّا عبدَين فأعتقَنا الله، وكنَّا ضالَّين فهدانا الله، وفقيرَين فأغنانا الله، وأنا أخطُبُ على أخي خالدٍ فلانةً، فإن تُنكِحوه فالحمدُ لله، وإن تردُّوه فالله أكبر.

فأقبل بعضُهم على بعض، فقالوا: هو بلالٌ، وليس مثلُه يُدفَع، فزوِّجوا أخاه.

فلمَّا انصرفا قال خالد لبلال: يغفِر الله لك! ألَا ذكرتَ سوابقَنا ومشاهدَنا مع رسول الله ﷺ؟ قال بلال: مَهْ! صدقتَ فأنكحَك الصِّدق.

* قال رجل للحسن: إنَّ لي بُنيَّةً، فمن ترى أن أُزوِّجها؟

قال: زوِّجها بمَن يتَّقي الله؛ فإن أحبَّها أكرمَها، وإن أبغضَها لم يظلِمها.

* خطبَ صَعْصَعَةُ بن معاويةَ إلى عامر بن الظَّرِبِ العَدْوانيِّ ابنتَه عَمْرَةَ - وهي أمُّ عامر بن صَعْصَعَةَ - فقال عامر بن الظَّرِب: يا صَعْصَعَة؛ إنَّك قد أتيتني تشتري منِّي كَبِدي، وأرحمَ ولدي عندي، أبغَيتُكَ أو رددتُّك، والحسيبُ كُفءُ الحسيب، والزوجُ الصالح أبٌ بعدَ أب، وقد أنكحتُك خشيةَ ألَّا أجدَ مثلَك، أفرُّ مِن السرِّ إلى العلانية، أنصحُ ابنًا، وأُودِعُ ضعيفًا قويًّا.

## دعاء

ربِّ هَبْ لي من لدُنكَ ذريَّة طيِّبة، إنَّك سميعُ الدُّعاء.

* قال بشَّار بن بُرْد:

أُنُسٌ غَرائِرُ ما هَمَمْنَ بِريبَةٍ كَظِباءِ مَكَّةَ صَيدُهُنَّ حَرامُ
يُحسَبْنَ مِن أُنسِ الحَديثِ زَوانِيًا ويَصُدُّهُنَّ عَنِ الخَنا الإسلامُ

• كان شَبِيبُ بن شَيْبَة المِنْقَرِيُّ التَّمِيميُّ يُسمَّى الخطيب؛ لفصاحته

وبلاغته، وقد خطبَ إلى رجل مِن الأعراب بعضَ حُرَمِه وطوَّل، فاعترض الأعرابيُّ على شَبِيب، وقال له: ما هذا؟ وقال: إنَّ الكلام ليس للمتكلِّم المكثِر، ولكن للمُقلِّ المصيب، وأنا أقول: الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد سيِّد المرسلين، وخاتم النبيِّين.

أمَّا بعد:

فقد أدلَيتَ بقَرابة، وذكرتَ حقًّا، وعظَّمتَ مَرعِيًّا؛ فقولُكَ مسموع، وحبلُكَ موصول، وبَذْلُكَ مقبول، وقد زوَّجناكَ صاحبتَك على اسم الله تعالى.

* قال المُغِيرَةُ بن شُعْبَة: ما خدعني أحدٌ قطُّ غيرَ غلام مِن بَلْحارِث بن كعب؛ فإنِّي ذكرتُ امرأةً منهم، فقال: أيُّها الأمير؛ لا خيرَ لكَ فيها، إنِّي رأيتُ رجلًا قد خَلَا بها يُقبِّلها. ثم بلغني أنَّه تزوَّجها، فأرسلتُ إليه فجاء، فقلتُ: ألم تُعلِمْني أنَّكَ رأيتَ رجلًا يقبِّلُها؟!

قال: نعم؛ رأيتُ أباها يُقبِّلها.

* قال عمرو بن العاص: ثلاثٌ لا أَنَاةَ فيهنَّ: المبادرة بالعمل الصالح، ودَفن الميِّت، وتزويج الكُفء.

* قال خالد بن صَفْوان: مَن تزوَّج امرأة، فليتزوجها عزيزةً في قومها، ذليلةً في نفسِها، أدَّبها الغِنى، وأذلَّها الفقر، حَصانًا مِن جارها، ماجِنةً على زوجها.

* قال شيخُنا الشيخ الفاضل عبدُ العزيز بن عبد الله بن باز - حفظه الله - في رسالة له:

«ومن المسائل المنكَرة في النِّكاح ما يفعلُه بعضُ الناس من إجبار ابنتِهِ أو أُختِهِ أو بنتِ أخيه على نِكاح مَن لا تَرضى بنكاحه، وذلك منكرٌ ظاهر، وظلمٌ

للنساء، لا يجوز للأب ولا لغيره من الأولياء أن يتعاطاه؛ لِمَا في ذلك من ظلم النِّساء، ومخالفةِ السنَّة الثابتة عن النبيِّ ﷺ في النهي عن تزويج النِّساء إلَّا بإذنهنَّ؛ ففي الصحيحين عن أبي هريرة، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا تُنكَحُ الأيِّمُ حتى تُستأمَرَ، ولا تُنكَحُ البِكْرُ حتى تُستأذَن»، قالوا: يا رسولَ الله، وكيف إذنُها؟ قال: «أن تسكُت»، وفي "صحيح مسلم" عن ابن عبَّاس رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: «والبِكرُ يستأذِنُها أبوها، وإذنُها صُماتُها». . . والأحاديثُ في هذا المعنى كثيرة».

* كانتْ عاتِكَةُ بنت زَيدِ بن عمرو بن نُفَيلٍ عند عبد الله بن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه وكانَت قد غلبَته في كثيرٍ من أمرِه؛ فقال له أبوه: طَلِّقْها.

فطلَّقها وأنشأ يقول:

لَهَا خُلُقٌ سَهْلٌ وحُسْنٌ ومَنْصِبٌ    وخَلْقٌ سَوِيٌّ ما يُعابُ ومَنْطِقُ

فرُمي يومَ الطائفِ بسهم، فلمَّا مات قالت تَرثِيه:

وآلَيتُ لا تَنْفَكُّ عَينِي سَخِينَةً    عَلَيكَ ولا يَنْفَكُّ جِلدِيَ أَغْبَرَا
فلِلَّهِ عَينٌ ما رَأَتْ مِثلَهُ فَتًى    أَعَزَّ وأَحْمَى في الهِياجِ وأَصْبَرَا
إذا شَرَعَتْ فيهِ الأَسِنَّةُ خاضَهَا    إلى المَوتِ حتَّى يَترُكَ الرُّمْحَ أَحْمَرَا

ثم خطَبَها عمرُ بن الخطَّاب، فلمَّا أولَمَ قال عبد الرحمن ابن أبي بكر: يا أمير المؤمنين؛ أتأذَنُ أن أُدخِل رأسي على عاتِكَة؟

قال: نعم؛ يا عاتكة، استَتِري، فأدخل رأسَه فقال:

وآلَيتُ لا تَنْفَكُّ عَينِي قَرِيرَةً    عَلَيكَ ولا يَنْفَكُّ جِلدِيَ أَصْفَرَا!

فنَشَجَت نَشِيجًا عاليًا، فقال عمر: ما أردتَّ إلى هذا؟ كلُّ النساء يفعلنَ هذا، غفر الله لك!

ثم تزوَّجها الزُّبَير بعد عمر، فكانَت تخرج بالليل إلى المسجد، ولها عَجِيزَةٌ ضخمة، فقال لها الزبير: لا تخرجي.

فقالت: لا أزالُ أخرجُ أو تمنعَني!

وكان يكره أن يمنعَها لقول النبيِّ ﷺ: «لا تمنعوا إماءَ الله مساجدَ الله»، فقعدَ لها الزُّبيرُ متنكِّرًا في ظُلمة الليل، فلمَّا مرَّت به قَرَصَ عَجِيزتَها، فكانت لا تخرج بعدَ ذلك، فقال لها: ما لكِ لا تخرجين؟

فقالت: كنتُ أخرج والناس ناسٌ، وقد فسدَ الناس، فبيتي أوسعُ لي!

• تزوَّج عليُّ بن الحسين أمَّ وَلَدٍ لبعض الأنصار، فلامَه عبدُ الملك في ذلك، فكتب إليه:

إنَّ الله قد رَفَع بالإسلام الخَسِيسَةَ، وأكرمَ به من اللُّؤم، فلا عارَ على مسلم؛ هذا رسولُ الله ﷺ قد تزوَّج أَمَتَه، وامرأةَ عَبدِه.

فقال عبد الملك: إنَّ عليَّ بن الحسين يتشرَّف من حيث يتَّضِع الناس!

## مُلْحَة

نظر رجلٌ إلى امرأته وهي صاعدةٌ في السُّلَّم، فقال لها: أنتِ طالِقٌ إن صعِدتِّ، وطالقٌ إنْ نَزلتِ، وطالقٌ إن وَقفتِ!

فرمَت نفسَها إلى الأرض، فقال لها: فداكِ أبي وأمِّي! إن ماتَ الإمامُ مالكٌ احتاجَ إليكِ أهلُ المدينة في أحكامهم.



## طُرفَة (طائيٌّ وطائيَّة)

قال العلاء بن سعيد: قَعَد طائيٌّ وطائيَّةٌ في الشمس، فقالَت له امرأتُه: والله لئن ترحَّل الحيُّ غدًا لأتبَعنَّ قُماشَهم وأصوافَهم، ثم لأنفُشَنَّه ولأغسِلنَّه ولأغزِلنَّه، ثم لأبعثَنَّه إلى بعض الأمصار فيُباع، وأشتري بثمنه بَكرًا فأرتَحلُ عليه مع الحيِّ إذا ترحَّلوا!

قال الزوج: أفتُراكِ الآنَ تارِكَتِي وابني بالعَراء؟

قالت: إي والله!

قال: كلَّا والله!

وما زال الكلامُ بينَهما، حتى قام يضرِبُها، فأقبلَت أمُّها، فقالت: ما شأنُكم؟ وصرخَت: يا آلَ فُلانة! أفتضرِبُ ابنتي على كَدِّ يدَيها، ورِزقٍ رزقَها الله؟!

فاجتمع الحيُّ، فقالوا: ما شأنُكم؟

فأخبروهم بالخبر، فقالوا: وَيلَكم! القومُ لم يرحلوا وقد تعجَّلتُم الخصومة!!

## مُستَعجِل

* تزوَّج أعرابيٌّ امرأةً، فطالت صحبتُها له، فتغيَّر لها وقد طعنَت في السِّنِّ، فقالت له: ألم تكن تُرضي إذا غَضِبْت، وتُعتِبُ إذا عَتَبْت، وتُشفِقُ إذا أَبَيْت؟! فما بالكَ الآن؟!

قال: ذَهَب الذي كان يُصلِح بيننا.

* حُكي أنَّ أعرابيًّا أتى ابنَ أبي ذِئب، فسألَه عن مسألة طلاق، فأفتاهُ بطلاقِ امرأته، فقال: نظرتُ وقد بانَت منك.

فولَّى الأعرابيُّ وهو يقول:

أَتَيتُ ابنَ ذِئْبٍ أَبتَغِي الفِقهَ عِندَهُ    فَطَلَّقَ حتَّى البَتِّ بَانَتْ أَنامِلُهْ
أُطَلِّقَ في فَتوَى ابنِ ذِئْبٍ حَلِيلَتِي    وعِندَ ابنِ ذِئْبٍ أَهلُهُ وَحَلائِلُهْ؟!

* قال أَوْفَى بن دلهم:

النِّساء أربع: فمِنهنَّ مَن تجمع إليها شيئَها أجمعَ، ومنهنَّ مُمنَع؛ تَضُرُّ ولا تنفَع، ومنهنَّ مَصْدَع؛ تفرِّق ولا تجمَع، ومنهنَّ غَيْثٌ وقَعَ في بلدٍ فأمْرَع.

* قال معاويةُ لصَعْصَعَةَ بن صُوحان: أيُّ النِّساء أشهى إليك؟

قال: المواتيةُ لكَ فيما تهوى.

قال: فأيهنَّ أبغَض؟

قال: أبعدهنَّ ممَّا ترضى.

قال: هذا النقدُ العاجِل.

فقال صَعْصَعَة: بالميزان العادِل.

* قيل للحسن: فلانٌ خطبَ إلينا فُلانة.

قال: أهو مُوسِرٌ مِن عقل ودِين؟

قالوا: نعم.

قال: فزوِّجوه.

* وقال الفَرَزْدَقُ يصفُ نساءً بالعِفَّة:

يَأنَسْنَ عِندَ بُعُولِهِنَّ إذا خَلَوْا    وإذا هُمُ خَرَجُوا فَهُنَّ خِفارُ

* أنشدَ أبو عُبيدَةَ لأعرابيٍّ طلَّق امرأته ثم نَدِم، فقال:

نَدِمْتُ وما تُغْنِي النَّدامَةُ بَعدَمَا    خَرَجْنَ ثَلاثٌ ما لَهُنَّ رُجُوعُ
ثَلاثٌ يُحَرِّمْنَ الحَلالَ عَلَى الفَتَى    ويَصْدَعْنَ شَمْلَ الدَّارِ وَهْوَ جَمِيعُ

* سُئِل الشَّعْبِيُّ: ما اسمُ امرأةِ إبليس لعَنَه الله؟

فقال: ذلك نكاحٌ ما شَهِدناه.

* وقف على القُشيريِّ شيخٌ من الأعراب، فقال: يا أعرابيُّ؛ من أنت؟

فقال: مِن بني عُقيل.

قال: مِن أيِّ عُقيل؟

قال: من بني خَفَاجة.

فقال القُشَيري:

رأيتُ شَيخًا مِن بَني خَفَاجَهْ

فقال الأعرابي: ما شأنُه؟

فقال:

لَهُ إذا جَنَّ الظَّلامُ حَاجَهْ

فقال الأعرابي: ما هي؟

فقال:

كَحاجةِ الدِّيكِ إلى الدَّجاجَهْ

فاستغرب الأعرابيُّ، وقال: قاتلك الله! ما أعرفَك بسرائرِ القوم!

## نُكتة

جاء رجل إلى أبي حكيم الفقيه ومعه ابنتُه ليزوِّجَها، فقال له الشيخ: أبكرٌ ابنتُكَ أم ثيِّب؟

فقال: واللهِ يا سيِّدي، ما هي لا بكر ولا ثيِّب، ولكنَّها وَسَطَة!

فقال الشيخ: فأيشٍ هي؟! عَوانٌ بين ذلك؟!

فضحِك الجماعةُ، وذلك الوالدُ لا يدري.

* كانت عند الأَحنَفِ امرأةٌ فطلَّقها، وتزوَّجها ابنُ عمٍّ له، فكتبَ إلى الأحنَف:

إن كُنتَ أَزمَعْتَ أَمرًا فَامضِيَنَّ لَهُ    إنَّ الغَزالَ الذي ضَيَّعتَ مَشغُولُ

فكتبَ إليه الأحنَف:

إن كانَ مُشتَغِلًا فَاللهُ يُصلِحُهُ    فَقَد لَهَونا بِأَمْرٍ مِنهُ مَوصُولِ
وَلَنْ تُصادِفَ مَرعًى مُونِقًا أَبَدًا    إلَّا وَجَدتَّ بِهِ آثارَ مَأكُولِ

* خطب مُصعَبُ بن حَيَّان أخو مُقاتِل خُطبةَ نِكاح فَحُصر، فقال: لقِّنوا موتاكُم قولَ: لا إله إلا الله!

فقالت أمُّ الجارية: عجَّل الله موتَك! ألهذا دعَوناك؟!

* تزوَّج أعرابيٌّ امرأة بالبصرة، فلمَّا دخل بها وأُرخِيت السُّتور، وأُغلِقَت الأبوابُ عليه، ضَجِرَ وطالَت ليلتُه، حتى إذا أصبحَ وأرادَ الخروجَ مُنِعَ من ذلك، وقيل له: لا ينبغي لكَ أن تخرجَ إلَّا بعدَ سبعةِ أيَّام.

فقال:

أَقُولُ وَقَد شَدُّوا عَلَيها حِجابَهَا: ألا حَبَّذا الأَرْواحُ والبَلَدُ القَفْرُ
ألا حَبَّذا سَيْفي ورَحْلِي ونُمْرُقِي ولا حَبَّذا مِنها الوِشَاحانِ والشَّذْرُ
أَتَونِي بِها قَبلَ المُحاقِ بِلَيلَةٍ فَكانَ مُحاقًا كُلُّهُ ذَلِكَ الشَّهرُ
وما غَرَّنِي إلَّا خِضابٌ بِكَفِّهَا وكُحْلٌ بِعَينَيها وأَثوابُها الصُّفرُ
تُسائِلُنِي عَن نَفْسِها هَل أُحِبُّهَا فَقُلتُ: أَلَا لا والذِي أَمرُهُ الأَمرُ
تَفُوحُ رِياحُ المِسكِ والعِطرِ عِندَهَا وأَشهَدُ عِندَ اللهِ ما يَنفَعُ العِطْرُ

* وقال عَلْقَمَةُ الفَحْل:

فإن تَسألُونِي بالنِّساءِ فإنَّنِي خَبِيرٌ بأَدواءِ النِّساءِ طَبِيبُ
يُرِدنَ ثَرَاءَ المالِ حَيثُ عَلِمنَهُ وشَرْخُ الشَّبابِ عِندَهُنَّ عَجِيبُ
إذا شابَ رَأسُ المَرْءِ أو قَلَّ مالُهُ فلَيسَ لَهُ مِن وُدِّهِنَّ نَصِيبُ

* كان عبد الملك بن عُمَير قاضيًا على الكوفة، فتخاصَمَت كُلْثُمُ بنت سَريع مولى عمرو بن حُرَيثٍ هي وأهلُ الكوفة، فقضَى لها عليهم، فقال هُذيلُ بن عبد الله الأَشْجَعِي:

أَتاهُ وَلِيدٌ بالشُّهُودِ يَقُودُهُمْ على ما ادَّعَت مِن صامِتِ المالِ والخَوَلْ
وجاءَت إلَيهِ كُلْثُمٌ وكَلامُهَا شِفاءٌ مِنَ الدَّاءِ المُخامِرِ والخَبَلْ
فأَدلَى وَلِيدٌ عِندَ ذاكَ بِحَقِّهِ وكانَ وَلِيدٌ ذا مِراءٍ وذا جَدَلْ
وكانَ لَها دَلٌّ وعَينٌ كَحِيلَةٌ فأَدْلَت بِحُسنِ الدَّلِّ مِنها وبِالكَحَلْ
فَفَتَّنَتِ القِبْطِيَّ حتَّى قَضَى لَهَا بِغَيرِ قَضاءِ اللهِ في السُّوَرِ الطُّوَلْ
فَلَوْ كانَ مَن بِالقَصْرِ يَعلَمُ عِلمَهُ لَما استَعمَلَ القِبطِيَّ فينا عَلى عَمَلْ
لَهُ حِينَ يَقضِي لِلنِّساءِ تَخاوُصٌ وكانَ وما فيهِ التَّخاوُصُ والحَوَلْ
إذا ذاتُ دَلٍّ كَلَّمَتهُ بِحاجَةٍ فَهَمَّ بِأن يَقضِي تَنَحنَحَ أو سَعَلْ

وبَـــرَّقَ عَـــيــنَـــيــهِ وَلاكَ لِــســـانَــهُ يَرَى كُلَّ شَيءٍ ما خَلا شَخْصَها جَلَلْ

قال عبد الملك واصفًا شعورَه حِيالَ هذا الشاعر: أخزاهُ اللهُ! واللهِ لربَّما جاءتني السَّعلةُ أو النَّحنَحةُ وأنا في المتوضَّأ فأذكرُ قولَه، فأردُّها لذلك.

* قال الأَصْمَعِي: كنت أختلفُ إلى أعرابيٍّ أقتبِسُ منه الغريب، فكنتُ إذا استأذنت عليه يقول: يا أُمامَة؛ ائذَني له، فتقول: ادخُل.

فاستأذنتُ عليه مرارًا فلم أسمعه يذكرُ أُمامة، فقلت: يرحمك اللهُ! ما أسمعُكَ تذكر أُمامَة!

قال: فوَجَمَ وجهُه، فنَدِمتُ على ما كان منِّي، ثم أنشأ يقول:

ظَـعَـنَــت أُمـامَــةُ بِـالـطَّـلاقِ ونَـجَـوتُ مِـن غُـلِّ الـوَثـاقِ
لَـو لَـم يُـرَحْ بِـطَـلاقِـهَـا لأَرَحـتُ نَـفـسِـيَ بِـالإبَـاقِ
ودَواءُ مـا لا تَـشـتَـهِـيـهِ الـنَّـفسُ تَـعْـجِـيـلُ الـفِـراقِ
والـعَـيـشُ لَـيـسَ يَـطِـيـبُ مِـن إلـفَـيـنِ مِـن غَـيـرِ اتِّـفـاقِ

* كان أعرابيٌّ قد قاسى من زوجته الآلام، وأخيرًا طلَّقها فلم يحزَن له قَلب، ولم تَذرِف له دمعَة، فقال:

رَحَـلَـت أُمَـيـمَـةُ بِـالـطَّـلاقِ وعَـتَـقـتُ مِـن رِقِّ الـوَثـاقِ
بـانَـت فَـلَـم يَـألَـم لَـهَـا قَـلـبِـي ولَـم تَـبـكِ الـمَـآقِ
لـو لـم أُرَحْ بِـطَـلاقِـهَـا لَأَرَحـتُ نَـفـسِـيَ بـالإبـاقِ
وَدَواءُ مـا لا تَـشـتَـهِـيـهِ الـنَّـفسُ تَـعـجِـيـلُ الـفِـراقِ
والـعَـيـشُ لَـيـسَ يَـطِـيـبُ بَـيـنَ اثـنَـيـنِ فـي غَـيـرِ اتِّـفـاقِ



## العجائزُ والطَّلاق

وقال رُؤبَةُ بن العَجَّاج:

إذا العَجُوزُ غَضِبَتْ فَطَلِّقِ ولا تَرَضَّاها ولا تَمَلَّقِ
واعمِدْ لِأُخرَى ذَاتِ دَلٍّ مُونِقِ لَيِّنَةِ المَسِّ كَمَسِّ الخِرْنَقِ
إذا مَضَتْ مِثلَ السِّياطِ المُشَّقِ

## لا يمسُّ خَرِيطَة

كان أحدُ الشُّعراء قد هجَا شَهْرَ بن حَوْشَب؛ وقد قيل: إنَّ شَهْرَ بنَ حَوْشَبٍ كان على بيتِ المال، فأخذَ منه دراهم:

لَقَد باعَ شَهْرٌ دِينَهُ بِخَرِيطَةٍ فَمَن يَأمَنِ القُرَّاءَ بَعدَكَ يا شَهْرُ؟!
أَخَذتَ بِها شَيئًا طَفيفًا وَبِعتَهُ مِنِ ابنِ جَرِيرٍ إنَّ هَذا هُوَ الغَدْرُ

فزعمَ الهَيْثَمُ بن عَدِيٍّ عن أشياخِه أنَّ شَهرًا ما مَسَّ خَرِيطَةً حتى مات بعدَ قول الشاعر هذا!

* ذكر ابن الجوزي في كتابه "تلقيح فهوم أهل الأثَر":

بينما عمر بن الخطَّاب - رضي الله تعالى عنه - يطوف ذاتَ ليلة في سِكَك المدينة إذ سمعَ امرأةً تقول:

هَل مِن سَبِيلٍ إلى خَمرٍ فَأَشرَبَهَا أَمْ مِن سَبِيلٍ إِلَى نَصْرِ بنِ حَجَّاجِ؟!
إلى فَتًى ماجِدِ الأَعْراقِ مُقْتَبِلٍ سَهْلِ المُحَيَّا كَرِيمٍ غيرِ مِلجَاجِ
تَنمِيهِ أَعْراقُ صِدقٍ حِينَ تَنسُبُهُ أَخِي وَفاءٍ، عَنِ المَكرُوبِ فَرَّاجِ

فقال عمر - رضي الله تعالى عنه -: لا أرى معي بالمدينة رجلًا تهتِفُ به

العواتق في خُدورهنَّ، عليَّ بنصرِ بن حجَّاج!

فإذا هو من أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم شَعْرًا، فقال عمر: عزيمةٌ مِن أمير المؤمنين لتأخذنَّ من شَعرِك!

فأخذ من شَعرِه، فخرج مَن عنده وله وَجْنَتان كأنَّهما شقَّتَا قَمَر؛ فقال له: اعتَمَّ!

فافتتنَ الناسُ بعَينَيه؛ فقال له عمر: والله لا تُساكنني في بلدةٍ أنا فيها!

فقال: يا أميرَ المؤمنين؛ ما ذنبي؟!

قال: هو ما أقولُ لك!

ثم سيَّره إلى البصرة، وخشِيَتِ المرأةُ التي سمع منها عمر ما سمعَ أن يبدُرَ مِن عمرَ إليها شيء، فدسَّت إليه المرأةُ أبياتًا، وهي:

قُل لِلإمامِ الذي تُخشَى بَوادِرُهُ: ما لِي ولِلخَمْرِ أَو نَصْرِ بنِ حَجَّاجِ
إنَّ الهَوَى زُمَّ بِالتَّقوَى فَتَحبِسُهُ حتَّى يَقَرَّ بِإلجَامٍ وإسرَاجِ

فبكى عمر رضي الله عنه وقال: الحمد لله الذي زَمَّ الهوى بالتقوى!

وطال مُكثُ نصر بن حجَّاج بالبصرة، فخرجت أمُّه يومًا بين الأذان والإقامة متعرِّضة لعمر، فإذا هو قد خرج في إزار ورداء، وبيدِه الدِّرَّة، فقالت له: يا أمير المؤمنين، والله لأَقِفَنَّ أنا وأنت بين يدي الله تعالى، وليُحاسِبَنَّك الله؛ أيبِيتَنَّ عبد الله وعاصم إلى جنبَيك، وبيني وبين ابني الفيافي والأودية؟!

فقال لها: إنَّ ابني لم تهتِفْ بهما العواتقُ في خُدورِهنَّ.

ثم أرسل عمرُ إلى البصرة بريدًا إلى عُتْبَةَ بن غَزْوَان، فأقام أيَّامًا، ثم نادى عُتْبَةُ: مَن أراد أن يكتب إلى أمير المؤمنين، فليكتُب، فإنَّ البريدَ خارج.

فكتب نصر بن حجَّاج: بسم الله الرحمن الرحيم، سلامٌ عليكَ يا أمير المؤمنين. أمَّا بعدُ:

فاسمَع منِّي هذه الأبيات:

لَعَمرِي لَئِن سَيَّرتَنِي أو حَرَمتَنِي ... وما نِلتَ مِن عِرْضِي عَلَيكَ حَرامُ
فَأَصبَحتُ مَنفيًّا عَلى غَيرِ رِيبَةٍ ... وَقَد كانَ لي بِالمَكَّتَينِ مُقامُ
أَئِن غَنَّتِ الذَّلْفاءُ يَومًا بِمُنْيَةٍ ... وبَعضُ أَمَانِيِّ النِّساءِ غَرامُ
ظَنَنتَ بِيَ الظَّنَّ الذي لَيسَ بَعدَهُ ... بَقاءٌ وما لِي جُرْمَةٌ فَأُلامُ؟!
فَيَمنَعُنِي مِمَّا تَقُولُ تَكَرُّمِي ... وآباءُ صِدقٍ سالِفُونَ كِرامُ
ويَمنَعُها مِمَّا تَقُولُ صَلاتُهَا ... وحالٌ لَها في قَومِها وصِيامُ
فَهاتانِ حالانا؛ فَهَل أنتَ راجِعِي ... فَقَد جُبَّ مِنِّي كاهِلٌ وسَنَامُ؟!

فلمَّا قرأ عمر رضي الله عنه هذه الأبياتَ، قال: أمَّا ولِي السُّلطان فلا!

وأقطعَه دارًا بالبصرةِ في سُوقها، فلمَّا مات عمر رَكِب راحلتَه وتوجَّه نحوَ المدينة.

* وقال عبيدُ الله بن قَيس الرُّقَيَّات:

بَكَرَت عَلَيَّ عَواذِلِي ... يَلحَينَنِي وأَلُومُهُنَّهْ
ويَقُلنَ: شَيْبٌ قَد عَلَا ... كَ وَقَد كَبِرتَ، فَقُلتُ: إنَّهْ
لا بُدَّ مِن شَيبٍ فَدَعْـ ... ـنَ ولا تُطِلنَ مَلامَكُنَّهْ
ولَقَد عَصَيتُ النَّاهِيا ... تِ النَّاشِراتِ جُيُوبَهُنَّهْ
حتَّى ارعَوَيتُ إلى الرَّشَا ... دِ وما ارعَوَيتُ لِنَهيِهِنَّهْ



## الغَيْرَة

الغَيرةُ صفةٌ حميدة، ولكنَّها إذا جاوزتِ الحدَّ أصبحت شكًّا واتِّهامًا، فهي كغيرها من الصِّفات التي تحتاج إلى الاعتدال، فلا إهمال ولا غلوَّ، ولا إرخاء دائب، ولا شدٌّ باتٌّ، فالحَيطةُ والحَذَر، واجتنابُ المزالِق، والابتعادُ عن المخاطِر مطلوبةٌ، وأمَّا سوء الظنِّ، والرَّيب والاتِّهام، فإنَّها مجلبَةٌ للشِّقاق والنُّفور والخِصام، ومبدِّدة للودِّ والوفاقِ والائتلاف، وخيرُ الأمور أوساطُها.

* قال أبو يعقوب إسحاقُ بن حسَّان الخُرَيْمِي:

ما أَحسَنَ الغَيْرَةَ في حِينِهَا ... وأَقبَحَ الغَيْرَةَ في كُلِّ حِينْ
مَن لم يَزَلْ مُتَّهِمًا عِرْسَهُ ... مُناصِبًا فيها لِرَيبِ الظُّنُونْ
أَوشَكَ أَن يُغرِيَها بالَّذِي ... يَخَافُ أن يُبرِزَهَا لِلعُيُونْ
حَسبُكَ مِن تَحصِينِها وَضْعُهَا ... مِنكَ إلى عِرْضٍ صَحِيحٍ ودِينْ
لا تَطَّلِعْ مِنكَ عَلى رِيبَةٍ ... فَيَتبَعَ المَقْرُونُ حَبلَ القَرِينْ

## السَّعيدُ منَ الناس

يتباهى الناسُ بالثراءِ والشَّباب والجاه، وركوب السيَّارات الفارهة، والقصور الشامخة، وعِزِّ القَبيل، وكثرةِ العَشيرة، والعِزُّ الحقيقي هو في طاعة الله وتَركِ الآثام؛ فالدُّنيا عَرَضٌ زائل، وظِلٌّ مُبارِح، وأيَّامٌ محدودة، وليالٍ معدودة، فالسَّعيدُ مَن كان نصيبُه منها فِعلَ الخير، والمبادرةَ إلى طاعة الله، والتعاون على البرِّ والتقوى، وفي ذلك فليتنافسِ المتنافسون، ولمِثل ذلك فليعملِ العاملون.

* سأل الحجَّاج شيخًا طاعنًا في السِّنِّ، فقال: كيف طعامُك؟

قال: إذا أكلتُ ثَقُلت، وإذا تُرِكتُ ضَعُفت.

قال: كيف نِكاحُك؟

قال: إذا بُذِل لي عجَزت، وإذا مُنِعتُ شَرِهت.

قال: كيف نومُك؟

قال: أنامُ في المَجمَع، وأسهرُ في المَضجَع.

قال: كيف قيامُك وقعودُك؟

قال: إذا قعدتُّ تباعدَتْ عنِّي الأرض، وإذا قُمتُ لَزِمَتني.

قال: كيف مَشيُك؟

قال: تَعقِلُني الشَّعْرَة، وتُعثِرُني البَعْرَة.

## علماءُ ووعَّاظ

اشتهر مِن علماء المسلمين ووعَّاظهم كثيرون، وكان لهؤلاء الوعَّاظ العلماء أسلوبٌ يوقظ المشاعر، وينبِّه إلى عدم الاغترار بالدنيا، والاستعداد ليوم اللقاء ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ۝٩﴾ [النازعات: ٦ - ٩].

وكان هؤلاء العلماءُ يَحضُّون ويُشوِّقون، ويَرجون للمسلمين خيرًا، ولا يُقنِّطونهم من رحمة الله أو يبعثون في نفوسهم اليأسَ والحِرمان.

* قال أبو الدَّرْدَاء: أضحكني ثلاث، وأبكاني ثلاث: أضحكني مؤمِّل الدُّنيا والموتُ يطلبُه، وغافِلٌ لا يُغفل عنه، وضاحِكٌ فيها ولا يَدري أساخطٌ

ربُّه أم راضٍ.

وأبكاني هَولُ المطلَع، وانقطاعُ العمل، ومَوقفي بين يدي الله، لا أدري أيأمُر بي إلى الجنَّة، أم إلى النَّار!

* كان الحسنُ البصريُّ يقول: ما أنعم الله على عبد نِعمةً إلَّا وعليه فيها تَبِعَة، إلَّا ما كان مِن نعمةٍ لسُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فإنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ [ص: ٣٩].

* قال الهَيْثَمُ بن عَدِيٍّ عن رجاله: بَينا حُذَيْفَةُ بن اليَمَانِ وسَلمانُ الفارسيُّ يتذاكرانِ أعاجيبَ الزمان وتَغيُّرَ الأيَّام - وهما في عَرْصَةِ إيوانِ كِسرَى - وكان أعرابيٌّ من غامد يَرعى شُويهاتٍ له نهارًا، فإذا كان اللَّيلُ صرَّهنَّ إلى داخل العَرْصَة، وفي العَرْصَةِ سريرُ رُخامٍ كان كِسرَى ربَّما جلس عليه، فصعِدَت غُنيماتُ الغامديِّ على سرير كِسرَى، فقال سَلمان:

ومن أعجبِ ما تذاكَرنا صعودُ غُنيماتِ الغامديِّ على سريرِ كِسرَى!

* قال عُروةُ بن الزُّبَيْر: التواضُع أحدُ مصائِب الشَّرَف.

* قال الحسن البصريُّ: يا ابن آدم؛ طَأِ الأرضَ بقَدَمِك، فإنَّها عمَّا قليل قبرُك، واعلَم أنَّك لم تَزَل في هَدم عمرِك منذُ سقطتَ مِن بطنِ أمِّك، فرحم الله رجلًا نظرَ فتفكَّر، وتفكَّر فاعتبَر، واعتبَر فأبصَر، وأبصَر فصَبَر، فقد أبصرَ أقوامٌ ولم يَصبروا، فذهبَ الجَزَعُ بقلوبِهم، ولم يُدركوا ما طلبوا، ولم يرجعوا إلى ما فارقوا.

يا ابنَ آدم؛ اذكُر قوله: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤]، عَدَل واللهِ مَن جعلَك حسيبَ نفسِك.

* أنشدَ أعرابي:

وَمـا هَـذِهِ الأيّـامُ إلَّا مُـعـارَةٌ ... فَما اسطَعْتَ مِن مَعرُوفِها فَتَزَوَّدِ
فـإنَّـكَ لا تَـدرِي بِـأيَّـةِ بَـلْـدَةٍ ... تَمُوتُ ولا ما يُحدِثُ اللهُ في غَدِ
يَقُولونَ: لا تَبْعَدْ ومَن يَكُ مُسدَلًا ... عَلى وَجهِهِ سِترٌ مِنَ الأَرضِ يَبعَدِ

* قال رجل لأُمِّ الدَّرْدَاء: إنِّي لأجدُ في قَلبي داءً لا أجدُ له دواءً، وأجدُ قسوةً شديدة، وأملًا بعيدًا!

قالت: اطَّلِع في القُبور، واشهَدِ الموتى.

* قال الحسن: ما أطال عبدٌ الأَمَل، إلَّا أساءَ العمل.

* قال التَّيْمِي:

إذا كانَتِ السَّبعُونَ سِنَّكَ لم يَكُنْ ... لِدائِكَ إلَّا أَن تَمُوتَ طَبِيبُ
وإنَّ امرَءًا قَدْ سارَ سَبعِينَ حِجَّةً ... إلى مَنْهَلٍ مِن وِرْدِهِ لَقَرِيبُ
إذا ما مَضَى القَرْنُ الذي أنتَ فيهِمُ ... وَخُلِّفتَ مِن قَرْنٍ فأَنتَ غَرِيبُ
إذا ما خَلَوتَ الدَّهرَ يَومًا فَلا تَقُلْ ... خَلَوتُ ولَكِنْ قُل عَلَيَّ رَقِيبُ

## دعاء

قال أعرابيٌّ في دعائه: اللهمَّ لا تُخيِّبني وأنا أرجوك، ولا تُعذِّبني وأنا أدعوك، اللهمَّ فقد دعوتُك كما أمرتَني، فأجِبني كما وعدتَّني.

* قَدِمَ الهَيْثَمُ بن الأسوَدِ بن العُرْيانِ على عبدِ الملكِ بن مَرْوان، فقال: كيف تجدُك؟

قال: أجِدُني قد ابيضَّ منِّي ما كنتُ أحبُّ أن يسودَّ، واسودَّ منِّي ما كنتُ أحبُّ أن يبيضَّ، واشتدَّ منِّي ما كنتُ أُحبُّ أن يلين، ولانَ منِّي ما كنتُ أحبُّ

أن يشتدَّ، ثم أنشد:

إسـمَـعْ أُنَـبِّـئْـكَ بِـآيـاتِ الـكِـبَـرْ　　نَـومُ الـعَـشِـيِّ وسُـعـالٌ بِـالـسَّـحَـرْ
وقِـلَّـةُ الـنَّـومِ إذا الـلَّـيـلُ اعـتَـكَـرْ　　وقِـلَّـةُ الـطُّـعْـمِ إذا الـزَّادُ حَـضَـرْ
وسُـرْعَـةُ الـطَّـرْفِ وتَـحْـمِـيـجُ الـنَّـظَـرْ　　وتَـرْكِـيَ الـحَـسـنَـاءَ فـي قُـبْـلِ الـطُّـهُـرْ
وحَـــــذَرًا أَزدَادُهُ إلـــــى حَـــــذَرْ　　والـنَّـاسُ يَـبْـلَـونَ كَـما يَـبْـلَـى الـشَّـجَـرْ

## دعاء

اللهمَّ أحْسِن عاقبتَنا في الأمورِ كلِّها، وأجِرنا من خِزيِ الدُّنيا وعذابِ الآخرة.

## نُكتَة

نابَتِ الحجَّاجَ في صديق له مصيبةٌ، ورسولٌ لعبد الملك شاميٌّ عندَه، فقال الحجَّاج: ليتَ إنسانًا يُعزِّيني بأبيات!

فقال الشامي: أقول؟

قال: قل.

فقال: وكلُّ خليل سوفَ يُفارِق خليلَه بموت، أو يُصابُ، أو يقعُ من فوقِ البيت، أو يقعُ عليه، أو يقعُ في بئر، أو يكون شيءٌ لا نعرفه.

فقال الحجَّاج: قد سلَّيتَني عن مصيبَتي بأعظمَ منها في أمير المؤمنين؛ إذ وَجَّه مثلَك رسولًا!

* ضرب الحجَّاجُ أعناقَ أسرى، فلمَّا قَدَّموا إليه رجلًا ليضربَ عُنقَه، قال: والله لئن كنَّا أسأنَا في الذَّنب، فما أحسنتَ في العفو!

فقال الحجَّاج: أُفٍّ لهذه الجِيَف! أما كان فيها أحدٌ يُحسِن مثلَ هذا الكلام؟!

وأمسكَ عن القَتل.

* وقال الحُسينُ بن الضَّحَّاك المعروف بالخَلِيع:

أَصبَحتُ مِن أُسَراءِ اللهِ مُحتَسِبًا     في الأرضِ نَحوَ قَضاءِ اللهِ والقَدَرِ
إنَّ الثَّمانِينَ إذ وَفَّيْتُ عِدَّتَهَا     لم تُبقِ باقِيَةً مِنِّي ولم تَذَرِ

## نُكتَة

دخلَت عجوزٌ على قوم تُعزِّيهم بميِّت، فرأت عَلِيلًا في الدار، فقالت: أنا واللهِ يشُقُّ عليَّ المشي؛ وأحسنَ الله عزاءَكم في هذا العليلِ أيضًا!

## الأمانيُّ عِراض

الأمانيُّ عِراض، والأحلامُ كثيرة، والعُمر محدود، ولا يَدري المرءُ متى يُفاجئه الأجلُ المحتوم، وفي أيِّ أرض يموت.

ولا يَعلم كيف يُلاقِيه حتفُه، ويدنو منه حِينُه، ويودِّع الدنيا، ولله حِكَمٌ جليلةٌ تَخفى على العِباد، وليتصوَّر الإنسانُ نفسَه لو علم بالتحديد اليومَ والساعةَ والدقيقةَ التي تُفارِق فيها رُوحُه جسدَه، وينتقل من دار الفَناء إلى دار البَقاء: أيُّ همٍّ يُصيبه؟ وأيُّ حياةٍ نَكِدَةٍ مملوءةٍ بالألَم والأحزان سيعيشُها؟

* ذهبَ مالك بن الرَّيْبِ في صُحبة سعيدِ بن عثمانَ بن عفَّانَ حينما سار بجُنده في طريق فارس، حتى إذا كان ببعض المنازِل لَدغَت مالكًا أفعى، وحين أحسَّ بالموت يَسري في أوصاله قال قصيدةً وداعيَّةً مؤثِّرة، يقول فيها:

أَلا لَيتَ شِعْرِي هَل أَبِيتَنَّ لَيلَةً بِجَنبِ الغَضَا أُزْجِي القِلاصَ النَّواجِيَا
أَلَم تَرَنِي بِعتُ الضَّلالَةَ بِالهُدَى وَأَصبَحتُ في جَيشِ ابنِ عَفَّانَ غازِيَا؟!
لَعَمرِي لَئِنْ غالَتْ خُراسَانُ هامَتِي لَقَد كُنتُ مِن بابَي خُراسَانَ نَائِيَا
فَلِلَّهِ دَرِّي يَومَ أَترُكُ طائِعًا بَنِيَّ بِأَعلَى الرَّقْمَتَينِ ومالِيَا
تَذَكَّرتُ مَن يَبكِي عَلَيَّ فَلَم أَجِد سِوَى السَّيفِ والرُّمحِ الرُّدَيْنِيِّ باكِيَا
وأَشقَرَ خِنْذِيذٍ يَجُرُّ عِنَانُهُ إلى الماءِ لم يَترُكْ لَهُ الدَّهرُ ساقِيَا
ولَكِن بِأَطْرافِ السُّمَينَةِ نِسوَةٌ عَزِيزٌ عَلَيهِنَّ العَشِيَّةَ ما بِيَا
فَقَد كُنتُ عَطَّافًا إذا الخَيلُ أَدبَرَتْ سَرِيعًا لَدَى الهَيْجَا إلى مَن دَعانِيَا
وقَد كُنتُ مَحمُودًا لَدَى الزَّادِ والقِرَى وعَن شَتْمِيَ ابنَ العَمِّ والجارَ وانِيَا
وقَد كُنتُ صَبَّارًا عَلى القِرْنِ في الوَغَى ثَقِيلًا عَلى الأَعْداءِ عَضْبًا لِسَانِيَا
وطَوْرًا تَرانِي في ظِلالٍ ومَجْمَعٍ وطَوْرًا تَرانِي والعِتَاقُ رِكابِيَا
وطَوْرًا تَرانِي في رَحًى مُستَدِيرَةٍ تُخَرِّقُ أَطْرافُ الرِّماحِ ثِيَابِيَا
وُقُوفًا عَلَى بِئْرِ الشُّبَيكِ فَأَسْمِعَا بِها الوَحْشَ والبِيضَ الحِسانَ الرَّوانِيَا
يَقولُونَ: لا تَبْعَدْ وهُم يَدفِنُونَنِي وأينَ مَكانُ البُعْدِ إلَّا مَكانِيَا

* قال الأصمعيُّ وغير واحد: لَمَّا ماتت النَّوار بنت أَعْيَنَ ابن ضُبَيْعَةَ المُجاشِعِيِّ امرأةُ الفرزدق - وكانَت قد أوصَت أن يصلِّي عليها الحسنُ البصري - فشهِدَها أعيانُ أهل البصرةِ مع الحسن، والحسنُ على بغلته، والفَرَزْدَقُ على بَعِيره، فسارا، فقال الحسنُ للفرزدق: ماذا يقولُ الناس؟

قال: يقولون: شَهِد هذه الجنازةَ اليوم خيرُ الناس؛ يعنونَك، وشرُّ الناس؛ يعنوني!

فقال له: يا أبا فِراس، لستُ أنا بخير الناس، ولستَ أنتَ بشرِّ الناس.

ثم قال له الحسن: ما أعددتَّ لهذا اليوم؟

قال: شهادةُ أن لا إله إلَّا الله، منذ ثمانين سَنَة.

فلمَّا أن صلَّى عليها الحسنُ مالوا إلى قبرها، فأنشأ الفَرَزْدَقُ يقول:

أَخافُ وَراءَ القَبرِ إن لم يُعافِنِي ... أَشَدَّ مِنَ القَبرِ التِهابًا وأَضْيَقَا
إذا جاءَنِي يَومَ القِيامَةِ قائِدٌ ... عَنِيفٌ وسَوَّاقٌ يَسُوقُ الفَرَزْدَقَا
لَقَد خابَ مِن أَولادِ دارِمَ مَن مَشَى ... إلى النَّارِ مَغْلُولَ القِلادَةِ أَزرَقَا
يُساقُ إلى نَارِ الجَحِيم مُسَرْبَلًا ... سَرابِيلَ قَطْرَانٍ لِباسًا مُخَرَّقَا
إذا شَرِبُوا فيها الصَّدِيدَ رَأَيتَهُمْ ... يَذُوبُونَ مِن حَرِّ الصَّدِيدِ تَمَزُّقَا

قال: فبَكَى الحسنُ حتى بلَّ الثَّرى، ثم التزَمَ الفَرَزْدَق، وقال: لقد كنتَ مِن أبغضِ الناس إليَّ، وإنَّك اليومَ من أحبِّ الناس إليَّ!

## المُعرِقونَ في الموت

خطب عمرُ بن عبد العزيز يومًا الناسَ فقال؛ وقد خَنَقَتهُ العَبْرة:

أيُّها الناس؛ أصلحوا آخرتَكم يُصلحِ اللهُ دنياكُم، وأصلِحوا أسرارَكم يُصلِحِ اللهُ علانِيتَكُم، واللهِ إنَّ عبدًا ليس بينَه وبينَ آدم إلَّا مَن قد ماتَ إنَّه لَمُعرِقٌ في الموت.

## دعاء

اللهمَّ يسِّر أُمورَنا، واستُر عُيوبَنا، واغفِر لنا، إنَّك سميع مُجيب.

* وقال الشاعر:

عَجِبتُ لِلمَرْءِ في دُنياهُ تُطْمِعُهُ ... في العَيشِ والأَجَلُ المَحتُومُ يَقطَعُهُ

يُمسِي ويُصبِحُ في عَشْوَاءَ يَخْبِطُهَا ... أَعمَى البَصِيرَةِ وَالآمَالُ تَخْدَعُهُ
يَغتَرُّ بِالدَّهرِ مَسرُورًا بِصُحبَتِهِ ... وقَد تَيَقَّنَ أَنَّ الدَّهرَ يَصرَعُهُ
ويَجمَعُ المالَ حِرْصًا لا يُفارِقُهُ ... وما دَرَى أَنَّهُ لِلغَيْرِ يَجمَعُهُ
تَراهُ يُشفِقُ مِن تَضيِيعِ دِرْهَمِهِ ... وليسَ يُشفِقُ مِن دِينٍ يُضَيِّعُهُ
وأَسوَأُ النَّاسِ تَدبِيرًا لِعاقِبَةٍ ... مَن أَنفَقَ العُمْرَ فيما لَيسَ يَنفَعُهُ

* قال أحدُ الحُكماء:

أمَّا بعدُ:

فما أبعدَ ما فات، وما أسرعَ ما هو آت!

* قيل لشيخ: ما بَقِي منك؟

قال: يسبِقُني مَن بينَ يدي، ويلحقُني مَن خلفي، وأنسَى الحديث، وأذكرُ القديم، وأنعُسُ في المَلا، وأسهَرُ في الخَلا، وإذا قمتُ قرُبتِ الأرض منِّي، وإذا قعدتُّ تباعدَت عنِّي.

## نادرة

قال أبو الحسن المَدائِنِيُّ: مَرِض فتًى عندَنا، فقال له عمُّه: أيَّ شيء تشتهي؟

قال: رأسَ كَبْشَين.

قال: لا يكون.

قال: فرأسَ كَبْش.

* وقال الشاعر:

ذَكَرتُ أَبا أَرْوَى فَبِتُّ كأَنَّنِي ... بِرَدِّ الأُمُورِ الماضِيَاتِ وَكِيلُ

لِكُلِّ اجتِماعٍ مِن خَلِيلَينِ فُرقَةٌ    وكُلُّ الذي دُونَ المَماتِ قَلِيلُ
وإنَّ افتِقَادِي واحِدًا بعدَ واحِدٍ    دَلِيلٌ عَلى أَلَّا يَدُومَ خَلِيلُ

* وقال لَبِيدُ بن رَبِيعَة:

تَمَنَّى ابنَتَايَ أن يَعِيشَ أبُوهُمَا    وهَل أَنَا إلَّا مِن رَبِيعَةَ أَوْ مُضَرْ؟!
إذا حانَ يَومًا أَن يَمُوتَ أبُوكُمَا    فَلا تَخْمِشا وَجهًا ولا تَحْلِقا شَعَرْ
وقُولا: هُوَ المَرءُ الذي لَيسَ جارُهُ    مُضاعًا ولا خانَ الصَّدِيقَ ولا غَدَرْ
إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسمُ السَّلامِ عَلَيكُمَا    ومَنْ يَبْكِ حَوْلًا كامِلًا فَقَدِ اعتَذَرْ

* قيل لبعض العلماء: مَن أسوأُ الناس حالًا؟

قال: عبد الله بن عبد الأعلى الشَّيباني؛ القائلُ عندَ موته: دخلتُها جاهلًا، وأقمتُ فيها حائرًا، وأُخرجتُ منها كارهًا؛ يعني: الدُّنيا.

* قال المدائنيُّ: قَدِم رجلٌ من عَبْس ضريرٌ محطومُ الوجه على الوليدِ، فسألَه عن سببِ ضُرِّه، فقال: بتُّ ليلةً في بطن وادٍ، ولا أعلمُ على الأرض عَبْسِيًّا يَزيدُ مالُه على مالي، فطرقَنَا سَيلٌ فأذهبَ ما كان لي من أهل ومال وولد، إلَّا صَبِيًّا رضيعًا، وبعيرًا صعبًا، فندَّ البعيرُ والصبيُّ معي فوضعتُه واتَّبعتُ البعيرَ لأحبِسَه، فما جاوزتُ إلَّا ورأسُ الذِّئبِ في بطنِه قد أكلَه، فتركتُه واتَّبعتُ البعيرَ فاستدارَ فرَمَحني رَمْحَةً حَطَمَ بها وجهي، وأذهبَ عيني، فأصبحتُ لا ذا مال ولا ذا ولد! فقال الوليد: اذهَبوا به إلى عُروَة؛ ليعلمَ أنَّ في الناس مَن هو أعظمُ بلاءً منه!

وكان عُروَةُ قد أُصيبَت رِجلُه بالأَكِلَة، فقُطِعت، ثم إنَّ فرسًا رَفَسَت أحبَّ أبنائه إليه فمات، وقد أظهرَ عُروَةُ صبرًا عجيبًا.

* قيل: إن عمر بن عبد العزيز قال قبلَ خلافته:

إنَّهَ الفُؤادَ عَنِ الصِّبَا    وعَنِ انْقِيادٍ لِلهَوَى

فلَعَمْرُ رَبِّكَ إنَّ في شَيْبِ المَفارِقِ والجَلَى
لَكَ واعِظًا لَوْ كُنتَ تَتْـ ـتَعِظُ اتِّعاظَ ذَوِي النُّهَى
حَتَّى مَتَى لا تَرْعَوِي وإلى مَتَى وإلى مَتَى؟!
ما بَعدَ أن سُمِّيتَ كَهْـ ـلًا وَاستُلِبتَ اسمَ الفَتَى؟!
بَلِيَ الشَّبابُ وأنتَ إن عُمِّرتَ رَهْنٌ لِلبِلَى
وكَفَى بِذَلِكَ زاجِرًا لِلمَرْءِ عَن غَيٍّ كَفَى

* قال أبو العَيْنَاء: كنتُ بحِمص فماتَ لجارٍ لي بنتٌ، فقيل له: كم لها؟ قال: ما أدري! ولكنَّها وُلِدَت أيَّام البَراغِيث!

## الموتُ حقٌّ

الموت حَقٌّ لا ريبَ فيه، ولا خلاصَ منه، ولا حِيلةَ في دفعه، عجزَ عن ردِّه الأطبَّاء، واستحالَ الهربُ منه على الفلاسفة والعلماء، ولم يُجامِلِ الملوكَ والزُّعماء، ولا حابَى الأثرياءَ والكُبراء، لا تمنع منه الحُصونُ الشاهقة، والبروج المشيَّدة، والمخابئ المستورة، والجِبال الراسية.

أين منه الهرب والفَكاك؛ ولَاتَ حِينَ مَناص، وكلٌّ سيأتيه أجَلُه في موعدٍ لا يستقدِم عنه ولا يستأخر، مهما رامَ وسعَى، وفَرَّ واستتَر؟!

وهذه حقيقةٌ ليسَت محَلَّ خلاف، ولا موطنَ شكٍّ وعِناد، والسعيدُ مَن عمل في هذه الحياة أعمالًا صالِحة، وتزوَّد من التقوى، واستعدَّ ليوم الحشر واللِّقاء.

* قال رجل لعمرَ بن عبد العزيز:

تَعَزَّ أَمِيرَ المُؤمِنِينَ فإنَّهُ لِما قَد تَرَى يُغْذَى الصَّغِيرُ ويُولَدُ

هَـلِ ابـنُـكَ إلَّا مِـن سُـلالَـةِ آدَمٍ    لِكُـلٍّ عَـلَى حَـوضِ الـمَـنِيَّـةِ مَـورِدُ

* وقيل لأعرابيَّةٍ ماتَ ابنُها: ما أحسنَ عزاءَكِ؟

فقالت: إنَّ فَقدِي أباهُ آمنَني مِن المصيبةِ بعدَه.

* وقال آخر:

إصـبِـرْ لِـكُـلِّ مُـصِـيـبَـةٍ وتَـجَـلَّـدِ    واعـلـم بـأنَّ الـدَّهـرَ غَـيـرُ مُـخَـلَّـدِ
أَوَمـا تَـرَى أَنَّ الـحَـوادِثَ جَـمَّـةٌ    وتَـرَى الـمَـنِـيَّـةَ لِـلـعِـبـادِ بِـمَـرْصَـدِ؟!
وإذا أَتَـتـكَ مُـصِـيـبَـةٌ تَـشْـجَـى بِـهَـا    فَـاذكُـرْ مُـصـابَـكَ بـالـنَّـبِـيِّ مُـحَـمَّـدِ

* كان رجلٌ أحدبُ قد سَقَط في بئرٍ فذهبَت حدَبَتُه، فصارَ آدَرَ - والآدَرُ هو الذي انتفخَت إحدى خُصْيَتَيه - فدخلوا عليه يسألونَه ويُهنِّئونه بذَهابِ حَدَبَتِه، فجعل يقول: الذي جاءَ شرٌّ مِنَ الذي ذهب!

* وذكر أعرابيٌّ رجلًا، فقال: كان واللهِ إذا نزلَت به الحوائجُ قامَ إليها، ثم قامَ بها، ولم تقعُد به علَّاتُ النُّفوس.

* غَضِب معاويةُ على ابنه يَزيدَ فهجرَه، فقال له الأَحْنَف: يا أميرَ المؤمنين؛ أولادُنا ثِمارُ قلوبِنا، وعِمادُ ظُهورِنا، ونحنُ لهم سماءٌ ظَلِيلَة، وأرضٌ ذَلِيلَة، فإن غَضِبوا فأرضِهم، وإن سألوا فأعطِهم، ولا تكن عليهم قُفْلًا فيَملُّوا حياتَك، ويتمنَّوا موتَك.

* قال مُصعَب:

فـي الـقَـوم مُـعـتَـصِـمٌ بِـقُـوَّةِ أَمـرِهِ    ومُـقَـصِّـرٌ أَودَى بِـهِ الـتَّـقـصِـيـرُ
لا تَـرضَ مَـنـزِلَـةَ الـذَّلِـيـلِ ولا تَـقُـمْ    فـي دارِ مَـعْـجَـزَةٍ وأنـتَ خَـبِـيـرُ
وإذا هَـمَـمـتَ فـأَمْـضِ هَـمَّـكَ إنَّـمَـا    طَـلَـبُ الـحَـوائِـجِ كُـلُّـهُ تَـعْـزِيـرُ

* قال رجلٌ من وَلَدِ طَلَبَةَ بن قَيسِ بن عاصم:

وكُنتُ إذا خَاصَمتُ خَصمًا كَبَبتُهُ عَلَى الوَجْهِ حتَّى خاصَمَتنِي الدَّراهِمُ
فَلَمَّا تَنازَعنا الخُصُومَةَ غُلِّبَتْ عَلَيَّ وقالُوا: قُم فَإنَّكَ ظالِمُ

* عاد قومٌ عَلِيلًا، فأطالوا عندَه المُكْث، فقال لهم: إن كان لكم في الدارِ شيءٌ فخُذوه وانصرفوا.

* وقال آخر: إذا دخلتَ على مريض فلا تَنْعَ إليه الموتى.

وقال غيره: عِيادةُ النَّوْكَى أشدُّ على المريض من وَجَعِه.

* كان معاويةُ بن مَرْوان من الحمقى، وله في ذلك قصصٌ كثيرة، فمِن ذلك: أنَّه أقبلَ إليه ذاتَ يوم قومٌ من جِيرانِه، فقالوا: ماتَ جارُك أبو فلان فمُرْ له بكَفَن، فقال: ما عندَنا اليومَ شيءٌ، ولكن عودوا إلينا إذا نُبِش!

* وقال بعض الشُّعراء:

تَعَزَّ فإنَّ الصَّبرَ بالحُرِّ أَجمَلُ وليسَ عَلَى رَيبِ الزَّمانِ مُعَوَّلُ
فَلَو كانَ يُغنِي أَن يُرَى المَرْءُ جازِعًا لِنازِلَةٍ أَو كانَ يُغنِي التَّذَلُّلُ
لَكانَ التَّعَزِّي عِندَ كُلِّ مُصِيبَةٍ ونَازِلَةٍ بالحُرِّ أَولَى وأَجمَلُ
فكَيفَ وكُلٌّ ليسَ يَعدُو حِمَامَهُ ولا لِامْرِئٍ عَمَّا قَضَى اللهُ مَزْحَلُ
فإنْ تَكُنِ الأَيَّامُ فينا تَبَدَّلَتْ بِبُؤسَى ونُعمَى وَالحَوادِثُ تَفعَلُ
فَما لَيَّنَت مِنَّا قَناةً صَلِيبَةً ولا ذَلَّلَتْنا للذِي ليسَ يَجْمُلُ
ولكِنْ رَحَلْناها نُفُوسًا كَرِيمَةً تُحَمَّلُ ما لا يُستَطاعُ فتَحمِلُ
وَقَينا بِعَزمِ الصَّبرِ مِنَّا نُفُوسَنَا فَصَحَّت لَنا الأَعراضُ والنَّاسُ هُزَّلُ

* وكان محمَّد بن عليِّ بن الحسين يقول: اللهمَّ أعنِّي على الدُّنيا بالغِنى، وعلى الآخرةِ بالتقوى.

* احتُضِر سيبويهِ فوَضَع رأسَه في حَجْرِ أخيه، فقطرَت قطرةٌ من دموع أخيهِ على خَدِّه، فأفاقَ من غَشيَتِه وقال:

أُخَيَّيـنِ كُنَّـا فَـرَّقَ الـدَّهـرُ بَـيـنَـنَـا   إلى الأَمَدِ الأَقْصَى ومَن يَأمَنُ الدَّهرَا؟!

## دعاء

اللهمَّ ألهِمنا الرُّشدَ في الأمورِ كلِّها، وقِنا من خزي الدُّنيا وعذاب الآخرة، ولا تجعَلنا فِتنةً للقوم الظالمين.

## موعظةُ أبي العَتاهِيَة

قال أبو العَتاهِيَة:

بَلِيتَ وما تَبلَى ثِيابُ صِباكَا   كَفاكَ مِنَ اللَّهوِ المُضِرِّ كَفاكَا
ألم تَرَ أنَّ الشَّيبَ قد قامَ ناعِيًا   مَقَامَ الشَّبابِ الغَضِّ ثَمَّ نَعاكَا
تَسَمَّعْ ودَعْ مَن أَغلَقَ الغَيُّ سَمعَهُ   كَأنِّي بِداعٍ قد أَتى فَدَعاكَا
ألا لَيتَ شِعرِي كيفَ أنتَ إذا القَوِي   دَعا وإذا الكَرْبُ الشَّدِيدُ عَلاكَا؟!
تَمُوتُ كَما ماتَ الذينَ نَسِيتَهُمْ   وتُنْسَى وتَهْوَى العِرْسُ بعدُ سِواكَا
تَمَنَّيتَ لَو ما نِلْتَ ثُمَّ تَرَكتَهَا   تَنَقَّلُ بينَ الوارِثِينَ مُنَاكَا
إذا لم تَكُن في مَتْجَرِ البِرِّ والتُّقَى   خَسِرتَ نَجاةً وَاكتَسَبتَ هَلاكَا
إذا أنتَ لم تَعْزِمْ عَلى الصَّبرِ لِلأَذَى   رَمَيتَ الذي مِنهُ الأَذَى ورَماكَا
إذا كُنتَ تَبغِي البِرَّ فَاكفُفْ عَنِ الأَذَى   وما البِرُّ إلَّا أَن تَكُفَّ أَذاكَا
أَخُوكَ الذي مِن نَفْسِهِ لَكَ مُنصِفٌ   إذا المَرْءُ لم يَنفَعكَ ليسَ أَخاكَا

* وقال عمر بن الخطَّاب:

مَن أُعطي الدُّعاء لم يُحرَم الإجابة؛ قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، ومَن أُعطي الشُّكر لم يُحرَمِ الزِّيادة؛ لقوله ﷻ: ﴿لَئِن

شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، ومَن أُعطي الاستغفارَ لم يُحرَمِ القَبول؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩].

## عبد الملكِ عندَ وفاته

لَمَّا حضرتِ الوفاةُ عبدَ الملك بن مَرْوان دَعَا بَنِيه فوصَّاهم، ثم قال: الحمدُ لله الذي لا يَسأل أحدًا مِن خَلقه صغيرًا أو كبيرًا، ثم يُنشد:

فَهَل مِنْ خالِدٍ إمَّا هَلَكْنَا وَهَل بِالمَوتِ لِلبَاقِينِ عارُ؟!

ويُروى أنَّه قال: ارفعوني!

فرفعوه حتى شمَّ الهواء، وقال: يا دُنيا، ما أطيبَك! إنَّ طويلَكِ لقصير، وإنَّ كثيرَكِ لحقير، وإنَّا كنَّا بكِ لفي غُرور! ثم تمثَّل بهذين البيتَين:

إن تُناقِشْ يَكُن نِقاشُكَ يا رَبْـ ـبِ عَذابًا لا طَوْقَ لي بِالعَذابِ
أَو تَجاوَزْ فَأَنتَ رَبٌّ صَفُوحٌ عَن مُسِيءٍ ذُنوبُهُ كالتُّرابِ

* كان عبد الملك بن مَرْوان في مرضِه الذي مات فيه يَعطَش، وقيل له: إن شرِبتَ الماء مِتَّ، فأقبل ذات يوم بعضُ العُوَّاد، فقال: كيف حالُ أمير المؤمنين؟

قال: أنا صالِح والحمد لله، ثم أنشأ يقول:

ومُستَخْبِرٌ عَنَّا يُرِيدُ بِنا الرَّدَى ومُستَخبِراتٌ وَالعُيُونُ سَواجِمُ

ويلَكم! اسقُوني ماءً، وإن كان فيه تَلَفُ نفسي!

فشَرِب، ثم مات.

* مرضَ الأَعْمَشُ فأبرَمَه الناس بالسؤال عن حاله، فكتب قصَّته في كتابٍ وجعلَه عندَ رأسه، فإذا سأله أحد قال: عندَك القِصَّة في كتاب.

* دخل مَصْقَلَةُ بن هُبَيْرَةَ على معاوية، ومعاويةُ عليلٌ، وقد أرجفَ الناس بعِلَّتِه، فأخذَ معاوية بيده، ثم قال: يا مَصْقَل:

أَبْقِ الحَوادِثَ مِن خَلِيـ ـلِكَ مِثلَ جَنْدَلَةِ المَراجِمْ
قد رامَنِي الأَقْوامُ قَبْـ ـلَكَ فَامتَنَعتُ مِنَ المَظالِمْ

فقال مَصْقَلَة: أمَّا قولُ أمير المؤمنين: «أبقِ الحوادثَ من خليلك»، فقد أبقى الله منكَ جبلًا راسيًا، وكَلأً مرعيًّا لصَديقِك، وسُمًّا ناقعًا لعدوِّك.

وأمَّا قولك: «قد رامَني الأقوامُ قبلَك»، فمن ذا يرومُكَ أو يظلِمك؟! فقد كان الناس مشركِين، فكان أبو سفيانَ سيِّدَهم، وأصبحَ الناس مسلمين وأصبحتَ أميرَهم.

فأعطاه معاويةُ فخرجَ فسُئلَ عنه، فقال: والله لغَمَزَني غَمْزَةً كاد يكسِر منها يدي، وأنتم تزعمونه مريضًا!

## طُرفة

قال طبيبٌ لتلميذه: إذا دخلتَ إلى مريض فانظُر إلى أَثَرِ ما عندَه من طعام أو شراب، فانهَه عمَّا لا يصلح من ذلك.

فدخل الغلام يومًا على مريض فنظر إلى حِداجَةِ جَمَل في الدار، فقال للمريض: أنا والله لا أَصِف لك دواءً.

قال: ولِمَ؟!

قال: لأنَّك قد أكلتَ جَمَلًا.

قال: لا واللهِ ما أكلتُ جملًا قطُّ!

فقال: هذه الحِدَاجَة مِن أين؟!

* وقال الأَضْبَطُ بن قُرَيعٍ السَّعدي:

لِـكُـلِّ هَـمٍّ مِـنَ الـهُـمُـومِ سَعَـهْ ... والـمُـسْـيُ والـصُّـبـحُ لا فَـلاحَ مَـعَـهْ
فَـصِـلْ حِـبالَ الـبَـعِـيـدِ إن وَصَـلَ الـ ... ـحَـبْـلَ وأَقْـصِ الـقَـرِيـبَ إن قَـطَـعَـهْ
لا تَـحْـقِـرَنَّ الـفَـقِـيـرَ عَـلَّـكَ أَنْ ... تَـركَـعَ يَـومًـا والـدَّهـرُ قـد رَفَـعَـهْ
وخُـذْ مِـنَ الـدَّهـرِ مـا أَتـاكَ بِـهِ ... مَـن قَـرَّ عَـيـنًـا بِـعَـيـشِـهِ نَـفَـعَـهْ
قَـد يَـجـمَـعُ الـمـالَ غَـيـرُ آكِـلِـهِ ... ويَـأكُـلُ الـمـالَ غَـيـرُ مَـن جَـمَـعَـهْ

* وقال الإمامُ الشافعي:

تَـمَـنَّـى رِجـالٌ أَن أَمُـوتَ وإن أَمُـتْ ... فَـتِـلـكَ سَـبِـيـلٌ لَـسـتُ فـيـهـا بِـأَوحَـدِ
وما مَوتُ مَن قد ماتَ قَبلِي بِضائِرِي ... ولا عَـيـشُ مَـن قـد عـاشَ بَـعـدِي بِمُخلِدِي
لَـعَـلَّ الـذي يَـرجُـو فَـنـائِـي ويَـدَّعِـي ... بِـهِ قَـبلَ مَـوتِـي أَن يكـونَ هُـوَ الـرَّدِي

* وقال الشافعيُّ أيضًا:

ولَـرُبَّ نـازِلَـةٍ يَـضِـيـقُ بِـهـا الـفَـتَـى ... ذَرْعًـا وعِـنـدَ اللهِ مِـنـهـا الـمَـخْـرَجُ
ضاقَتْ فَلَمَّا استَحكَمَت حَلَقاتُهَا ... فُـرِجَـتْ وكُـنـتُ أَظُـنُّـهـا لا تُـفـرَجُ

## نادرة

كتبَ بعض الحمقى إلى صديقٍ له:

بسم الله الرحمن الرحيم، وجعلني الله فِداك، لولا علَّةٌ نسِيتُها لسِرتُ إليك حتى أُعرِّفَك بنفسي، والسلام.

## العمل والخوف

هل يتَّكل المسلِمُ المجتهدُ في العبادةِ على عمله؟ إنَّه إن فعل فقد أصابَه

الغُرور وجَهِل؛ فالمسلِم يعمل ويرجو غُفرانَ الله، وعصاةُ المسلمين تحتَ المشيئة؛ إن شاء الله رَحِمَهم، وإن شاء عذَّبهم بقَدْر ذنوبهم، ثم يُدخِلُهم الجَنَّة بعدَ ذلك؛ «اعملوا؛ فكُلٌّ مُيسَّرٌ لِمَا خُلِق له».

## ما أبلغَه!

قال الأصمعي: لَمَّا مَرِض الحجَّاجُ أرجَفَ الناس بموته؛ فقال في خُطبته: إنَّ طائفةً من أهل الشِّقاق والنِّفاق نَزَغَ الشيطانُ بينهم فقالوا: ماتَ الحجَّاج، وماتَ الحجَّاج، فَمَهْ؟! فهل يرجو الحجَّاج الخيرَ إلَّا بعدَ الموت؟!

والله ما يسرُّني ألَّا أموت وأنَّ لي الدُّنيا وما فيها، وما رأيتُ الله رضي التخليدَ إلَّا لأهونِ خَلقِه عليه (إبليس)؛ قال الله له: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥]، فأنظَرَه إلى يوم الدِّين، ولقد دعا اللهَ العبدُ الصالح، فقال: ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [صٓ: ٣٥]، فأعطاه الله ذلك إلَّا البقاء، ولقد طلب العبدُ الصالحُ الموتَ بعد أن تمَّ له أمرُه، فقال: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

فما عسى أن يكون أيُّها الرَّجل؟! وكلُّكم ذلك الرَّجل، كأنِّي واللهِ بكُلِّ حيٍّ منكم ميتًا، وبكلِّ رطبٍ يابسًا، ثم نُقِل وأثيابُ أكفانه ثلاثةُ أذرع طولًا في ذراع عرضًا، فأكلَتِ الأرضُ لحمَه، ومصَّت صَدِيدَه، وانصرفَ الخبيثُ من وَلَدِه يقسمُ الخبيثَ مِن ماله، إنَّ الذين يعقلون يعقلون ما أقول!

ثم نَزَل.

* ذَكَر الزُّبَيْرُ بن بَكَّار عن عبَّاس بن سهلٍ السَّاعِدِيِّ: أنَّه دخل على جَمِيلٍ وهو يموت، فقال له: ما تقول في رجل لم يشربِ الخمرَ قطُّ، ولم يَزْنِ قطُّ، ولم يسرِق، ولم يَقتُلِ النفس، وهو يشهد أن لا إله إلا الله؟

قال: أظنُّه قد نجا، وأرجو له الجنَّة، فمَن هذا؟

قال: أنا.

فقلت: والله ما أظنُّك سَلِمتَ وأنت تُشبِّب بالنِّساء منذ عشرين سَنة؛ بِبُثَيْنَة!

فقال: لا نالَتنِي شفاعةُ محمَّدٍ ﷺ - وإنِّي لفي أوَّل يوم من أيَّام الآخرة، وآخرِ يوم من أيام الدُّنيا - إن كنتُ وضعتُ يدي عليها برِيبَة!

## دعاء

اللهمَّ اغفِر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياءِ منهم والأموات.

* قيل لمحمَّد بن عليٍّ الباقِر: مَن أشدُّ الناس زُهدًا؟

قال: مَن لا يُبالي الدُّنيا في يدِ مَن كانت.

وقيل له: من أخسرُ الناس صَفْقَة؟

قال: مَن باع الباقيَ بالفاني.

* قالتِ الفارعةُ في أخيها الوليدِ بن طَرِيفٍ تَرثِيه:

أَيا شَجَرَ الخابُورِ ما لكَ مُورِقًا ... كَأنَّكَ لَم تَجزَعْ عَلَى ابنِ طَرِيفِ
فَتًى لا يَذُوقُ الزَّادَ إلَّا مِنَ التَّقى ... وَلا المالَ إلَّا مِن قَنًا وسُيُوفِ

* قال الشَّريف الرَّضِي:

أَمسَيتُ أَرحَمُ مَن أَصبَحتُ أَغبِطُهُ ... لَقَد تَقارَبَ بَينَ العِزِّ وَالهُونِ
ومَنظَرٍ كانَ بِالسَّرَّاءِ يُضحِكُني ... يا قُربَ ما عادَ بِالضَّرَّاءِ يُبكِيني

* قال بعضُهم في دُعائه:

اللهمَّ أعنِّي على الموت وكُربتِه، وعلى القبرِ وغُمَّته، وعلى الميزانِ وخِفَّته، وعلى الصِّراطِ وزَلَّته، وعلى يوم القيامة ورَوعتِه.

* مرضَ عوفُ بن أبي جَمِيلَةَ فعاده قوم، فجعلوا يُثنون عليه، فقال: دَعُونا من الثناء، وأمِدُّونا بالدُّعاء.

* كان الحسن البصريُّ يقول: إنَّكم لا تنالون ما تحبُّون إلَّا بترك ما تشتهون، ولا تُدرِكون ما تُؤمِّلون إلَّا بالصَّبر على ما تكرهون.

* قال الفضل بن الرَّبيع: كنتُ مع المنصور في السَّفر الذي ماتَ فيه، فنزل منزلًا، فبعث إليَّ وهو في قُبَّة ووجهُه إلى الحائط، فقال لي: ألَم أنهَكَ أن تدعَ العامَّةَ يدخلون هذه المنازلَ، فيكتبون ما لا خيرَ فيه؟

قلت: وما هو يا أميرَ المؤمنين؟

قال: أما تَرَى على الحائط مكتوبًا:

أبا جَعفَرٍ حانَتْ وَفاتُكَ وَانقَضَتْ    سِنُوكَ وأَمرُ اللهِ لا بُدَّ نازِلُ
أَبا جَعفَرٍ هَل كاهِنٌ أَو مُنَجِّمٌ    يَرُدُّ قَضاءَ اللهِ أَم أَنتَ جاهِلُ

فقلت: واللهِ ما أرى على الحائط شيئًا، وإنَّه لنقيٌّ أبيض!

قال: إنَّها والله إذًا نفسي نُعِيَت إليَّ، ثم قال: الرحيلَ، بادِر بي إلى حَرَم ربِّي وأمنِه؛ لأهرُبَ من ذنوبي وإسرافي على نفسي!

فرحَلْنا وقد ثَقُل، حتى إذا بلغنا بئرَ مَيمونٍ تُوفي بها.



## نادرة

كتب مجنونٌ إلى صديقٍ له مجنون: بسم الله الرحمن الرحيم، حفظكَ الله وأبقاك، كتبتُ إليك ودِجلَةُ تطغى، وسفنُ الموصل ها هي، وما يزدادُ الصِّبيانُ إلَّا شرًّا، ولا الحجارةُ إلَّا كَثرة، فإيَّاك والمَرَقَ؛ فإنَّه شرُّ طعام في الدُّنيا، ولا تَبِت إلَّا وعند رأسِك حجرٌ أو حجران؛ لأنَّ الله يقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وكتبتُ إليكَ لثلاثَ عشرةَ وأربعين ليلةً خَلَت من عاشوراء، سَنَةَ الكَمْأة.

## الدُّنيا حلوةٌ خَضِرَة

الدُّنيا حُلوةٌ خَضِرَة، وقد أوجدَ اللهُ الإنسانَ فيها ليبلُوَه أيشكُر أم يكفُر، وهي مزرعةٌ للآخرة؛ فمَن زرعَ خيرًا وجدَ خيرًا، ومَن زرعَ شرًّا حَصَدَ ندامة، ولا يلومنَّ المرءُ إلَّا نفسَه.

فهي متاعٌ زائل، وطريقٌ عابر، نهايتُه الموتُ والقبر، والبعثُ والنُّشور، ثم الجزاء، فإمَّا إلى جنَّة، وإمَّا إلى نار.

فمَن وفَّقه الله اعتبرَ واتَّعَظ، ولم تَفتِنه زخارفُ الحياة عن عبادة ربِّه، ولم يلتفِت لدُعاةِ الإلحاد، ومبادِئ الهَدم والشُّكوك، بل زادَه ذلك تمسُّكًا بدِينه، ودَحْضًا لشُبَه المبطِلين، ومُؤتَفَكات الضالِّين، والله الهادي إلى سواء السبيل.

• حكى الأصمعيُّ قال: دخلت على الرشيد يومًا وهو ينظر في كتاب - ودموعُه تسيلُ على خَدِّه - فلمَّا بصُر بي قال: أرأيتَ ما كان منِّي؟

قلت: نعم.

قال: أما إنَّه ليس لأمرِ الدُّنيا.

ثم رمى إليَّ بالكتاب، فإذا فيه أبياتٌ لأبي العَتاهِيَة إسماعيل بن أبي القاسم، وهي:

هَل أَنتَ مُعتَبِرٌ بِمَن خَرِبَتْ مِنهُ غَداةَ مَضَى دَساكِرُهُ
وبِمَن أَذَلَّ الدَّهرُ مَصرَعَهُ فَتَبَرَّأَت مِنهُ عَساكِرُهُ
وبِمَن خَلَت مِنهُ أَسِرَّتُهُ وبِمَن وَهَت مِنهُ مَنابِرُهُ
أَينَ المُلُوكُ وأَينَ عِزُّهُمُ صارُوا مَصِيرًا أَنتَ صائِرُهُ
يا مُؤثِرَ الدُّنيا لِلَذَّتِهِ والمُستَعِدُّ لِمَن يُفاخِرُهُ
نَل ما بَدَا لَكَ أَن تَناوَلَهُ يَومًا فَإِنَّ المَوتَ آخِرُهُ

فلمَّا قرأتُها، قال: واللهِ يا أصمعيُّ لكأنِّي أُخاطَب بهذا الشِّعر وحدي دونَ الخلق!

فقلت: دَع هذا يا أمير المؤمنين؛ فإنَّه استشعارٌ لا يُقطَع به، ولا يعوَّل عليه. فواللهِ ما لَبِثَ بعدَ ذلك إلَّا شهرًا واحدًا ثم مات.

* قال رجل لعمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إنَّ فلانًا رجلُ صدق.

قال: سافَرتَ معه؟

قال: لا.

قال: فكانَت بينكَ وبينَه خُصومَة؟

قال: لا.

قال: فهل ائتَمَنتَه على شيء؟

قال: لا.

قال: فأنتَ الذي لا علمَ لكَ به، أُراكَ رأيتَه يرفعُ رأسَه ويخفضُه في المسجد.

* دخل محمَّد بن واسع على قُتَيْبَةَ بن مُسلِم، فقال له: أتيتُك في حاجةٍ رفعتُها إلى الله قبلَك، فإن تقضِها حمِدنا الله وشكرناك، وإن لم تقضِها حمِدنا الله وعَذرناك!

فأمَرَ له بحاجَته.

## نادرة

كتب رجلٌ من البصرة إلى أبيه: كتبتُ إليك يا أبتِ، نحن كما يسرُّك الله - عونَه وقوَّتَه - لم يَحدُث علينا بعدَك إلَّا كلُّ خير، إلَّا أنَّ حائطًا لنا وقعَ على أمِّي وأخي الصغير، وأختي والجارية، والحمار والدِّيك والشاة، ولم يُفلِت غيري!

* قال أبو حازم: إنَّ الدُّنيا غرَّت أقوامًا فعمِلوا فيها بغير الحقِّ، ففاجأهم الموت، فخلَّفوا مالَهم لمن لا يحمَدُهم، وصاروا لمن لا يعذِرُهم، وقد خُلِّفنا بعدَهم؛ فينبغي أن ننظرَ للذي كرِهناه منهم فنَجتَنِبه، والذي غَبِطناهُم به فنَستَعمِلَه.

* عَزَّت امرأةٌ المنصورَ في أبي العبَّاس السفَّاح، فقالت: عظَّمَ الله أجرَك؛ فلا مُصيبةَ أعظمُ مِن مُصيبَتِك، ولا عِوَضَ أعظمُ من خِلافَتك!

* وقال نُصَيحُ بن مَنظُور الفَقْعَسِي:

إذا ما خَلَوتَ الدَّهرَ يَومًا فلا تَقُلْ خَلَوتُ ولَكِن قُل: عَلَيَّ رَقِيبُ
فَلا تَحسَبَنَّ اللهَ يَغفُلُ ساعَةً ولا أنَّ ما تُخْفي عَلَيهِ يَغِيبُ

فَأَحسِنْ وأَجمِلْ ما استَطَعتَ فإنَّمَا ... بِقَرضِكَ تُجزَى والقُرُوضُ ضُرُوبُ
فلا تَكُ مَغرُورًا تَعَلَّلُ بِالمُنَى ... وقُل: إنَّما أُدعَى غَدًا فَأُجِيبُ
أَلَم تَرَ أنَّ اليَومَ أَسرَعُ ذاهِبٍ ... وأنَّ غَدًا لِلنَّاظِرِينَ قَرِيبُ
وأنَّ المَنايا تَحتَ كُلِّ ثَنِيَّةٍ ... لَهُنَّ سِهامٌ ما تَزالُ تُصِيبُ
ذَهَبنَ بِإخوانِ الصَّفاءِ فَأَصبَحَتْ ... لَهُنَّ عَلَينَا نَوبَةٌ سَتَنُوبُ

* قال الفُضَيلُ بن عِياض:

الخَوفُ ما دام الرجلُ صحيحًا أفضل، فإذا نزلَ الموتُ فالرجاءُ أفضل.

## دعاء

اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من طُول الغفلة، وإفراطِ الفِطْنَة.

* قال عمر بن هُبَيْرَة: اللهمَّ لا تجعَل قولي فوقَ عملي، ولا تجعَل سوءَ عملي ما قاربَ أجلي.

* وقال المهلَّب بن أبي صُفرَة لرجل من بني مِلْكَان - أحدِ بني عَدِي -: متى أنت؟

قال: أيَّامَ عُتَيبَةَ بن الحارثِ بن شِهاب (اليَرْبُوعِي، وهو أحدُ الفُرسان الشُّجعان في الجاهليَّة).

وأقبلَ على رجلٍ من الأَزْد، فقال له: متى أنت؟

فقال: أكلتُ مِن حياة رسول الله ﷺ عامَين.

فقال له المُهلَّب: أطعمكَ الله لحمَك.

* وقال أبو الشَّمَقْمَق:

أَتَـرانِـي أَرَى مِـنَ الـدَّهـرِ يَـومًـا ... لِـيَ فـيـهِ مَـطِـيَّـةٌ غـيـرُ رِجـلِـي؟!
كُـلَّـما كُـنـتُ في جَـمِـيعٍ فَـقالُـوا: ... قَـرِّبُـوا لِـلـرَّحـيـلِ، قَـرَّبـتُ نَـعـلِـي
حَـيـثُـمـا كُـنـتُ لا أُخَـلِّـفُ رَحـلًا ... مَـن رَآنِـي فَـقَـد رآنِـي ورَحـلِـي

* يُروى أنَّه كان في غَطَفَانَ نَصْرُ بن دُهْمانَ قد سادَ غَطَفانَ وقادها، حتى خَرِفَ، وعُمِّر تسعين ومئة سنة، حتى اسودَّ شعرُه، ونبتَت أضراسُه، وعاد شابًّا! فلا يُعرف في العربِ أعجوبةٌ مثلُه.

* قال أبو الحسن المدائني: جاء رجل إلى رجل مِن الوجوه، فقال له: أنا جارُك، وقد مات أخي فلان، فمُر لي بكَفَن!

قال: لا والله ما عندي اليوم شيء، ولكن تعهَّدنا وتعودُ بعدَ أيَّام، فسيكون ما تُحبُّ.

قال: أصلحَك الله! فنُمَلِّحهُ إلى أن يتيسَّر عندكم شيء؟!

* قيل لشيخ من الأعراب: قمتَ مقامًا خِفنا عليكَ منه!

قال: الموتَ أخاف؟! شيخٌ كبير، وربٌّ غفور، ولا دَينَ ولا بَنات.

* مرَّ بعضُ الحمقى بامرأة قاعدةٍ وهي تبكي، فَرقَّ لها، وقال: مَن هذا الميت؟

قالت: زوجي!

قال: فما كان عملُه؟

قالت: يحفِر القُبور.

قال: أبعدَه الله! أما علم أنَّ مَن حفرَ حفرةً وقَع فيها؟!

* وقال أبو الأَسْوَدِ الدُّؤلي:

ذَهَبَ الرِّجالُ المُقتَدَى بفِعالِهِمْ والمُنكِرُونَ لِكُلِّ أَمرٍ مُنكَرِ
وبَقِيتُ في خَلَفٍ يُزَيِّن بَعضُهُمْ بَعضًا لِيَدفَعَ مُعورٌ عَن مُعورِ
فَطِنٍ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ في مالِهِ وإذا أُصِيبَ بِعِرضِهِ لم يَشعُرِ

* قال القاضي شُرَيح: مررتُ مع عليِّ بن أبي طالب على المقابِر، فقال: يا أهلَ المقابر، أمَّا الدِّيارُ فقد سُكِنت، وأمَّا الأموالُ فقد اقتُسِمَت، وأمَّا الذَّراريُّ فقد نُكِحَت، هذا خبرُ ما عندَنا، هاتوا ما عندَكم!

ثم التفتَ إليَّ، فقال: لو أُذِن لهم في الجواب، لقالوا: تزوَّدوا، فإنَّ خيرَ الزادِ التقوى.

* لَمَّا تُوفي القاضي فَضَالَةُ بن عُبَيدٍ الأنصاريُّ في خلافة معاوية، حضرَ معاويةُ جنازتَه، فحمَلَ بجانبها، ثم صاح بابنه يزيد: أَعْقِبْني، واعلَم أنَّك لن تحملَ مثلَه بعدَه.

## الأيَّام دُوَل

الأيَّام دُوَل؛ فلا يغترَّ بها عاقلٌ إن أقبلَت، ولا ييئس إن أدبَرَت، فيومٌ لك ويومٌ عليك، ولو دامَت في عِزِّها ورخائها لأحدٍ لدامَت للملوك وأهلِ الثروة والجاه، فما الدُّنيا بمخلَّدةٍ لحيٍّ، وما هي إلَّا متاعُ الغُرور، والمحظوظُ مَن اعتبرَ واتَّعظَ وعملَ خيرًا، والمغبونُ مَن انخدعَ بها، وحسِبَ الحياةَ نهايةً، وغفلَ عن القبر وأهواله، والبعثِ وزَلازِله، والحسابِ وشدَّته، والصراطِ ولَهَبِ النار.

قال قَيسُ بن الخَطِيم:

ومـا بَعضُ الإقامةِ في دِيارٍ يُهانُ بِها الفَتَى إلَّا بَلاءُ
وبَعضُ خَلائِقِ الأَقْوامِ داءٌ كَداءِ البَطْنِ لَيسَ لَهُ دَواءُ

يُـرِيـدُ الـمَـرءُ أَن يُـعـطَـى مُـنـاهُ ... ويَـأبَـى اللهُ إلَّا مـا يَـشـاءُ
وكُـلُّ شَـدِيـدَةٍ نَـزَلَـت بِـحَـيٍّ ... سَـيَـأتِـي بَـعـدَ شِـدَّتِـهـا رَخـاءُ
ولا يُعطَى الحَرِيصُ غِنًى لِحِرْصٍ ... وقَـد يَـنْـمِـي مَـعَ الـجُـودِ الـثَّـراءُ
غَـنِـيُّ الـنَّـفسِ ما استَغنَى غَـنِـيٌّ ... وفَـقـرُ الـنَّـفسِ ما عَـمِـرَت شَـقـاءُ
ولَـيـسَ بِـنـافِـعٍ ذا الـبُـخـلِ مـالٌ ... ولا مُـزرٍ بِـصـاحِـبِـهِ الـسَّـخـاءُ
وبَـعـضُ الـدَّاءِ مُـلـتَـمَـسٌ شِـفـاهُ ... وداءُ الـنَّـوكِ لَـيـسَ لَـهُ شِـفـاءُ

## الأدب العربي

الأدبُ العربيُّ مظلوم، وقد تنكَّر له الكثيرون من الناشئة، حسِبوه أدبًا مصطنعًا لم يتطرَّق إلَّا لموضوعات قليلة، وأنَّه لا يمكن اعتبارُه تعبيرًا عن مشاعرِ أهل وَقتِه وأحوالهم، ولا يعكس صورةً صحيحة عن أوضاع ذلك المجتمع الذي يعيش فيه الشاعِرُ والأديب، وفي هذا القَول جحودٌ وتحامُل وجَهل، يكفي لدَحضِه الاطِّلاعُ على ما أنتجَه الأُدباء العرب شِعرًا ونثرًا.

ومِن جيِّد ما جاء في الأدب العربي مِن الرِّثاء قولُ أبي ذُؤيبٍ الهُذَلي يرثي أولادَه:

أَمِـنَ الـمَـنُـونِ ورَيـبِـهِ تَـتَـوَجَّـعُ ... والـدَّهـرُ لَيسَ بِمُعْتِبٍ مَن يَجزَعُ
قالَت أُمامَةُ ما لِجِسمِكَ شاحِبًا ... مُـنـذُ ابـتُـذِلـتَ وَمِـثـلُ مـالِـكَ يَـنـفَـعُ
ولَـقَـد حَـرَصْـتُ بِـأَن أُدافِـعَ عَـنـهُـمُ ... وإذا الـمَـنِـيَّـةُ أَقـبَـلَـت لا تُـدفَـعُ
وإذا الـمَـنِـيَّـةُ أَنـشَـبَـت أَظْـفـارَهَـا ... أَلـفَـيـتَ كُـلَّ تَـمِـيـمَـةٍ لا تَـنـفَـعُ
فـالـعَـيـنُ بَـعـدَهُـمُ كَـأنَّ جُـفُـونَـهَـا ... كُـحِـلَـت بِـشَـوكٍ فَـهـيَ عُـورٌ تَـدمَـعُ
وتَـجَـلُّـدِي لِـلـشَّـامِـتِـيـنَ أُرِيـهِـمُ ... أَنِّـي لِـرَيـبِ الـدَّهـرِ لا أَتَـضَـعـضَـعُ
حـتَّـى كَـأنِّـي لِـلـحَـوادِثِ مَـرْوَةٌ ... نِـصْـفُ الـمُـشَـقَّـرِ كُـلَّ يَـومٍ تُـقـرَعُ

لا بُدَّ مِن تَلَفٍ مُقِيم فَانتَظِرْ أبِأَرضِ قَومِكَ أم بِأُخرَى المَضجَعُ
ولَقَد أَرَى أنَّ البُكاءَ سَفاهَةٌ ولَسَوفَ يُولَعُ بِالبُكا مَن يُفجَعُ
ولَيَأتِيَنَّ عَلَيكَ يَومٌ مَرَّةً يُبكَى عَلَيكَ مُقَنَّعًا لا تَسمَعُ
فلَئِنْ بِهِمْ فَجَعَ الزَّمانُ ورَيبُهُ إنِّي بأَهلِ مَوَدَّتِي لَمُفَجَّعُ
والنَّفسُ راغِبَةٌ إذا رَغَّبتَهَا وإذا تُرَدُّ إلى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

* قالتْ أمُّ السُّلَيكِ بن السُّلكة - العَدَّاء المشهور - وقيل: إنَّها لأمِّ تأبَّطَ شَرًّا:

طافَ يَبغِي نَجْوَةً مِن هَلاكٍ فَهَلَكْ
لَيتَ شِعْرِي ضَلَّةً أَيُّ شَيءٍ قَتَلَكْ
والمَنايَا رُصَّدٌ لِلفَتَى حَيثُ سَلَكْ
كُلُّ شَيءٍ قاتِلٌ حِينَ تَلقَى أَجَلَكْ
لَيتَ نَفسِي قُدِّمَتْ لِلمَنايَا بَدَلَكْ
أَيُّ شَيءٍ حَسَنٍ لِلفَتَى لم يَكُ لَكَ

* قال بكر بن عبد الله المُزَنِي:

الدُّنيا ما مضى منها فَحُلم، وما بَقِيَ منها فأمانيُّ.

* وقال محمَّد بن واسع: ما آسى من الدُّنيا إلَّا على ثلاث: بُلْغَةٌ مِن عَيشٍ ليس لأحدٍ فيها عليَّ مِنَّة، ولا لله فيها عليَّ تَبِعَة، وصلاةٌ في جَمْعٍ أُكْفى سَهوَها، وأخٌ في الله إذا ما اعوَجَجتُ قوَّمَني.

## نادرة

دخل رَبِيعَةُ بن عقيل اليربوعيُّ على معاوية، فقال له: أعِنِّي يا أميرَ المؤمنين على بناءِ داري، فقال معاوية: وأين دارُك؟

قال: هي في البصرة، وهي أكثرُ مِن فرسخَين طُولًا، في فَرسَخَين عَرضًا.

فقال له معاوية: أدارُكَ في البَصرة، أمِ البَصرةُ في دارِك؟!

* قال الشَّعْبِي: ما رأيتُ مثلَنا ومثلَ الدُّنيا إلَّا كما قال كُثَيِّر عَزَّة:

أَسِيئِي بِنا أَو أَحْسِنِي لا مَلُومَةً لَدَينَا ولا مَقْلِيَّةً إن تَقَلَّتِ

## من أخبار المُعمَّرين

عاش نوح عليه السلام ألفَ سَنَةٍ وأربعَمئةٍ وخمسين سنة، وعاش لقمانُ خَمسَمئةٍ وستِّين سَنَة، وعاش المُسْتَوْفِزُ بن زبيد ثلاثمئة وثلاثين سنة، وعاش مَعْدِيكَرِبُ الحِمْيَرِيُّ مئتين وخمسين سنة، وعاش عامر بن الظَّرِبِ ثلاثَمئةِ سنة، ومثله أَكْثَمُ ابن صَيْفي، وكان مِن حُكماء العرب، وقيل: إنَّ قُسَّ بن ساعِدَةَ عاش سِتَّمئة سَنَة.

وسأل معاويةُ وهو في طريقه من الشام إلى مكَّة حاجًّا عن رجل مُعمَّر، فقيل: عُبَيد؛ وهو على طريقك، فدَعاه فقال: ممَّن أنت؟ فانتسبَ إلى قبيلة، فقال: وهل بقي منهم أحد؟

قال: نعم أنا!

قال: وكم لكَ مِن السِّنين؟

فقال: مئتان وعشرون سَنَة.

ومن المعمَّرين لَبِيدُ بن رَبِيعَة، ومنهم مُعاذُ بن مُسلِم، وقد عاش مئةً وخمسين سنة.

## الحياةُ قُلَّب

ليستِ الحياة صفوًا كلُّها، ولا هي نورٌ دائم، فهي تارةٌ وتارة، ويومٌ

ويوم، فيها الشدَّة واللِّين، والعُسْر واليُسْر، والبأساء والنَّعماء، والضرُّ والنفع، والمتبصِّر مَن يشكر إذا أقبلَت، ويصبِرُ إذا أدبَرَت، لا يزدَهِيه الغُرورُ والكِبر، ولا يستسلِمُ لليأس والقُنوط، فهو صابرٌ شاكر، ومؤمِن محتسِب، وموقِن مطمَئِن.

* قال أبو فِراسٍ الحارث الحَمْدانيُّ في أبيات أرسلَها لأمِّه وهو أسير:

مُصابِي جَلِيلٌ والعَزاءُ جَمِيلُ ... وظَنِّي بأنَّ اللهَ سَوفَ يُدِيلُ
جِراحٌ تَحاماها الأُساةُ مَخُوفَةٌ ... وسُقْمَانِ: بادٍ مِنهُمَا ودَخِيلُ
وأَسْرٌ أُقاسِيهِ ولَيلٌ نُجُومُهُ ... أَرَى كُلَّ شَيءٍ غَيرَهُنَّ يَزُولُ
تَطُولُ بِيَ السَّاعاتُ وَهْيَ قَصِيرَةٌ ... وفي كُلِّ دَهْرٍ لا يَسُرُّكَ طُولُ
تَناسانِيَ الأَصْحابُ إلَّا عُصَيبَةٌ ... سَتَلْحَقُ بالأُخْرَى غَدًا وتَحُولُ
ومَن ذَا الذِي يَبقَى عَلَى العَهدِ إنَّهُمْ ... وإن كَثُرَت دَعْواهُمُ لَقَلِيلُ
أُقَلِّبُ طَرْفي لا أَرَى غيرَ صاحِبٍ ... يَمِيلُ مَعَ النَّعْماءِ حَيثُ تَمِيلُ
وصِرنَا نَرَى أَنَّ المُتارِكَ مُحْسِنٌ ... وأَنَّ صَدِيقًا لا يَضُرُّ خَلِيلُ
أَكُلُّ خَلِيلٍ هَكَذا غيرُ مُنصِفٍ ... وكُلُّ زَمانٍ بِالكِرامِ بَخِيلُ؟!

## الحياةُ الصافية

الحياةُ الصافية مِنَ الكَدر، والهانئةُ من التَّعب، والخاليةُ من المنغِّصات، هي حياةٌ وهميَّة، يَحلُم بها الفلاسفة، وتُراوِد أحلام الخياليِّين، ولكنَّها في عالم الواقع مستحيلة.

إنَّ الحياة جُبِلت على الكَدر، ومُزِجَت بالآلام، واقترنَ فيها السرورُ بالحزن، والفرحُ بالغمِّ، والبهجةُ بالترَح، والعاقلُ يسعى للتخفيف مِن آلامها في حدود ما يَقدِر عليه، ويحاول أن يُسهِم في هَناءِ البشريَّة وسعادتها بما

يحتمله، ويصبر على البأساء والضرَّاء، ويَحمَد الله على المسرَّات والنعماء، فلا يؤدِّي به الحزنُ إلى الجَزَع، ولا يُفضي به الألمُ إلى اليأس.

بل يكون المؤمِنَ القويَّ الصابرَ المجاهد، الذي يسعى للخير جُهدَه، ولا تذهب نفسُه حسَراتٍ على ما فات، ولا يُصيبه الخَوَر والوَهَن عندَ المصائب، ويلتجئ إلى الله تعالى ويسألُه السلامةَ والعافية، والعونَ والغُفْران، ويكون مَثَلًا للمؤمن التقيِّ الصادق، الذي لا يغرُّه الأَشَرُ والبَطَر والخُيَلاء، ولا يركَنُ للكسل والخنوع، والذِّلَّة والمهانة، الصابر عندَ المصيبة، الشاكر عند النِّعمة.

ومَن يريد الحياة صفوًا بلا كَدَر، وهناءً بلا تَعَب، ومَرَحًا بلا أحزان، فقد رامَ المستحيل، وتطلَّب غيرَ الممكن، وأجهدَ نفسَه فيما لا طاقةَ له به، فالحياةُ تجمعُ الأضداد، وتحوي المتناقضات، ويلتقي فيها الشيءُ وعكسُه.

ومِن ثَمَّ كان الصبرُ والشُّكر كجَناحَي الطائر، ينبغي للمؤمن أن يتسلَّح بهما، وأن يكون صابرًا شاكرًا، حتى تقرَّ عينُه، وتهدأ نفسُه، ويزدادَ يقينُه، ويرسخ إيمانُه، وفي الدار الأخرى حُسن الثواب، ورِضا الملك الوهَّاب، الذي لا تنفَد خزائنُه، ولا تُنقص بما يُعطيه وإن عَظُم، له الحمدُ والثناء، وله الشكر على نِعَمه التي لا تُحصى.

* قال زُهَيْرُ بن أبي سُلْمَى:

ومَن يُوفِ لا يُذْمَمْ ومَن يُفْضِ قَلبُهُ ... إلى مُطْمَئِنِّ البِرِّ لا يَتَجَمْجَمِ
ومَن هابَ أَسبابَ المَنايا يَنَلْنَهُ ... ولَو رامَ أَسبابَ السَّماءِ بِسُلَّمِ
ومَن يَكُ ذا فَضلٍ فَيَبخَلْ بِفَضْلِهِ ... على قَومِهِ يُستَغْنَ عَنهُ ويُذْمَمِ

* قال بعض الشُّعراء في الصَّبر:

وإذا ابتُلِيتَ بِمِحنَةٍ فَالبَسْ لَهَا ... ثَوبَ السُّكُوتِ فإنَّ ذَلِكَ أَسلَمُ
لا تَشكُوَنَّ إلى العِبادِ فَإنَّمَا ... تَشكُو الرَّحِيمَ إلى الذِي لا يَرحَمُ

* قال الأصمعيُّ: بلغَنِي عن شيخ جَزِعَ على ميِّت جزعًا شديدًا، فقيل له في ذلك، فقال: نحن قومٌ لم نتعوَّدِ الموت.

* نزل يهوديٌّ على أعرابيٍّ فماتَ عندَه، فقام الأعرابيُّ يصلِّي عليه، فقال: اللهمَّ إنَّه ضَيف، وحقُّ الضَّيفِ ما قد علمت، فأمهِلنا إلى أن نقضِيَ ذِمامَه، ثم شأنَك والكَلب!

* قال بعض الشُّعراء:

إمَّا تَرَيني وأَثوابِي مُقارِبَةٌ     لَيسَتْ بِخَزٍّ ولا مِن نَسْجِ كَتَّانِ
فَإنَّ في المَجْدِ هِمَّاتِي وفي لُغَتِي     عُلْوِيَّةً وَلِساني غَيرُ لَحَّانِ

* قال الشاعر:

بَكَتْ دارُهُمْ مِن بَعدِهِمْ فَتَهلَّلَتْ     دُمُوعِي فَأَيَّ الجازِعِينِ أَلُومُ
أَمُستَعبِرًا يَبكِي عَلى اللَّهوِ وَالبِلَى     أَمَ اخَرَ يَبكِي شَجْوَهُ فَيَهِيمُ؟!

* مات ذَرُّ بن عمرَ بن ذَرٍّ الهَمْدَاني، فوقفَ أبوه على قبرِه، فقال: يا ذرُّ؛ والله ما بِنا إليك مِن فاقَة، وما بنا إلى أحدٍ سوى الله مِن حاجة، يا ذرُّ؛ شغلني الحزنُ لكَ عن الحزن عليك!

ثم قال: اللهمَّ إنَّك وعدتَّني بالصبر على ذرٍّ صلواتِك ورحمتَك، اللهمَّ وقد وهبتُ ما جعلتَ لي مِن أجْرٍ على ذرٍّ لذرٍّ، فلا تُعرِّفه قبيحًا مِن عَمَلِه، اللهمَّ وقد وهبتُ له إساءته إليَّ، فهَب إساءته إلى نفسِه، فإنَّك أجودُ وأكرم!

فلمَّا انصرفَ عنه التفتَ إلى قبره، وقال: يا ذرُّ؛ قد انصرَفنا عنكَ وتركناك، ولو أقَمنا ما نفَعناك!

* اعتلَّ الحِرْمازيُّ، وكان له صديق من الهاشميِّين فلم يَعُده، فكتبَ إليه:

مَتَى تَنْفَكُّ واجِبَةُ الحُقوقِ     إذا كانَ اللِّقاءُ على الطَّرِيقِ؟

إذا لَـــم يَـــكْـــفِـــهِ إلَّا سَـــلامٌ    فَما يَرجُو الصَّدِيقُ مِنَ الصَّدِيقِ؟
مَـرِضْـتُ ولـم تَـعُـدنِـي مُـنـذُ شَـهـرٍ    ولَـيـسَ كَـذاكَ فِـعـلُ أَخٍ شَـقِـيـقِ!

* كتب إبراهيمُ بن يحيى الأَسْلَمِيُّ إلى المهديِّ يُعزِّيه في ابنته:

أمَّا بعد:

فإنَّ أحقَّ مَن عَرف حقَّ الله عليه فيما أَخَذ منه مَن عظَّم حقَّ الله عليه فيما أبقى له، واعلَم أنَّ الماضيَ قبلَك هو الباقي لك، وأنَّ الباقيَ بعدَك هو المأجورُ فيك، وأنَّ أجرَ الصابرين فيما يُصابون به أعظمُ مِن النِّعمة عليهم فيما يُعافَون منه.

* مَرِضَ المِسْوَرُ فجاءه ابن عبَّاس يزوره نصفَ النَّهار، فقال المِسْوَر: يا أبا عبَّاس؛ هلَّا ساعةً غير هذه؟

فقال ابن عبَّاس: إنَّ أحبَّ الساعات إليَّ أن أؤدِّي فيها الحقَّ أشقُّها عليَّ.

* قيل لهَرِمِ بن حَيَّان: أَوصِ.

فقال: صَدَقتنِي نفسي في الحياة؛ ما لي شيءٌ أُوصي فيه، ولكنِّي أُوصيكم بخواتيم (سورة النَّحل).

* قال عامر بن عَبدِ قَيْس: الدُّنيا والدةٌ للموت، ناقضةٌ للمُبرَم، مُرتَجِعةٌ للعَطيَّة، وكلُّ مَن فيها يَجري إلى ما لا يَدري، وكلُّ مستقِرٍّ فيها غيرُ راضٍ بها؛ وذلك شهيدٌ بأنَّها ليسَت بدار قرار.

* قال فَرْقَد: دخلنا على الحسنِ فقلنا: يا أبا سعيد؛ أَلَا يعجبك مِن محمَّد بن الأهتم؟

فقال: ما لَه؟

فقلنا: دخلنا عليه آنفًا وهو يجودُ بنفسِه؛ فقال: انظروا إلى ذاك الصندوق

- وأَومَأ إلى صندوقٍ في جانب بيتِه - فقال: هذا الصندوق فيه ثمانون ألفَ دينار (أو قال: درهم) لم أؤدِّ منها زكاة، ولم أَصِل منها رَحِمًا، ولم يأكُل منها مُحتاج.

فقلنا: يا أبا عبد الله؛ فلِمَن كنت تجمعُها؟!

قال: لرَوعَةِ الزمان، ومُكاثَرةِ الأقران، وجَفْوَةِ السُّلطان.

فقال: انظروا مِن أين أتاه شيطانُه، فخوَّفه رَوعَةَ زمانه، ومُكاثرةَ أقرانِه، وجَفوَةَ سُلطانه؟!

ثم قال: أيُّها الوارث، لا تُخدعنَّ كما خُدِع صُوَيحِبُك بالأمس؛ جاءك هذا المالُ لم تتعَب لك فيه يَمِين، ولم يَعرَق لكَ فيه جَبِين، جاءكَ ممَّن كان له جَموعًا مَنوعًا، مِن باطِل جَمَعَه، من حقٍّ مَنَعَه.

ثم قال الحسن: إنَّ يوم القيامة لذو حسَرات؛ الرجلُ يجمع المالَ ثم يموتُ ويدعُه لغيره، فيرزقُه الله فيه الصلاحَ والإنفاقَ في وجوه البرِّ، فيجدُ مالَه في ميزانِ غيره!

* قال أبو عثمانَ النَّهْدِيُّ: أتَت عليَّ ثلاثون ومئةُ سنة ما مِنِّي شيءٌ إلَّا وقد أنكرتُه، إلَّا الأمل، فإنَّه يزيد.

* قال الحسن: إذا سرَّك أن تنظرَ إلى الدُّنيا بعدَك، فانظُر إليها بعدَ غيرِك.

* سَمِع بعضُ الحمقى قومًا يتذاكرون الموتَ وأهوالَه، فقال: لو لم يكن في الموتِ إلَّا أنَّك لا تقدر أن تتنفَّس لكفَى!

* قال أبو حازم: نحن لا نُريد أن نموتَ حتَّى نتوب، ونحن لا نتوبُ حتى نموت!

* قال رجلٌ للحسن البصري:

إنِّي أكرهُ الموت!

قال: ذاكَ لأنَّك أخَّرتَ مالَك، ولو قدَّمتَه لسرَّك أن تلحقَ به.

* قال عليٌّ رضي الله عنه: اللهمَّ إنَّ ذنوبي لا تضرُّك، وإنَّ رحمتَك إيَّاي لا تَنقُصك، فاغفِر لي ما لا يضرُّك، وأعطِني ما لا يَنقُصك.

* دخل أحمقُ على مريض، فقال: إذا رأيتُم المريضَ على هذه الحال فاغسِلوا أيديَكم منه!

* قيل لأبي العَيْناء: فيمَ أنت؟

قال: في الدَّاء الذي يتمنَّاه الناس (يعني: الهَرَم).

* قال حاجِبُ بن دِينار لأخيه زُرارَة:

عَجِلتَ مَجِيءَ المَوتِ حتَّى هَجَرتَنِي ... وفي القَبرِ هَجْرٌ يا زُرَارُ طَوِيلُ!

* قال بكر بن عبد الله المُزَني: اجتهِدوا في العمل، فإن قصَّر بكم ضَعْفٌ فكفُّوا عن المعاصي.

## الأُمَمُ السالفة

في التاريخ أنباءٌ عن أُمَم سَلَفَت، ودُوَلٍ دَثَرَت، وأقوام كانوا فبانوا، وبقِيَت سيرتُهم تُقرأ وتُروى، فإذا ذُكِر الطُّغاة والأشرار، وأهلُ الكفر والعِناد ذُكروا بالاستِهجان والاستِقباح واللَّعائِن، وإذا مرَّ ذِكرُ الأخيار والصالحين، وذوي الفضل والشهامةِ والمروءة، ذُكِروا بالاستِحسانِ وعاطِر الثناء، والإعجابِ بأعمالهم.

وهكذا لم يجدِ الطاغي طُغيانَه، ولم ينتَهِ المظلومُ عند ظُلمه.

وقصَّة الأنبياء مع أُمَمهم تُعطي المثلَ والاعتبار، فلقد تكبَّر الكافرون، واستهانوا بالأنبياء وآذَوْهم، وراموا قتلَهم، والمصلِحون في كلِّ زمان ومكان أُوذُوا، وأصابتهم مِحَنٌ وابتلاءٌ ومتاعب، فصبروا ودافعوا عن الحقِّ، ولسانُ حالهم يُردِّد مع السَّحرة عندما قالوا لفرعون: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه: ٧٢]، لقد كانت العاقبةُ الحَسَنَةُ للأنبياء والصالحين، والمدافعين عن الحقِّ، والداعين لِدين الله؛ ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

* وقال صابئُ بن الحارثِ البُرْجُمِي:

وما عاجِلاتُ الطَّيرِ تُدنِي مِنَ الفَتَى ... نَجاحًا ولا عَن رَيثِهِنَّ نَجِيبُ
ورُبَّ أُمُورٍ لا تَضِيرُكَ ضَيرَةً ... ولِلقَلبِ مِن مَخْشاتِهِنَّ وَجِيبُ
ولا خَيرَ فيمَن لا يُوَطِّنُ نَفسَهُ ... عَلى نائِباتِ الدَّهرِ حِينَ تَنُوبُ
وفي الشَّكِّ تَفرِيطٌ وفي الحَزمِ قُوَّةٌ ... ويُخطِي الفَتَى في حَدْسِهِ ويُصِيبُ
ولَستَ بِمُستَبقٍ صَدِيقًا ولا أَخًا ... إذا لم تَعَدَّ الشَّيءَ وهْوَ يَرِيبُ

## ومن نُكَتِ المغفَّلين

قال عثمان بن عمر: نزَلَ الموتُ بزوج امرأة، فقيل لها: لو دخلتِ على زوجكِ ودَّعتِه!

قالت: أخافُ أن يعرفَني مَلَكُ الموت.

* ودخل بعضُ المغفَّلين على مريض يعودُه، فلمَّا خرج التفتَ إلى أهله، وقال: لا تفعلوا بنا كما فعلتُم في فلان؛ ماتَ وما أعلمتُمونا، إذا مات هذا فأعلِمونا حتى نصلِّيَ عليه!

## الموت

الموت حقٌّ، وما بالموتِ عارٌ على الفتى، وكلُّ مَن عليها فانٍ، والبقاء لله ﷻ ومَن يشمَت بالميِّت لأنَّه مات فقد أساء، وجانبَه التوفيق؛ فمَن الذي سينجو من الموت، حتى يفخرَ بدوام الحياة؟! وقد مات الأنبياء والمرسَلون، والأولياءُ والصالحون، والفائزُ مَن نجا يومَ البعثِ والحساب.

* اشتكى يزيدُ بن عبد الملك شَكاةً شديدة، وبلغَه أنَّ هشامًا سُرَّ بذلك؛ فكتبَ إلى هشام يُعاتبه، وكتبَ في آخِر الكتاب:

تَمَنَّى رِجالٌ أن أَمُوتَ وإن أَمُتْ ... فَتِلكَ سَبِيلٌ لَستُ فيها بِأَوحَدِ
وقد عَلِمُوا لَو يَنفَعُ العِلمُ عِندَهُمْ ... مَتَى مِتُّ ما الدَّاعِي عَلَيَّ بِمُخلَدِ
مَنِيَّتُهُ تَجرِي لِوَقتٍ وحَتْفُهُ ... يُصادِفُهُ يَومًا عَلى غَيرِ مَوعِدِ
فَقُل لِلَّذِي يَبغِي خِلافَ الذي مَضَى: ... تَهَيَّأْ لِأُخرَى مِثلَها فَكَأنْ قَدِ

* كان أبو بكر ﵁ إذا عزَّى رجلًا قال: ليس مع العَزاءِ مُصيبة، ولا معَ الجَزَع فائِدة، الموتُ أهونُ ممَّا بعدَه، وأشدُّ ممَّا قبلَه، اذكروا فَقدَ رسولِ الله ﷺ تصغُر مُصيبتُكم، وعظَّم الله أجرَكم.

* قال أَكْثَمُ بن صَيْفي: أحقُّ مَن شركَك في النِّعم شُركاؤكَ في المكاره.

* وقال عبد الله بن المُعتَزِّ:

نَسِيرُ إلى الآجالِ في كُلِّ ساعَةٍ ... وأَيَّامُنا تُطوَى وهُنَّ مَراحِلُ
ولم نَرَ مِثلَ المَوتِ حَقًّا كَأنَّهُ ... إذا ما تَخَطَّتْهُ الأَمانِيُّ باطِلُ
وما أَقْبحَ التَّفْرِيطَ في زَمَنِ الصِّبَا ... فكَيفَ بِهِ والشَّيبُ في الرَّأسِ نازِلُ
تَرَحَّلْ مِنَ الدُّنيَا بِزادٍ مِنَ التُّقَى ... فعُمْرُكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قَلائِلُ

* قيل: إذا قَدُمتِ المصيبةُ تُرِكَت التَّعزِيَة، وإذا قَدُمَ الإخاءُ سَمُجَ الثَّناء.

## العُمر

العُمرُ قصير، والحياة إلى فَناء، فبَعْثٌ ونُشور، ثم جنَّة أو نار، والدُّنيا مزرعةُ الآخرة، فمَن زرع خيرًا وجدَ خيرًا، ومَن زرعَ شرًّا حصدَ نَدامة، والجزاءُ مِن جِنس العمل، فمنَ وجدَ خيرًا فليحمَدِ الله، ومَن وجدَ غيرَ ذلك فلا يلُومنَّ إلَّا نفسَه.

تُرَى لماذا تُنفق الساعاتُ الكثيرة، والأيام والليالي في الشَّحناء والبَغضاء؟! أما كان الأجدرُ أن تُصرَف إلى الوِفاق والتفاهُم والتصافي، والاستزادةِ من البرِّ، والتعاون على الخير؟!

* قال لَبِيدُ بن رَبيعَةَ العامِرِيُّ يرثي أخاه أَرْبَد:

بَلِينَا وما تَبْلَى النُّجُومُ الطَّوالِعُ ... وتَبقَى الدِّيارُ بَعدَنا والمَصانِعُ
وقد كُنتُ في أَكْنافِ جارٍ مَضَنَّةٍ ... فَفارَقَنِي جارٌ بأَرْبَدَ نافِعُ
فلا جَزِعٌ إن فَرَّقَ الدَّهرُ بَينَنَا ... فَكُلُّ امرِئٍ يَومًا بِهِ الدَّهرُ فاجِعُ
وما النَّاسُ إلَّا كَالدِّيارِ وأَهلِهَا ... بِها يَومَ حَلُّوها وراحُوا بَلاقِعُ
وما المَرْءُ إلَّا كَالشِّهابِ وضَوْئِهِ ... يَحُورُ رَمادًا بعدَ إذ هُوَ ساطِعُ
وما المالُ والأَهْلُونَ إلَّا وَدائِعٌ ... ولا بُدَّ يَومًا أن تُرَدَّ الوَدائِعُ
لَعَمْرُكَ ما تَدْرِي الضَّوارِبُ بِالحَصَى ... ولا زاجِراتُ الطَّيرِ ما اللهُ صانِعُ
وما النَّاسُ إلَّا عامِلانِ؛ فَعامِلٌ ... يُتَبِّرُ ما يَبنِي وآخَرُ رافِعُ
فَمِنهُم سَعِيدٌ آخِذٌ بِنَصِيبِهِ ... وَمِنهُم شَقِيٌّ بِالمَعِيشَةِ قانِعُ



## الأمانيُّ

هلِ الأمانيُّ نِعمَةٌ أو نِقمَة؟ هل هي مِن سعادة المرء أو مِن شَقائه؟ هل يمكن أن تكون الأمانيُّ ذات وجهٍ واحد، ولون مُفرَد؟ أم لها ألوانٌ عدَّة، وأشكال متباينة؟

لعلَّ الرأي الأخير أقربُ إلى الصواب، وأدلُّ بالسَّداد؛ فمَن هَمَّ بحسنةٍ فلم يعملها كُتِبَت له حسنةٌ كاملة، ويُبعَث الناسُ يومَ القيامة على نيَّاتهم.

فتمنِّي الخير نعمةٌ قَمِينَةٌ بالشكر، وتمنِّي الشرِّ نقمةٌ حريَّة بالتباعُد والنَّبْذ.

## الخَنساءُ ترثي أخاها صَخرًا

قالت الخَنْساءُ ترثي أخاها صَخْرًا:

كَأنَّ عَينِي لِذِكراهُ إذا خَطَرَتْ ... فَيضٌ يَسِيلُ عَلى الخَدَّينِ مِدْرارُ
تَبكِي خُنَاسٌ عَلى صَخْرٍ وحُقَّ لَهَا ... إذ رابَها الدَّهرُ إنَّ الدَّهرَ ضَرَّارُ
لا بُدَّ مِن مِيتَةٍ في صَرْفِها عِبَرٌ ... والدَّهرُ في صَرْفِهِ حَوْلٌ وأَطْوارُ
يا صَخرُ وَرَّادَ ماءٍ قَد تَوارَدَهُ ... أَهلُ المَوارِدِ ما في وِرْدِهِ عارُ
وإنَّ صَخرًا لَحامِينا وسَيِّدُنَا ... وإنَّ صَخرًا إذا نَشْتُو لَنَحَّارُ
وإنَّ صَخرًا لَتَأتَمُّ الهُداةُ بِهِ ... كَأنَّهُ عَلَمٌ في رَأسِهِ نارُ
لَم تُلْفِهِ جَارَةٌ يَمْشِي بِساحَتِهَا ... لِرِيبَةٍ حِينَ يُخلِي بَيتَهُ الجَارُ
مِثلَ الرُّدَينِيِّ لم تَنفَدْ شَبِيبَتُهُ ... كَأنَّهُ تَحتَ طَيِّ البُرْدِ أُسْوَارُ
طَلْقُ اليَدَينِ بفِعلِ الخَيرِ مُعتَمِدٌ ... ضَخمُ الدَّسِيعَةِ بِالخَيراتِ أَمَّارُ
حَمَّالُ أَلوِيَةٍ هَبَّاطُ أودِيَةٍ ... شَهَّادُ أَندِيَةٍ لِلجَيشِ جَرَّارُ

* قال أبو الحسين السَّرُوجِي: كان عندَنا طبيبٌ يُسمَّى النُّعمان، ويكنى

أبا المُنذِر، فقال فيه صديقٌ لي:

أَقُولُ لِنُعْمانٍ وقد ساقَ طِبُّهُ نُفُوسًا نَفيساتٍ إلى باطِنِ الأَرضِ
أَبا مُنذِرٍ أَفنَيتَ فَاستَبقِ بَعضَنا حَنَانَيكَ بَعضُ الشَّرِّ أَهوَنُ مِن بَعضِ

* قال عبد الله بن شاذان مِن أهل قَزْوِينَ في رجل يعرفه ويدَّعي صداقتَه، اسمُه أحمد؛ وكان أَنِيقًا مُراوِغًا، لا يثبتُ على عهد:

إذا ما جِئْتَ أحمدَ مُستَمِيحًا فَلا يَغرُرْكَ مَنظَرُهُ الأَنِيقُ
فَذُو لُطْفٍ ولَيسَ لَدَيهِ عُرْفٌ كَبارِقَةٍ تَرُوقُ ولا تُرِيقُ
فَما يَخْشَى العَدُوُّ لَهُ وَعِيدًا كَما بِالوَعدِ لا يَثِقُ الصَّدِيقُ

* وَلِي عبد الرحمن بن الضحَّاك بن قيس المدينةَ سنتين، فأَحسنَ السِّيرة، وعفا عن أموال الناس، ثم عُزِل، فاجتمعوا إليه، فأنشد لدَرَّاج الضِّبابي:

فَلا السِّجنُ أَبكانِي ولا القَيدُ شَفَّنِي ولا أَنَّنِي مِن خَشيَةِ المَوتِ أَجزَعُ
ولَكِنَّ أَقوامًا أَخافُ عَلَيهِمُ إذا مِتُّ أن يُعْطُوا الذِي كُنتُ أَمنَعُ

## الوَصايا

للوصايا دورٌ هامٌّ في الأدب العربي، وتمثِّل الوصايا تجارِبَ المرء، والتوجيهَ الحسنَ في عباراتٍ موجَزةٍ مركَّزة، يسهُل استيعابُها، ولا يستعصي على الفَهم مغزاها.

وقد حفِلَت كُتب الأدب بوصايا قيِّمة تجمع الحِكمة والطُّرفة والمَثَل، والاستشهاد بآيات القرآن الكريم والأحاديث النبويَّة الشريفة، وأبياتٍ منتخبةٍ من جيِّد الشِّعر، ومأثور الكَلِم، وهذه واحدة منها.

قال الكَلْبِيُّ: لَمَّا حضرتْ عبدَ الله بن شدَّاد الوفاةُ دعا ابنًا له يُقال له: محمَّد، فقال: يا بُنَيَّ؛ إنِّي أرى داعيَ الموتِ لا يُقلِع، وأرى مَن مضى

لا يرجع، ومَن بقي فإنَّه يَنزِع، وإنِّي مُوصِيكَ بوصيَّةٍ فاحفظها:

علَيكَ بتقوى الله العظيم، وليكُن أَولى الأُمور بك شكرَ الله، وحُسنَ النيَّة في السِّرِّ والعلانية؛ فإنَّ الشَّكور يزداد، والتقوى خيرُ زاد، وكُن كما قال الحُطَيْئَة:

وَلَستُ أَرَى السَّعادَةَ جَمعَ مالٍ ... ولَكِنَّ التَّقِيَّ هُوَ السَّعِيدُ
وتَقوَى اللهِ خَيرُ الزَّادِ ذُخْرًا ... وعِندَ اللهِ لِلأَتقَى مَزِيدُ
وما لا بُدَّ أن يَأتِي قَرِيبٌ ... ولَكِنَّ الذِي يَمضِي بَعِيدُ

أي بُنَيَّ؛ لا تزهدنَّ في معروف؛ فإنَّ الدهرَ ذو صُروف، والأيَّام ذاتُ نوائِب، على الشاهد والغائِب، فكم مِن راغبٍ قد كان مرغوبًا إليه، وطالبٍ أصبحَ مطلوبًا ما لدَيه، واعلَم أنَّ الزمان ذو ألوان، ومَن يصحبِ الزمان يرَ الهوان، وكُن - أي بُنَيَّ - كما قال أبو الأسوَدِ الدُّؤلي:

وعُدَّ مِنَ الرَّحمَنِ فَضلًا ونِعمَةً ... عَلَيكَ إذا ما جاءَ لِلعُرْفِ طالِبُ
وإنَّ امرءًا لا يُرتَجَى الخَيرُ عِندَهُ ... يَكُن هَيِّنًا ثِقْلًا عَلى مَن يُصاحِبُ
فَلا تَمنَعَن ذا حاجَةٍ جاءَ طالِبًا ... فَإنَّكَ لا تَدرِي مَتى أنتَ راغِبُ
رَأيتُ التِوَا هَذا الزَّمانِ بِأَهلِهِ ... وبَينَهُمُ فيهِ تَكُونُ النَّوائِبُ

أي بُنَيَّ؛ كُن جَوادًا بالمال في موضع الحقِّ، بخيلًا بالأسرار عن جميع الخَلق؛ فإنَّ أحمدَ جُودِ المرءِ الإنفاقُ في وجه البِر، وإنَّ أحمدَ بُخل الحُرِّ الضَّنُّ بمكتوم السِّر، وكن كما قال قَيْسُ بن الخَطِيم الأنصاريُّ:

أَجُودُ بِمَكنُونِ التِّلادِ وإنَّنِي ... بِسِرِّكَ عَمَّن سالَنِي لَضَنِينُ
إذا جاوَزَ الإثنَينِ سِرٌّ فَإنَّهُ ... بِبَثٍّ وتَكْثِيرِ الحَدِيثِ قَمِينُ
وعِندِي لَهُ يَومًا إذا ما ائْتَمَنتَنِي ... مَكانٌ بِسَوداءِ الفُؤادِ مَكِينُ

أي بُنَيَّ؛ وإن غُلِبتَ يومًا على المال، فلا تَدَعِ الحِيلَةَ على حال؛ فإنَّ

الكريم يَحتال، والدَّنِيُّ عِيال، وكُن أحسنَ ما تكون في الظاهر حالًا، أقلَّ ما تكونُ في الباطِن مالًا؛ فإنَّ الكريم مَن كرُمَت طبيعتُه، وظهرَت عندَ الإنفادِ نِعمَتُه، وكان كما قال ابن خَذَّاق العَبْدِي:

وَجَدتُّ أَبِي قَدَ اوْرَثَهُ أبوهُ خِلالًا قد تُعَدُّ مِنَ المَعالِي
فأَكرَمُ ما تَكُونُ عَلَيَّ نَفسِي إذا ما قَلَّ في الأَزَماتِ مالِي
فَتَحسُنُ سِيرَتِي وأَصُونُ عِرضِي ويَجْمُلُ عِندَ أهلِ الرَّأيِ حالِي
وإن نِلْتُ الغِنَى لم أَغْلُ فيهِ ولم أَخصُصْ بِجَفْوَتِيَ المَوالِي

أي بُنَيَّ؛ وإن سمعتَ كلمةً مِن حاسِد، فكُن كأنَّك لستَ بالشاهد؛ فإنَّك إن أمضَيتَها حِيالَها، رَجَعَ العَيبُ على مَن قالَها، وكان يُقال: الأريبُ العاقِل، هو الفَطِنُ المُتغافِل، وكُن كما قال حاتمٌ الطَّائِي:

وكَلْمَةِ حاسِدٍ في غَيرِ جُرْمٍ سَمِعتُ فَقُلتُ: مُرِّي فَانفُذِينِي
فَعابُوها عَلَيَّ ولم تَسُؤنِي ولم يَعْرَقْ لها يَومًا جَبِينِي
سَمِعتُ بِعَيبِهِ فَصَفَحتُ عَنهُ مُحافَظَةً عَلَى حَسَبِي ودِينِي

أي بُنَيَّ؛ لا تُواخِ امرءًا حتى تُعاشِرَه، وتتفقَّدَ مَوارِدَه ومَصادِرَه، فإذا استطعتَ العِشرَة، ورَضِيتَ الخِبرَة، فواخِه على إقالةِ العَثْرة، والمُواساةِ في العُسْرة، وكُن كما قال المُقَنَّعُ الكِنْدِي:

أُبْلُ الرِّجالَ إذا أَرَدتَّ إخاءَهُم وتَوَسَّمَنَّ فِعالَهُمْ وتَفَقَّدِ
فإذا ظَفِرْتَ بِذِي اللُّبابَةِ والتُّقَى فَبِهِ اليَدَينِ قَرِيرَ عَينٍ فَاشدُدِ
وإذا رَأَيتَ ولا مَحالَةَ زَلَّةً فَعَلَى أَخِيكَ بِفَضلِ حِلمِكَ فارْدُدِ

أي بُنَيَّ؛ إذا أحببتَ فلا تُفرِط، وإذا أبغَضتَ فلا تُشطِط؛ فإنَّه قد كان يُقال: أَحبِب حَبيبكَ هَونًا ما؛ عسى أن يكونَ بَغيضَكَ يومًا ما، وأَبغِض عَدوَّكَ هَونًا ما؛ عسى أن يكون حبيبَكَ يومًا ما، وكُن كما قال هُدْبَةُ بن خَشْرَم

العُذْرِي:

وكُن مَعقِلًا لِلحِلمِ واصفَحْ عَنِ الخَنَا     فـإنَّـكَ راءٍ مـا حَـيِـيـتَ وسـامِـعُ
وأَحـبِـبْ إذا أَحـبَـبـتَ حُـبًّـا مُـقـارِبًـا     فـإنَّـكَ لا تَـدرِي مَـتـى أَنـتَ نـازِعُ
وأَبغِضْ إذا أَبغَضتَ بُغضًا مُقارِبًا     فـإنَّـكَ لا تَـدرِي مَـتـى أَنـتَ رَاجِـعُ

## اكتِسابُ المال

الحِرصُ على اكتساب المال غريزةٌ في النُّفوس، والمالُ مَتاعٌ إذا أحسنَ صاحبُه الاستفادةَ منه، وصرفَه في طُرقِه السليمة، كان دِرعًا له، وذكرى حَسَنَةً يعطِّر أريجُها، ويَطيبُ حديثُها، وإن بَخِل به وقرَّ، وشَحَّ واحتَجَن، عُدَّ عليه من المثالب، وعِيبَ به، وكان وَبالًا عليه، حَظُّه منه تعبُ الجمع، وعَناءُ المطاردة، وإثمُ الجُحود.

* عاش الحارثُ بن حبيبٍ الباهِلِيُّ ستِّين ومئةَ سنة، ومن شِعره:

كَـم مِـن أَسِـيـرٍ تـائِـهٍ فَـدَيـتُـهُ     ومِـن كَـمِـيٍّ مُـعـلِـم أَرْدَيـتُـهُ
ومُـسـرِعٍ بِـسَـرْوِهِ جـازَيـتُـهُ     ومُـبـطِـئٍ بِـرِفْـدِهِ كَـفَـيـتُـهُ
ومُـعـلِـنٍ بِـضِـغـنِـهِ كَـوَيـتُـهُ     لـو كـانَ يُـشْـرَى الـموتُ لَاشـتَـرَيـتُـهُ

* جمع الحارثُ بن كَعْبٍ بَنِيه حين حضرَته الوفاةُ، فقال:

يا بَنِيَّ؛ عليكم بهذا المال؛ فاطلُبوه أجملَ الطَّلَب، ثم اصرفوه في أجملِ مذهَب؛ فصِلُوا به الأرحام، واصطَنِعوا منه الأقوام، واجعلوه جُنَّةً لأعراضِكم، تحسُن في الناس قالَتُكم؛ فإنَّ بَذلَه تمامُ الشَّرَف، وثباتُ المروءة، وإنَّه ليُسوِّدُ غيرَ السيِّد، ويؤيِّدُ غيرَ الأَيِّد، حتى يكونَ عند الناس نَبيلًا نَبيهًا، وفي أعيُنهم مَهيبًا، ومَن اكتسبَ مالًا فلم يَصِل به رَحِمًا، ولم يُعطِ منه سائلًا، ولم يصُن به عِرضًا، بحثَ الناسُ عن أَصلِه؛ فإن كان مَدخولًا هَرَتُوه وهَتَكُوه، وإن لم يكن

مدخولًا ألزمُوه دَنيَّة، وأكسَبوه عِرقًا لَئيمًا، حتى يُهَجِّنوه به.

وقال لابنه أشْعَث وهو يُوصِيه:

أبُنَيَّ إنَّ أَباكَ يَومًا هالِكٌ فاحفَظ أَباكَ رِياسَةً وتَقَلُّبَا
وإذا لَقِيتَ كَتِيبَةً فَتَقَدَّمَنْ إنَّ المُقَدَّمَ لا يَكُونُ الأَخْيَبَا
تَلقَى الرِّياسَةَ أو تَمُوتَ بِطَعنَةٍ والموتُ يَأتِي مَن نَأَى وتَجَنَّبَا

* قال سَحْبانُ وائِل: إنَّ الدُّنيا دارُ بلاغ، والآخرةَ دارُ قَرار، أيُّها الناس؛ فخُذوا من دار مَمرِّكم لدار مَقرِّكم، ولا تهتِكوا أستارَكم عندَ من لا تخفى عليه أسرارُكم، وأخرجوا من الدُّنيا قلوبَكم قبل أن تخرجَ منها أبدانُكم، ففيها حَيِيتُم، ولغَيرِها خُلِقتُم.

* كتب عبد الحميد بن يحيى الكاتب المقتول سنة **١٣٢هـ** إلى أهلِه وهو مُنهَزِم مع مَرْوان بن محمَّد آخِر مُلوك بني أُميَّة:

أمَّا بعد:

فإنَّ الله تعالى جعلَ الدُّنيا محفوفةً بالكُرهِ والسُّرور، فمَن ساعدَه الحظُّ فيها سَكَنَ إليها، ومَن عضَّتْه بنابِها ذَمَّها ساخطًا عليها، وشكاها مُستزِيدًا لها.

وقد كانَت أذاقَتنا أَفاوِيقَ استَحلَيناها، ثم جَمَحَت بنا نافِرَة، ورَمَحَتنا مُولِّية، فمَلُح عَذبُها، وخَشُن ليِّنُها، فأبعدَتنا من الأوطان، وفرَّقتنا عن الإخوان، فالدارُ نازِحَة، والطَّير بارِحَة، وقد كتبتُ والأيَّام تزيدنا منكُم بُعْدًا، وإليكُم وَجْدًا، فإن تتمَّ البليَّة إلى أقصى مدَّتها يكُن آخِرَ العَهدِ بكم وبنا، وإن يلحَقنا ظُفرٌ جارِحٌ من أظفار مَن يَليكُم نَرجِعْ إليكُم بذُلِّ الإسار، والذُّلُّ شرُّ جار، نسألُ الله الذي يُعِزُّ مَن يشاء، ويُذِلُّ مَن يشاء أن يَهَبَ لنا ولكم أُلْفَةً جامعة، في دارٍ آمِنَة، تجمعُ سلامةَ الأبدان والأديان، فإنَّه ربُّ العالَمين، وأرحمُ الراحمين.

* قال حكيمٌ لبَنِيه:

يا بَنِيَّ؛ إيَّاكم والجَزَعَ عند المصائب؛ فإنَّه مَجْلَبةٌ للهَمِّ، وسوءُ ظنٍّ بالربِّ، وشماتةٌ للعدوِّ، وإيَّاكم أن تكونوا بالأحداثِ مُغترِّين، ولها آمنين؛ فإنِّي والله ما سخِرتُ من شيءٍ إلَّا نَزَلَ بي مثلُه، فاحذروها وتوقَّعوها.

فإنَّما الإنسانُ في الدُّنيا غَرَضٌ تَتعاوَرُه السِّهام، فمُجاوِزٌ له ومُقصِّرٌ عنه، وواقعٌ عن يمينه وشِماله، حتى يُصيبَه بعضُها.

واعلموا أنَّ لكلِّ شيءٍ جزاءً، ولكلِّ عمل ثوابًا، وقد قالوا: كما تَدِين تُدان، ومن بَرَّ يومًا بُرَّ بِه.

* أوصَى قَيسُ بن عاصِم بَنِيه، فقال:

يا بَنِيَّ؛ احفظوا عنِّي، فلا أحدَ أنصحُ لكم منِّي: إذا متُّ فسَوِّدوا كِبارَكم، وعليكم باستصلاح المال؛ فإنَّه مَنْبَهةٌ للكريم، ويُستَغنى به عن اللَّئيم، وإيَّاكم ومسألةَ الناس؛ فإنَّها آخِرُ كسبِ الرجل.

## دعاء

اللهمَّ وفِّقنا لِمَا يُرضِيك، وجنِّبنا ما يُسخِطك، ولا تجعَل حياتَنا سَبَهْللًا وأعمالَنا هَباءً، اللهمَّ ارزُقنا حلاوةَ الإيمان، وثباتَ اليقين، وأعِنَّا على أنفُسِنا وأهوائِنا، واختِم لنا بخير؛ إنَّك سميعُ الدُّعاء.

**تمَّ الكتاب**

**والحمدُ لله أولًا وآخرًا.**





# مؤلِّف الكتاب

هو: زيد بن عبد العزيز بن فيَّاض، المشرفي الوهبي التَّميمي.

- ولد في (روضة سَدِير) عام **١٣٥٠**هـ.

- حَفِظ القرآن الكريم في الكُتَّاب عندَ خاله.

- قرأ على عدد من العلماء في الرياض؛ منهم: العلَّامة الشيخ محمَّد بن إبراهيم، والشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم، والشيخ سعود بن رشود، والشيخ إبراهيم بن سليمان، والشيخ عبد الرحمن بن محمَّد بن قاسم، وغيرهم.

- وفي المعهد دَرَس على عدد من المشايخ والأساتذة؛ منهم: فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمَّد الأمين الجكني الشنقيطي، والشيخ عبد الرحمن بن عواد، والشيخ عبد العزيز بن رشيد، والأستاذ يوسف عمر، والأستاذ عبد اللطيف سرحان، والأستاذ حمد الجاسر، والشيخ عبد الرزاق العفيفي، والأستاذ محمَّد علي عبد الرحيم، والأستاذ محمود سويلم.

- تخرَّج من (المعهد العلمي) بالرياض سنة **١٣٧٢**هـ، وكان ترتيبه الأوَّل، وفي عام **١٣٧٦**هـ تخرَّج في (كليَّة الشريعة)، وترتيبه الأوَّل.

- عمل عضوًا بدار الإفتاء، ثم مدرِّسًا في (المعهد العلمي)، ثم في (كليَّة الشريعة)، ثم عضوًا في رياسة القضاء، انتقل إليه امتيازُ "صحيفة اليمامة"، وتولَّى رئاسةَ تحريرها مدَّة سنتين، استقالَ مِن العمل الرسمي ليتفرَّغ للصِّحافة.

- ثم أُعيدت خِدْماته لوزارة المعارف مساعدًا لمدير عام المكتبات، فمديرًا عامًّا للمكتبات، ثم تخلَّى عن العمل في الوزارة لأسباب ليس المجال مناسبًا لذِكرها الآن، وبعدَ سنة وشهر عاد للعمل بالوزارة موجِّهًا للتربية

الإسلاميَّة.

- للمؤلِّف تلاميذ كثيرون يتولَّون القضاءَ والتدريس، والتوجيه والإدارة، وغيرها.

- كتب عن مؤلَّفاته مُشيدًا بها كثيرون من العلماء والأدباء والباحثين والصَّحفيين؛ منهم: الدكتور مصطفى السباعي، والدكتور محمَّد عبد المنعم خفاجي، والدكتور صلاح الدين المنجِّد، والأستاذ عبد القدُّوس الأنصاري، والأستاذ أحمد عبد الغفور عطَّار، والأستاذ محمَّد سعيد العامودي، والأستاذ محمَّد حسين زيدان، والأستاذ محمَّد حسن عواد، والأستاذ أحمد جمال، والأستاذ محمَّد عبد الله السمَّان، والأستاذ محمَّد سليم شرباتي، والأستاذ عوني مصطفى، والأستاذ عبد الرحيم ابن سلامة، والأستاذ بكري الشيخ أمين، والأستاذ عبد الله بن خميس، والأستاذ حُمود بن عُقلاء، والأستاذ محمَّد قنديل، والأستاذ عبد الله المقبل، والأستاذ عثمان الصالح، والأستاذ ناصر العمري، والأستاذ علي خضران، والأستاذ عبد الله الماجد، وغيرهم.

- قدَّم للإذاعة مئاتِ الأحاديث والكلمات مِن خلال برامج "صور من الجهاد"، و"نور على الدرب"، و"فكرة اليوم"، و"يا أخي المسلم"... كما شارك في ندوة مجالس الإيمان في عِدَّة حلقات بالتلفزيون.



## كتب صدرت للمؤلف

١- "الروضة النديَّه، شرح العقيدة الواسطيَّه"، طُبع مرَّتين.

٢- "نظرات في الشريعة"، كَتَب له مقدِّمة الأستاذ عبد الله ابن خميس.

٣- "صور من الجهاد" جزآن.

٤- "واجب المسلمين في نشر الإسلام"، طُبع ثلاث مرَّات.

٥- "من كلِّ صَوب"، كتب مقدِّمته الدكتور صلاح الدين المنجِّد.

٦- "في سبيل الإسلام".

٧ - "الوَحدة الإسلاميَّة".

٨ - "قضيَّة فلسطين".

٩ - "بحوث ومناقشات".

١٠- "الدِّين والعلم".

١١- "فصول في الدِّين والأدب والاجتماع"، كَتَب له مقدِّمتَه الدكتور محمَّد عبد المنعم خفاجي.

وهناك كتب لم تُطبع، عددها مقارب لعدد المؤلَّفات المطبوعة.

## من كتب المؤلِّف

مقدِّمة لكتاب "التُّحفة المهديَّة" للشيخ فالح بن مهدي الأستاذ بكليَّة الشريعة بالرياض تغمَّده الله برحمته، كما كتب مقدِّمة لكتاب "الجامع الفريد" الذي طُبع على نفقة آل جميح.

للمؤلِّف ترجمة في "مجلَّة المنهل"، العدد الخاص بالأدباء السعوديِّين، الصادر في رجب ١٣٨٦هـ، وترجمة في "مجلَّة العرب" العدد الصادر في جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢هـ، وكُتِب عنه بإيجاز في كتاب "موجز تاريخ الصِّحافة"، وكتاب "تطوُّر الصِّحافة"، وغيرها.



# أهم المراجع


- **مجموعة التوحيد**؛ لعدد من علماء نجد.
- **تفسير الحافظ ابن كثير.**
- **البداية والنهاية**؛ لابن كثير.
- **زاد المعاد**؛ للعلامة ابن القيِّم.
- **العقد الفريد**؛ لابن عبد ربِّه.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تخريج وتعليق أحمد شاكر.
- **الإصابة، في تمييز الصحابة**؛ للحافظ ابن حجر.
- **مروج الذهب**؛ للمسعودي.
- **معجم الأدباء**؛ لياقوت الحموي.
- **وفَيات الأعيان**؛ لابن خَلِّكان.
- **البدر الطالع، في محاسن مَن بعد القرن السابع.**
- **جامع بيان العلم وفضله**؛ لابن عبد البر.
- **الأغاني**؛ لأبي الفرج الأصبهاني.
- **البيان والتبيين**؛ للجاحظ.
- **البخلاء**؛ للجاحظ.
- **الإمتاع والمؤانسة**؛ لأبي حيَّان التوحيدي.
- **الصداقة والصديق**؛ لأبي حيَّان التوحيدي.

- **نظم العقيان**؛ للسُّيوطي.
- **المزهر في اللغة**؛ للسُّيوطي.
- **الكنز المدفون، والفلك المشحون**؛ للسُّيوطي.
- **الشعر والشعراء**؛ لابن قُتيبة.
- **جمهرة أشعار العرب**؛ لأبي زيد محمَّد بن أبي الخطَّاب القُرشي.
- **أخبار الشعر** المسمَّى **كتاب الأوراق**؛ للصُّولي.
- **أخبار أبي تمام**.
- **ديوان الحماسة**؛ للبُحتري.
- **شرح ديوان الحماسة**؛ للمَرزوقي.
- **المستطرَف، في كلِّ فنٍّ مستظرَف**؛ لأبي الفتح الأبشِيهي.
- **كتاب الأذكياء**؛ لابن الجوزي.
- **كتاب الحمقى والمغفَّلين**؛ لابن الجوزي.
- **أدب الدنيا والدين**؛ للماوَرْدي.
- **حياة الحيوان**؛ للدَّميري.
- **محاضرات الأدباء**؛ للراغب الأصبهاني.
- **المعمَّرون والوصايا**؛ لأبي حاتم السِّجستاني.
- **المحاسن والأضداد**؛ للجاحظ.
- **الأمالي**؛ لأبي عليٍّ القالي.
- **مجمع الأمثال**؛ للمَيداني.

- **عيون الأخبار**؛ لابن قُتيبة.
- **الرُّوح**؛ لابن القيِّم.
- **قصص العرب**؛ لمحمَّد أحمد جاد المولى وزميله.
- **التِّبر المسبوك، في نصيحة الملوك**؛ للغزالي.
- **الهفوات النادرة**؛ للصابئ.
- **نزهة الألباء، في طبقات الأدباء**؛ للأنباري.
- **مقامات الهمذاني**.
- **كشف الخفاء ومزيل الإلباس**؛ للعَجْلُوني.
- **أسنى المطالب، في أحاديث مختلفة المراتب**؛ لمحمَّد ابن السيِّد درويش.
- مقدِّمة **الصِّحاح**؛ لأحمد عبد الغفور عطَّار.
- **تهذيب الصِّحاح**؛ للزَّنْجاني.
- **العقود الدُّرِّية، من مناقب شيخ الإسلام ابن تيميَّة**؛ لابن عبد الهادي.
- **خزانة الأدب**؛ لابن حِجَّة الحموي.
- **مثالب الوزيرَين**؛ لأبي حيَّان التوحيدي.
- **اللطائف والطبُّ الرُّوحاني**؛ لابن الجوزي.
- **اللطائف والطرائف**؛ لأحمد بن عبد الرزاق المقدسي.
- **مختارات المنفلوطي**.
- **مشاكلة الناس لزمانهم**؛ لأحمد بن إسحاق اليعقوبي.

- **لورنس العرب**؛ لزهدي الفاتح.
- **بين الكتب والناس**؛ لعبَّاس العقَّاد.
- **الصراع بين الفكرة الإسلاميَّة والفكرة الغربيَّة**؛ لأبي الحسن النَّدْوي.
- **معالم في الطريق**؛ لسيِّد قطب.
- **الإسلام، بين العلماء والحكَّام**؛ لعبد العزيز البدري.
- **نصيحة وتنبيه على مسائل في النِّكاح مخالفة للشرع**؛ لعبد العزيز بن باز.
- **ذكرى العاقل، وتنبيه الغافل**؛ لعبد القادر الجزائري.
- **مختصر منهاج القاصدين**؛ لأحمد بن محمَّد بن قُدامة.
- **أخبار القضاة**؛ لوكيع محمَّد بن خلف بن حيَّان.
- **مجلة الشِّبل.**
- **شرح الصُّدور**؛ للشوكاني.
- **مجموعة رسائل في علوم الحديث**؛ للنَّسائي، والخطيب البغدادي.
- **ديوان حسَّان بن ثابت.**
- **ديوان الإمام الشافعي.**
- **ديوان حاتم الطائي.**
- **ديوان المتنبِّي.**
- **ديوان الأعشى.**
- **ديوان أبي العتاهية.**

- **ديوان أبي تَمَّام.**
- **ديوان أبي فِرَاس الحَمْداني.**
- **ديوان ابن مشرف.**
- **جواهر الأدب**؛ للهاشمي.
- **نوادر الجاحظ.**
- **حياتي**؛ لأحمد أمين.
- **إلى ولدي**؛ لأحمد أمين.
- **فصول من الفكر المعاصر**؛ لماجد الخفاجي.
- **قول على قول**؛ لحسن الكرمي.
- **المختارات السائرة**؛ لأنيس الخوري المقدسي.





# الفهرس



## آثار الشيخ زيد الفياض

تمتازُ بالجمع بين العلم الشرعيِّ الموثوق والثقافة الإسلاميَّة الأصيلة، مصوغةً بأسلوب سهل ومشرق، يُقنع العقلَ ويُلامس الوجدان.. كيف لا وصاحبُها فارسٌ من فرسان الميدان؟!

إنه الشيخُ زيد بن عبد العزيز الفياض رحمه الله؛ نمطٌ فذٌّ بين علماء عصره، جمعَ بين التحصيل الشرعيِّ المتين والاطِّلاع على ما يروجُ في زمنه من أفكار وثقافة طارئة، فامتاز ببصيرة نافذة ناقدة لما يدورُ حوله من حوادث، وما يُلمَّع من فكر دخيل وفلسفات ومذاهبَ وافدة! فانتضى قلمَه بجَراءة، وبذل وُكدَه في كشف كلِّ ما يتهدَّد أمَّة الإسلام بصراحة، فغدت كتاباتُه وثائقَ تاريخيَّة مدوَّنة بيد خبير ثقة مقتدر.

وما خلَّفه الشيخ من تراث علميٍّ وفكريٍّ نافع، يتوزَّع بين كتب طُبعت ونَفِدَت، ومقالات نُشرت في الصحف قديمًا ولم تُجمَع، ومُسوَّدات بحوثٍ وكتب عاجلته المنيَّة قبل تحريرها وإخراجها.

ويُسعدنا في دار الألوكة للنشر أن نميطَ اللثامَ عن هذا التراث الرصين بتقديمه لأبناء عصرنا لينتفعوا بما فيه من علم ونصح وغَيرة. هذا ولم نألُ جهدًا في التصحيح والتحرير والعناية. ونسأله سبحانه التوفيقَ والقَبول، وأن يجعلَ هذا العِلمَ النافعَ في صحيفة صاحبه وناشره.




توزيع مؤسسة الجريسي - الرياض - هاتف ٤٠٢٢٥٦٤